

[٣]

ذيل الصواعق لمحو الأباطيل والخوارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ



تَقْدِيمٌ

الحمْدُ للهِ ربِّ العالمينَ، وَالصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ خاتمِ النَّبيِّينَ وَسَيِّدِ الخلائِقِ أجمعينَ، وَعَلىٰ آلِهِ وأصْحابِهِ ومَنْ تبعَهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدِّينِ.

أَمَّا بعدُ: فَقَد قرأَ عليَّ فضيلَةُ الشَّيخِ/ حِمُود بْن عبدِ اللهِ التُّوَيْجِرِي مُؤَلَّفَهُ القَيِّمَ «ذَيْلُ الصَّوَاعِقِ لِمَحْوِ الأَبَاطِيلِ وَالمَخَارِقِ» فَألفَيْتُه كتابًا جيِّدًا في معْناهُ، أجادَ فيهِ وَأفادَ، وبيَّن غلطاتِ الأستاذ مُحمَّد محْمُود الصَّوَّاف[1] فِي كتابِه «المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» بِما لا مَزِيدَ عليه؛ بَاركَ اللهُ فيه وفي عُلومِهِ.

فَإِنَّ الأستاذَ الصَّوَّاف ذكرَ في كِتابِهِ «المُسْلِمونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» أشْياءَ لمْ يدُلَّ عليها دَليلٌ لا من كتابٍ وَلا من سُنَّةٍ، وَلَا إجْماعٍ، وَلَا عقْلٍ سليمٍ، وَلا يَكادُ يصدِّقُ بها مَن له أَدْنىٰ مُسْكَةٍ مِن عَقْلٍ، فَضْلًا عمَّن لدَيْه أدْنَىٰ علمٍ بِنصوصِ الكِتابِ وَالسُّنةِ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

(١) سبق ترجمته.

مِثْلُ قَوْلِ الصَّوَّاف عَن أَبِي جَعْفَرٍ الطُّوسِيّ: «وَهَل تَعْلَمُ أَنَّ مِن علماءِ الهَيْئَةِ المُسْلِمينَ الذينَ رَصَدوا، وَأَلَّفُوا، وَسَهِروا اللّيالِيَ الطِّوالَ في مُناجاةِ النُّجومِ، وَرَصْدِ حَركاتِها وَسَكناتِها، الشَّيخُ/ أَبو جَعْفَرٍ نَصِيرُ الدِّينِ مُحَمّد بنُ الحَسنِ الطُّوسِيّ الفَيْلسوفُ...» إِلىٰ أنْ قالَ: «وَلَوْ أردْنا أنْ نزيدَ لَأَتَيْنا بِالشَّيءِ الكثيرِ مِنْ فِعْل سلفِنا الصَّالحِ».

وَحالَةُ الطُّوسِيِّ مَعْلومَةٌ عِنْدَ أَهْلِ العلْمِ؛ قَالَ عنْهُ ابنُ القَيِّمِ في كِتابِه «إِغاثَةُ اللَّهْفَانِ» فِي صَفْحَةِ (٢٦٧) المُجَلَّدِ الثَّاني: «لَمّا انْتَهت النَّوْبَةُ إِلىٰ نَصِيرِ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ والإِلْحادِ وَزِيرِ المَلاحِدَةِ النَّصيرِ الطُّوسِيّ وَزِير هُولاكُو، شَفَىٰ نَفْسَه من أَتْبَاعِ الرَّسولِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْل دينِه، فَعَرَضَهُم علىٰ السّيفِ حتَّىٰ شَفىٰ إِخْوانَهُ مِنَ المَلاحِدَةِ، وَاشْتَفىٰ هُوَ؛ فَقتَلَ الخليفَةَ وَالقُضَاةَ وَالفُقَهاءَ وَالمُحدِّثينَ، وَاسْتَبْقىٰ الفَلاسِفَةَ وَالمُنَجِّمينَ وَالطَّبَائِعِيِّينَ وَالسّحرَةَ، وَنَقلَ أَوقافَ المدارِسِ وَالمَساجِدِ والرُّبُطِ إِلَيْهِم، وَجعلَهم خاصَّتَه وأَوْلياءَهُ، وَنَصَر في كُتُبِه قِدَمَ العالَمِ، وَبُطْلان المَعَادِ، وَإِنكارَ صِفَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ مِنْ عِلْمِه وقدْرَتِه وَحَيَاتِه وَسَمْعِه وَبَصَرِهِ، وَأَنَّهُ لا دَاخِلَ العالَمِ ولا خَارِجَه، وَلَيس فوقَ العرْشِ إِلهٌ يُعْبدُ أَلْبَتَّةَ، وَاتَّخَذَ لِلملاحِدَةِ مدارِسَ، وَرَامَ جعْلَ «إِشارَاتِ» إِمامِ المُلْحدينَ ابْنِ سِينا مكانَ القرآنِ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ علىٰ ذَلِك، فَقَالَ: هِيَ قُرآنُ الخَواصِّ، وَذَلِك قرآنُ العَوامِّ، وَرَامَ تغْييرَ الصَّلاةِ، وَجَعْلَها صَلَاتَيْنِ، فَلَمْ يَتِمَّ لهُ الأَمْرُ».

وَتَعَلَّمَ السِّحْرَ آخرَ الأَمرِ، فَكانَ ساحرًا يَعبدُ الأَصنامَ، قال ابْنُ القَيِّمِ في

الكِتابِ المَذكورِ نَقْلًا عنْ «مُصارَعَةِ المُصارعَةِ» لِلطُّوسِيّ: «وَأَنَّ اللهَ تَعالىٰ لَمْ يخْلُقِ السّمواتِ وَالأَرضَ فِي ستّةِ أيّامٍ، وَأَنّهُ لا يَعْلمُ شَيئًا، وَأَنّه لا يَفْعلُ شَيْئًا بقُدْرَتهِ وَاختِيارِهِ، ولا يَبْعثُ مَن في القُبورِ...» إِلَىٰ أَنْ قالَ: «وَبِالجُمْلةِ، فَكانَ هذا المُلْحِدُ هُو وأتْباعُه مِنَ المُلحِدين الكافِرينَ بِاللهِ وَمَلائكَتِه وكتُبه وَرُسُلهِ واليَوْمِ الآخِرِ» انْتَهىٰ.

فَلَا ينْبَغي حِينئِذٍ تَعْدادُهُ منَ المُسلمينَ، وَلا مِن سلفِنا الصَّالِحِ.

وَمِثْلُ قَوْلِ الأُسْتاذِ الصَّوَّاف: «إِنَّ الشَّمس تَفْقدُ أربعةَ مَلايينَ طِنٍّ من وزْنِها في الثَّانيةِ الواحِدةِ مِنَ احتراقِها، ولَمْ تزلْ تُجدِّد وزنَها وحجمَها».

فَمِن وَزَنَها بِذلِك؟! وَمَن عرفَ مِقدارَ ما تَحْرقه مِن ملايينِ الأطْنانِ؟! وَمَن قدَّر هذا الزّمنَ الَّذي تَحرِقُ فيه هذا العددَ الهائلَ؟!

وَمِن ذلك نقلُه عنْ «جِيمس أوثر» أنَّ العالمَ بَدأ يومَ ٢٦ أكتوبر سَنَةَ ٤٠٠٤ قبلَ الميلادِ، ولمْ يَرُدَّهُ، بلْ نقلَه مُقِرًّا لهُ ومرتَضِيًا، فَما الَّذي أدْراه عن ذلك الشّهرِ وعن ذلك اليومِ، وأنَّه هو اليومُ السَّادسُ والعشرونَ مِن أكتوبر؛ بِحيثُ لَمْ يتقدَّمْ يومًا ولم يتأَخَّر يومًا؟! لَا يعلَمُ مَتىٰ كانَ ذَلِك إِلَّا اللهُ.

وَقَالَ -أَيْضًا-: «جَاء في أحدِ الكُتُب الهِنديّةِ المقدَّسةِ أَنَّ عُمْر العالَمِ هو ١.٩٧٢.٩٤٩.٠٥٦ أَلْفٌ وتِسعُمِائةٍ واثنانِ وسبعونَ مِليونًا وَتِسعُمائةٍ وَتسْعٌ وأَرْبعونَ أَلفًا وَسِتٌّ وخمسونَ سَنَةً».

وَقَالَ -أَيْضًا-: «إِنّ الجُهودَ الَّتي يبذُلها الفلكيُّون في العَصر الحديثِ يُمكنُ أَن يُعْتبرَ أصحُّ تقديرٍ لعُمْرِ الكُرةِ الأرْضِيّةِ، فَقَد دَلّت آخِرُ التّقديراتِ القائِمَةِ أنَّ عُمْرَ الكُرَةِ الأرضيّةِ حَوالي خمْسَةِ آلافٍ وَأربَعِمائةِ مليونِ سَنَةٍ ٥.٤٠٠.٠٠٠.٠٠٠»، وَهَذا تَناقُضٌ -كَما تَرىٰ-، فَلا يَعْلَمُ مَتىٰ كانَ ذلكَ غَيْرُ مَنْ خلقَ هذا الكونَ، وَأَوْجدَهُ.

وَنعوذُ باللهِ أَن نقولَ بِقِدمِ العالَمِ كَمَا يقولُه بعضُ الفَلاسِفَةِ..

وَقالَ -أَيْضًا-: «إِنّ بَعضَ العُلماءِ أَظْهَر أَنّه تَمكّنَ مِن احْتِسابِ النَّقْصِ في سُرْعةِ دَوَرانِ الأرْضِ فَوَجدَ أنَّ هذا النقصَ يَبْلغُ حَوالَيْ ثانيةٍ واحدَةٍ كُلّ مائَةٍ وعشرينَ أَلْفِ سَنَةٍ».

ثمَّ قالَ الأستاذُ الصَّوَّاف: «وَعَليهِ؛ فَبَعْد ٤٣٢ مليون سَنَةٍ يَنْقصُ دَورانُ الأرْضُ بمِقْدارِ سَاعَةٍ، وعنْدَئِذٍ يصبحُ مجموعُ سَاعاتِ الليلِ وَالنّهار ٢٥ ساعَةً». فَتَصَوُّرُ هَذا وأمثالُه كافٍ في رَدِّهِ.

وَقَالَ -أَيْضًا- في عُمْر الشَّمس: «إِنّه خمسةُ آلافِ مليونِ سنَةٍ، وَأَنّ نُجومًا سوفَ لا يصلُ نورُها إلىٰ كُرَتِنا الأرْضِيّةِ في أقلَّ من ألفٍ وَخَمْسِمائةِ مِليون سَنَةٍ ضَوْئيّةٍ».

قَالَ: «مَعَ العلْمِ بأنّ الضّوءَ يَسيرُ في الثّانيةِ الواحِدَةِ ثَلاثَمائَةِ ألفِ كِيلو مِتْرٍ. وَأنّ هذا الكونَ يَتضَمّنُ خمسَمِائةِ مِليونِ مليونٍ مِنَ المجرّاتِ، كَمَا يُقَدّر علماءُ

الفلَكِ، وفي كُلّ مجرَّةٍ مائةُ ألفِ مليون نَجْمٍ».

إِلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الأشياءِ الكثيرَةِ في كتابِه، فَلعَلَّ فضيلتَهُ! يراجِعُ كتابَه، وَيُصلحُ ما فيهِ منْ خطأٍ عَلىٰ ضوءِ الكتابِ وَالسُّنّةِ وَما يؤَيّدهُ العقْلُ الصّحيحُ، فَإِنّ الرجوعَ إِلىٰ الحَقّ خيرٌ مِنَ التّمادي في ضِدّه، واللهُ يُوفّقُ الجميعَ لِما فيهِ صلاحُ دِينِنا ودُنيانا، وَأنْ يسلُكَ بنا صراطَهُ المسْتَقيمَ، وَصَلّىٰ اللهُ عَلىٰ مُحَمّدٍ وآلِه وصحْبِهِ وَسلّم.

الرّئيسُ العامُّ للإشْرافِ الدّينيّ بِالمسْجِدِ الحَرامِ

عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ

٣/ ١١/ ١٣٨٩هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ، نحمَدُه، ونسْتَعينُه، ونسْتَهديهِ، وَنستَغْفرُه، وَنتوبُ إليْهِ، وَنَعوذُ باللهِ من شُرور أنفسِنا وسيِّئاتِ أعمالِنَا، مَن يهدِ اللهُ فَلا مُضِلّ له، وَمَن يضلِلْ فلا هادِيَ له. وَأَشْهدُ أنْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، وَأَشْهدُ أنَّ مُحمّدًا عبدُه ورَسولُهُ المبعوثُ رحمةً للعالَمِينَ، وَحجَّةً عَلىٰ المُعانِدِينَ، صَلّىٰ اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِه وأصْحابِهِ، ومَن تبعهُمْ بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدّينِ، وَسلَّم تسليمًا كَثيرًا.

أَمّا بَعْدُ:

فَقَد اطَّلَعْتُ علىٰ رِسالَةٍ لِمُحَمَّد مَحمود الصَّوَّاف، سَمَّاها «المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ» قَدْ جمعَ فيها ما نشَرَه في جَريدَةِ «الدّعوةِ» مِن التَّعقيبِ عَلىٰ الشَّيخ عبدِ العَزيزِ بنِ بازٍ فيما يَتعلَّقُ بجَريانِ الشَّمس وَسُكونِ الأَرْضِ[1]، وزادَ علىٰ ذلكَ شيئًا كَثيرًا مِن تَخَرُّصات أهْلِ الهَيئَةِ الجَديدَةِ، وَتَخَرُّصات أَتْباعِهم في الأرْضِ والشَّمس وَالقَمرِ وَالكواكِبِ، وهذهِ الرّسالة مطبوعةٌ في لُبنانَ في جُمادىٰ الأُولىٰ سَنةَ ١٣٨٧هـ.

وَقَد كنتُ كتبْتُ ردًّا علىٰ ما نَشَرهُ في جريدَةِ «الدّعوةِ» وسمَّيْتُه «الصَّواعِق

---

(١) انظر: «رسالة الأدلة النقلية والحسية علىٰ جريان الشمس وسكون الأرض وإمكان الصعود إلىٰ الكواكب» للعلامة ابن باز رحمه الله.

الشَّديدَة عَلَىٰ أَتْباعِ الهَيْئَةِ الجَدِيدَةِ»[١] وَهُو في الحَقِيقَةِ ردٌّ علىٰ ما نشَرَهُ في جريدَةِ «الدّعوةِ» وَعلىٰ رسالَتِه المطْبوعَةِ مَعًا؛ لِأَنَّ ما في الرِّسالةِ المطْبوعَةِ هُو نَصُّ ما نشَرَهُ في الجريدَةِ سوىٰ ما زادَهُ فيها مِنَ التَّخَرُّصات وَتحْرِيفِ بعضِ الآياتِ وَتأويلِهَا علىٰ غيْرِ المرادِ منْهَا.

وَقَدْ رأيتُ أَنْ أُتْبِعَ الرَّدَّ بمُلْحقٍ فِي رَدِّ ما زادَهُ في الرّسالَةِ المَطْبوعَةِ مِنَ التَّخَرُّصات وَالتَّوَهُّماتِ، وَتَحْريفِ الكَلِم عنْ مواضِعِه، وَأَسْأَلُ اللهَ المَعونةَ وَالتّوفيقَ لِما يحبُّ ويرْضىٰ، وأَنْ يُرِيَنا الحَقّ حقًّا وَيَرْزُقَنا اتِّباعَهُ، ويُرِيَنا الباطِلَ باطِلًا ويرزُقَنَا اجْتنابَهُ، وَلا يجعَلَهُ مُلْتَبِسًا علينَا فَنَضِلَّ.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

* * *

فصل

قَالَ الصَّوَّاف: (المُسْلِمُونَ وَعِلْمُ الفَلَكِ).

وَالجَوَابُ أَن يُقَالَ: إِنّ هذا العُنوانَ خطَأٌ ظاهِرٌ؛ لِأَنَّ غالِبَ ما في الرِّسالَةِ مِن الكَلامِ في الأَرْضِ وَالسّمواتِ وَالشَّمس وَالقَمَرِ والكَواكِبِ، لَيْس منْ أَقْوالِ

(١) طبع سنة (١٣٨٨هـ).

المُسْلِمِينَ وَعُلُومِهم، وَإِنّما هو مِنْ تَخَرُّصات أَهْلِ الهَيْئَةِ الجَديدةِ وَتَوَهُّماتِهِمْ.

وَأَهْلُ الهيئَةِ الجديدَةِ ليْسوا مِنَ المسْلِمينَ، وَإِنّما هُمْ منْ فلاسِفَةِ الإِفْرنجِ، وَهُم: «كوبرنيك البولوني»[١] وَأتباعُه في القَرْن العاشِرِ وَالقَرْنِ الحادِيَ عَشَرَ من الهِجْرَةِ، وَ«هِرْشِل الإِنْجِليزيُّ»[٢] وأتباعُه في القَرنِ الثَّاني عشَرَ والقرنِ الثَّالثَ عَشَرَ من الهِجرَةِ.

وَغَالبُ مَا نقَلَه الصَّوَّاف عن الأَلوسِيِّ[٣]، فهُوَ ممَّا نقَلَه الألوسِيُّ عنْ أهلِ

---

(١) نيكولاس كوبرنيكوس، ولد (١٩ فبراير ١٤٧٣م)، ويلفظ بالبولندية: ميكواي كوبرنيك، كان راهبًا وعالمًا رياضيَّاتيًّا، وفيلسوفًا فلكيًّا، وقانونيًّا، وطبيبًا، وإداريًّا، ودبلوماسيًّا، وجنديًّا بولنديًّا. يعتبر أول من صاغ نظرية مركزية الشمس وكون الأرض جرمًا يدور في فلكها في كتابه «حول دوران الأجرام السماوية». وهو مطور نظرية دوران الأرض، ويعتبر مؤسس علم الفلك الحديث الذي ينتمي لعصر النهضة الأوروبية: ١٤٠٠ إلىٰ ١٦٠٠ ميلادية، مات (٢٤ مايو ١٥٤٣م).

(٢) فريدريك ويليام هيرشل، ولد (٢٥ نوفمبر ١٧٣٨)، عالم فلك وملحن بريطاني من أصل ألماني. أصبح مشهورًا لاكتشافه كوكب أورانوس، وقمريه الرئيسيين تيتانيا، وأوبيرون، بالإضافة إلىٰ قمري زحل. وقد كان أيضًا أول من اكتشف وجود الأشعة تحت الحمراء. مات (٢٥ أغسطس ١٨٢٢).

(٣) محمود شكري بن عبد الله بن شهاب الدين محمود الألوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، من الدعاة إلىٰ الإصلاح. ولد في رصافة بغداد سنة (١٢٧٣هـ)، وأخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، وتصدر للتدريس في داره وفي بعض المساجد. توفي سنة (١٣٤٢هـ). «الأعلام» للزركلي (٧/ ١٧٢).

الهيئَةِ الجديدَةِ؛ كَمَا صرَّحَ بذلكَ في مواضِعَ كثيرَةٍ من كِتابِه الَّذي سمّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»[١]، وَإِذا كانَ مَدارُ رِسَالةِ الصَّوَّاف علىٰ أقْوالِ أهلِ الهيئَةِ الجَديدةِ وَتَخَرُّصاتهم وتَخَرُّصات أَتْباعِهم، فَنِسبةُ ذَلك إِلىٰ المسلمينَ فِرْيَةٌ عَلَيْهم، وَتَسْمِيةُ الرّسالَةِ بهذا العُنوانِ لا تُطابِقُ المُسمّىٰ، وَإِنّما المطابِقُ لهُ أَنْ يُقالَ: (الإِفْرِنْجُ وَالتَّخَرُّصُ فِي عِلْمِ الفَلَكِ)، وَسَأُنبِّهُ علىٰ ما يَشْهَدُ لهذِهِ المُطابقَةِ مِن نقولِ الصَّوَّاف -إِنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ-.

وَالَّذي حملَ الصَّوَّافَ علىٰ نسبَةِ ما في رِسالتِهِ مِن تَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وتوهُّماتِهم إلىٰ المسلمينَ هوَ اعتقادُه في أهلِ الهيئَةِ الجَديدةِ أنّهم مُسلمونَ، قَد عُرِفَ أكثرُهمْ بِالتّقوىٰ والصّلاحِ؛ كَمَا صرّح بذلكَ فِي صَفْحَةِ ٤٤، وَقَالَ فِي صَفْحَةِ ٥١ وَصَفْحةِ ٦٩: إِنّهم سلفُهُ الصَّالحُ، وَقالَ فِي صَفْحَةِ ٦٧ وصفْحَةِ ١١٧: إِنّهُم علماؤُهُ الأعْلامُ.

وَقَد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[٢] أَنّه لا يخْلو -في زَعمِهِ هَذا- مِن أحدِ أمْرَينِ: إِمّا إرادَةُ التّمويهِ وَالتّلبيسِ عَلىٰ الجَهلةِ الأَغْبياءِ بِما لا حقيقَةَ له في نفسِ الأمْرِ، وإِمَّا شدّةُ الغَباوةِ فيهِ حيثُ نَبا فهمُهُ عمّا صرّحَ بِهِ الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٢٣ و٣٣ و٣٤ و٤٦ و٥٩ و٩٥ مِنْ كوْنِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ مِنَ الإِفْرِنجِ.

---

(١) انظر: «ما دل عليه القرآن مما يعضد الهيئة الجديدة القويمة بالبرهان» (ص١١، ٧٤)، تحقيق زهير الشاويش، طبعة المكتب الإسلامي - لبنان.

(٢) (ص١٧٦).

فصل

قَالَ الصَّوَّاف فِي مقدِّمةِ رِسالتِهِ فِي صَفْحَةِ ١١ مَا نَصُّهُ:

«وَحِرصًا منِّي علىٰ نشْرِ العلْمِ وبيانِ فضْل علماءِ المسلمينَ الَّذينَ كان لهمُ الفضلُ الأكبرُ في تشْجيعِ علْمِ الفلَكِ وبِناءِ المَراصِدِ في مختلَفِ البُلدانِ رأيتُ أنْ أطبَعَ هذا الرَّدَّ في كُتَيِّب؛ لِيطَّلِعَ شبابُنا علىٰ مفاخِرِ أجدادِهم وسبْقِهم للعالَم في مُختلَفِ الميادينِ العلميَّةِ».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يُقالَ: ليس ما نشره الصَّوَّاف في رسالَتِهِ بعلْمٍ، وَإِنّما هي تَخَرُّصات وظنونٌ كاذبَةٌ أَوْحاهَا الشَّيطانُ إلىٰ أوليائِهِ منْ فلاسِفَةِ اليُونانِ وأتباعِهِم منْ فلاسفَة الإفرنجِ المُتأخرِين، فاغْتَرَّ بها أتباعُهم ومُقَلِّدوهُم مِنْ جَهلَةِ المُسْلمينَ، وَظَنُّوها عِلْمًا صحيحًا، وَهِي في الحَقِيقةِ جَهْلٌ صِرفٌ لا يَروجُ إِلَّا علىٰ جاهِلٍ لا يُمَيِّزُ بينَ العِلْمِ والجَهلِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ علماءَ المُسلمينَ مُنزَّهونَ عَن تشجيعِ علْمِ الفَلَكِ وَبناءِ المَراصِدِ -كَما سَيأتِي بيانُ ذَلكَ في الفَصلِ الَّذي بعدَ هذا الفَصْلِ-، وَما زَعَمَه الصَّوَّاف ههنا فَهو مِن الافْتِراءِ عَلىٰ عُلماءِ المُسْلمينَ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ الَّذي نَشَرَه الصَّوَّاف في رِسالتِهِ كُلّهُ منْ تَخَرُّصات

«فِيثاغُورس» اليُونانِيّ[١]، وَأتْباعِه من فلاسفَةِ الإفْرِنجِ المُتأخِّرينَ، وَمِنهم: «كوبرنيك» البُولُوني، وَ«تيخو براهي» الدَّانيماركي[٢]، وَ«كبْلر»[٣] وَ«غاليليه»[٤]، وَ«نُيوتِن» الإِنجليزِي[٥]، وَ«هرشل» الإنجليزي، وَ«دارْوِين»

---

(١) فيلسوف وعالم رياضيات يوناني، مؤسس الحركة الفيثاقورية، كما يُعرف بمعادلته الشهيرة «نظرية فيثاغورس»، ولد سنة (٥٧٠ ق.م) في جزيرة ساموس، وسافر إلىٰ بلاد عديدة. أقام في مستعمرة كرتون اليونانية في إيطاليا حوالي سنة (٥٣٠ ق.م)، حيث أنشأ مدرسة لمناقشة موضوعات فلسفية مختلفة مِن مثل: ماذا يحدث للروح عندما يموت الجسد. مات سنة (٤٩٥ ق.م).

(٢) فلكي دنماركي، ولد بسكانيا سنة (١٥٤٦م)، ورعاه منذ طفولته عمه الثري، وألحقه عام (١٥٥٩م) بجامعة كوبنهاغن لدراسة القانون، لكن بعض الحوادث الكونية جعلته يتحول عن دراساته القانونية إلىٰ علم الفلك. مات سنة (١٦٠١م).

(٣) عالم رياضيات وفلكي وفيزيائي ألماني، كان أول من وضع قوانين تصف حركة الكواكب بعد اعتماد فكرة الدوران حول الشمس كمركز لمجموعة الكواكب من قبل كوبرنيك وغاليلي. ولد سنة (١٥٧١م)، ومات سنة (١٦٣٠م).

(٤) جاليليو جاليلي، عالِم فلكي وفيلسوف وفيزيائي إيطالي، ولد في إيطاليا سنة (١٥٦٤م). نشر نظرية كوبرنيكوس ودافع عنها بقوة علىٰ أسس فيزيائية، فقام أولًا بإثبات خطأ نظرية أرسطو حول الحركة، وقام بذلك عن طريق الملاحظة والتجربة عن طريق التكنولوجيا الجديدة للتلسكوب. مات سنة (١٦٤٢م).

(٥) إسحاق نيوتن، ولد في (٤ يناير ١٦٤٣)، بانجلترا. اكتشف العديد من النظريات في الفيزياء الحديثة والرياضيات، وألف العديد من الكتب التي أثرت في علم الفيزياء حتي الآن، توفي في لندن (٣١ مارس ١٧٢٧).

الإنجليزي[١]. وَهَؤلاءِ كُلُّهم مِن أعداءِ المُسلمينَ، وَلَيْسوا منَ المُسْلمينَ، فَضْلًا عنْ أَن يكونوا مِنْ أجدادِ المُسلمينَ، كَمَا توهَّمهُ الصَّوَّاف، وَمَن زعمَ أنَّ هؤلاءِ الفلاسفَةَ منْ أجدادِ المسلمينَ فَهُو مِن أكذبِ الكَاذِبينَ.

الوَجْه الرَّابعُ: أنَّ المَفاخرَ كُلَّ المفاخرِ لِلّذينَ حملوا علمَ الكتابِ وَالسُّنّةِ ونشَرُوه في هذهِ الأمّةِ، وَهُمُ الصّحابَةُ وَالتَّابِعونَ وَتَابعُوهمْ بِإحسانٍ، وَأَئِمّةُ العِلْمِ والهُدىٰ مِن بعدِهم، فَأَمّا تَخَرُّصات أَعْداءِ اللهِ وظنُونُهم الكاذبةُ فَلَيْست بِمَفَاخِر كَما قدْ توهمه الصَّوَّاف، وَإنّما هي معائبُ وجهالاتٌ وَضَلالاتٌ تُزْري بِمَن تعلَّقَ بِها غايةَ الإِزْراءِ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢]، وَأَوّل هذه الآيةِ الكريمةِ مطابِقٌ لأهلِ التَّخَرُّصات والظُّنُونِ الكاذبَةِ، وآخرُها مطابِقٌ لأهلِ العِلْم الحقيقِيِّ الَّذي هو علمُ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ.

الوَجْه الخَامِس: أنَّ بناءَ المَراصِدِ مِن أفعالِ المُنَجِّمينَ مِن اليونانِ والصَّابئِينَ، وَمَن يقَلِّدهم وَيَحْذو حذوَهُم منَ المُنحرفينَ عَنِ الدِّينِ مِن هذهِ الأمّةِ، وَما كانَ هكذا فَلَيسَ فيه فضْلٌ أَلْبَتّةَ، ولَيْس هو منَ المفاخِرِ كَمَا قَدْ تَوَهّمه الصَّوَّاف! وَإِنّما هو منَ المَثالِبِ والمَعائِبِ وَاتّباعِ غيرِ سبيلِ المُؤمنينَ، وَقد قالَ

---

(١) تشارلز روبرت داروين، عالم تاريخ طبيعي وجيولوجي بريطاني، ولد في انجلترا في (١٢ فبراير ١٨٠٩)، وتوفي في (١٩ أبريل ١٨٨٢).

اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

وَرَوىٰ الإمامُ أحمدُ وَأَبو داودَ وَغيْرُهُما عنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١)، صَحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ، وقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العبَّاس ابنُ تيمِيَّةَ: إِسنادُهُ جيِّدٌ، وقالَ الحافظُ العِراقِيُّ: إسنادُه صحيحٌ، وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ العَسقلانِيُّ: إسنادُهُ حسنٌ، وَقَدِ احْتجَّ الإمامُ أحمدُ بهذا الحديثِ، وهذا يقتضي صحَّتَه عندَهُ.

قال شيخُ الإسلام أبو العباسِ بنُ تَيْمِيَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَهَذا الحديثُ أَقَلُّ أحوالِهِ أنَّه يقتضِي تحريمَ التَّشَبُّهِ بهمْ، وإنْ كان ظاهرُه يقتضي كفْرَ المُتَشَبِّه بهِم؛ كَما في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [المائدة: ٥١]». انْتهىٰ(٢).

* * *

فصل

وَذَكرَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٢: أنَّ ما جمَعَه في رسالَتِه فَهُو ممّا تركهُ العلماءُ الأعلامُ والخلفاءُ العِظامُ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٣١) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٢٧٠).

والجوابُ أنْ يُقالَ: لَيْس هذا بِصحيحٍ، فإنّ الخلفاءَ العِظامَ علىٰ الحقيقَةِ هُم أبُو بكرٍ وعمرُ وَعُثمانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلم يُؤْثَرْ عن أحَدٍ منهم أنَّه تكلَّمَ في علْمِ الفلكِ بشيءٍ فضْلًا عنِ القوْلِ بسكونِ الشَّمس وَدورانِ الأَرْضِ عليها، وكذلك ما ذكرَهُ الصَّوَّاف منَ الهذَيانِ الكثيرِ في الأرضِ والشَّمس والقَمرِ والكواكبِ، فَإِنّ هذا ممّا يُنزَّه عنه آحادُ العقلاءِ فضْلًا عنِ الخلفاءِ الرَّاشدينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهؤلاءِ الخلفاءُ الأربعَةُ هُم القدوةُ بعدَ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَهْلُ السُّنَنِ، مِنْ حَدِيثِ العِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ التِّرمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَهُ -أَيْضًا- ابْنُ حِبَّانَ وَالحَاكِمُ وَالذَّهَبِيُّ (١).

وَلَا عِبرَةَ بمَنْ حادَ عنْ مِنهاجِ هَؤُلَاءِ الخُلَفَاءِ الرَّاشدينَ مِنَ المُلُوكِ كَالمَأْمونِ(٢)، فَإِنَّه قدِ اعْتَنىٰ بِتَعريبِ كُتُبِ الأوائِلِ، وَعَمِلَ الأرصادَ، ففَتَح بذلكَ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦) (١٧١٨٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٢)، والحاكم (١/ ١٧٤) (٣٢٩) وقال: صحيح ليس له علة. وابن حبان (١/ ١٧٨) (٥)، وصححه الألباني.

(٢) عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، أبو العباس: سابع الخلفاء من بني العباس في العراق، ولد سنة سبعين ومائة، وولي الخلافة بعد خلع

علَىٰ الأمَّةِ بَابَ شَرٍّ عَرِيضٍ.

وَقَد ذكرَ السَّفَّارِينِيُّ[١] في كِتابِهِ «لَوَامِعُ الأنْوارِ البَهِيَّةِ»[٢] عَنِ الصَّلاحِ الصَّفدي[٣] أَنَّه قالَ: «حَدَّثني مَن أثِقُ بِه، أنَّ شيخَ الإسلامِ ابْنَ تَيميَّةَ -روَّحَ اللهُ رُوحَهُ- كانَ يقولُ: مَا أظنُّ أنَّ اللهَ يغْفَلُ عَنِ المأمونِ، وَلَابدَّ أنْ يُقابِلَه علىٰ ما اعْتَمَده معَ هذهِ الأمّةِ مِن إدخالِ العلومِ الفَلسفِيَّة بينَ أهْلها».

=

أخيه الأمين (سنة ١٩٨هـ)، فتمم ما بدأ به جده المنصور من ترجمة كتب العلم والفلسفة، وأتحف ملوك الروم بالهدايا سائلًا أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة، فبعثوا إليه بعدد كبير من كتب أفلاطون وأرسطاطاليس وبقراط وجالينوس وإقليدس وبطليوس وغيرهم، فاختار لها مهرة التراجمة، فترجمت، وحض الناس علىٰ قراء تها، توفي سنة (٢١٨هـ). «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٤٢، ١٤٣).

(١) محمد بن أحمد بن سالم السَّفَّاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد سنة (١١١٤هـ) في سفَّارين (من قرىٰ نابلس)، ورحل إلىٰ دمشق فأخذ عن علمائها، وعاد إلىٰ نابلس فدرَّس وأفتىٰ، وتوفي فيها سنة (١١٨٨هـ). «الأعلام» للزركلي (٦/ ١٤).

(٢) «لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» (١/ ٩).

(٣) خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، صلاح الدين: أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة، ولد سنة (٦٩٦هـ) في صفد (بفلسطين) وإليها نسبته، وتعلم في دمشق، فعانىٰ صناعة الرسم فمهر بها، ثم ولع بالأدب وتراجم الأعيان، وتولىٰ ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي فيها سنة (٧٦٤هـ). «الأعلام» للزركلي (٢/ ٣١٥).

وَقَال الحافِظُ أبو عَبد اللهِ الذَّهبيُّ في «تَذْكِرَةِ الحُفّاظِ»[(١)] في ترجمةِ شُجاعِ بنِ الوليدِ بنِ قيسٍ[(٢)]: «لَمَّا قُتِلَ الأمينُ[(٣)]، وَاستُخْلفَ المأمونُ علىٰ رأسِ المِائتينِ نَجم التَّشَيُّعُ، وأبْدَىٰ صفحتَهُ، وبزَغَ فجرُ الكلامِ، وَعُرِّبتْ كُتبُ الأوائِلِ ومنطِقُ اليونانِ، وَعملَ رصْد الكواكِبِ، ونشَأَ للنّاس علمٌ جديدٌ مُرْدٍ مُهْلكٌ، لَا يلائِمُ علمَ النُّبوةِ، وَلا يوافقُ توحيدَ المُؤمنينَ، قدْ كانت الأمَّة منه في عافيَةٍ.

إلىٰ أنْ قالَ: «إنَّ منَ البلاءِ أنْ تعرفَ ما كنْتَ تنكِرُ، وتنكرَ ما كنتَ تعرِفُ، وَتُقَدَّمَ عقولُ الفلاسفَةِ، ويُعزَلَ منقولُ اتّباعِ الرّسلِ، وَيُمارىٰ في القُرآنِ، ويُتبَرّمَ بالسُّننِ وَالآثارِ، وَتَقعَ في الحيرَةِ. فَالفِرارَ قبلَ حلولِ الدّمارِ، وَإيّاكَ ومُضِلّاتِ الأهواءِ، وَمُحارَاتِ العُقولِ، وَمَن يعتَصِمُ باللهِ فَقد هُدِي إلىٰ صراطٍ مُسْتقيمٍ»، انْتهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

---

(١) (١/ ٢٤٠).

(٢) شجاع بن الوليد بن قيس، الحافظ الثقة الفقيه، أبو بدر السكوني الكوفي الرجل الصالح، قال الذهبي: قد احتج به الستة. ومات سنة أربع ومائتين. «تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٣٩).

(٣) محمد بن هارون الرشيد بن المهدي ابن المنصور: خليفة عباسي. ولد في رصافة بغداد سنة (١٧٠هـ). وبويع بالخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ١٩٣هـ) بعهد منه، وقتل سنة (١٩٨هـ). «الأعلام» (٧/ ١٢٧).

وَقالَ المَقريزِيُّ[(١)] في كتابِ «الخُطَطِ»[(٢)]: «وَقد كانَ المَأْمونُ لمّا شُغِف بالعلومِ القَدِيمَةِ بعثَ إلىٰ بلادِ الرُّوم مَن عَرَّبَ لَهُ كُتُبَ الفلاسِفَةِ، وَأَتاه بها في أعْوامِ بِضْعَ عَشرَةَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الهِجرةِ، فَانْتَشرتْ مَذاهبُ الفَلاسفَةِ في النّاس، وَاشْتهرتْ كتُبهم بعامَّةِ الأمْصارِ، وَأَقْبلت المُعتزِلَةُ[(٣)] والقَرامِطَةُ[(٤)]

---

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي: مؤرخ الديار المصرية، أصله من بعلبكَّ، ونسبته إلىٰ حارة المقارزة (من حارات بعلبكَّ في أيامه)، ولد ونشأ ومات في القاهرة، وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات، ولد (٧٦٦)، وتوفي (٨٤٥هـ). «الأعلام» (١/ ١٧٧).

(٢) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» (٤/ ١٩١).

(٣) المعتزلة: سمُّوا معتزلة لأن واصل بن عطاء لما أظهر بدعته طرده الحسن البصري من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سواري المسجد وانضم إليه قرينه في الضلالة عمرو بن عبيد، فقال الناس فيهما: إنهما اعتزلا قول الأمة، وسمي أتباعهما من يومئذٍ «معتزلة»، ويقال لهم: قدرية؛ لردهم لقضاء الله، ويلقبون أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وغير ذلك، وهم ينفون صفات الله تعالىٰ ويطلقون عليه السلوب، وقالوا بخلق القرآن، ونفوا الرؤية، وأنكروا قضاء الله وقدره للمعاصي، وأثبتوها للعباد دونه، وهم فرق كثيرة، يكفر بعضها بعضًا. انظر: «التنبيه والرد علىٰ أهل الأهواء والبدع» لأبي الحسين الملطي (ص٤٩)، و«مقالات الإسلاميين» لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٥٣).

(٤) القرامطة: من الباطنية، ولقبوا بذلك نسبة إلىٰ رجل من دعاتهم يقال له: حمدان بن قرمط، ويعود في أصله إلىٰ خوزستان -الأهواز- أظهر التقشف والزهد في أول عهده، فاستمال إليه بعض الناس، فسموا «قرامطة»، وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين، وجحدوا الشرائع، وظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الإمام المعصوم، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها من =

والجَهْميَّةُ[١] وغيرُهُم عليهَا، وَأكْثَروا منَ النَّظرِ فيها وَالتَّصفُّحِ لها، فَانْجرَّ عَلىٰ الإِسْلامِ وَأهْلِه منْ علومِ الفَلاسفَةِ مَا لا يُوصَفُ من البلاءِ والمِحْنةِ في الدِّين، وَعَظُمَ بالفَلْسَفَةِ ضلالُ أهلِ البدَعِ، وزادَتْهم كفرًا إلىٰ كُفْرهِم»، انْتَهىٰ.

وَقد سارَ علىٰ مِنهاجِ المَأمونِ في عمَلِ الأرْصادِ كثيرٌ مِن الملوكِ المُنحرفينَ؛ مِثْلُ الحاكمِ العُبيدِيِّ[٢]،........................

=

الشبهات، والمعصوم يطلع من جهة الله علىٰ جميع أسرار الشرائع، ولابد في كل زمان من إمام معصوم يرجع إليه، إضافة إلىٰ أقوالهم الباطلة وآرائهم الشنيعة في الإله والنبوة، والقيامة والتكاليف الشرعية، والتي يتضح من خلالها أنها فرقة ملحدة ضالة، وحركة باطنية هدامة.

انظر: «فضائح الباطنية» للغزالي (ص: ١٢ وما بعدها)، و«القرامطة» لمحمود شاكر (ص: ٥ وما بعدها).

(١) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان، وهي إحدىٰ الفرق الضالة، تقول بالجبر والاضطرار إلىٰ الأعمال، وإنما تنسب الأعمال إلىٰ المخلوقين مجازًا، وتزعم أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل به، وأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان إلىٰ غير ذلك من الضلالات والبدع. انظر: «الفرق بين الفرق» (ص٢١١)، و«الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٨٦).

(٢) أبو علي المنصور، الملقب الحاكم بأمر الله، ابن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم ابن المهدي، صاحب مصر. قال عنه الذهبي: «وكان شيطانًا مَريدًا جبارًا عنيدًا، كثير التلون، سفَّاكًا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر، جوادًا ممدَّحًا، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكامًا يُلزم الرعية بها، أمَر بسبِّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبكتابة ذلك علىٰ أبواب المساجد والشوارع، وأمر عماله بالسَّبِّ». انظر: «السير» (١٥/ ١٧٤).

وبعض بني بُوَيْه[١]، والسَّلاجِقَة[٢]، وَهُولاكو[٣]، وَتَيمورلَنْك[٤]، وَأُولغ بك[٥].

فَهؤلاءِ هُمْ خلفاءُ الصَّوَّاف الَّذين تركوا لهُ ولأشْباهِهِ مِنْ علْمِ الفَلكِ وعَمَلِ الأرصادِ ما تَركوا، وَمَع ما كانوا عليهِ مِن الاعتناءِ بالأرصادِ وَعِلم الفَلكِ فقدْ كانوا علىٰ مَذْهب أهلِ الهيئَةِ القديمَةِ في القولِ بِسُكونِ الأرضِ، وَجَريانِ الشَّمس، ولمْ يُذكرْ عَن أحدٍ منهُم أنَّه قالَ بِتَعدُّد الشُّموسِ وَالأقْمارِ، وَلا بِغير ذلكَ مِمّا يَهْذُو بِهِ أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم في أبعادِ الكَواكِبِ ومقَادِيرهَا،

(١) وهي دولة رافضية ظهرت في العراق وقسم من إيران سنة (٣٣٤هـ)، وانقرضت سنة (٤٣٧هـ)، والاثنا عشرية تعدها من دولها. انظر: «الشيعة في التاريخ» (ص٩٨)، و«الشيعة في الميزان» (ص١٣٨-١٤٨).

(٢) السلاجقة قوم من الأتراك السُّنِّيِّين ظهروا في بلاد خراسان، وامتد نفوذهم إلىٰ عاصمة الخلافة، واستطاعوا أن يقضوا علىٰ دولة بني بويه الشيعية عام (٤٤٨هـ). انظر: «تاريخ دولة آل سلجوق» لعماد الدين الأصفهاني (ص١٢)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٤٣).

(٣) هولاكو بن تولي قان ابن الملك جنكزخان، ملك التَّتار، ومقدَّمهم، المتوفىٰ سنة (٦٦٤هـ). انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ١٠٥).

(٤) تيمورلنك: الأعرج، ملك التتار، الشقي الخارجي، الذي خرب البلاد وأباد العباد، كان خروجه في سنة عذاب وهي سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة، وقدم دمشق وأحرقها في سنة خراب وهي سنة ثلاث وثمانمائة، وأراح الله الإسلام بهلاكه سنة (٨٠٧). «ديوان الإسلام» لابن الغزي (٢/ ٤، ٥).

(٥) ألغ بك مُحَمَّد بن الأمير معِين الدين شاهر بن الأمير تيمورلنك الكركاني صَاحب سَمَرْقَنْد، الشهير بألغ بك، توفي سنة (٨٥٣هـ). «هدية العارفين» (٢/ ١٩٧).

وغيرِ ذلكَ ممَّا أودعَهُ الصَّوَّاف في رسالَتِه، وزعمَ أنَّه ممّا تركَهُ الخلفاءُ العِظَامُ، وهوَ بذلكَ قدِ افترَىٰ عليهِمْ، وَنَسب إليهِمْ مَا لَمْ يُؤثَرْ عنهُم، وإنّما هو مأثورٌ عَن أهلِ الهَيْئةِ الجديدَةِ وأتباعِهِم.

وَأَمّا زعمُهُ أنَّ ما جمعَهُ في رسالَتِه فهوَ مِمّا تركهُ العُلماءُ الأعلامُ.

فَجوابُهُ: أنْ يقالَ: إنَّ أعلمَ هَذِه الأمَّةِ علىٰ الإطْلاقِ علماءُ الصَّحابَةِ - رضوان الله عليهم أجمعين-، ولمْ يتكلّم أحدٌ منْهُم في علْمِ الفَلكِ بِشَيءٍ فَضْلًا عنِ القولِ بحركةِ الأرضِ وثباتِ الشَّمس، وَالرّجمِ بالغيْبِ عنْ أبعادِ الكَواكِب ومقادِيرِ أجْرَامِها وغيرِ ذلكَ مِمّا أودَعَه الصَّوَّاف فِي «رِسالتِهِ».

ثُمّ التَّابعُونَ وَتابعُوهُم بإِحسانٍ وَأَئِمّة العِلْمِ والهُدىٰ مِن بعدِهم، وَلَاسِيّما الأئمَّةُ الأربعَةُ، وَأَقْرانُهم مِن أكابِرِ العُلَماءِ، فَهَؤُلاءِ هُمُ العلماءُ الأعلامُ علىٰ الحقيقَةِ، ولَمْ يقلْ أحدٌ مِنْهم بحركَةِ الأَرْض وثباتِ الشَّمس، وَلَم يرْجُموا بالغَيْبِ عنْ أبعادِ الكواكِبِ ومقادِيرِ أجْرامِها، وَغَير ذلك ممّا أودعه الصَّوَّاف في «رِسالتِهِ» ونسَبَه إلىٰ العُلماءِ الأعْلامِ، وَهُو بذلكَ قدِ افْترَىٰ عليهِم، وَنَسب إليهِمْ مَا لَمْ يؤثَر عن أحَدٍ مِنْهم، وإنّما هو مأثورٌ عن أهْلِ الهيئَةِ الجَديدَةِ وأتباعِهِم، فَهُم في الحقيقَةِ خُلَفاءُ الصَّوَّاف الَّذين زعمَ أنّهم عظامٌ، وعلماؤُه الَّذين زعَمَ أنّهم العلماءُ الأعلامُ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ (١٢) حرَّفَ الصَّوَّاف هذهِ الآيَةَ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠]، فَقَالَ: وَلَا تجْعل في صُدُورنا غِلًّا للَّذين آمنُوا!!

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ (٢١) وما بعدَها ساقَ رَدَّهُ عَلىٰ الشَّيخِ ابْنِ بازٍ، وَقَرَّرَ فيه القَولَ بِثَباتِ الشَّمس وحركَةِ الأرضِ وَسَبْحها فِي الفَلَكِ، وجَعلَ ذَلِك من علومِ المُسلمينَ فِي الفَلَكِ. وَهَذا خطأٌ كَبِيرٌ، فَإِنَّ هذا القولَ الباطِلَ مِن أقوالِ أَهْل الهيئَةِ الجديدَةِ وهمْ منْ فلاسِفَةِ الإفرِنْجِ المُتأخِّرينَ، وَالمسلمونَ بريئونَ مِن هذا القَوْلِ المُخالفِ لِلكتَابِ والسُّنَّةِ وَإِجماعِ المُسْلمينَ، وَقَدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليهِ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[1] فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

---

(١) (ص٩٤ وما بعدها).

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٢٨ سَمَّىٰ الأرضَ الكوكَبَ الأرْضِيّ، وهذَا من أقوالِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، وَليسَ من أقوالِ المُسْلمينَ، وَقَد تعَقَّبْتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[1] فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٢٨ -أَيْضًا- نَقَل الصَّوَّافُ عَنِ المُلحدِ الجَهْميِّ (جميل صدقي الزَّهاوي)[2] أَنَّه قالَ:

وَمَا الأرضُ بينَ الكائِنَاتِ الَّتي تَرىٰ بِعينَيْك إِلَّا ذَرَّة صغرتْ حجْمَا

وَنَحوُ هذا قَوْل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ (٨٣): «أنَّ الأرضَ ما هي إِلَّا فُقَّاعةٌ في محيطٍ»، وقولُه -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ (١٠٩): «ولعَلَّ أدقَّ وصفٍ للأرضِ

---

(١) (ص١٧٢ وما بعدها).

(٢) جميل صدقي بن محمد فيضي ابن المنلا أحمد بابان، الزهاوي: شاعر، ينحو منحىٰ الفلاسفة، من طلائع نهضة الأدب العربي في العصر الحاضر، مولده ووفاته ببغداد، كان أبوه مفتيها، وبيته بيت علم ووجاهة في العراق، كردي الأصل، أجداده البابان أمراء السليمانية (شرقي كركوك) ونسبة الزهاوي إلىٰ (زهاو)، ولد سنة (١٢٧٩هـ) وتوفي سنة (١٣٥٤هـ). «الأعلام» للزركلي (٢/ ١٣٧).

بالنِسبةِ لِلكوْنِ هوَ أنَّها هباءَةٌ دقيقَةٌ لا تُرىٰ إلَّا بالمِجْهر في هذا الفَضاءِ الفَلَكيِّ الواسِعِ بِالنِّسبَةِ إلىٰ الأجْرامِ السَّماوِيَّةِ المُتناثِرَةِ في أنحاءِ الكوْنِ».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: ما يُدْري جَميلًا الزَّهاويَّ أَنَّ الأرضَ كالذَّرَّةِ بينَ الكائناتِ الَّتي يَراها الإنسانُ بِعينَيْهِ: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]؟! وَما يُدري الصَّوَّافَ أَنَّ الأرض ما هي إلَّا فُقَّاعَةٌ في محيطٍ، وأنّها هباءَةٌ دقيقةٌ لا تُرىٰ إلَّا بالمِجْهر في هذا الفضاءِ الفلكيِّ الواسِعِ؟! هَلْ وَجدَ ذلك في كتابِ اللهِ تَعالىٰ أو فيما صحَّ عن رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو أُنْزِل عليه الوحيُ بذلكَ؟!

وَإِذا كانَ كلُّ هذا معدومًا، فلا شَكَّ أنَّه وصاحبَهُ قد قَفَوْا ما ليس لهُما بهِ عِلمٌ، وَلَيْس لهمَا مستنَدٌ فيما زَعَماهُ سِوىٰ التَّخرُّصِ واتباعِ الكَذِبِ.

وَقدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وَقالَ تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ اللهَ تعالىٰ عَظَّم شَأن الأرضِ في كِتابه، وَنوَّه بذِكْرها أَكْثَر ممّا عظّم من شأنِ الشَّمس والقَمرِ وَالكواكِبِ، وَقَرَنَ خلْقَها معَ خلقِ السّمواتِ في عدَّةِ آياتٍ منَ القرآنِ، وأخبرَ أنَّه خلقَها وما فيها في أربعَةِ أَيَّامٍ، وَأَنَّه خلقَ السَّمَواتِ وَمَا فيهنَّ في يومينِ(١)، وَذلك يدُلُّ علىٰ عِظَمِ الأرْضِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم: ٢٢]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] الآية. وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾ [الزمر: ٦٧] الآيَة. وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآيَةَ. إلىٰ غيرِ ذلكَ مِن الآياتِ الكثيرَةِ الدَّالَّةِ علىٰ عظَمِ الأرضِ وَسَعَتِها.

وَقد جاءَ في تعظيمِ خَلقِ الأرضِ أحاديثُ كَثيرَةٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ.

مِنْها: مَا رَواهُ الإمامُ أحمَدُ وَالشَّيخانِ وَالتِّرمذِيُّ وَالنَّسائِيُّ، عنْ عبدِ اللهِ بْنِ

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩- ١٠].

مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: جاءَ حَبْرٌ منَ الأحبارِ إِلىٰ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقالَ: يَا محمَّدُ، إِنّا نجدُ أنَّ اللهَ يجعلُ السّمواتِ عَلىٰ أُصبعٍ، وَالأرضين عَلىٰ أُصْبعٍ، وَالشّجرَ علىٰ أُصْبُعٍ، والماءَ وَالثَّرىٰ علىٰ أُصْبعٍ، وَسائِرَ الخَلائقِ عَلىٰ أصْبعٍ، فيَقولُ: أنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَتَّىٰ بَدتْ نَواجِذُهُ؛ تصديقًا لِقولِ الحَبْرِ، ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١] الآيَةَ(١).

وَمِنها: مَا رواهُ الإِمامُ أَحْمدُ وَالتِّرمذيُّ، عنِ ابْنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ يهودِيٌّ برسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو جالِسٌ، قالَ: كيفَ تقولُ يا أبا القاسِمِ يومَ يجعلُ اللهُ السّماءَ علىٰ ذِه -وَأَشارَ بِالسّبابَةِ- وَالأَرْض علىٰ ذِه، وَالمَاءَ علىٰ ذِه، وَالجبالَ عَلىٰ ذِه، وسائِرَ الخلقِ علىٰ ذِه، كُلُّ ذَلِك يشيرُ بِأصابعِه، فأنزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]»، قَالَ التِّرمذيُّ: «هَذا حديثٌ غَريبٌ صَحِيحٌ»(٢).

وَمِنْها: مَا رواهُ ابْنُ حبَّان في «صحيحِهِ»، وَالحاكِمُ في «مُسْتدركِهِ» عَنْ أبي سعيدٍ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٥٧) (٤٣٦٨)، والبخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦)، والترمذي (٣٢٣٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٢٣٩) (١١٣٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٥١) (٢٢٦٧) و (١/ ٣٢٤) (٢٩٩٠)، والترمذي (٣٢٤٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ»، وضعفه الألباني في «ظلال الجنة» (٥٤٥).

الخُدْريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**قَال مُوسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: يَا ربِّ، عَلِّمْنِي شيئًا أَذْكُرُكَ وأَدْعوكَ بِهِ، قَال: قُلْ يَا مُوسىٰ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قَالَ: كُلُّ عِبادِكَ يقولُون هَذا، قالَ: يَا مُوسىٰ، لَوْ أَنَّ السَّمواتِ السَّبعَ وعامرَهُن غيْرِي، والأَرَضينَ السَّبْعَ في كِفَّةٍ، وَ«لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» في كِفَّةٍ - مَالَتْ بِهِنَّ «لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»..**»، قَالَ الحاكِمُ: «صَحِيحُ الإِسْنادِ وَلَمْ يخرِجاهُ»، وَوافقَه الذَّهبيُّ في «تَلْخيصه»(١).

وَمِنها: ما رواهُ الإمامُ أحمدُ، وَالبخارِيُّ في «الأَدَبِ المُفْردِ»، وَالطَّبَرانِيُّ عَن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ نَبيَّ اللهِ نُوحًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لَمَّا حضرَتْه الوفَاةُ، قَال لابْنِه: إِنِّي قاصٌّ عليكَ الوَصِيّةَ: آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأنهاكَ عَنِ اثْنَتين، آمُرُك بِـ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، فَإِنّ السّمواتِ السّبْعَ والأرضينَ السّبْعَ لَوْ وُضعَتْ فِي كِفّةٍ، وَوُضِعَتْ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ» فِي كِفّةٍ- رَجَحَتْ بِهِنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً، قَصَمَتْهُنَّ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»...**»، وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ(٢).

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٤/ ١٠٢) (٦٢١٨)، والحاكم (١/ ٧١٠) (١٩٣٦)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٩/ ٣٠٧) (١٠٦٠٢) من طريق دارج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا، وهذا إسناد فيه ضعف، دراج أبو السمح قال عنه الحافظ في «التقريب» (١/ ٢٠١).: «صدوق في حديثه عن أبي الهيثم ضعف»، وهذا من رواية دراج عن أبي الهيثم.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) (٦٥٨٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١/ ١٩٢) (٥٤٨)، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ٧) (١)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٣٤). ومعنىٰ

وَمِنْهَا: مَا رَوَاهُ ابْنُ مَرْدويهِ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه سأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الكُرْسِيِّ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ عِنْدَ الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ**(١)**، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ عَلَىٰ الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَىٰ تِلْكَ الحَلْقَةِ**»(٢).

وَالأَحَادِيثُ الدَّالَّةُ عَلَىٰ عِظَمِ الأَرْضِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، وَفِيمَا ذَكرتُه ههنا كفايةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تعالىٰ.

وَفِيما ذَكَرْتُه منَ الآياتِ وَالأحاديثِ أَوْضَحُ دَلِيلٍ عَلَىٰ عِظَمِ الأَرْضِ، وَفِيهَا أبلَغُ رَدٍّ عَلَىٰ مَنْ صَغَّرَ الأَرْضَ وَحَقَّرَهَا، وَزَعَمَ أَنَّها كَالذَّرَّةِ أو كَالفُقَّاعَةِ فِي المُحِيطِ، أَوْ كَالهَبَاءَةِ الَّتِي لَا تُرَىٰ إِلَّا بِالمِجْهَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ أجرامِ الكَوَاكِبِ، وَقَد قَالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ اللهَ تعالىٰ قَالَ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ

=

«قصمتهن»: كسرتهن.

(١) الفلاة: الصحراء والأرض الواسعة التي لا ماء فيها.

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١ / ٣١٠) وعزاه إلىٰ أبي بكر بن مردويه بسنده إلىٰ أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي إسناده محمد بن أبي السري العسقلاني، ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن معين، وقال ابن عدي: كثير الغلط.

وللحديث طرق أخرىٰ لا تخلو من ضعف، وقد صحح الألباني هذا الحديث بمجموع طرقه كما في «السلسلة الصحيحة» (١٠٩)، فليراجعه من شاء.

ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]، وَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢]. قَالَ البَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ فِي قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]: أَيْ تَنَاثَرَتْ مِن السَّمَاءِ وتَسَاقَطَتْ علىٰ الأرضِ(١)؛ كَمَا قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢].

وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ:** «يُكَوِّرُ اللهُ الشَّمس وَالقَمَرَ وَالنُّجومَ يَوْمَ القِيامَةِ فِي البَحْرِ وَيَبْعَثُ رِيحًا دَبُورًا فَيُضْرِمُهَا نَارًا»، رَواهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ. وَكَذا ذَكَرَ البغَوِيُّ في «تَفْسيرِهِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: وَكَذا قَالَ عَامِرٌ الشَّعْبِيُّ(٢).

قُلْتُ: وَيَشْهدُ لِهذا الأثَرِ ما رواهُ البُخارِيُّ في «صَحِيحهِ»(٣) عَن عبدِ اللهِ الدَّاناج(٤) قَالَ: حدثَنِي أبو سلمَةَ عبدُ الرَّحمنِ، عَن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**الشَّمسُ وَالقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**».

وَرواهُ البَزَّار مِن حديثِ عبد الله الدَّانَاجِ قَالَ: سمعتُ أَبَا سلَمَةَ بنَ عبدِ

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦).

(٢) انظر: «تفسير ابن أبي حاتم» (١٠/ ٣٤٠٥) (١٩١٥٧)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٢- ٣٥٣).

(٣) (٣٢٠٠).

(٤) عَبد اللهِ بن فيروز الداناج البَصْرِيُّ، وهو بالفارسية: داناه، وهو العالم. ثقة. انظر: «التقريب» (١/ ٣١٨) (٣٥٣٥).

الرحمَنِ زمنَ خَالدِ بنِ عبدِ اللهِ القَسْرِيّ، فِي هذا المسْجِدِ مسجِدِ الكوفَةِ، وَجاءَ الحَسَنُ فجلسَ إليه، فَحَدّث، قالَ: حدثَنَا أَبُو هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ الشَّمس والقمرَ ثَوْرانِ في النَّارِ عَقِيرَانِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَقالَ الحَسَنُ: وَما ذنبُهما؟ فَقَالَ: أُحَدِّثُكَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتقولُ: وَمَا ذنبُهُما؟!(١). إِسْنادُهُ صحيحٌ عَلىٰ شرطِ مُسْلِمٍ.

وَروىٰ أَبُو يَعْلىٰ عنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**الشَّمس وَالقَمَرُ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ فِي النَّارِ**»(٢)، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: فيهِ ضُعفاءُ قَدْ وُثِّقُوا.

قُلْتُ: وَما تقدَّمَ عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشْهَدُ لَهُ ويقوِّيه.

وَروىٰ ابْنُ أَبِي حاتِمٍ عنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ سمعَ ابْنَ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقولُ: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وَجَهَنّمُ هو هذا البَحْر الأخضَرُ تَنْتثِرُ الكواكِبُ فيهِ، وَتُكَوَّرُ فيه الشَّمس والقمَرُ، ثمَّ يوقدُ فيكونُ هو جهنمَّ(٣).

وَروىٰ الإمامُ أحمدُ، وابنُ جَريرٍ، والحاكِمُ عن يَعْلىٰ بنِ أميَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ:

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (١٥/ ٢٤٣) (٨٦٩٦)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٥٦٩٢).

(٢) رواه أبو يعلىٰ (٧/ ١٤٨) (٤١١٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٥٩) (٦٣٩٢٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٤).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٣٠٧٥) (١٧٣٩٣).

قَالَ رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**البحْرُ هُوَ جهَنَّمُ**»، قَالَ الحاكِمُ: صَحِيحُ الإِسْنادِ، وَوَافقَهُ الذَّهَبِيُّ في «تَلْخيصِهِ»[١].

وَفِيما ذَكَرْنَا دَلِيلٌ عَلىٰ عِظَمِ الأَرْضِ؛ لِأَنَّ الشَّمس والقمرَ والنُّجومَ تَنْتثِرُ يومَ القيامةِ في البَحْرِ فيَسَعُهَا كُلَّهَا. وَلوْ كانتِ الأرضُ كالذَّرَّةِ أو كَالفُقَّاعَةِ في المحيطِ أوْ كالهباءَةِ الَّتي لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجهَرِ بالنّسبَةِ إلىٰ أجرامِ الكواكبِ لَمَا وسعتِ الأَرْضُ كوكبًا واحِدًا وَلَا بَعْضَ كوكَبٍ، وَهذا ظاهِرُ البُطْلان؛ لِمُخالَفَتِهِ لِمَا دلّتْ عَليهِ الآياتُ وَالأحادِيثُ الَّتي ذكرنا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوَجهُ الرابعُ: أنْ يقالَ: إِنَّ جميلًا الزهاويَّ كان جهميًّا كذّابًا أفّاكًا؛ كَما يُعْلمُ ذلكَ من كتابِهِ الَّذي سمّاه «الفَجْرَ الصَّادِقَ»[٢]، وَهو في الحقيقَةِ «الفَجْرُ الكَاذِبُ، وَالظُّلْمَةُ الحَالِكَةُ»، وَقَدْ رَدَّ عليهِ الشَّيخُ العلّامةُ سُليمانُ بنُ سَحْمانَ - رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- شَافِيًا كافِيًا في كتَابِهِ الَّذي سمّاه «الضِّياءُ الشّارِقُ فِي رَدِّ شُبُهَاتِ المَاذِقِ المَارِقِ»[٣]، وَرَدَّ -أَيْضًا- في آخرِهِ علىٰ مَنْ قرَّظ كتابَ جَميلٍ[٤]

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٢٣) (١٧٩٨٩)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٤٦)، والحاكم (٤/ ٦٣٨) (٨٧٦٢)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠٢٣).

(٢) «الفجر الصادق في الرد علىٰ الفرقة الوهابية المارقة» نشرته دار الصديق الأكبر سنة (١٣٢٣هـ)، وهو كتاب قد حوىٰ من الإفك والضلال المبين ما يدل علىٰ زندقة كاتبه.

(٣) وهو مطبوع في مجلد بتحقيق العلامة عبد السلام بن برجس رَحِمَهُٱللَّهُ، ط: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٤) وهو رجل يقال له: عبد الصمد بن أحمد النساك.

بِقَصيدةٍ أَجادَ فيها وَأَفادَ(١)، وأوَّلُها:

أَلا قُلْ لِأَهْلِ الجَهْلِ مِنْ كُلِّ مَاذِقِ ... وَكُلِّ كَفُورٍ مِنْ ذَوِي الغَيِّ مَارِقِ

كَلَامُ جَمِيلٍ لَا جَمِيلٌ فَيُنْتَقَىٰ ... وَلَا بِسَدِيدٍ يُرْتَضَىٰ فِي الحَقَائِقِ

عَلَىٰ أَنَّهُ هَمْطٌ وَخَرْطٌ مُلَفَّقٌ ... أَكَاذِيبُ لَا تُعْزَىٰ إِلَىٰ نَقْلِ صَادِقِ

أَتَىٰ فِيهِ بِالكُفْرِ الصَّرِيحِ مُجَاهِرًا ... وَمُرْتَضِيًا مَا قَدْ أَتَىٰ مِنْ شَقَاشِقِ

إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

كِتَابٌ حَوَىٰ إِفْكًا وَزُورًا وَمُنْكَرًا ... وَكُفْرًا وَتَعْطِيلًا لِرَبِّ الخَلَائِقِ

فَعَطَّلَ أَوْصَافَ الكَمَالِ لِرَبِّنَا ... وَعَنْ كَوْنِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ الطَّرَائِقِ

وَأَنْكَرَ مِعْرَاجَ الرَّسُولِ حَقِيقَةً ... بِذَاتِ رَسُولِ اللهِ، سُحْقًا لِمَارِقِ

وَأَنْكَرَ رُؤْيَا المُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ ... فَتَبًّا لَهُ تَبًّا وَسُحْقًا لِمَاذِقِ

وَسَمَّىٰ كِتَابَ اللهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ أَزْكَىٰ الخَلَائِقِ

ظَوَاهِرَ لَا تُبْدَىٰ يَقِينًا لِأَنَّهَا ... عَلَىٰ زَعْمِهِ ظَنِّيَّةٌ فِي الحَقَائِقِ

فَلَا يَسْتَفِيدُ المُؤْمِنُونَ بِهَا الهُدَىٰ ... وَلَكِنْ بِمَعْقُولَاتِ أَهْلِ الشَّقَاشِقِ

فَإِنْ خَالَفَتْ مَعْقُولَ مَنْ أَسَّسُوا لَهُمْ ... قَوَاعِدَ كُفْرٍ شَامِخَاتِ الشَّوَاهِقِ

فَحَقٌّ عَلَىٰ كُلِّ امْرِئٍ بَلْ وَوَاجِبٌ ... تُؤَوَّل عَنْ مَدْلُولِهَا بِالمَخَارِقِ

وَتصرف لِلمَرْجُوحِ عَنْ حُكْمِ ... لِأَجْلِ مَقَالَاتِ الغُوَاةِ المَوَارِقِ

وَإِلَّا فَبِالتَّفْوِيضِ حَتْمًا لَدَيْهِمُ ... إِذَا لَمْ تُؤَوَّلْ فِي خِلَافِ الحَقَائِقِ

---

(١) انظر: «الضياء الشارق» (ص٦٨٣).

وَتَفْوِيضُـهُمْ أَبْطَالَهَـا عَـنْ حَقَـائِقٍ ... تَـدُلُّ عَلَيْهَـا بِالمَعَـانِي الشَّـقَائِقِ

إِلَىٰ أَنْ قَالَ:

وَقَـدَّمَ حُكْـمَ العَقْـلِ حَتْمًـا بِزَعْمِـهِ ... عَلَىٰ النَّقْلِ فِيمَا قَدْ رَأَىٰ كُلُّ مَارِقِ

فَتَبًّـا لِمَــنْ يُبْـدِي ثَنَـاءً وَمِدْحَـةً ... لِتَأْلِيفِـهِ أَوْ مَـا حَـوَىٰ مِـنْ شَقَاشِـقِ

فَمَا كَانَ فَجْرًا صَادِقًا فِي ظُهُورِهِ ... وَلَكِنَّـهُ فَجْـرَانِ يَبْـدُو لِرَامِــقِ

وَوَاللهِ مَـا أَبْدَىٰ صَـوَابًا وَلَـمْ يَكُـنْ ... عَلَىٰ المَنْهَجِ الأَسْنَىٰ، وَلَيْسَ بِرَائِقِ

وَلَـيْسَ يَـرُوقُ الكُفْـرُ إِلَّا لِزَائِـغٍ ... عَـنِ الحَـقِّ أَوْ مُسْـتَغْرِقٍ بِـالعَوَائِقِ

وَجَـوَّزَ أَنْ يُدْعَىٰ سِوَىٰ اللهِ بِالرَّجَا ... وَبِالخَوْفِ وَالتَّعْظِيمِ فِعْلَ المُشَـاقِقِ

وَأَنْ يَسْـتَغِيثَ المُشْـرِكُونَ بِغَيْـرِهِ ... وَأَنْ يَلْجَؤُوا فِي كُلِّ خَطْبٍ مُضَـايِقِ

فَتَبًّـا لِعُبَّـادِ القُبُـورِ الَّــذِينَ هُـمْ ... حُمَاةُ ذَوِي الأَهْـوَاءِ مِـنْ كُـلِّ مَارِقِ

فَقَدْ نَبَذُوا الوَحْيَيْنِ خَلْفَ ظُهُورِهِمْ ... وَقَدْ حَكَّمُوا القَانُونَ بَيْنَ الخَلَائِـقِ

وَمَعَ مَا ذَكَرْنَا عنْ جميلٍ الزّهاويّ منَ الأقوالِ الوخيمةِ، وَالعقائِدِ الباطِلَةِ الذّميمَةِ، فقدِ اعتمَدَ الصَّوَّاف علىٰ تخرُّصهِ وَظَنّه الكاذبِ في تصغيرِ الأرْضِ وتحقيرِهَا، وقرّرَ ذلك في ثلاثَةِ مواضِعَ منْ رِسالتِهِ. وهذا يدُلّ علىٰ أنَّه كان مقبولَ القولِ عندَهُ. وكفىٰ بالرّجلِ جهلًا أنْ يعتمِدَ علىٰ تخرُّص جميلٍ الزّهاوِيِّ وأشباهِهِ مِن أهلِ الأهواءِ وَالبدَعِ.

وَمَا ذكرهُ الشَّيخُ سُليمانُ بْنُ سَحمانَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعالىٰ- عنْ جميلٍ الزّهاوِيِّ أنّه سمّىٰ أدلَّةَ الكِتَابِ وَالسُّنّةِ ظَوَاهِرَ ظَنِّيَّةً، وَأَنّهُ يجبُ تَأويلُهَا أَوْ

تَفْوِيضُهَا، فقدْ قَالَ الصَّوَّاف مِثْلَه فِي صَفْحَةِ ٢٢ و٢٣ من رسالتِهِ، حيثُ زعَمَ أنَّ النُّصوصَ الدَّالَّةَ علىٰ جريانِ الشَّمس ظنِّيَّةٌ، وليْسَت قطعيَّةَ الدَّلالَةِ، قَالَ: «والتَّوقُّفُ فيهَا أَوْ تفويضُ الأمْرِ فيهَا إلىٰ اللهِ أَسْلَمُ وأحكَمُ»، ثمَّ قَالَ: «وَفِي التَّأويلِ مَنْدوحَةٌ في الأمورِ غيرِ القَطعيّةِ خاصّةً في مثْلِ هذهِ الأمورِ».

قُلْتُ: وَهَذِهِ جَرْأَةٌ عَظِيمةٌ علىٰ اللهِ، وَعَلىٰ كتابِهِ وعلَىٰ رسولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَقَدْ رَدَدْتُ علىٰ هذَا القولِ الباطِلِ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»(١) فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَقَوْلُ جَمِيلِ الزَّهَاوِيِّ في تَصْغيرِ الأرْضِ وتحقيرِهَا، وفي تسْمِيَةِ الأدِلَّةِ من الكتابِ وَالسُّنَّةِ ظواهِرَ ظَنِّيَّةً، وَأَنَّها تُؤَوَّلُ أوْ تُفَوَّضُ- قد ذكرَهُ في كتابِهِ «الفَجْرِ الكَاذِبِ»! وَهَذا نَصُّ كَلَامِهِ:

قَالَ: «وَأَمَّا ما تَمَسَّكَتْ بِهِ الوَهَّابِيّةُ مِن النُّقولِ الَّتي تُثْبتُ الإشارَةَ إِليْهِ تَعالىٰ فهِيَ ظَواهِرُ ظَنِّيَّةٌ لَا تُعارِضُ اليَقِينيَّاتِ؛ فَتُؤَوَّلُ إِمّا إجمالًا، وَيُفَوَّضُ تَفْصيلُها إِلىٰ اللهِ كَمَا عليهِ أكثَرُ السّلفِ. وَإِمّا تفصيلًا كَما هوَ رأيُ الأكثَرِينَ. فَمَا ورَدَ مِنَ الإشارَةِ إليهِ فِي السّماءِ مَحْمولٌ عَلىٰ أَنَّه تَعالىٰ خالقُ السّماءِ، وَأَنَّ السّماءَ مَظْهَرُ قدْرَته؛ لمَا اشْتَمَلَتْ عليْهِ من العَوالِمِ العظيمَةِ الَّتي لم تَكُنْ أرضُنَا الحقيرَةُ إِلَّا ذَرّةً بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا. وَكَذَلكَ العُروجُ إِليهِ تَعالىٰ هُو بمعنىٰ العُروجِ إِلىٰ موضِعٍ

---

(١) (ص١٠٠ وما بعدها).

يُتَقَرّبُ إلَيْه بالطّاعَةِ فِيهِ. إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ التّأويلَاتِ»، انْتَهىٰ كلامُهُ. وَقَد ردّ عليهِ الشَّيخُ العَلّامةُ سُليمانُ بْنُ سحمانَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- فَأَجادَ وَأَفادَ[١].

وَقَوْلُ جَمِيلٍ فِي تَصْغيرِ الأَرْضِ وتحقيرِهَا هوَ ممّا أخذهُ عن فلاسفَةِ الإفْرِنجِ المُتَأَخّرينَ.

وَأمَّا تسميتُهُ لأدلَّة الكتابِ والسُّنَّةِ ظواهرَ ظَنّيَّةً، وَأَنّها تؤَوّلُ أو تُفَوّضُ فَهُو ممّا أخذَهُ عن أهْلِ الكلامِ الباطِلِ الّذي ذمَّهُ السّلَفُ وحَذّرُوا مِنْهُ وَمِن أهْلِه.

قَالَ شيخُ الإسْلامِ أَبو العبّاسِ ابْنُ تَيْمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَالرَّازِي[٢] يطْعنُ في دلالَةِ الأدِلّةِ اللّفظِيّةِ علىٰ اليقينِ، وَفي إفادَةِ الأخْبارِ العلمَ، وَهذانِ مُقَدِّمتا الزّندقَةِ[٣].

والتّوقّفُ في دلالَتِها شكٌّ يقتضِي كفْرَ المُتَوَقِّف، وَقَد قالَ تَعالىٰ: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، فَنَفىٰ اللهُ الإيمانَ عمّن لمْ

---

(١) انظر: «الضياء الشارق» (ص٢٩٧ وما بعدها).

(٢) هو: محمد بن عمر بن الحسن التيمي فخر الدين الرازي ابن خطيب الري، الشافعي المفسر المتكلم صاحب التصانيف، توفي سنة (٦٠٦)، انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤٨)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ١٣٧)، و«طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٨/ ٨١)، و«الأعلام» (٦/ ٣١٣).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ١٠٤).

يُحَكِّمِ الرَّسولَ، وَعَمّن وَجد في نفسِهِ حرجًا مِن حكمِهِ.

وَتَأْوِيلُهَا بِما يخالِفُ ظاهرَها وما دلَّت عليه تكذيبٌ لَها فهوَ من تَحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه منْ جِنْس تأويلِ القَرامِطَةِ الباطِنِيَّةِ الَّذي اتَّفَق سلفُ الأُمّةِ وأئمَّتُها علىٰ ذَمِّهِ، وَصاحُوا بأهلِهِ مِن أقطارِ الأرْضِ، وَرَمَوْا في آثارِهِم بالشُّهُبِ.

وَقَد صنَّف الإمامُ أحمَدُ كتابًا في الرّدِّ علىٰ هؤلَاءِ، وَسَمّاهُ «الرّدَّ علىٰ الزّنَادقَةِ وَالجَهْميّةِ فِيما شَكَّتْ فِيه منْ مُتشابِهِ القُرآنِ وَتَأَوَّلَتْهُ علىٰ غَيْرِ تَأْويلِهِ»(١) انْتَهىٰ.

وَقالَ العلّامةُ ابْنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- فِي «إغَاثَةِ اللّهْفانِ»(٢): «وَمِن حِيَلِهِ وَمَكائِدِه: الكلامُ الباطِلِ والآراءُ المُتهافِتَةُ، وَالخيالَاتُ المُتناقِضَةُ الَّتي هي زبالَةُ الأذهانِ وَنُحاتةُ الأفكارِ، وَالزّبَدُ الَّذي يقذِفُ به القلوبَ المُظْلِمةَ المُتَحَيِّرَةَ الَّتي تَعْدِلُ الحقَّ بالباطِلِ وَالخَطَأَ بِالصّوَابِ، قَدْ تَقاذفَتْ بِها أموَاج الشُّبهاتِ، وَرَانتْ عَليهَا غيُومُ الخَيالاتِ، فَمَركَبُها القِيلُ وَالقالُ، وَالشّكُّ وَالتَّشْكيكُ، وَكَثْرةُ الجِدالِ، لَيْس لها حاصِلٌ منَ اليقينِ يُعَوّلُ عليْهِ، وَلَا مُعْتَقَدَ مُطابِقٌ لِلحَقِّ يُرْجَعُ إِلَيْهِ، يُوحِي بعضُهُم إِلَىٰ بعضٍ زُخْرُفَ القَوْلِ غُرُورًا، فَقَدِ اتَّخذُوا لِأَجْلِ ذَلِكَ القرْآنَ مَهْجورًا، وَقالُوا مِنْ عند أنْفسِهِمْ، فَقَالوا مُنْكَرًا مِنَ القَوْل وزورًا؛ فَهُم في

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٦٩).

(٢) (١/ ١١٨).

شَكِّهِم يَعْمَهونَ(١)، وفي حَيْرتِهِمْ يَتَرَدّدونَ، نَبَذُوا كتابَ اللهِ وراءَ ظُهورِهِم كَأَنّهم لَا يعلمونَ. وَاتّبعوا مَا تلتْهُ الشياطينُ عَلىٰ ألسنَةِ أسْلافِهِمْ مِن أهلِ الضّلالِ؛ فَهُم إليهِ يُحاكِمُونَ، وَبِهِ يُخاصِمُونَ، فَارقُوا الدّليلَ، وَاتّبعوا أهواءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلّوا مِن قَبْلُ وأَضَلُّوا كثيرًا، وَضَلّوا عن سَواءِ السّبيلِ».

ثُمَّ قالَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَمِن كيدِهِ بهِمْ وَتَحَيُّلِه عَلىٰ إخراجِهِم مِنَ العِلْمِ وَالدّينِ: أَنْ ألقَىٰ عَلىٰ ألسنتِهِم أنَّ كلامَ اللهِ وَرسولِهِ ظواهِرُ لفْظِيّةٌ لا تُفِيدُ اليقينَ، وَأَوْحىٰ إِلَيْهم أنَّ القواطِعَ العَقْليّةَ والبراهِينَ اليَقِينيّةَ فِي المناهِجِ الفَلْسفيّةِ والطُّرقِ الكَلاميّةِ، فَحالَ بَيْنهمْ وبيْنَ اقْتِباسِ الهُدَىٰ واليقينِ مِن مِشْكاةِ القُرآنِ، وَأَحالَهُمْ عَلىٰ «مَنْطِقِ يونان»، وَعَلىٰ ما عندَهُم منَ الدّعاوَىٰ الكاذِبَةِ العَرِيّةِ عَن البُرهانِ، وَقالَ لَهم: تِلْكَ عُلومٌ قديمَةٌ صَقلَتْها العُقولُ وَالأَذْهانُ، وَمَرّتْ عَليهَا القُرونُ وَالأزْمانُ، فَانْظُرْ كيفَ تَلَطّفَ بِكَيْدِه ومكرِهِ حتّىٰ أخرجَهم مِنَ الإيمانِ كَإِخراجِ الشّعْرةِ مِن العَجينِ!»، انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ(٢)-.

وَإِذا عُلِم هذا؛ فَلْيُعْلم -أَيْضًا- أن الصَّوّاف قَدْ سلكَ مَسْلكَ جَمِيل الزّهاويِّ، وَقَلّده فيما زَعَمه من تَصْغير الأَرْضِ وتحقيرِها، وَتَسْميَةِ الأدِلّةِ مِن الكِتابِ وَالسُّنّةِ ظواهِرَ ظَنّيّةً، وَأَنّها تُؤَوّلُ أَوْ تُفَوّضُ.

---

(١) يعمهون: أي يتحيَّرون. انظر: «تاج العروس» (٣٦/ ٤٤٨)، و«لسان العرب» (١٣/ ٥١٩).

(٢) انظر: «إغاثة اللهفان» (١/ ١١٩).

وَجميلُ الزَّهاوي قَد سارَ خَلْف فَلاسِفَةِ الإِفْرِنجِ المُتأَخِّرينَ، وَخَلْف أَهْل الأهواءِ وَالبِدَعِ المُضِلّينَ. فَهُو عِيالٌ عَلىٰ هؤلاءِ وَأُولَئِكَ؛ كَما أَنَّ الصَّوَّاف عِيالٌ عَلَيْهِ وعليهِمْ؛: ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وَقَدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، قَال البَغَوِيُّ في قوْلِه: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]: «أَيْ إِلىٰ كِتابِ اللهِ وَإِلىٰ رَسُولِهِ مَا دامَ حَيًّا، وَبَعْد وفاتِهِ إِلىٰ سُنَّتِه. وَالرَّدُّ إِلىٰ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ واجِبٌ إِنْ وُجِد فيهما، فَإِنْ لَمْ يوجَدْ؛ فَسَبيلُهُ الاجْتِهادُ»(١).

وَقالَ ابنُ كثيرٍ(٢) فِي قولِه تَعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]: «قَالَ مجاهِدٌ وَغيرُ واحِدٍ مِنَ السّلَفِ: أَيْ إِلىٰ كِتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ».

قُلْتُ: قَد رواهُ ابْنُ جَريرٍ فِي «تَفْسيرِهِ» عَنْ مجاهِدٍ(٣) وَميمون بنِ

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٢/ ٢٤٢).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٥)، وسعيد بن منصور في «تفسيره» أيضًا (٦٥٦)، ومن طريقه البيهقي في «المدخل» (٢٧٠)، وغيرهم. من طرق عن ليث عن مجاهد به. وإسناده ضعيف جدًّا. ليث هو ابن أبي سليم، القرشي، الكوفي، صدوق =

مهرانَ(١) وقَتادَةَ(٢) والسُّدّيِّ(٣).

قَال ابْنُ كثيرٍ(٤): «**وَهذا أَمْرٌ منَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِأنَّ كُلّ شيْءٍ تَنازَعَ النّاسُ فيهِ من أُصولِ الدّينِ وَفُروعهِ أَنْ يُرَدّ التّنازُعُ في ذَلِك إلىٰ الكتابِ وَالسُّنّةِ؛ كَما قالَ تَعالىٰ:** ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورىٰ: ١٠]؛ **فَما حَكَم بهِ الكِتابُ وَالسُّنّةُ وَشَهِدا لَهُ بالصّحّةِ فَهو الحَقُّ.** وَمَاذا بعدَ الحَقّ إِلّا الضّلالُ؛ وَلِهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، أَيْ: رُدّوا الخُصوماتِ وَالجَهالاتِ إِلىٰ كتابِ اللهِ وَسُنّةِ رَسولِهِ؛ فَتَحاكمُوا إِلَيْهما فيما شَجَرَ بينكُم: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]؛ فَدَلّ علىٰ أنَّ مَن لَمْ يَتحاكَمْ في مَحَلّ النّزاعِ إِلىٰ الكِتابِ وَالسُّنّةِ، وَلَا يَرْجِعُ إِليهِما في ذلكَ؛ فَلَيْس مُؤمنًا بِاللهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ»، انْتَهىٰ.

=

اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك. قاله في «التقريب».

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٦)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥٢٤)، وابن شاهين في «شرح مذاهب أهل السنة» (٤٥)، وغيرهم من طرق عن ميمون به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٧)، وابن المنذر في «تفسيره» أيضًا (١٩٣٨) من طرق عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٥٥٤٣) من طرق عن أحمد بن مفضل، ثنا أسباط، عن السدي به.

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٣٤٥).

قُلْتُ: وَمَن أعْرَض عَنْ أدلَّةِ الكتابِ وَالسُّنّةِ علىٰ جريانِ الشَّمس وَسَبْحها في الفَلَكِ، وَدُؤْبِها في الجَريانِ، وَزَعمَ أنّها ظنيّةٌ، وَلَيْستْ قطعيَّةَ الدّلالَةِ، وَأَنّه ينبَغي التَّوَقّفُ فيها أَوْ تفويضُها، وَإِنّ في تأويلِها عَن ظاهِرِها مندوحَةً، فَلا شَكّ أنَّه لَمْ يَرُدَّ الأمْرَ المُتَنازعَ فِيهِ إِلىٰ اللهِ وَالرَّسولِ، وَإِنّما رَدّهُ إِلىٰ فَلاسفَةِ الإِفْرِنجِ المُتأخّرينَ وَأَتْباعِهِم مِنَ المُتَخَرّصينَ[1] المُتّبعينَ لِلظُّنُونِ الكاذبَةِ. مَنْ كانَ كَذلكَ فَهُو ممّن يُشَكُّ في إيمانِه باللهِ وَاليوْمِ الآخِرِ.

وَأَيْضًا فَقَد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الفاتحة: ١-١١٧].

قَالَ قَتادةُ فِي قولِه تَعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ﴾ [الأنعام: ١١٥]: «قَالَ صِدْقًا فيما قالَ، وَعَدْلا فيما حَكَم»[2].

---

(١) يقال: تخرص فلان علي الباطل واخترصه، أي: اختلقه وافتعله. انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ٦٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٥٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٧٨٠٨) مختصرًا من طريق يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة به.

وَقالَ ابْن كثيرٍ(١): «**يقولُ**: صِدْقًا في الأَخْبارِ، وَعَدْلا في الطّلبِ، فَكُلّ ما أخبَرَ بِه فَحَقٌّ لا مِريةَ فيهِ وَلَا شَكّ، وَكُلّ ما أَمَر بِهِ فَهُو العَدْلُ الَّذي لا عَدْلَ سواه، وَكُلّ ما نَهىٰ عنْهُ فَباطِلٌ؛ فَإِنّه لا يَنهىٰ إِلَّا عنْ مَفْسَدَةٍ. وَقَوْله: ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأنعام: ١١٥] أَيْ لَيْس أَحَدٌ يُعَقِّبُ حُكْمَه تَعالىٰ لا في الدُّنيا وَلا في الآخِرَة» انْتَهىٰ.

وَمَنْ أَعْرَضَ عنْ أدلّةِ الكتابِ وَالسُّنّةِ، وَتَمَسّكَ بِما سواهُما منْ أقوالِ النّاسِ وآرائِهِم فقَدِ ابْتَغَىٰ حَكَمًا غَيْرَ اللهِ وَرَسولِهِ، وَلَمْ يؤمِنْ بأنّ كلمةَ اللهِ تَعالىٰ قدْ تَمّتْ صِدقًا وَعَدلًا.

ومِن هذا البابِ الإعراضُ عمّا أخبرَ اللهُ به منْ جريانِ الشَّمس وَسَبْحها في الفَلَك ودُؤْبها في الجَريانِ، وَأَنَّه يأتي بها مِن المَشْرِقِ، وما أخبرَ به منْ طلوعِها ودلوكِها وغروبِها، وَما أخبَرَ به رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ جريانِها وطلوعِها وَزوالِها وغُروبِها وغَيْرِ ذلكَ ممّا جاء في الأحاديثِ الصّحيحةِ. وَالعدُولُ عنْ ذلك إلىٰ ما تَخَرَّصَهُ فلاسِفَةُ الإفْرنجِ مِن ثَباتِ الشَّمس وما تَخَيّله الصَّوَّاف بعقْلِه من كونِها تدورُ علىٰ نفْسِها كما تدورُ المِروحَةُ السّقْفيّةُ الكهربائِيّة عَلىٰ محوَرِها!

فَهَذا التخرُّصُ والتَّخيُّل ناشِئٌ عنِ ابتغاءِ حُكْمِ غيرِ اللهِ تَعالىٰ، وَعَن عدَمِ الإيمانِ بأنّ كلمَةَ اللهِ قَدْ تمّت صِدْقًا وعدْلًا. وَلَو كانَ يَرىٰ وجوبَ التّحاكُمِ إلىٰ

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٢٢).

اللهِ تَعالىٰ، ويُؤْمن بأنّ كلمةَ اللهِ تَعالىٰ قد تمّت صدقًا وعَدلًا، لَمَا زعمَ أنَّ أقلّ ما يُقال في النُّصوصِ الدّالّةِ علىٰ جَريان الشَّمس وسَبْحها في الفَلك: أنّها ظَنِّيّةٌ وَلَيْستْ قطعِيَّةَ الدَّلَالَةِ، وَأَنَّ التّوقُّفَ فيها أَوْ تفويضَ الأَمْرِ فيها أَسْلَمُ وأحْكمُ، وَأَنَّ في تأوليها عنْ ظاهِرِها مندوحَةً. وَمَا علِمَ المسكينُ ما يَلزَمُ علىٰ هذا القَوْل الباطِلِ منْ تكذيبِ اللهِ تَعالىٰ وتكذيبِ كتابِهِ ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَقَدْ جاءَ في «صَحيحِ البُخَارِيّ» عَن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّه قالَ: «حَدِّثُوا النّاسَ بِما يَعْرِفُونَ، أَتُرِيدُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ»(١)، وَالّذِي يَعْرِفُهُ المُسْلمونَ مِنْ زمَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلىٰ زمانِنا هَذا عنِ الأرْضِ والشَّمس وَالقَمرِ هُو ما أخبرَ اللهُ بهِ في كتابِهِ ومَا أخبرَ بِهِ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ جَريانِ الشَّمس وَالقَمرِ وسبْحِها في الفَلَكِ ودُؤوبهما في الجَريانِ، وَما أخبرَ اللهُ به ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأجمعَ عليه المُسلمونَ مِنَ استقْرارِ الأَرضِ وإرْسائِها بالجبالِ، وَجَعْلِها أَوْتادًا لها. فَمَن حدَّثَ النَّاسَ بهذا فَقَد حدّثَهُم بما يعرِفُونهُ مِن أدلّةِ الكِتابِ والسُّنّةِ وَالإِجْماعِ.

وَمَن حدّثَهم بِخِلافِ ذلكَ وَقالَ في نُصوصِ الكِتابِ وَالسُّنّةِ أَنّها ظَنِّيّةٌ وَلَيْسَت قطعيَّةَ الدّلالَةِ، وَأَنّ التّوقّفَ فِيها أو تَفْوِيضَ الأمْرِ فيها أسْلَمُ وأحْكَمُ، وَأَنّ في تأويلِها عن ظاهرِها مَندوحَةً، فَقَد حدّثَ النّاسَ بما لا يَعْرفونهُ، وَأَغْراهم عَلىٰ تكذيبِ اللهِ تَعالىٰ وَتكذيبِ كِتابه ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٧)، وغيره عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله.

فصل

وَقالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٢٨ ما نَصُّه:

«مَا رأيُ فضيلَةِ الأخِ في بلادِ (فنلندا) مَثَلًا، والشَّمس لا تَغيبُ عَنْها لمدَّةِ سِتَّةِ أشْهُرٍ، وَيَمْضي عليها نِصْفُ سَنَةٍ وهي طالِعَةٌ مُشرقَةٌ، ثمَّ تغيبُ وَتَبْقىٰ غائِبَةً لمدَّةِ ستّةِ أشْهُرٍ أخرَىٰ، ويمْضِي العامُ عَلىٰ هذهِ البلادِ وَأَمْثالِها بيوْمٍ وَلَيْلَةٍ. وَيَوْمُها نِصْفُ عامٍ، وَلَيْلتُها النّصفُ الثّاني.

وَالجَوابُ: أَنْ يُقالَ هَذا مِنْ أوضَحِ الأَدِلّةِ عَلىٰ جريانِ الشَّمس وَسَيْرِها في البُروجِ وَالمَنازِلِ. فإذا كانَتْ في المَنازِلِ الشّامِيّةِ طلَعَتْ عَلىٰ ما تَحْت القُطبِ الشّمالي، وَغَابَتْ عمّا تحتَ القُطْبِ الجَنوبِيّ، وَلَا تزالُ كَذَلِك ما دامَتْ في المَنازِلِ الشّامِيّةِ. فَإِذا رجعَتْ إِلىٰ المَنازِلِ اليمانِيّةِ غابَتْ عمّا تحتَ القُطْب الشّمالِيّ، وَطَلَعت عَلىٰ ما تَحْتَ القُطْبِ الجَنوبِيّ، وَلا تَزالُ كَذلِك ما دامَتْ في المَنازِلِ اليمانِيّةِ».

وَلَوْ كانَتِ الشَّمس ثابِتَةً لا تُفارِقُ مَوْضِعَها كَما زعمَهُ الصَّوَّاف وأشباهُه منَ المُقَلّدينَ لأهلِ الهَيْئَةِ الجديدَةِ لَمَا كانَتْ تَدورُ علىٰ البُروجِ وَالمنازِلِ وَتَطْلُع عَلىٰ ما تحتَ القُطْب الشّمالي في الصّيْفِ، وَعَلىٰ ما تَحْتَ القُطبِ الجَنوبِيّ في الشّتاءِ، وَتكُون بَيْنَهما إِذا كانتْ في خَطّ الِاستواءِ. وَقد قالَ ابْنُ عَبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

في قوله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] قالَ: «بِحِسَابٍ وَمَنَازِلَ»، رَواهُ الحاكِمُ في «مُسْتدْرَكه»، وَصَحّحه وَوَافقَهُ الذّهَبِيّ في «تَلْخيصِهِ»(١).

وَقَدْ توهَّمَ الصَّوَّاف أنَّ له حجَّةً فيما ذَكره ههنا، وَإِنّما هو حجةٌ عليه؛ كما لا يخفىٰ عَلىٰ مَنْ له أدنىٰ علمٍ ومعرِفَةٍ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣٠ زعم الصَّوَّاف أنَّ الآياتِ مِن كتاب اللهِ تَعالىٰ تُوَجّه الأفْكارَ وَالأنْظارَ إِلىٰ الفَلكِ الأعْظَمِ الَّذي خلقَه اللهُ، وأمَرَنا بالتّفكُّرِ فيهِ.

وَالجَوابُ عنْ هذا منْ وُجوهٍ:

أَحَدُهَا: أَنْ يُقالَ: إنّ اللهَ تَعالىٰ لمْ يأمُرْ عبادَه بالتّفَكّرِ في الفَلكِ، وَأَنْ يُوجّهوا الأفْكارَ وَالأنْظارَ إِليْهِ، وَإِنّما أمرَهم بالنّظَر والتّفكّر في خَلْق السّمواتِ وَالأرْضِ وَما فيهما منَ الآياتِ الدّالَّةِ عَلىٰ عَظَمتِه وَكمالِ قدْرتِه، وَأنَّه الإلهُ الواحِدُ الأحَدُ الَّذي لا تَنبغي العبادَةُ إلّا له وحدَهُ دونَ مَن سواه؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣٧٦٨)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (١/ ٤٢٧) من طرق عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به.

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾﴾ [يونس: ٥-٦].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ

لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٠-١٨].

قالَ ابنُ كثيرٍ(١) -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ- في الكَلامِ علىٰ الآياتِ مِن «سورَةِ آل عمران»: «وَمعْنىٰ الآيَةِ أنَّ اللهَ تَعالىٰ يقولُ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أيْ هذِه في ارْتفاعِها واتّساعِها، وَهذه في انْخفاضِها وكثافَتِها واتّضاعِها وَما فيهِما مِن الآياتِ المُشاهَدَةِ العَظيمَةِ منْ كواكِبَ سَيّاراتٍ، وَثوابِتَ وبِحارٍ وجبالٍ وقِفارٍ وأشجارٍ، وَنباتٍ وزُروعٍ وَثِمارٍ، وحَيوانٍ، ومَعادِنَ ومَنافِعَ مُخْتَلِفَةِ الألْوانِ والطُّعومِ والرّوائِحِ وَالخَواصّ: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، أَيْ تَعاقُبُهما وَتَقارُضُهما الطُّول والقِصَر؛ فَتارَةً يطولُ هذا ويَقْصُر هذا، ثمَّ يَعْتدلانِ، ثمَّ يأخذُ هذا مِن هذا؛ فَيطولُ الَّذي كانَ قَصيرًا، وَيَقْصرُ الَّذي كانَ طويلًا، وَكُلّ ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ.

وَلِهذا قالَ تَعالىٰ: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] أَيْ: العُقولِ التّامّةِ الزّكيّةِ الّتي تُدركُ الأشْياءَ بِحقائِقِها علىٰ جَليّاتِها، وَلَيْسوا كالصُّمّ والبُكْمِ

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٨٤).

الَّذين لا يَعْقلونَ. الَّذين قالَ اللهُ فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ثمَّ وصفَ تَعالىٰ أولِي الألبابِ فقالَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]، أَيْ لَا يَقْطعونَ ذِكْرهُ في جميعِ أحْوالِهم بِسرائِرهم وضَمائِرهِم وألسِنَتِهم: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، أَيْ يَفهمون ما فيهما مِن الحِكَمِ الدَّالَّةِ علىٰ عظَمَةِ الخالِقِ وقُدرتِهِ وحِكْمَتِه واخْتيارِهِ ورَحْمتِه»، انْتهىٰ.

الوَجْه الثَّاني: أنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَكرَ الفَلك في مَوْضِعيْنِ منَ القُرآنِ لَا غيرُ؛ فَقال تَعالىٰ في «سُورَةِ الأَنْبياءِ»: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وَقَال تَعالىٰ في «سُورَةِ يس»: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

فَذَكرَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِن آياتِه الليلَ وَسَلْخَ النهارَ مِنه، وَجريانَ الشَّمس لِمُسْتَقرِّها، وَتَقْديرَ القَمرِ منازِلَ، وَكُلُّها مِن الآياتِ الدَّالَةِ علىٰ عظمَته وَكَمالِ قُدْرتِه.

وَلَمْ يأمُرْ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالتَّفكُّرِ في الفَلَك لا في هذه الآياتِ وَلَا في غيرِهَا من

القرآنِ، فَمَن زعَمَ أنَّ اللهَ تَعالىٰ أمرَ عِبادَه بالتّفكّر في الفَلك فقَدِ افْترىٰ علىٰ اللهِ الكذِبَ. وكَذلكَ مَن زعَمَ أنَّ الآياتِ من كِتاب اللهِ تُوَجِّهُ الأفْكارَ والأنظارَ إِلىٰ الفَلَك الأعْظَمِ فقَد كَذَبَ علىٰ اللهِ وَعلىٰ كِتابِهِ.

الوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ مُرادَ الصَّوَّاف بِالأَمْر بالتّفكّر في الفَلَكِ وتوجيهِ الأفْكارِ والأنْظارِ إِليْهِ هُو ما صَرّحَ بِه فِي صَفْحَةِ ٢٥ مِنْ أَنَّ المُرادَ به التّحقيقُ العِلْميّ وَالوصولُ إِلىٰ الأسرارِ الكامنَةِ وَرَاءَ هذه المَخْلوقاتِ الكَوْنيّةِ الهائِلَةِ. وَما صَرّح بهِ -أَيْضًا- فيما نَشَره في جَريدَةِ الدّعوةِ منْ أنَّ المُرادَ بِهِ النّظرُ لِلبحثِ وَالعلْمُ والتّحقيقُ. يَعْني البَحْثَ عَنِ الأجْرامِ العُلْوِيّةِ وعنْ مَقادِير أحْجامِها ووزْنِها وأبعادِها ووُصول نُورِ كُلٍّ منها إلىٰ الأرْضِ وما بيْنها منَ التّفاوُتِ في الحجْمِ والوزْنِ والبُعْدِ، وَعمّا فيها من جِبالٍ وَبِحارٍ وَسُكّانٍ وَغَيْر ذلك ممّا توَهّمه أهْلُ المَراصِدِ منْ فلاسِفَةِ الإِفْرنجِ، وَحَشاه الصَّوَّاف في رسالَتِهِ، وَزَعم أنَّ ذلك مِنَ العِلْمِ والتّحقيقِ في عِلم الفَلَكِ، وَأَنّ اللهَ تَعالىٰ أمرَ عِبادَهُ بِالتّفكّر فيهِ، وَأَنّ الآياتِ منْ كتابِ اللهِ تَعالىٰ تُوَجّه الأفْكارَ وَالأنْظارَ إِلَيْه. وَهَذا منَ الكَذِبِ علىٰ اللهِ وَعَلىٰ كتابِهِ؛ كَمَا تقدَّمَ تَقريرُهُ، وَقَدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

* * *

فصل

وقالَ فِي صَفْحَةِ ٣٠: «إنّ عِلم الفلَكِ كانَ مِن أوّلِ العلومِ الّتي لَفتَتْ أنظارَ العُلماءِ المُسْلمين، وَجَلَبَت اهتمامَهُم وعِنايتَهُم بها».

وَالجوابُ عنْ هذا مِنْ وُجوهٍ:

أَحَدُها: أَنْ يُقال: لَمْ يكنْ عِلمُ الفَلكِ مِن أوّل العُلوم الَّتي لفتَتْ أنظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجَلَبَتِ اهتمامَهم وَعِنايتهم- كَما زَعَمه الصَّوَّاف-، بَلْ وَلَم يكنْ مِن آخِرِها.

وَإِنّما العُلومُ الَّتي لَفتَتْ أنظارَ عُلماءِ المُسْلمينَ وَجلبَت اهتمامَهم وَعِنايتَهُم هي العُلومُ الشّرعيّةُ الَّتي قَدِ اشْتَمل عليها الكِتابُ وَالسُّنّةُ، وَأَعْظمُها وَأَهمّها علمُ التّوحيدِ؛ فَهُو الَّذي كانَ المُسْلمونَ يَهْتمّون بِهِ، وَيَعْتَنون بِتَعَلّمِه وَتَعْليمهِ قبلَ العُلومِ كُلِّها.

وَقَدْ مكثَ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ في أوّلِ البَعْثَة عشْرَ سِنينَ يَدْعو إلىٰ التّوحيدِ، وَيَعْتني بِتَعْليمه وَتَبْليغه، ثمَّ بعدَ ذَلِك كانَ يُعَلّم أُمَّتَه أنْواعَ العُلومِ الشّرعِيّةِ شَيْئًا فَشَيئًا حَتّىٰ أكملَ اللهُ لَه الدّينَ، وبَلّغَ البَلاغَ المُبِينَ، وَترك أُمَّتَه علىٰ المَحَجّةِ البَيْضاءِ لَيْلُها كَنَهارِها لا يزيغُ عنها إِلَّا هالكٌ.

قَال أَبُو ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ

جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا». (رَواهُ الإِمامُ أَحْمدُ وَالطَّبرانِيّ، وَابْنُ حِبّانَ في «صَحِيحهِ»، قَالَ الهَيْثَمِيّ: «وَرِجالُ الطَّبَرانِيّ رِجالُ الصَّحيحِ غَيْرَ مُحَمّد بْنِ عَبْد اللهِ بْنِ يَزِيدَ المقرِيّ، وَهُو ثِقَةٌ)[1].

وَرَوىٰ الطَّبَرانِيّ -أَيْضًا- عَنْ أَبِي الدَّرْداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نحوه. قالَ الهَيْثَمِيّ: وَرِجالُهُ رجالُ الصَّحيحِ[2].

وَمَع شِدّةِ حِرْصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ تعليمِ أُمّتِه كُلّ شَيْءٍ، فَلَم يُذْكرْ عنْهُ أَنَّه كانَ يُعَلّمُهُم البُروجَ الاثْنَي عَشَر، وَمَنازِلَ الشَّمس والقَمرِ وَدرجاتِ الفَلَك، وَعَرْضَ البُلدانِ وطُولَها، وَالسّمتَ والنّظيرَ، وَفُصولَ السّنَةِ، وَأَوقاتَ الكُسوفِ وَالخُسوفِ، وَغَيْرُ ذلكَ مِمّا يعتَنِي به الفَلَكِيّون فَضْلًا عَمّا يَهْذُو بِهِ فَلاسفَةُ الإِفْرنجِ وَمُقَلّدوهُم منْ ضُعفاءِ البَصيرَةِ منَ المُسْلمينَ فِيما يَتَعلّقُ بالأَرْض والشَّمس وَالقَمرِ والنُّجومِ.

بَلْ قدْ ثَبتَ عنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنّهُ ذَمَّ الكلامَ في النّجومِ، فَرَوىٰ الإِمامُ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥) (١٦٤٧)، وابن حبان في «الصحيح» (١/ ٢٦٧) (٦٥)، وغيرهم من طرق عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٣- ٢٦٤)، وقد صححه الألباني في «صحيح موارد الظمآن» (٦٢).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٩/ ٤٦) (٥١٠٩)، والهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٤٧) (٥٩٩)، وغيرهما عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٤).

أحمَدُ وَأَبُو دَاودَ وَابْن مَاجه بِأسانِيدَ صَحِيحَةٍ عنِ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجومِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السّحْرِ زادَ ما زَادَ»**(١).

قالَ شيخُ الإسْلامِ أبو العبّاسِ ابْنُ تَيْميّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-(٢): فَقَدْ صرّحَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنَّ عِلْمَ النُّجومِ منَ السّحْرِ، وَقالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩].

وَرَوىٰ رزينٌ عنِ ابْنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قالَ:** قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتَبَسَ بابًا مِن عِلْمِ النُّجومِ لِغَيْرِ ما ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ»**.

قَوْلُهُ: «لِغيرِ ما ذِكْرِ اللهِ»، أَيْ مِنَ الاهتداءِ بِها في ظُلُماتِ البرِّ وَالبَحْرِ؛ كَما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآيَةَ، وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وَمِنَ الاهْتِداءِ بِها الاسْتِدلالُ بِها عَلىٰ جِهَةِ القِبْلَةِ، وَعَلىٰ الجِهاتِ الَّتي يَقْصِدُها المُسَافِرُون في البرِّ والبَحرِ.

فَأَمّا التّخرُّصُ في مَعْرفةِ مَوارِدِها وَمَقاديرِ أجْرامِها وَأَبْعادِها وَغَيْرِ ذلك مِنَ

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣١١)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٩٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٣).

الدّعاوىٰ الطّوِيلَةِ العَرِيضةِ الَّتي قدْ شغفَ بِالخوْضِ فيها أَهْلُ الهَيْئةِ الجَديدَةِ وَمُقلّدوهمْ مِن العَصْريّينَ؛ فَذَلك داخِلٌ في قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنِ اقْتبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**»، بِلا ريبَ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَرُوِي عنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّه نَهىٰ عنِ النّظَرِ في النُّجوم وعنْ مُجالسَةِ مَنْ ينظُرُ فيها، وَأَنّه خافَ عَلىٰ أُمّتِه مِنَ التّصْديقِ بِها وَأَمَرَهم بِالإمْساكِ إِذا ذُكِرتْ.

فَروىٰ الطّبراني في «الأَوْسطِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهىٰ عَنِ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ»(١).

وَروىٰ عبدُ اللهِ بنُ الإمامِ أَحْمدَ في «زَوائِدِ المُسْنَدِ» عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قالَ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُجالِسُوا أَصْحَابَ النُّجُومِ**»، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: «فيهِ هارونُ بنُ مسلمٍ صَاحِبُ الحناء، لَيَّنَهُ أبو حاتِمٍ، وَوَثّقهُ الحاكِمُ، وَبَقِيّة رجالِهِ ثِقَاتٌ»(٢).

وَروىٰ أَبُو يعْلىٰ وَالطّبرانِيّ في «الكبِيرِ» وَ«الأَوْسَطِ» عنِ العبّاسِ بنِ عَبْد

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٣٣)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وفي إسناده عقبة بن عبد الله الأصم «ضعيف ربما دلس»، قاله في «التقريب».

(٢) أخرجه عبد الله بن الإمام أَحمد في «زوائد المسند» (١/ ٧٨)، وأبو يعلىٰ في «المسند» (١/ ٣٧٦) (٤٨٤)، وغيرهما من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «المجمع» (٥/ ١١٦). قال الأرنؤوط: «حسن لغيره».

المُطّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: خرجْتُ مع رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منَ المدينَةِ، فَالتفَتَ إليها، فقالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ طَهَّرَ هَذِهِ القَرْيَةَ مِنَ الشِّرْكِ إِنْ لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**»، قَالَ الهَيْثَمِيّ: «فيهِ قَيس بنُ الرّبيع، وَثّقَه شعبَةُ والثّوريُّ، وَضَعّفَهُ النّاس، وَبَقيّةُ رِجالِه ثقاتٌ».

قلتُ: وقدْ ذَكر الذّهبيُّ في «الميزَانِ» عنِ ابنِ عَدِيّ أَنّه قالَ في قَيْس بنِ الرّبيعِ: عامّةُ رواياتِهِ مستقيمَةٌ، وَالقوْلُ ما قال شعبَةُ، وأنّهُ لا بأسَ بِهِ، وَقال عفّانُ: كانَ ثِقةً.

قُلْتُ: وعلَىٰ هذا؛ فَحديثُه حسنٌ.

وَقَد أوردَهُ الهيثميّ -أَيْضًا- في آخرِ كِتابِ المَناقبِ من «مجمَعِ الزّوائِدِ» فقالَ: وَعَنِ العبّاس بنِ عبدِ المُطّلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَقَدْ بَرَّأَ اللهُ هَذِهِ الجَزِيرَةَ مِنَ الشِّرْكِ مَا لَمْ تُضِلَّهُمُ النُّجُومُ**»، رَواهُ البَزّار وأبُو يعلَىٰ بِنحوِهِ، وَالطّبَرَانِيّ في «الأَوْسطِ» ورجالُ أبي يَعلىٰ ثِقاتٌ(١).

وَروىٰ أبُو يعلَىٰ وابنُ عَدِيّ والخطيبُ في كِتابِ «النُّجومِ» عنْ أَنَسِ بْنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي**

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (١٢/ ٧٧) (٦٧١٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٠) (٥٧٦)، والبزار في «المسند» (٤/ ١٣١) (١٣٠٥)، وغيرهم من حديث العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٦،١٠/ ٥٤)، و«ميزان الاعتدال» (٥/ ٤٧٩)، وقد ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٤٣١٦).

خَصْلَتَيْنِ: تَكْذِيبًا بِالقَدَرِ، وَتَصْدِيقًا بِالنُّجُومِ».

قَالَ المُناوِيّ في «شَرْحِ الجامِعِ الصّغيرِ»: وَهُو حسَنٌ لِغيرِهِ[(١)].

وَروىٰ الطّبَرانيّ عن أبي أمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّ أخْوَف ما أخافُ علىٰ أمّتي في آخِرِ زمانِها النُّجومُ وَتكذيبٌ بِالقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**»، قَالَ الهيْثَميّ: «فيهِ ليثُ بنُ أبي سليم، وَهُو ليّنٌ، وبَقيّة رجالِه وُثِّقوا»[(٢)].

وَروىٰ الإمامُ أحمَدُ وأبو يَعلىٰ والبزّارُ والطّبرانيّ عنْ جابرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**ثَلَاثٌ أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي الِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ، وَتَكْذِيبُ القَدَرِ، وَتَصْدِيقٌ بِالنُّجُومِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٧/ ١٦٢) (٤١٣٥)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (ص١٦٢- ١٦٣)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١١٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٨٩) (٨١١٣)، والروياني في «مسنده» (٢/ ٣٠٠) (١٢٤٥)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣)، وقد صححه الألباني في «صحيح الجامع» (١٥٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٨٩)، وأبو يعلىٰ (١٣/ ٤٥٥) (٧٤٦٢)، والبزار في «مسنده» (١٠/ ٢٠٠) (٤٢٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٠٨) (١٨٥٣)، وغيرهم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٠٢١).

وَرَوىٰ عبدُ بْنُ حُميدٍ[(١)] عَنْ رجاءِ بْن حَيوةَ[(٢)] أَنَّ النَّبيّ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**إِنَّمَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفَ الأَئِمَّةِ، وَإِيمانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالقَدَرِ**».

وَرَوَىٰ ابْنُ عساكِرَ عَنْ أَبِي مِحجنٍ الثّقَفِيّ[(٣)] أَنَّ رسولَ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **قالَ: «أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثًا: حَيْفُ الأَئِمَّةِ، وَإِيمَانًا بِالنُّجُومِ، وَتَكْذِيبًا بِالقَدَرِ»[(٤)].**

وَرَوىٰ الطّبرانِيّ عنْ عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا، وَإِذَا ذُكِرَ القَدَرُ فَأَمْسِكُوا**»، قَالَ الهيثَمِيّ: فِيه مسهرُ بنُ عبدِ المَلك، وثَّقَه ابنُ حبانَ وغيرُهُ،

---

(١) كذا عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤/ ٢٣٠) وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٨)، وابن بطة في «الإبانة» (٤/ ١١٠) (١٥٢٩) عن رجاء به مرسلًا.

(٢) هو رجاء بن حيوة الكندي الشامي، روىٰ عن ذكوان أبي صالح السمان، وغيره، وروىٰ عنه محمد بن عجلان، وجماعة. ثقة فقيه، من الثالثة، مات سنة اثنتي عشرة ومائة. انظر: «تهذيب الكمال» (٩/ ١٥١)، و«التقريب» (١٩٢٠).

(٣) مختلف في اسمه، فقيل: هو عمرو بن حبيب. وقيل: اسمه مالك. وقيل: اسمه عبد الله. وقيل: اسمه كنيته، وكنيته أبو عبيد. قدم مع وفد ثقيف فأسلم، انظر: «الاستيعاب» (٤/ ١٧٤٦)، و«تاريخ الإسلام» (٢/ ١٦٧)، و«الإصابة» (٧/ ٢٩٨).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/ ٤٠١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٠٢٦) (٧٠١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩٥) (١٤٨٢)، وغيرهم من حديث أبي محجن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وانظر: «الصحيحة» (٣/ ١١٩).

وَفيهِ خِلافٌ، وَبَقِيّةُ رِجالِهِ رِجالُ الصّحيحِ(١).

وَروىٰ الطّبرانِيّ -أَيْضًا- عَنْ ثَوْبانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِثْلَه. قالَ الهَيثَمِيّ: وفيه يزيدُ بنُ ربيعَةَ وَهو ضعيفٌ.

قُلْتُ: قدْ ذكرَ الذّهبيُّ في «الميزان» عنِ ابنِ عَدِيٍّ أَنّه قالَ: «أرجُو أنَّه لا بأسَ بِهِ»(٢).

وَرَوىٰ حُمَيد بنُ زنجويه عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَرْفوعًا: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، ثمَّ انْتَهُوا، وَتَعَلَّمُوا مِنَ النُّجُومِ مَا تَهْتَدُونَ بِهِ فِي ظُلُمَاتِ البرِّ وَالبَحْرِ، ثمَّ انْتَهُوا**»(٣).

وَروىٰ حميْدُ بنُ زنجويه -أَيْضًا- عَنْ نعيمِ بنِ أَبي هنْد قالَ: قالَ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ «تعَلَّموا من النُّجومِ ما تهتدونَ بهِ في بَرِّكُم وبَحْرِكم، ثمَّ أمْسِكوا، وتعَلَّموا مِنَ النّسَبِ ما تَصِلونَ بِه أرْحامَكُم، وَتَعْلَمُونَ مَا يحِلُّ لكمْ مِنَ النّساءِ

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ١٩٨) (١٠٤٤٨)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٩٦) (١٤٢٧)، وغيره من حديث ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٢)، و«ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٢٢)، وقد صححه الألباني في «الصحيحة» (٣٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٣٨) (١٥٩٤) من طريق حميد بن زنجويه. قال ابن رجب: «وفي إسناد رواته ابن لهيعة». انظر: «مجموع الرسائل» (٣/ ١١).

وَيَحرمُ عَلَيْكم، ثمَّ انْتَهُوا»(١).

وَرَوىٰ حُمَيد بن زَنْجويه -أَيْضًا- عنِ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قالَ: «رُبَّ ناظِرٍ في النُّجوم وَمُتَعَلِّمٍ حروفِ (أبي جاد) لَيْس لهُ عِنْد اللهِ خَلاقٌ»(٢).

وَهَذه الأحاديثُ يَشُدُّ بعضُها بعضًا، وَفيها دليلٌ عَلىٰ أنَّ علْمَ النُّجومِ عِلْم محظورٌ، وَشُعبةٌ منْ شُعَب السِّحْرِ ما عدا الاهتداءَ بِها في ظُلماتِ البرِّ والبحْرِ.

وَيُسْتفادُ منها -أَيْضًا- أنَّه لا يَجوزُ التّصديقُ بِما يزعُمُه المُنجِّمونَ وَأَهْلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن علْمِ النّجومِ؛ لِأَنَّ مَزاعمَهم فيها مَبْنيّةٌ عَلىٰ الرّجْمِ بالغَيْبِ،

---

(١) كذا عزاه ابن رجب لابن زنجويه من رواية نعيم بن أبي هند كما في «مجموع الرسائل» (٣/ ١١)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٩)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩١) (١٤٧٤)، وهناد في «الزهد» (٢/ ٤٨٧)، وأبو بكر النجاد في «مسند عمر بن الخطاب» (ص٧٢) (٤١)، والسمعاني في «الأنساب» (١/ ١١)، وغيرهم من طرق عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قوله بنحوه.

(٢) كذا عزاه لابن زنجويه ابن رجب في «مجموع الرسائل» (٣/ ١٢)، والمناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧)، ورواه معمر في «جامعه» (١١/ ٢٦) (١٩٨٠٥)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٧/ ١٦٨) (٤٨٣١)، وابن وهب في «جامعه» (ص٧٦٩) (٦٩٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٨)، وغيرهم. من طرق عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا بنحوه موقوفًا. وقد روي مرفوعًا من طريق إبراهيم بن ميسرة، عن طاوس، عن ابن عباس كما عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤١) (١٠٩٨٠)، وغيره. وفي إسناده خالد بن يزيد العمري كذاب. قال الألباني: «موضوع». انظر: «الضعيفة» (٤١٧).

وَلا يجوزُ التّصديقُ بذلِكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لَو كانَ علْمُ الفلَكِ منْ أوّلِ العُلومِ الَّتي لفتَتْ أَنْظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجَلبتِ اهتمامَهم وعِنايتَهم لَمَا كانَ الصّحابَةُ وَالتَّابِعونَ وَتابِعوهُم بإِحْسانٍ وَأَئِمّةُ العِلْم وَالهُدىٰ مِنْ بَعْدهم يُهْمِلونَه. وَلَكِنّهُ عِلْمٌ لَا يَخْلُو في الغالِبِ مِن تَعاطِي عِلْمِ الغيْبِ، وَما كانَ كَذَلِك فهُو عِلْم مُرْدٍ مُهْلكٌ، وَما سَلِمَ مِنْه مِنْ تَعاطِي علْمِ الغيْبِ فَهو علْمٌ كَثِيرُ العَناءِ قَلِيلُ الجَدْوىٰ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ علْمَ الفَلَكِ نَوْعانِ: أَحَدُهما مَعْرفَةُ البُروجِ الاثْنَىٰ عَشَر وَدَرجاتِ الفَلَكِ وَمنازِل الشَّمس وَالقَمَرِ، وَعَرْضِ البُلدانِ وَطُولِها، وَمَعْرفةُ السّمْتِ والنّظيرِ، وَفُصولِ السّنَةِ وَما تقْطَعه الشَّمس في اليَوْم واللّيْلةِ مِن دَرجاتِ الفَلَك، ومَا يقْطَعه القمَرُ منها، ومعرِفَةُ السّنَةِ الشَّمسيّةِ وَالسّنَةِ القمرِيّةِ وَما بينَهُما منَ التّفاوتِ، ومعرِفَةُ أوقاتِ الكُسوفِ وَالخُسوفِ.

وَهَذا النّوعُ هو الَّذي كانَ يَشْتغلُ بِه علماءُ الفَلَكِ قبلَ ظُهور أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، وَهو عِلمٌ كَثِيرُ العَناءِ قليلُ الجَدْوىٰ، يَصُدُّ المُشتغِلَ بِهِ عَمّا هوَ أَهَمّ منْهُ مِن العُلومِ الدّينِيّةِ، وَلَمْ يكنِ الصّحابَةُ وَلا التَّابِعونَ وَتابِعوهُم بإِحسانٍ وَأَئِمّةُ العِلْمِ والهُدىٰ مِن بعدِهم يَتَعَلّمون مِن هذا النّوعِ إِلَّا ما تَدْعو الحاجَةُ إِليْهِ لِمعرفَةِ القِبلَةِ، والاهتِدَاءِ في ظُلُماتِ البَرّ والبَحْر، وَأَمّا ما سوىٰ ذَلك مِنْ علْمِ الفَلَك، فَلَم يكونُوا يَشْتغلونَ بِه فضلًا عَنْ الِاهتمامِ وَالعِنايةِ بِه.

وَعَلىٰ هذا؛ فَقَولُ الصَّوَّاف أنَّ عِلمَ الفَلكِ كان مِن أوّلِ العُلوم الَّتي لَفَتتْ أنْظارَ عُلماءِ المُسلمينَ، وَجَلبتِ اهتمامَهُم وعِنايتَهم: قولٌ لا أساسَ لَه مِن الصّحّةِ.

النّوعُ الثَّاني: تَخَرّصُ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ في الأَرْض والأَجْرامِ العُلْويّةِ وما تَحْويهِ، وَهَذا النّوعُ مَبْنِيٌّ علىٰ تَعاطي عِلْمِ الغَيْبِ الَّذي استَأْثَر اللهُ بِعلمِهِ، وَتَعاطي عِلْمِ المُغَيّبَاتِ حَرَامٌ شديدُ التّحريمِ، فَضْلًا عنْ أنْ يَكونَ مِن أوّل العُلوم الَّتي لفتَتْ أنْظارَ عُلماءِ المُسْلمينَ، وَجَلبتِ اهتِمامَهم وعِنايتَهم -كَما زعمه الصَّوَّاف!-، وَمَدارُ رِسالة الصَّوَّاف علىٰ هذا العِلْمِ المُحَرّمِ كَما لا يَخْفىٰ عَلىٰ مَن نَوَّرَ اللهُ قَلْبَه بِنورِ العِلْمِ والإيمانِ.

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٠: (عِلْمِ الفَلكِ).

ثُمّ عرّفَه بأنّهُ: عِلْمٌ يبْحَثُ عنِ الأجْرامِ السّماويّةِ وَما تحويه ومَا تنْتَظمه من نجومٍ وكواكِبَ، وَما يَحْدثُ في الكوْنِ من رياحٍ وَبَرْقٍ وَرَعْدٍ.

قُلْتُ: وَهذا التّعريفُ يَشْملُ شَيْئينِ:

أَحَدُهما: التّخرُّص عنِ الأجرامِ السّماويّةِ وما تحويه، وَهذا هُو الَّذي عليْهِ

أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفَةِ الإِفْرنجِ.

وَالثَّاني: دَعْوَىٰ مَعرفَةِ ما يحدُثُ في الكوْنِ منْ رِياحٍ وَبَرقٍ وَرَعْدٍ وَغَيْر ذَلك ممّا يكونُ مِن الحوادِثِ في المُسْتَقْبل، وَهذا هُو الَّذي كانَ عَلَيْه المُنَجِّمونَ في قَدِيمِ الدّهرِ وحديثِهِ، وَكِلا الأمرَيْنِ مِن تَعاطي علْمِ الغَيْبِ الَّذي استَأْثَرَ اللهُ بعِلْمِه، وَمِن القِسْمِ الثَّاني ما ذَكَرَه مُحَمّد فريد وجدي في كِتابه «دَائِرَةِ المَعارِفِ» حَيثُ قَال: «كانَ لِعِلم الفَلكِ فِي القرونِ الوُسْطىٰ بأوروبا شَأْنٌ كبيرٌ، وَلَكن في أخْذِ الطّوالِعِ وَمَعرفَةِ طبائِعِ الأوقاتِ مِنْ نحوسٍ وَسُعُودٍ».

قُلْتُ: وَهَذا وما ذكرَهُ الصَّوَّاف في آخرِ كَلامِهِ الَّذي تَقَدّمَ ذِكره آنِفًا، هُو التّنْجِيمُ المُحَرّمُ بِالإجْماعِ.

قَالَ شيخُ الإِسْلام أبُو العبّاس ابْنُ تيمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «التّنْجِيمُ هُو الِاسْتِدْلالُ بالأحوالِ الفلكيّةِ، وَحَركاتِ النُّجوم علىٰ الحَوادِثِ»[١].

وَقالَ الخَطَّابيُّ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «عِلْمُ النُّجومِ المَنْهِيُّ عنْهُ هو مَا يدّعيهِ أهلُ التّنجيمِ مِن علمِ الكوائِنِ والحوادِثِ الَّتي لَمْ تقعْ وَستَقعُ في مُستقبلِ الزّمانِ، كَإخبارِهم بأوقاتِ هُبوبِ الرّيح وَمَجيءِ المَطَر وظُهورِ الحَرِّ والبَرْدِ، وَتَغَيُّرِ الأسْعَارِ، وما كانَ في مَعانيها منَ الأمورِ الَّتي يزعمونَ أنّهم يُدركونَ مَعْرفتَها بِسَيْرِ الكواكِبِ في مَجاريها، وَبِاجتماعِها وَاقْتِرانِها، ويدَّعون لَها تأثيرًا في السُّفليّاتِ، وَأنّها تتصرّفُ علىٰ

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٩٢).

أحكامِها، وَتجري علىٰ قَضايا موجباتِها، وَهذا مِنْهم تَحَكّمٌ علىٰ الغَيْبِ، وَتَعاطٍ لِعِلْمٍ استأْثَرَ اللهُ سُبْحانَهُ بِهِ، لَا يَعْلمُ الغيْبَ أَحَدٌ سِواهُ»(١).

قُلْتُ: «وَمِن هذا البابِ مَا يُذاعُ في كثيرٍ مِن الإذاعاتِ من الأخبارِ عَمّا سَيكونُ في المُسْتقبَلِ مِن الغُيومِ وَالأَمْطارِ وَالرّياحِ أَوْ عدمِ ذلكَ، وَيُسَمّون هذه الأخبارَ النّشَراتِ الجَوّيّةَ، وَهِي مِن تعاطِي علْمِ الغيْبِ الّذي استأْثَر اللهُ بِعِلمه؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَرَوىٰ الإمامُ أحمَدُ والبُخارِيّ عنِ ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَفاتِيحُ الغيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهنَّ إِلّا اللهُ**: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [لقمان: ٣٤]»(٢).

وَكَثيرًا ما يَتّفِق المُنَجّمون عَلىٰ حدوثِ أمرٍ في المُسْتقبلِ، فَيَفْضَحهم اللهُ

---

(١) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٢٢)، والبخاري (٧٣٧٩)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

تَعالىٰ، وَيُبطِلُ قولَهم، وَيَجعلِ الأمْرَ بِعكسِ ما زَعموهُ لِيَعْلَمَ الجاهِلون بحالِهم أَنّهم كَذَبَةٌ مُتخرّصونَ: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَقَد ذكرَ المُؤَرّخونَ مِن ذلك أخْبارًا كثِيرَةً منْها ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ فِي «البِدايَةِ وَالنّهايَةِ»(١) في حوادِثِ سَنَةِ اثْنتينِ وثَمانينَ وَخَمْسِمِائَةٍ عَن العِمادِ الكاتِب أنَّه قالَ: «أَجْمعَ المُنَجّمونَ علىٰ خَراب العالَمِ في شَعْبَان؛ لِأَنَّ الكواكِبَ السّتّةَ تَجْتَمعُ فِيه في المِيزانِ، فَيكونُ طوفان الرّيح في سائِرِ البُلدانِ» وَذَكَر أَنَّ ناسًا مِن الجهلَةِ تأَهّبوا لِذلك بِحَفْرِ مغاراتٍ في الجِبال وَمدخلاتٍ وأسْرابٍ في الأَرْضِ؛ خَوْفًا مِن ذلِكَ، قال: «فَلَمّا كانتْ تلك اللّيلةُ الّتي أشارُوا إليها، وأجمَعوا عليها لم يُرَ ليلَةٌ مثْلُها في سكونِها وركودِها وهُدوئِها، وَقَد ذكرَ ذلكَ غَيْرُ واحدٍ مِنَ النّاس في سائِرِ أقطارِ الأَرْضِ، وَقَد نَظَمَ الشُّعراءُ في تكذيبِ المُنَجّمينَ فِي هذه الواقِعَةِ وغَيْرِها أَشْعارًا كثيرَةً حسنَةً، مِنْها:

مَـــزِّقِ التَّقْـــوِيمَ وَالزِّيـــ ـــجَ فَقَـــدْ بَـــانَ الْخَفَـــاءُ
إِنَّمَـــا التَّقْـــوِيمُ وَالزِّيـــ ـــجُ هَبَـــاءٌ وَهَـــوَاءُ
قُلْـــتَ لِلسَّـــبْعَةِ إِبْـــرَا مُ وَمَنْـــعٌ وَعَطَـــاءُ
وَمَتَـــىٰ يَنْـــزِلْنَ فِـــي الْمِيـــ ـــزَانِ يَسْـــتَوْلِي الْهَـــوَاءُ
وَيُثِيـــرُ الرَّمْـــلَ حَتَّـــىٰ يَمْتَلِـــي مِنْـــهُ الْفَضَـــاءُ

---

(١) (١٢/ ٣١٩).

وَيَعُـــمُّ الْأَرْضَ خَسْـــفٌ وَخَـــرَابٌ وَبَـــلَاءُ
وَيَصِـــيرُ الْقَـــاعُ كَالْقُفْـــفِ وَكَـــالطَّوْدِ الْعَـــرَاءُ
وَحَكَمْـــتُمْ فَـــأَبَىٰ الْحَـــاكِـــمُ إِلَّا مَـــا يَشَـــاءُ
مَـــا أَتَـــىٰ الشَّـــرْعُ وَلَا جَـــاءَتْ بِهَـــذَا الْأَنْبِيَـــاءُ
فَبَقِيـــتُمْ ضُـــحْكَةً يَضْـــحَكُ مِنْهَـــا الْعُلَمَـــاءُ
حَسْـــبُكُمْ خِزْيًـــا وَعَـــارًا مَـــا يَقُـــولُ الشُّـــعَرَاءُ
ثُـــمَّ مَـــا أَطْمَعَكُـــمْ فِـــي الْـــحُكْمِ إِلَّا الْأُمَـــرَاءُ
فَعَلَـــىٰ اضْـــطِرْلَابِ بَطْلَيْـــمُوسَ وَالـــزِّيجِ الْعَفَـــاءُ
وَعَلَيْـــهِ الْخِـــزْيُ مَـــا جَـــادَتْ عَلَـــىٰ الْأَرْضِ السَّـــمَاءُ

وَقَد ذكَرَ السّيوطِيُّ هذا الخَبَرَ في «تاريخِهِ»[(١)] فقالَ: «وَفي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وثَمانينَ وخَمْسِمائَةٍ اجتمَعَتِ الكَواكِبُ السّتّةُ في الميزانِ، فَحكمَ المُنَجّمونَ بِخرابِ العالَمِ في جميعِ البِلاد بِطوفانِ الرّيحِ، فَشَرع النّاسُ في حفْرِ مَغاراتٍ في التُّخومِ، وَتَوثيقِها وَسَدّ منافذِها عنِ الرّيح، وَنَقلوا إِلَيْها الماءَ والزّادَ، وانْتقلوا إِليها وَانْتَظروا اللّيْلَةَ الّتي وُعِدُوا فيها بِريحٍ كريحِ عادٍ، وَهِي اللّيْلَةُ التّاسعَةُ مِن جُمادىٰ الآخِرَةِ، فَلَم يأتِ فيها شَيْءٌ، وَلَا هَبّ فيها نَسيمٌ بِحيثُ أوقدَتِ الشُّموعُ فَلَم تتحرّك فيها ريحٌ تُطْفيها، وَعَمِلَت الشُّعراءُ في ذلك، فَمِمّا قيلَ فيه قولُ أبي

---

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» (ص٣٢٠).

الغَنائِمِ مُحَمّدِ بنِ المُعلمِ[1]:

قُلْ لِأبـي الفَضْـل قَـوْلَ مُعْتَـرِفٍ   مَضَـىٰ جُمـادىٰ، وَجَاءَنـا رَجَـبُ

وَمَـا جَـرَت زَعْزعًـا كَمـا زَعمـوا   وَلا بَـدَا كَوْكَـبٌ لَـهُ ذَنَـبُ

وَمَا ذكَرَهُ السّيوطِيّ في تَعْيينِ الشّهرِ الَّذي اتّفقَ المُنَجّمونَ علَىٰ هبوبِ الرّيح العاتيَةِ فيه أنّهُ جُمادىٰ الآخِرَةِ، يُخالِفُ ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ عَن العِمادِ الكاتِبِ أنَّ ذلك في شَعْبانَ، ولَعَلّ الصَّوابَ ما ذكرَه السيوطيُّ، ويَشْهدُ لذلك قولُ أبي الغَنائمِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَقَد ذكرَ هَذا الخبرَ العَلّامةُ ابنُ القَيّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «مِفتاحِ دارِ السّعادَةِ»، وذكرَ معه تِسْعةَ أخبارٍ ممّا اتفقَ المُنَجّمون علىٰ وُقوعه، فَفَضحهم اللهُ تَعالىٰ، وأبطلَ قولَهم، وجعلَ الأمْر بعكْسِ ما زعَموه.

وَذكرَ أبياتًا حِسانًا لأَبي تَمّامٍ وغيرِهِ منّ الشّعراءِ في تكذيبِ المُنَجّمينَ والرّدِّ عليهِمْ، فمنْ أرادَ الوُقوفَ عَلىٰ ذلك فلْيُراجعْهُ في «مِفتاحِ دَارِ السّعادَةِ»[2].

وَقَد حدّثني بعضُ قُضاةِ المَدينَةِ النّبويّةِ أنَّ المُنجمينَ في الهِنْد في زَماننا أجمَعوا عَلىٰ أنَّه في يوم كذا من شَهْر كذا في سَنَةَ كذا - يكونُ في المدينَةِ ريحٌ

---

(١) هو محمد بن علي بن فارس، أبو الغنائم ابن المعلم الواسطي، الشاعر المشهور، انتهت إليه رياسة الشعر في زمانه، وطال عمره حتىٰ صار شيخ الشعراء، توفي سنة (٥٩٢)، انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٩٨٥)، و«الأعلام» (٦/ ٢٧٩).

(٢) (٢/ ١٣٥)، وما بعدها.

عاصِفٌ، وظُلْمةٌ وَصواعقُ شديدَةٌ، ومطَرٌ عظيمٌ، وَبَرد كثيرٌ، فصَدّقهم الجُهّالُ فيما زعَموه منْ هذا الباطِلِ، وارْتَقبوا وُقوعَ ذلكَ، فلَمّا جاءَ اليوْمُ الَّذي وُعِدوا بِهِ كانَ الأمْرُ فيه بِعَكس ما زَعَمَه أعداءُ اللهِ تَعالىٰ، فكانَتِ الرّيحُ ساكِنَةً لا تُحرّكُ شيئًا، وَكَانَ الجَوّ صافيًا جدًّا، ولم يكنْ في ذلك اليومِ غيمٌ، ولا شيء ممّا زعَموا وقوعَهُ.

قلْتُ: ولَمّا كانَ في يومِ الأرْبعاءِ المُوافقِ لِليومِ الرَّابعِ منْ شهرِ ذي القَعدَةِ سنةَ ١٣٨٨هـ أصابَ مكّةَ وجدّةَ وما بيْنَهُما، وَما بينَ مَكّة وجبلِ كرا - مَطَرٌ عظيمٌ وسيولٌ جارفَةٌ، وَقَدِ ارْتفعَ السّيلُ في الحرَمِ ارتِفاعًا كثيرًا، وَبلَغَ في باب الكعْبَةِ نحو ذراعَيْنِ، وَحمَلَ سياراتٍ كثيرةً في شارِع الأبْطح، وَصَدَم بعضَها ببعضٍ، ودَخل بُيوتًا ودَكاكينَ كثيرَةً في مكّةَ وجدَّةَ، وَأفْسد أموالًا كثيرَةً، وَقَد أذاعَ المُنَجّمونَ في بعضِ بلادِ الكُفْر أنّهُ سَيصيبُ مَكّة في يوم الأربعاءِ مِن الأسْبوعِ الثَّاني وَهُو المُوافق لِليومِ الحاديَ عشَرَ منَ الشّهر والسّنَةِ المَذكوريْنِ آنِفًا مَطَرٌ عظيمٌ، وَسَيْلٌ جارِفٌ يُشْبه ما أصابَها في رابعِ الشّهرِ.

وَأذاع المُنَجّمونَ في بعضِ بِلاد الإفْرِنج أنّه سيكونُ في بلادِ الحِجازِ مَطَرٌ عظيمٌ يستَمِرّ أربعًا وعِشرين ساعَةً، وقد صدّقهُم الجُهّال في هذا الزّعم الكاذبِ وارْتَقبوا ما وَعدوهم به مِن الطّوفانِ، وَزادَهم فتنةً وتصديقًا بأقوالِ المنجمينَ أنَّ الغيومَ لَم تزلْ متراكمَةً فوقَ مكّةَ في تلكَ الأيّامِ، وَلكنْ بدونِ مطرٍ.

وَلَمّا كان في اليومِ الثَّامن من ذي القَعدة، وهو يومُ الأحدِ أَغْلق الجُهّال بعضَ أبوابِ المَسعىٰ الَّتي من جِهة المَشْرق، ووَضعوا عليها من جهَةِ المَسعىٰ خشَبًا غِلاظًا؛ لتَمنعها أنْ تَنفتحَ إِذا جاءَها السّيلُ الَّذي وَعد به المُنَجّمونَ.

وَلَمّا كانَ في اليومِ العاشِرِ وهو يومُ الثّلاثاءِ، أغْلقوا جميعَ أبوابِ المَسْعىٰ ورَدَموها بِالخَشَب، سِوىٰ مِصراعٍ واحِدٍ مِن جهةِ الصّفا تَركوه لِلنّاسِ يَدْخلونَ مِنْهُ، وَيَخْرجونَ، وَقَد كنْتُ أَرىٰ صَنيعهُمْ في الأبْوابِ، وَأَتَعجّب منْهُ، وَلا أدْرِي ما مُرادُهم مِن ذلك؛ لِأَنّي لم أسْمَعْ بأكاذيبِ المُنَجّمين عليهم، ولمّا كانَ بَعْد صلاةِ المَغْرِب من ليلةِ الأَرْبعاءِ جلسْتُ معَ بعضِ العُلماءِ في الحرَمِ، فذكرْتُ لَه ما رأيتُ من صَنيعهمْ في أبوابِ المَسْعىٰ، فأخبَرني بِما زعمَه المُنَجّمونَ مِن وقوعِ السّيل العظيمِ المُماثِل لمَا وقعَ منذُ أسْبوعٍ، فَقُلْتُ: كَذَبَ المُنَجِّمونَ، وَسَيَظْهر كذِبُهم، وَيُفْتَضَحونَ إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ، وَإِنّي لَأرجو أنْ تكونَ السّماءُ في الغَدِ صَحْوًا ليسَ فيها قَزعةٌ، وَبَيْنما نحنُ جلوسٌ إِذْ وقع علينا مطرٌ خفيفٌ، فانْفَضّ الجُهّال، وَتَسابقوا إلىٰ الأبوابِ يخرجونَ من الحرمِ؛ فَعَجبنا مِن صَنيعهِمْ وَمِن تلاعُبِ الشَّيطانِ بِهم، وقدْ نِمنا تلك الليلةَ والغيومُ مُتراكمَةٌ.

وَلمّا خرجْتُ لصلاةِ الصُّبح من يومِ الأربعاءِ الَّذي وعَد المُنَجّمونَ بِوقوعِ الطّوفانِ فِيه إذا السّماءُ صحوٌ ليسَ فيها قزعَةٌ، وقدْ أَقَمْت بعد ذلك عدّةَ أيّام في مكّةَ -شَرّفَها اللهُ تَعالىٰ-، وَالسّماءُ لا تَزالُ في تلك الأيام صَحْوًا ليس فيها قزعَةٌ. فَالحمدُ للهِ علىٰ إِبْطالِ قوْلِ المُنَجّمينَ وإِظْهارِ كَذِبهم لعِبادِهِ.

وَلَقَد أحسَنَ الشّاعِرُ(١) حيثُ يقولُ:

دَعِ المُـــنَجِّمَ يَكْبُـــو في ضَـــلَالَتِهِ ... إِنِ ادّعىٰ عِلْـمَ مَـا يجـرِي بِـهِ الفَلَـكُ
تَفَـرّدَ اللهُ بِـالعِلْمِ القَـدِيمِ فَـلَا الْـ ... إِنْسَـانُ يَشْـرَكُهُ فِيـهِ وَلَا المَلَـكُ

وَمِن أكاذيبِ المُنَجّمينَ زَعْمُهم أنَّ لكلِّ واحدٍ منْ أهلِ الأرْضِ نَجمًا فِي السّماءِ، وَقَد روىٰ أبو نُعَيمٍ في «الحِلْيَةِ» عَنْ محمّدِ بنِ كعبٍ القرظِيِّ(٢) أنّهُ قالَ: «كَذَبوا واللهِ، مَا لأحَدٍ مِن أهلِ الأرْضِ في السّماءِ نَجْم، ولكِنّهم يَتّبِعون الكَهنةَ وَيَتّخذونَ النُّجوم عِلّةً، ثمَّ قرأَ: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُمۡ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]»(٣).

وَقالَ البُخارِيّ في «صَحيحِهِ»(٤): «قالَ قَتادةُ: خَلق اللهُ هذه النُّجومَ لِثلاثٍ:

---

(١) نسبه ابن خلكان، والذهبي، وغيرهما للعلامة زيد بن الحسن تاج الدين، أبي اليمن الكندي، البغدادي، المتوفىٰ (٦١٣)، انظر: «الوفيات» (٢/ ٣٤١)، و«تاريخ الإسلام» (١٣/ ٣٦٤)، و«السير» (٢٢/ ٤٠).

(٢) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو حمزة المدني، سكن الكوفة مدة. روىٰ عن زيد بن أرقم، وغيره، وروىٰ عنه الحكم بن عتيبة، وجماعة. ثقة عالم، من الثالثة. مات سنة (١٢٠)، وقيل: قبل ذلك. انظر: «تهذيب الكمال» (٢٦/ ٣٤٠)، و«التقريب» (٦٢٥٧).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٤٧) من طريق عمر مولىٰ غفرة عن محمد بن كعب القرظي به. وإسناده ضعيف. عمر مولىٰ غفرة ضعيف وكان كثير الإرسال. قاله في «التقريب».

(٤) أخرجه البخاري (٤/ ١٠٧) معلقًا، ووصله ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١٢٣)، وأبو

جَعَلها زينَةً للسّماءِ، وَرُجومًا لِلشّياطينِ، وَعَلَاماتٍ يُهتَدىٰ بِها، فمَنْ تَأَوّلَ بِغير ذلكَ أَخْطَأَ وأضاعَ نَصِيبَهُ، وَتكَلّف ما لا عِلْمَ لَهُ بِهِ».

قَالَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ في «فَتْحِ البارِي»(١): «وَصَلَهُ عبدُ بْنُ حميْدٍ مِن طريقِ شَيْبانَ عَنْه، وزَاد في آخِرِه: «وَإِنّ ناسًا جَهَلَةً بأمرِ اللهِ قد أَحْدَثوا في هذهِ النّجومِ كهانَةً، مَنْ أعْرَس بنجْمِ كذا كانَ كذا، وَمَن سافرَ بِنجم كذا كانَ كذا، وَلَعَمْرِي ما مِن النّجومِ نَجْمٌ إِلّا وَيُولد بِه الطّويلُ وَالقَصيرُ، وَالأحْمَر والأبيَض، وَالحَسنُ والدميمُ، ومَا عِلم هذه النُّجومِ وهذه الدّابةِ وهذا الطائِرِ بشيءٍ مِن هذا الغَيْبِ» انْتهىٰ.

وَرَواهُ ابنُ أبي حاتِمٍ بنحوه، وَزاد في آخِره: «وَقضىٰ اللهُ أنّهُ ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]».

وَرَواهُ الخطيبُ في كِتابِ «النّجومِ» عنْ قتادَةَ، ولفظُهُ: «قال: إنّما جعلَ اللهُ هذهِ النُّجومَ لِثلاثِ خصالٍ جعلَها زينَةً للسّماءِ، وَجَعلها يُهتَدىٰ بِها، وجعَلَها رجُومًا لِلشّياطينِ، فَمَن تَعاطىٰ فيهَا غيرَ ذلك فَقَد قالَ برَأْيِه وأَخْطأ حظَّهُ، وَأَضاعَ

=

الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٥٣٦)، والخطيب في «القول في علم النجوم» (ص١٨٥)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٩)، وغيرهم من طرق عن قتادة به.

(١) (٦/ ٢٩٥).

نصيبَهُ، وَتَكَلّف ما لا عِلْمَ بِهِ».

ثُمّ ذكرَ بَقِيّته نحوَ ما في روايَةِ عبدِ بنِ حُميدٍ، وَزَاد في آخرِه: «وَلَوْ أنَّ أحدًا علمَ الغيبَ لعَلِمَه آدمُ الَّذي خلقَهُ اللهُ بيدِهِ، وَأَسْجدَ له مَلائكتَهُ، وَعَلّمَه أسماءَ كُلّ شيءٍ».

وَقَد أوردَهُ الحافِظُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيرِهِ»[1] منْ روايةِ ابْنِ أبي حاتِمٍ، ثمَّ قالَ: «هُو كلامٌ جليلٌ متينٌ صحيحٌ»، انْتَهىٰ.

وَقالَ الدّاوديّ[2]: «قولُ قتادةَ في النّجومِ حسنٌ إلَّا قولَه: أخطأَ وأضاعَ نصيبَهُ، فإنّهُ قصّر في ذلكَ، بَل قائِلُ ذلك كافِرٌ»[3].

وَقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العبّاس ابْنُ تَيْمِيّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «صِناعَةُ التّنجيمِ والاسْتدلالِ بها علىٰ الحوادِث مُحَرّم بإجماعِ المُسلمينَ، وأخْذُ الأجْرَةِ علىٰ ذلك- سُحْتٌ، ويُمنعونَ مِن الجُلوسِ في الحَوانيتِ وَالطّرقاتِ، وَيُمْنع النّاسُ أنْ يكرموهم، وَالقِيامُ في منعِهم عنْ ذلك مِن أفضَلِ الجِهاد في

---

(١) (٦/ ٢٠٧).

(٢) هو أحمد بن نصر، أبو جعفر الداودي الفقيه من أئمة المالكية بالمغرب، والمتسمين في العلم، المجيدين للتأليف له كتاب «الأموال»، و«الإيضاح»، وغير ذلك. توفي سنة (٤٠٢)، انظر: «ترتيب المدارك» (٧/ ١٠٢)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٤١)، و«الديباج المذهب» (١/ ١٦٥)، و«شجرة النور» (١/ ١٦٤).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٦/ ٢٩٥)، و«عمدة القاري» (١٥/ ١١٥).

سَبِيل اللهِ تَعالىٰ»(١) انْتَهىٰ.

هَذا ما يَتَعلّقُ بِالمُنَجّمين وعِلْمِهم في الفَلَك والنّجومِ.

وَأَمّا أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم فقدْ سلكوا في عِلم الفَلكِ وَالنّجومِ مَسْلكًا آخرَ، وذَلكَ بما يَزْعمونه منْ معرفَةِ موادّ الأجرامِ العُلْويّةِ، وَمقاديرِ أحْجَامِها وأَبْعادِها، وَتَحديدِ المُدّةِ الّتي يصلُ فيها نورُ كلٍّ مِنها إلىٰ الأرْضِ، وَما يزعُمونَه -أَيْضًا- مِنْ تَعَدّد الشّموسِ وَالأقْمارِ، وَما يزْعمونَه -أَيْضًا- مِنْ وجودِ الجبالِ وَالوِهادِ وَالأوْدِيَةِ في الشّمس وَالقَمَرِ وسائِرِ السّيارات، وَأَنّ فيها مخلوقاتٍ نَحْو سَكَنَةِ الأرْضِ، وَأَنّ فيها بِحارًا وأنْهارًا، وَأَنّهم قاسُوا أكثَرَ من ألفِ جبلٍ في القَمَرِ، فوجدوا أنَّ عُلُوّ بعضِها يَنيف علىٰ عِشرين ألفَ قدَمٍ، وأنّهم يعرفونَ ما يحدُث في القَمَرِ من البَراكينِ والِانفجاراتِ، وَكذلك ما يحْدُث في الشَّمس مِن الِانفجاراتِ، وَما تفْقده منْ وزنها في الثّانية الواحِدَة مِن ملايينِ الأطنانِ بسببِ احتِراقها، إلىٰ غيرِ ذلك من التَّخَرُّصات والتّحكم عَلىٰ الغيْبِ، والتّعاطي لِما استَأْثَر اللهُ بعلْمِه.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

---

(١) انظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص٣٦٧).

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وَهذا الَّذي ذكرناهُ عن أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ من تعاطِي علْمِ الغيْبِ إنْ لم يكنْ شَرًّا من التّنجيمِ فليسَ بِدونهِ، ومعَ هذا فكثيرٌ مِن العَصْريّين قَد افْتُتِنوا بما يقولُه أهلُ الهيئَةِ الجديدَةِ مِن المزاعمِ الباطلَةِ والتَّخَرُّصات وَالظّنون الكاذبَةِ، ورَأوا أنَّ ذلك مِن تقدُّمِ العِلم في اكْتشافِ الأمورِ الكَونيّةِ، وكُلّما تَخرّص مُتَخرِّص من الإفرنجِ في الأجرامِ العُلويّةِ بشيءٍ، وزعَمَ أنّهُ اكتشفَهُ - تلقّوْا قولَه بالقَبولِ وَالتّسليمِ، وَتَمسّكوا بِهِ أعظَمَ ممّا يتمسكونَ بنصوصِ الكتابِ والسّنَّةِ، وَاشتد إنكارُهم علىٰ مَن ردّ ذلك مِن المسلمينَ، وإذا رَأوا ما يخالِفُ أقوالَ أعداءِ اللهِ تَعالىٰ من أدلّةِ الكتابِ وَالسّنّةِ أوّلُوه عَلىٰ ما يُوافق أقوالَهُم كأنّهُم معصومونَ مِن الخطَأِ والزّللِ، أوْ كأنّهُم قدْ أُوحي إليْهم بِما يزعمونَهُ منْ تَخَرُّصاتِهم وظُنونِهم الكاذبَةِ.

وَقَد قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَقَد روىٰ البُخاري في «التَّاريخِ» وَالطّبراني وابْنُ عبد البِّرِّ وغيرُهم، عَن عصْمةَ بنِ قيسٍ صاحبِ رسولِ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنَّه «كانَ يَتَعوّذُ في صلاتِهِ من فِتْنَةِ المَغْرِبِ».

وَذَكر ابنُ عبدِ البَرِّ -أَيْضًا- عنْهُ أَنَّه كانَ يَتَعوّذُ باللهِ منْ فِتْنةِ المَشْرقِ، فقيلَ لَهُ: فَكَيفَ فتنَةُ المَغْرِب؟ قال: «**تِلْكَ أعْظَمُ وَأَعْظَمُ**».

وَهَذا الأَثَرُ له حُكْمُ المَرفوعِ؛ لِأَنَّه إخبارٌ عَن أمرٍ غَيْبِيّ فلا يُقال مِن قِبلِ الرأيِ، وَإِنّما يُقال عَنْ تَوْقيفٍ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٦٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٨٧) (٥٠١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣/ ٧٣) (١٣٨٩)، وابن عبد البر في «الاستيعاب» (٣/ ١٠٦٩)، وغيرهم عن عصمة به، وقد اختلف عليه في وقفه ورفعه، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٠٢٩) وقال: «وبالجملة؛ فالحديث ضعيف؛ للاضطراب والجهالة، مع كونه موقوفًا علىٰ الراجح. والله أعلم. ومما سبق تعلم خطأ الشيخ التويجري حين جزم في أول كتابه «الصارم»... بنسبته إلىٰ عصمة بن قيس، وأنه في حكم المرفوع! وأظن أن عمدته في ذلك إنما هو قول الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٢٠): «ورجاله ثقات»! وهذا لا يعني تقوية الحديث بوجه من الوجوه -كما يعلم ذلك البصير بهذا العلم الشريف-، وقد مضىٰ مني التنبيه علىٰ ذلك مرارًا.

وأما قوله بأنه في حكم المرفوع؛ فنقول: نعم؛ ولكن أثبت العرش ثم انقُشْ! ومن غرائبه أنه حمل الحديث علىٰ الإفرنج بحكم كونهم في المغرب! وهم وإن كانوا سببًا لما أصاب المسلمين -من البلاء والانحراف عن الشرع، والعمل بأحكامه، وإقامة حدوده- بسبب استعمارهم لبلادهم؛ فليس من المتبادر أنهم هم المقصودون من الحديث -لو صح-=

وَالواقِعُ يَشْهد لهذا الأثَرِ بالصّحَةِ؛ فَإِنّ الفتَنَ أوّلَ ما ظهرَتْ في هذهِ الأُمَّةِ ظهرَتْ مِن قِبلِ المَشْرق، وَمِن أعظمِها شَرًّا فتنَةُ الجَهميّةِ وَالرَّافضَةِ، وَأمّا في زمانِنا فظُهور الفِتَنِ مِن قِبل المَغْرِبِ أكثَرُ، وَذلك بسببِ اسْتِيلاءِ بَعْضِ الدّول الإفْرِنْجيّةِ علىٰ أكثرِ المَمالكِ الإسلاميّةِ، وَبثّهم فيها ثَقافتَهُم المَشْؤومَةَ وتعاليمَهُم المَسْمومَةَ، فكانَ لِهذه الثّقافَةِ وَالتّعاليمِ أسوأَ الأثَرِ في تلكَ البِلادِ بحيثُ فسدتْ عَقائد الأكثَرين مِنْهم، وظَهَرت فيهم الزّندَقَةُ والإلحادُ والِاستهزاءُ بالعلومِ الدّينيَّةِ وأهْلِها، وتعظيمِ ما يُلقيهِ أعْداءُ اللهِ إليهِم من ظُنونهمْ وَتَخَرُّصاتهم الَّتي هي مِن وحيِ الشَّيطانِ وَتَضْليله.

وَمَن تأمّلَ ما دخَلَ علىٰ المُسْلمين مِن الشّرِّ بسببِ الفِتن المَشْرقيّةِ، وَما دخلَ عليهم مِنَ الشّرِّ بسببِ الفِتن المَغْرِبيّة- تَبَيّن له أنَّ فتنَةَ المَغْرب أعْظَمُ شَرًّا منْ فتنَةِ المَشْرق، وَأَشَدُّ نِكايةً فِي هدمِ الإسلامِ وطَمْس أعلامِهِ وإطفاءِ نوره، فَلا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

فَإِنْ قيلَ: إنّ أهلَ الهيئَةِ الجديدَةِ قد تَوَصّلوا إلىٰ مَعْرفَةِ الأجرامِ السّماويّةِ ومَا تحويه بِواسطَةِ أرْصادهِم ونَظّاراتِهم؛ فَيكونُ ذَلك من قَبيل المُشاهدَةِ، لَا منْ

=

لا شرعًا ولا اصطلاحًا. أما الشرع؛ فواضح. وأما اصطلاحًا؛ فإن المفهوم إليوم من (المغرب) إنما هي البلاد الواقعة في شمال إفريقية غرب مصر، وهي: ليبيا وتونس والجزائر ومراكش، وهي بلاد إسلامية، وانظر: «معجم البلدان» لياقوت الحموي».

انتهىٰ كلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

قبيلِ الظَّنِّ والتَّخرُّص وَتَعاطي علْمِ الغَيْبِ.

فَالجوابِ: أَنْ يقالَ: إِنَّ أرصادَ أعداءِ اللهِ وَنَظّاراتِهم أضعَفُ وأعجَزُ مِن أنْ يُتَوَصّل بها إلىٰ اكْتشافِ ما في السّماءِ الدّنيا وهي مَسِيرةُ خَمْسِمِائةِ سَنَةٍ فضلًا عنِ التّوصّلِ بها إلىٰ اكْتِشاف ما يَهْذون به مِن المَسافاتِ الَّتي تبلغُ مَلايينَ المَلايينِ منَ السّنين.

وَقَد ثبتَ بِنصوصِ القُرآن أنَّ الشَّمس والقَمَرَ والكواكِبَ في السّماءِ، قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١]. قالَ مجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جبيرٍ وأبو صالحٍ والحسَنُ وقتادَةُ: «البُروجُ هي الكواكِبُ العِظامُ»[١]. وقالَ البَغَوي[٢]: «هيَ النّجومُ الكِبارُ» قالَ: «وَسُمّيتْ بُروجًا لِظُهورهَا».

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾

[الحجر: ١٦].

وَقالَ تَعالىٰ مخبِرًا عن نُوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنّه قالَ لِقومهِ: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾

[نوح: ١٥-١٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٢٠) لابن كثير.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٧١).

وَقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧].

وَقَال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾

[الملك: ٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذهِ الآياتِ النّصُّ علىٰ أنَّ الشَّمس والقمرَ في السّماءِ، وَالنّصُّ علىٰ أنَّ اللهَ تَعالىٰ جعلَ الكَواكِبَ زينَةً لِلسّماءِ الدّنيا، ورُجومًا لِلشّياطينِ.

وَقَدْ ثبتَ عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: «**بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ**»، رَواهُ عنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعَةٌ منَ الصّحابَةِ، وَهُم عبدُ اللهِ بنُ عمرٍو(١) وأبو هُريرَةَ(٢) والعبّاس(٣) وأبو سعيدٍ(٤) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، ورُوي -

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٨)، وأحمد (٢/ ١٩٧)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٨٠٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٢٩٨)، وأحمد (٢/ ٣٧٠)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٩٤).

(٣) أخرجه أبوداود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وغيرهم من حديث العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٢٤٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٤٠)، وأحمد (٣/ ٧٥)، وغيرهما من حديث أبي سعيد =

أَيْضًا- عنِ ابنِ مَسعود[(١)] رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَوْقوفًا، وَله حكمُ الرّفعِ كَنَظائِرِهِ.

وَقَد ذكرتُ هذهِ الأحاديثَ في «الصَّواعِق الشَّديدَة»[(٢)] معَ الأدلّةِ علىٰ سُكونِ الأرْضِ وثَباتِها، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإِذا كانَ بينَ السّماءِ وَالأرْضِ هذا البُعْد الشّاسعُ، فالتّوَصّل بالأرْصادِ والنّظّاراتِ إِلىٰ اكتشافِ ما في السّماء غيرُ ممكِنٍ.

ولوْ فُرِض أنَّ الأرْض ليستْ بِكُرَوِيّة، وأنّ وجهها مُسْتوٍ ليسَ فيه مُرْتَفَعٌ ولا مُنْخفَضٌ، فهلْ يقولُ عاقلٌ أنَّ أهلَ الأرصادِ في أوروبا يمكِنُهم أنْ يكتشِفوا ما في الصّين بأرصادِهم ونظّاراتِهم، ويَرَوا ما فيه مِن الجِبال والوِهادِ وَالبِحارِ والأنْهارِ والأوْدِيةِ والمُدُنِ والقُرَىٰ، ويَقِيسوا ما فيهِ منَ الجِبال، وَيَعْرفوا قدْرَ ارْتِفاعِها؟

لا أَظُنّ أنَّ عاقلًا يقُول بإمكانِ ذلكَ، بلْ إنّه يبْعُدُ اكْتِشافُهُم لمَسافةِ خَمْسَةِ أيّامٍ في الأرْضِ، فكيفَ بِمسافَةِ خمسِمِائة سنَةٍ في السّماء؟! فضلًا عمّا يزعمونَهُ

=

الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١٠٩).

(١) أخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٢٤٢، ٢٤٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٠٢ - ٨٩٨٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩١) (٨٥٢)، وغيرهم عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به موقوفًا. قال الذهبي: «إسناده صحيح». انظر في «العلو» (ص٧٩).

(٢) (ص٤٠)، وما بعدها.

من اكْتِشافِ ما يَبْعد عنهُم بمسافَةِ مَلايينِ المَلايينِ مِن السّنينَ.

وَلَيْسَ العَجَبُ مِن هَؤُلاءِ الدّجّالينَ الَّذينَ يُمَخْرِقونَ علىٰ النّاسِ وَيُوهمُونَهم بِما يُشْبِه أضغاثَ الأَحْلامِ مِن تَخَرُّصاتِهم وظُنونِهِم الكاذِبَةِ، وَإِنّما العَجَبُ منْ أُناسٍ مُسْلمينَ يَنْتَسبونَ إِلىٰ العِلْمِ والمَعرفَةِ، وَهُم مع هذا يُصدّقون أعداءَ اللهِ في كُلّ ما قالوه في الأرْضِ والسّمواتِ وَالشّمس وَالقَمَرِ والنّجومِ، وَلَو كانَ مُخالِفًا لما في القرْآنِ وَالأحاديثِ الصّحيحَةِ وَإِجماعِ المُسلمينَ، وَيرون أنَّ ذلك مِن تقدُّمِ العِلمِ في اكتشافِ الأمورِ الكونِيّةِ.

وَقَد تقدّمَ حديثُ ابنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَنِ اقْتبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**»، وَفي روايَةِ رَزينٍ: «**مَنِ اقْتبَسَ بَابًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ لِغَيْرِ ما ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ**».

وَتَقَدّمَتْ -أَيْضًا- الأحاديثُ في الخَوْفِ علىٰ هذهِ الأمّةِ مِن التّصديقِ بالنُّجومِ. وَفي بعضِ الرّواياتِ: «**إِنّ أخوفَ ما أخافُ عَلىٰ أمّتِي في آخِرِ زمانِها النّجومُ وتكذيبٌ بالقَدَرِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ**».

وَتَقدّم -أَيْضًا- ما رواهُ ابنُ مَسْعودٍ وَثَوبانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنّهُ قالَ: «**وَإذا ذُكِرَ النُّجُومُ فَأَمْسِكُوا**»، أي عَنِ التّصديقِ بِها، كَما تفيدُهُ الأحاديثُ المذكورَةُ قبْلَ هذا الحديثِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

فصل

وذَكَر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣١ أبا جَعفرٍ المَنْصورِ، ثمَّ قال «وهُو الخليفَةُ الثَّاني»

والجوابُ: أنْ يقالَ: هذا الإطلاقُ خطأٌ، لِأَنَّ الخليفَةَ الثَّاني عَلىٰ الإطلاقِ إنّما هو أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ الخطّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأمَّا المَنْصور العبّاسيّ، فلا يُقال فيهِ أنَّه الخليفَةُ الثَّاني علىٰ وجْهِ الإطلاقِ، بلْ لابُدَّ منَ التقْييدِ بأنْ يقالَ: ثاني خُلفاءِ بني العبّاس أيِ الخليفةُ الثَّاني من بني العبّاس[1].

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣١ -أَيْضًا- ذكر الصَّوَّاف عنْ بعْضِ الفَلَكِيِّينَ أنَّ مَدارَ الشَّمس بَيْضاوي الشَّكْلِ - يعنِي أنَّه غيْر مُسْتديرٍ.

والجَوابُ: أنْ يقالَ: هذا قولٌ باطلٌ مردود لِمخالفتِه لِمَدلولِ الكِتابِ

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي القرشي الهاشمي العباسي، أتته البيعة بالخلافة بعد موت أخيه السفاح، وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة، مات سنة (١٥٨). انظر: «تاريخ الإسلام» (٤/ ١٠٦)، و«العقد الثمين» (٤/ ٤٠٩).

والسّنَّةِ وَالإجماعِ والمَعقولُ الصّحيحُ، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وَقالَ تَعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وَالفَلَك في اللُّغة هو الشَّيْءُ المُسْتديرُ.

قال شيخُ الإسلامِ أبو العبّاس ابنُ تَيْميّةَ(١) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «الأَفْلاكُ مستديرَةٌ بالكِتابِ وَالسّنَّةِ والإجْماعِ، فإنَّ لَفْظَ الفَلَك يدلُّ علىٰ الِاستدارَةِ، وَمِنْه قوله تَعالىٰ: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣] قال ابنُ عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في فَلْكَةٍ كَفَلْكَةِ المَغْزل(٢)، ومنْهُ قولُهم تَفَلّك ثَدْي الجارِيَة إذا اسْتدارَ، وأهلُ الهيئَةِ وَالحسابِ مُتَّفِقونَ عَلىٰ ذَلِك».

وَقال الشَّيْخ -أَيْضًا-: «قَدْ ثبتَ بالكِتابِ والسُّنّة وإجماعِ علماءِ الأمَّةِ أنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ»(٣). ثمَّ ذكرَ الأدلَّة علىٰ ذلك، ومنها قولُه تَعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ثمَّ ذكر كلامَ ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا الذي تقدَّمَ ذكرُهُ، قال: «وهذا صريحٌ بالاسْتِدارةِ وَالدّورانِ، وَأَصل ذلك أَنَّ الفلكَ في اللُّغة هو الشَّيء المُستديرُ، يُقالُ: تَفلّك ثدْيُ الجاريَةِ إذا استدارَ، ويقالُ:

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٥/ ١٥٠).

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١١،١١٨٦)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٤/ ٢٥٨)، وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بنحوه.

(٣) المصدر السابق (٢٥/ ١٩٣).

لِفَلَكةِ المِغْزلِ المُستديرةِ فلكَةٌ؛ لاستدارَتِها، فقدِ اتَّفق أهل التَّفسير واللُّغة علىٰ أنَّ الفَلك هو المُسْتديرُ. وَالمعرفَةُ لمعاني كتابِ اللهِ إنَّما تؤخذ من هذين الطّريقين: مِن أهل التّفسير الموثوق بهم منَ السَّلف، ومنَ اللُّغة الَّتي نزل القرآن بها، وهي لغة العربِ».

قالَ: «والحسُّ مع العَقلِ يدلُّ علىٰ ذلك؛ فَإنَّه مع تأمُّلِ دوران الكواكبِ القريبة من القُطْب في مدارٍ ضيِّقٍ حوْلَ القطبِ الشَّماليِّ، ثمَّ دورانُ الكواكبِ المُتوسِّطةِ في السَّماء في مدارٍ واسعٍ، وَكيف يكونُ في أوَّل الليل وفي آخره- يعلم ذلك، وَكذلك مَنْ رأىٰ الشَّمس وقتَ طلوعها واسْتِوائها وغروبِها في الأوْقاتِ الثَّلاثة علىٰ بُعْد واحدٍ وشَكْلٍ واحدٍ ممَّنْ يكون علىٰ ظهر الأرضِ، عَلِم أنَّها تجرِي في فَلَكٍ مُسْتديرٍ» انْتهىٰ.

وقدْ جزَمَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٩ أنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ؛ فَنقَضَ ما قرَّره فِي صَفْحَةِ ٣١.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣١ -أَيْضًا- ذكر الصَّوَّاف عنِ الفَلَكيِّين منْ أهلِ بغدادَ ممَّن كان في زمانِ الرَّشيد والمأمونِ أنَّهم شكُّوا في ثَباتِ الأَرْضِ، بلْ قالَ بعضُهم بحرَكَتِها.

وَالجوابُ عنْ هذا مِن وجهَيْنِ:

أحدُهُما: أنَّ ما ذكرَهُ في هذا الموضعِ قد قرَّر خلافَهُ فِي صَفْحَةِ ٤٣، حيثُ قال: «كانَ أوَّل مَنْ قال بحركَةِ الأرْضِ حول مِحورِها «كوبرنيكس» في عام ١٥٤٣»، وقدْ كفانا الصَّوَّاف مؤنَةَ الرَّدِّ عليه حيثُ ردَّ هو علىٰ نفسِه.

وما ذَكرَهُ فِي صَفْحَةِ ٤٣ قدْ ذكَرَ مثْلَه محمَّد فريد وجدي في «دائرَةِ المعارفِ»؛ فقالَ في الكلامِ علىٰ علْمِ الفَلَك بعدَ أنْ ذَكَرَ المُشْتغلينَ بِه في زمان بني العبّاس وما بعدَه، ما نَصُّهُ:

«في كُلِّ هذه القرونِ كان مذهب «بطليموس» هو المُعَوَّل عليْهِ، وهو المذهَبُ الَّذي يَعتَبِرُ الأرْضَ مركزَ الكوْنِ، فلمَّا نشأ «كوبرنيكس البروسي» في مُنتصفِ القرْنِ السّادسَ عَشَرَ - أيِ الميلاديِّ- أحْيا مذْهَبَ «فيثاغورس» الَّذي يفرِض أنَّ الشَّمس مركزُ المجموعَةِ الشَّمسيَّةِ، وأنَّ الأرْضَ وبقيَّةَ السَّيَّاراتِ تدورُ حولَها».

وَذكَرَ «محمد فريد» -أَيْضًا- في الكلامِ عَلىٰ الأرْضِ: «أنَّ فيثاغورس قالَ بدورانِ الأرضِ حولَ الشَّمس، فَقَبِلَ النّاس نظرِيَّتَه زمانًا طويلًا حتَّىٰ نبغَ الفَلَكِيُّ الإِسكنْدَر بطليموس الَّذي كان عائِشًا قبلَ الميلاد بنحو قرْنٍ ونصفٍ، فقرَّرَ أنَّ الأرْضَ وإن كانَتْ كُرَويّةً إِلَّا أنّها ساكنَةٌ غيرُ متحرِّكةٍ، وَأَنّ الشَّمس هي الَّتي تدور حولها، فراجَتْ نظريَّتُه هذهِ في العقول، وبَقِيَتْ شائِعَةً سائدَةً حتّىٰ ظهر

الفَلَكِيّ البولونِي الشَّهير «كوبرنيكس» في القرْنِ السّادسَ عشَرَ المِيلادِيِّ، فقرَّر رأيَ «فيثاغورس»، وأيَّدَه بالأدِلَّة الرّياضيَّةِ عُلماءُ الهيئَةِ في كُلِّ مكانٍ، وَلا تزالُ هي السَّائدةُ إِلىٰ اليوم» انْتَهىٰ.

قُلْتُ: إنَّما كانَتْ سائدَةً عند فلاسفَةِ الإفرِنْج ومَنْ يُقَلِّدهم ويحذو حذْوَهُمْ مِن العَصْرِيِّين، فأمَّا عنْدَ المُتَمسِّكين بالكتابِ وَالسُّنَّةِ فهي باطلَةٌ مردودَةٌ؛ لِمخالفتِها لِلأدِلَّةِ الكثيرَةِ منَ الكتاب وَالسُّنّةِ والإجماعِ والمَعْقولِ الصّحيحِ، وَقَد ذكرْتُ الأدِلَّةَ علىٰ بُطْلانها في أوَّلِ الصَّواعِق الشَّديدَة؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: لوْ فرضْنا صحَّةَ ما زعمه الصَّوَّاف منْ وجودِ مَنْ يشُكُّ في ثَبات الأرْضِ أو يقولُ بِحركتِها منَ الفَلكيِّين الَّذين كانوا في زمانِ بني العبّاس فقولُهم مردودٌ عليهِمْ؛ لمخالفَتِه للأدلَّةِ الكثيرَةِ منَ الكتابِ والسُّنَّةِ وإجماعِ المسلمينَ علىٰ سكونِ الأرْضِ وثَباتِها، وقد ذكرْتُها في أوَّلِ «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٣٢ ذَكَرَ الحاكِمَ العبيدِيَّ، وَسَمّاه الخليفةَ الفاطِمِيَّ.

والجوابُ: أنْ يقالَ: ليْسَ الحاكِمُ وأهلُ بيتِهِ بِخلفاءَ ولا فاطِمِيِّينَ، وإِنَّما

هُمْ ملوكٌ جبابِرَةٌ فجرَةٌ، وأدعياءُ كذبَةٌ، وقد أوضحَ المحقِّقون منَ العلماء أمرَهُم وكشفوا أسرارَهُم، وهَتكوا أستارَهُم، وأنا أذْكُر ههنا طرفًا منْ كلامِ العلماءِ فيهم؛ لِيَعْلَمَ مَنْ يسمِّيهم خلفاءَ، وَيَنْسبُهم إلىٰ فاطمةَ بنْتِ رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ تائِهٌ في بيداءِ الجَهالةِ والضَّلالَةِ، وَمُخالفٌ لِأَهْلِ الأمانَةِ وَالعدالَةِ، قال الذَّهبيُّ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «كانَ العبيديُّون علىٰ الإسلامِ شَرًّا مِنَ التَّتَرِ»[1]. قال: «وكانوا أربَعَةَ عَشَرَ مُتَخَلِّفًا لا مُسْتَخْلَفًا»[2] انْتَهىٰ.

وَقال ابنُ كثير في «البدايةِ والنِّهاية»[3] في أخبارِ سنَةِ اثنتين وعِشرين وثَلاثِمِائةٍ: «وَفيها كانَ موْتُ المَهْدي صاحب أفريقيَّةَ، وهو أبو محمَّدٍ عُبيدُ الله المُدَّعي أنَّه عَلَوِيٌّ، وَتَلَقَّب بالمهديِّ، وَبَنىٰ المهديَّةَ، وَمات بِها».

قال ابنُ خَلِّكان[4]: «وَقَد اخْتُلِفَ في نَسَب المهدِيِّ هذا اخْتِلافًا كثيرًا جدًّا، فقال صاحِب «تَاريخِ القَيْروانِ»: «هو عُبيد اللهِ بْنُ الحَسَنِ بنِ محمَّد بنِ عليِّ بنِ موسىٰ بْنِ جعفرِ بنِ محمَّدِ بنِ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ. وَقال غيرُهُ: هُو عبيدُ اللهِ بْنُ الحسينِ بْنِ أحمدَ بنِ عبد الله بنِ محمَّدِ بن إسماعيلَ بنِ جعفرٍ الصَّادِقِ. وقيلَ غيرُ ذلك في نَسَبه». قالَ ابنُ

(١) انظر: «تاريخ الخلفاء» للسيوطي (ص١١).

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» (١٢/ ٣٦٧).

(٣) (١٥/ ٨٣).

(٤) انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ١١٧-١١٨).

خلِّكان: «وَالمحقِّقون ينكِرونَ دَعواه في النَّسبِ».

قال ابنُ كثير[١]: «وقدْ كتبَ غيرُ واحدٍ من الأئِمَّة منْهُم الشَّيْخ أبو حامِدٍ الإِسفرايِينيّ، والقاضي الباقِلَّاني، وَالقُدوريّ أنَّ هؤلاء أدعياءُ ليس لهم نَسَبٌ صحيحٌ فيما يزْعمونَهُ، وأنَّ والدَ عبيدِ الله المَهْديّ هذا كانَ يهودِيًّا صبّاغًا بِسلمية، وَقيل كانَ اسمُه سعدٌ، وإنَّما لُقِّب بعبيدِ الله زوجُ أمِّه ابنُ الحُسينِ بْنِ أحمدَ بنِ محمَّد بنِ عبد الله بنِ ميمون القَدّاح، وسُمّي القدَّاحَ؛ لِأنّهُ كان كَحّالا يقدَحُ العيونَ.

وَكان الَّذي وطَّأَ له الأمْرَ بتلك البِلادِ أبو عبدِ الله الشِّيعيِّ، ثمَّ اسْتدعاه، فَلمّا قدِمَ عليهِ مِن بلادِ المَشرقِ وَقَع في يدِ صاحبِ «سلجماسة» فَسَجَنه، فَلَم يزَلِ الشَّيعيُّ يحتالُ له حتَّىٰ استَنْقَذَه مِن يدِهِ، وَسَلَّم إليهِ الأمْرَ، ثمَّ ندِمَ الشَّيعيُّ علىٰ تَسْليمِهِ الأمْرَ، وأرادَ قتلَه، ففَطِنَ عبيدُ الله لما أرادَ به فأرْسَلَ إلىٰ الشِّيعيِّ مَن قتَلَه وقتَلَ أخاه معَهُ.

وَيُقالُ: إنّ الشَّيعيَّ لمّا دخلَ السِّجن الذي قدْ حُبِس فيه عبيدُ اللهِ هذا وَجَد صاحبُ «سلجماسة» قَد قتَلَه، ووَجد في السِّجْن رجلًا مَجْهولًا محبوسًا، فأخْرَجه إلىٰ النّاس؛ لِأنَّه كان قد أخبرَ النّاس أنَّ المهدِيَّ كانَ محبوسًا في «سلجماسة»، وأنّهُ إنَّما يُقاتِل عليهِ، فَقال للنّاس: هذا هو المَهْدِيّ، وكان قد

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٤).

أوصاه أنْ لا يتكلَّمَ إِلَّا بما يأمُرُه به، وإِلَّا قتلَهُ؛ فَراج أمرُهُ.

فهذِهِ قِصّته، وهؤلاء سلالتُهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ».

وَقالَ ابنُ كثيرٍ -أَيْضًا[1]- في أَخْبَارِ سَنَةِ اثنتينِ وأربَعِمائةٍ:

«ذِكْرُ الطّعنِ مِن أئمَّةِ بغدادَ وغيرِهم منَ البِلاد في نَسَبِ الفاطِمِيّينَ، وَأَنّهُم أدْعِياء كذبَةٌ، وَفي ربيع الآخرِ مِنْها كتبَ بِبغدادَ مَحاضِرُ تتضَمّنُ الطّعنَ وَالقَدْح في نسَبِ الفاطِمِيّين وهُمْ مُلوكُ مصرَ، وليسُوا كذلِكَ، وإنّما نَسَبهم إِلىٰ عُبَيْدِ بْنِ سَعْدٍ الجَرْمِيِّ، وَكَتبَ في ذلك جَماعَةٌ من العُلماءِ والقُضاةِ والأشْرافِ وَالعُدولِ والصَّالحينَ وَالفُقهاءِ والمُحَدِّثينَ، وَشَهدوا جميعًا أنَّ الحاكِمَ بِمِصرَ هُو مَنْصور ابنُ تَزار الملقب بالحاكِمِ -حَكَمَ اللهُ عليْهِ بِالبَوارِ وَالخِزْيِ والدّمارِ- ابْنُ معد بنِ إِسْماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ -لا أسْعَدَهُ اللهُ- فإِنّهُ لمّا صارَ إِلىٰ بِلاد المَغْرِبِ تَسَمّىٰ بعُبَيْد اللهِ، وَتلَقّب بالمَهْديّ، وأنّ مَنْ تَقَدّم مِنْ سلفِهِ أدْعياءُ خَوارِجُ لَا نسبَ لَهُم فِي وَلَد عليٍّ بنِ أبي طالِبٍ، وَلَا يَتعَلّقونَ بسبَبٍ، وَأَنّه مُنَزَّهٌ عَنْ باطِلِهم، وَأَنَّ الَّذي ادّعَوْهُ إليْهِ باطِلٌ وزُورٌ، وأنّهُم لا يَعلمونَ أحدًا منْ أهلِ بيوتاتِ عليٍّ بنِ أبي طالِبٍ توقّفَ عنْ إِطلاقِ القَوْل في أنّهم خوارِجُ كذبَةٌ.

وَقَد كانَ هذا الإنكارُ لباطِلِهم شائِعًا في الحرمَيْنِ وفي أوّلِ أمرِهم بالمَغْربِ مُنْتَشِرًا انْتِشارًا يمنَعُ أن يُدَلّس أمرُهُم علىٰ أحدٍ، أو يذْهَبَ وهْمٌ إِلىٰ تَصْديقِهم

(١) المصدر السابق (١٥/ ٥٣٨).

فيما ادّعَوْهُ، وإنّ هذا الحاكِمَ بِمِصر هو وَسَلَفُهُ كفّارٌ فُسّاقٌ فُجّارٌ ملحدون زَنادقَةٌ مُعطّلونَ، وَلِلإسلامِ جاحدونَ، وَلِمَذهبِ المَجوسيّةِ وَالثّنويّةِ مُعتقدونَ، قَدْ عطّلوا الحُدودَ، وَأَباحوا الفُروجَ، وأَحَلّوا الخَمْر، وَسَفَكُوا الدّماءَ، وَسَبّوا الأنبياءَ، وَلَعنوا السّلف، وادّعَوا الرّبوبيّةَ».

وَكَتب في سَنَةِ اثْنتيْنِ وأرْبَعِمائَةٍ[1]: «وَقَد كتبَ خَطَّه فِي المَحْضَرِ خلْقٌ كَثيرٌ، فمِنَ العَلَوِيّين المُرْتَضىٰ والرّضا وابْنُ الأَزْرَقِ المُوسَوِيّ وأبو طَاهِرٍ ابْنُ أبِي الطّيِّبِ، وَمُحَمّدُ بنُ محمّدِ بنِ عمرِو بنِ أَبِي يعْلَىٰ، وَمِن القُضاةِ أبو مُحَمّد ابْنُ الأكفانِي وأبو القاسِم الجَزَريُّ وأبو العبّاسِ ابنُ الشّبوري، وَمِن الفُقَهاء أبو حامِدٍ الإِسْفِرايِينِيُّ وأبو محمّدٍ ابنُ الكسفلي وأبو الحَسَن القدورِي وأبو عبدِ الله الصّيْمَرِي وأبو عبدِ الله البَيْضاوي وأبُو عليّ بنُ حمكان، ومِن الشّهود أبو القاسِم التّنوخيّ في كثيرٍ منْهُم، وكتبَ فيه خَلْقٌ كثيرٌ»، هَذه عِبارَةُ أبي الفَرَج ابن الجَوْزِيّ.

قالَ ابنُ كثيرٍ: «وَمِمّا يدُلّ عَلىٰ أنَّ هؤلاءِ أدعياءُ كَذَبَةٌ -كَما ذكرَ هَؤُلاءِ السّادةُ العُلماءُ وَالأئِمّةُ الفُضلاءُ-، وَأَنّهم لا نَسَبَ لهم إِلىٰ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ، وَلا إلىٰ فاطمَةَ -كما يزعمون-: قَوْلُ ابنِ عُمَر للحُسَينِ بْنِ عليٍّ حينَ أَرادَ الذّهابَ إِلىٰ العِراقِ -وَذَلك حينَ كَتب عَوَامُّ أهلِ الكوفَةِ بِالبيعَةِ إِليْهِ-، فَقَالَ لَهُ

---

(١) المصدر السابق.

ابنُ عمرَ: «لَا تذهَبْ إِليهِم؛ فَإِنّي أخافُ عَلَيْكَ أنْ تُقْتَلَ، وَأَنَّ جَدّكَ قَدْ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنيا والآخِرَةِ، فاخْتارَ الآخِرَةَ علىٰ الدُّنْيا، وَأَنْت بضعَةٌ مِنْه، وَإِنّهُ واللهِ لَا تنالُها لَا أنْتَ ولا أَحَدٌ من خَلَفِكَ، وَلَا منْ أهْلِ بَيْتِكَ[1]»[2].

فهَذَا الكلامُ الحَسَنُ الصّحيحُ المُتَوَجّهُ المَعْقولُ مِن هذا الصّحابِيِّ الجَليلِ يَقْتضي أنَّه لا يَلِي الخِلافَةَ أحدٌ مِن أهلِ البَيْتِ إِلَّا محمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ المَهْدِيّ الَّذي يكونُ في آخرِ الزّمانِ عِندَ نُزول عيسىٰ بنِ مريمَ، رَغْبَةً بِهِم عنِ الدُّنيا، وَأَنْ لا يُدَنَّسُوا بِها.

وَمَعْلومٌ أَنَّ هؤلاءِ قد مَلكوا ديارَ مِصْر مدَّةً طويلَةً، فدَلّ ذلك دلالَةً قويَّةً علَىٰ أنّهم ليسوا مِن أهلِ البَيْتِ كما نَصّ عليه سادَةُ الفُقهاءِ.

وَقَد صَنّف القاضِي الباقِلّانِيّ[3] كتابًا في الرّدِّ علىٰ هؤلاءِ، وَسَمّاه «كَشْفُ الأَسْرَارِ وَهَتْكُ الأَسْتَارِ» بَيّن فيه فَضائحَهُم وقبائِحَهُم ووضّح أمرَهُم لكُلّ أَحدٍ،

---

(١) قصة مراجعة عبد الله بن عمر للحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ أخرجها الطبراني في «المعجم الأوسط» (١/ ١٨٩) (٥٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٤٢٤) (٦٩٦٨)، وغيرهما عن الشعبي. وقد حسَّن العراقي إسناده في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص٦٩٩).

(٢) المصدر السابق (١٥/ ٥٣٩).

(٣) محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر القاضي المعروف بابن الباقلاني، المتكلم علىٰ مذهب الأشعري، من أهل البصرة، سكن بغداد، سمع من أبي بكر القطيعي، وغيره. سمع منه محمد بن أبي الفوارس، وطائفة. توفي سنة (٤٠٣)، انظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٦٤)، و«السير» (١٧/ ١٩٠).

ووُضوحُ أمْرِهم يُنْبِئُ عَنْ مطاوِي أفْعالِهم وأقوالِهم، وَقَد كان الباقِلّانِيّ يقولُ في عِبارتِهِ عنهم: هُمْ قومٌ يُظْهِرونَ الرّفْضَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ المَحْضَ، وَاللهُ سُبْحانَهُ أعْلَمُ»، انْتَهىٰ ما ذكرَهُ ابنُ كثيرٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

وقالَ شيخُ الإسلامِ أبو العبّاسِ ابنُ تَيْميّةَ[١] -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ- ما مُلَخّصهُ: «وَهؤلاءِ القومُ -يعني العُبَيْدِيّين- يَشْهَد عليهم علماءُ الأمَّةِ وأئمَّتُها وجماهيرُها أنّهم كانوا مُنافقينَ زَنادقَةً يُظهرونَ الإسلامَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ، وَكَذلك النّسبُ قَدْ عُلِمَ أَنَّ جمهورَ الأُمَّةِ تَطْعَنُ في نَسَبِهم، وَيَذْكُرون أنّهم مِنْ أولادِ المَجوسِ أَوِ اليَهودِ، وَهَذا مشهورٌ مِنْ شهادَةِ عُلماءِ الطّوائِفِ منَ الحَنَفيّةِ وَالمالِكِيّةِ والشّافعيَّةِ والحَنابِلَةِ وَأَهْلِ الحديثِ وَأَهْل الكلامِ وَعُلَماء النّسَبِ والعامّةِ وغيرِهِم، وَهَذا أمْرٌ قدْ ذكرَهُ عَامّةُ المُصَنِّفين لأَخْبارِ النّاس وأيّامِهِم حتّىٰ بعضُ مَنْ قد يَتَوَقّف في أمرِهِم كابْنِ الأثيرِ المَوْصِلِي في «تارِيخِهِ» ونحوه، فَإِنّه ذكرَ ما كتبَهُ عُلماءُ المُسْلمينَ بِخُطُوطِهِم مِن القَدْحِ في نَسَبِهم.

وَأَمّا جُمْهور المُصَنِّفينَ مِنَ المُتَقَدّمينَ وَالمُتَأَخّرين حَتّىٰ القاضِي ابْنُ خَلّكانَ في «تاريخِهِ» فإنّهم ذكروا نَسَبَهم، وَكَذلك ابْنُ الجَوْزِيّ وأبو شَامَةَ وغيرُهُما مِنْ أهلِ العِلْم بذلك حَتّىٰ صَنّفَ العُلماءُ في كَشْفِ أَسْرارِهم وَهَتك أستارِهِم، كما صنّف القاضِي أبو بكر الباقِلّانِيّ كِتابَهُ المَشهورَ فِي كشْفِ

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٢٨ وما بعدها).

أسرارِهِم، وذكرَ أنّهم منْ ذُرِّيّةِ المَجوس، وَذَكر مِن مذاهبِهِم ما بَيَّنَ فيهِ أنَّ مذَاهبَهُم شَرٌّ مِن مذاهبِ اليَهودِ وَالنّصارَىٰ، بَلْ وَمِن مَذاهِبِ الغالِيَةِ الَّذينَ يَدّعونَ إِلَهِيّةَ عَلِيٍّ أَوْ نُبُوّتَهُ، فهُمْ أكفَرُ مِن هؤلاءِ.

وَكَذَلك ذكَرَ القاضِي أبُو يَعْلَىٰ(١) في كِتابه «المُعْتَمدِ» فَصْلًا طويلًا في شَرْح زَنْدَقَتِهم وكفْرِهم، وكذَلِك ذكر أبو حامِدٍ الغَزّالِيُّ في كتابه الَّذي سمّاه «فَضائِل المُسْتَظْهريّةِ وَفَضائح الباطِنِيّةِ»، قالَ: «ظَاهِرُ مَذهبِهم الرّفْضُ وباطِنُه الكفْرُ المَحْضُ».

وَكذلكَ القاضي عَبْد الجَبّار بنُ أحمدَ وأمثالُه منَ المُعْتزلَةِ المُتَشيِّعةِ الَّذين لَا يُفَضّلونَ عَلىٰ عَلِيٍّ غيرَهُ، بَلْ يُفَسّقون مَنْ قاتَلَه وَلَم يَتُبْ منْ قِتاله، يَجْعلون هؤُلَاءِ مِن أكابِرِ المُنافقينَ الزّنادِقَةِ.

فَهذِهِ مقالَةُ المُعتزِلَةِ في حَقّهِم، فكيْفَ تكونُ مَقالَةُ أهْلِ السُّنّةِ وَالجَماعَةِ؟! بَلْ والرَّافِضَةُ الإماميّةُ مَعَ أَنّهم مِن أجْهَلِ الخَلْقِ، وأنّهم لَيْس لهم عَقْلٌ وَلَا نَقْلٌ ولا دينٌ صحيحٌ، وَلَا دنيا مَنْصُورَةٌ، فَهُم يعلمونَ أنَّ مَقالَةَ هَؤُلاءِ مَقالَةُ الزّنادِقَةِ

---

(١) محمد بن الحسين، القاضي أبو يعلىٰ ابن الفراء البغدادي، كبير الحنابلة. سمع أبا الطيب بن منتاب، وابن معروف، وجماعة. روىٰ عنه ابنه القاضي أبو الحسين محمد، وغيره، ومصنفاته كثيرة، منها «أحكام القرآن»، و«مسائل الإيمان»، وغير ذلك. توفي سنة (٤٥٨). انظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٥٥)، و«تاريخ الإسلام» (١٠/ ١٠١)، و«الأعلام» (٦/ ٩٩).

المُنافقينَ، وَيَعْلمونَ أنَّ مقالَةَ هؤلاء الباطِنِيّةِ شَرٌّ من مَقالَةِ الغالِيَةِ الَّذينَ يَعْتقدونَ إلَهيّةَ عَلِيّ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

وَأَمّا القدْحُ في نَسَبِهم فهوَ مَأْثورٌ عَن جماهيرِ عُلماءِ الأُمّةِ مِن علماءِ الطّوائفِ، وَقَد تولّىٰ الخِلافَةَ غيرُهُم طَوَائِفُ، وَكانَ فِي بعضِهم مِنَ البِدعَةِ وَالظُّلْمِ ما فيهِ، فَلَم يقدَحِ النّاسُ في نَسَبِ أحَدٍ منْ أولئِكَ كَما قَدَحُوا في نَسَبِ هؤُلَاءِ، وَلَا نَسَبُوهم إِلىٰ الزّنْدَقَةِ والنّفاقِ كَمَا نَسَبُوا هَؤُلاءِ.

وَقَد قامَ مِن وَلَدِ عَلِيٍّ طَوائفُ مِن ولدِ الحَسَنِ وولَدِ الحُسَيْنِ كَمُحَمّدِ بن عبدِ اللهِ بنِ حسنٍ وأخيهِ إِبْراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حَسَنٍ وأَمْثالِهِما، وَلَم يطْعَن أحدٌ لا منْ أعدائِهِم ولا مِن غيرِ أعدائِهِم لا في نَسَبِهم ولا في إِسْلامِهِم.

وَكَذلك الدّاعي القائِمُ بِطَبَرِسْتانَ وَغيْرُه مِن العَلَوِيّين، وَكَذلك بَنُو حمود الَّذين تَغَلّبوا بِالأنْدَلُسِ مُدَّةً وأَمْثَالُ هَؤُلاءِ، لَمْ يَقْدَحْ أَحَدٌ في نَسبِهِم، وَلا في إِسْلامِهِم، وَقَد قُتِل جماعةٌ مِنَ الطّالِبِيّينَ عَلىٰ الخِلافَةِ لاسِيّما في الدّولَةِ العَبّاسِيّةِ، وَحُبِس طائِفَةٌ كَمُوسىٰ بنِ جعْفَرٍ وغيرِهِ، وَلَمْ يقدَح أَعْدَاؤهم في نَسَبِهم ولا دينِهم، وَسَببُ ذَلك أنَّ الأنْسابَ المَشْهورةَ أَمْرُها ظاهِرٌ مُتَداوِلٌ مِثْلَ الشَّمس لَا يَقْدِر العدُوُّ أَنْ يُطْفِئَهُ.

وَكَذلك إِسْلامُ الرّجُلِ وصِحَّةُ إيمانِهِ باللهِ وَرَسولِهِ أَمْرٌ لا يَخفىٰ، وَصاحِبُ النّسبِ والدّينِ لَوْ أرادَ عَدُوُّه أَنْ يُبْطِلَ نَسَبَه ودينَهُ وله هذِهِ الشُّهْرَة لَمْ يُمْكِنْه ذلك،

فإنّ هذا مِمّا تَتوافرُ الهِمَمُ والدّواعي عَلىٰ نَقْلِهِ، وَلا يجوزُ أنْ تَتّفِقَ عَلىٰ ذَلِك أقوالُ العُلماءِ.

وَهَؤلاء بَنُو عُبَيْدٍ! القداح مَا زَالَتْ عُلماءُ الأمَّةِ المَأْمونونَ عِلْمًا ودينًا يَقْدَحُونَ في نَسَبِهم ودينِهم، لَا يَذُمّونَهُم بِالرّفْضِ والتّشَيّعِ، فإنّ لهم في هذا شُركاءَ كَثيرينَ، بَلْ يجعلونَهم مِن القَرامطَةِ الباطِنِيّةِ الّذين مِنْهم الإسماعيليّةُ والنُّصيريّةُ، وَمِن جنسِهِم الخرميّةُ الْمُحَمِّرَةُ وأمثالُهم مِن الكفّارِ والمُنافقينَ الّذين كانوا يُظْهرونَ الإسلامَ، وَيُبْطنونَ الكُفْرَ».

إِلىٰ أنْ قالَ[1]: «بل ما ظَهَرَ عنهمْ من الزنْدَقة والنِّفاق ومُعادةِ ما جاء به الرَّسولُ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل علىٰ بُطْلان نَسَبِهم الفاطِميِّ، فإنَّ مَنْ يكونُ مِن أقاربِ النَّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائمين بالخِلافة في أمَّته لا تكون معاداتُه لِدينه كَمُعاداة هؤلاء، فلم يُعْرَفْ في بني هاشمٍ، ولا وَلَدِ أبي طالبٍ، بلْ ولا بني أميَّةَ مَنْ كان خليفةً وهو مُعادٍ لدينِ الإسلامِ، فضْلًا عنْ أنْ يكون معاديًا له كمُعاداةِ هؤلاء، بل أولادُ الملوك الذين لا دينَ لهم يكونُ فيهم نوعُ حميَّةٍ لدين آبائِهم وأسلافهم، فمَنْ كان مِن ولدِ سيِّد ولدِ آدم الذي بعثه الله بِالهدىٰ ودين الحقِّ - كيف يُعادي دينَه هذه المعاداةَ؟ ولِهذا نجدُ جميع المأمونين علىٰ دين الإسلامِ باطنًا وظاهرًا مُعادين لهؤلاء إلَّا مَنْ هو زنديقٌ عدوٌّ لله ورسولِه، أو جاهِلٌ لا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٣١ وما بعدها).

يَعْرِف ما بعثَ اللهُ به رسولَه، وهذا ممَّا يدلُّ علىٰ كفرِهم وكذِبِهم في نَسَبِهم».

إلىٰ أنْ قالَ: «وقدْ علم النَّاس مِن سيرةِ الحاكِم ما عَلِموا، وما فعله «هشتكين الدرزي» مولاه بأمْرِه مِن دعوةِ النَّاس إلىٰ عبادَتِه، ومُقاتلتِه أهلَ مِصْرَ علىٰ ذلك، ثُمَّ ذهابِه إلىٰ الشَّام حتَّىٰ أضلَّ وادي التيم بنِ ثعلبةَ.

وَالزَّنْدقة والنِّفاق فيهم إلىٰ اليوم، وعنْدَهم كُتُبُ الحاكمِ، وَقَدْ أخذْتُها منهُمْ، وقرأْتُ ما فيها منْ عبادَتِهم الحاكمَ، وإسقاطِه عنهم الصَّلاةَ وَالزَّكاةَ والصِّيامَ والحجَّ، وَتَسْميَةِ المُسْلمين المُوجبينَ لِهذه الواجباتِ، المُحَرِّمين لِمَا حرَّمَ اللهُ ورسولُهُ بِـ«الحَشْوِيَّةِ»، إلىٰ أمْثالِ ذلك مِن أنواعِ النِّفاق الَّتي لا تكاد تُحْصىٰ.

وبالجملَةِ، فاسْمُ الباطنِ الذي يدعونه مضْمونه الكفْرُ باللهِ، وملائِكته، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليومِ الآخرِ، بل هو جامِعٌ لكلِّ كُفْرٍ».

إلىٰ أنْ قال: «وَبَنَوْا أرصادًا علىٰ الجبال وغيرِ الجبال؛ يرصدونَ فيها الكواكِبَ يعبدونَها ويُسَبِّحونها، وَيَسْتنزلونَ رَوْحانيَّاتِها الَّتي هي شياطينُ تَنْزِل علىٰ المُشركين الكفَّار كشياطينِ الأصنامِ، ولأجْلِ ما كانوا عليه مِنَ الزَّندقةِ والبدْعة بَقِيَتِ البلادُ المصريَّةُ مدَّةَ دولتِهم نحوَ مائتي سَنَةٍ، قدِ انطفأَ نورُ الإسلام والإيمان فيها، حتَّىٰ قالتْ فيها العُلماءُ أنَّها كانتْ دارَ رِدَّةٍ ونِفاقٍ كَدارِ مُسَيْلمةَ الكذَّابِ. والقَرامِطَةُ الخارجون بأرْضِ العِراق الذين كانوا سَلَفًا لهؤلاء القَرامطةِ

ذَهَبُوا مِنَ العراق إلىٰ المَغْرب، ثمَّ جاءوا مِنَ المغْرِب إلىٰ مِصْرَ، فإنَّ كفْرَ هؤلاء ورِدَّتَهم منْ أعظمِ الكفر والرِّدَّةِ، وهمْ أعظمُ كفرًا وردَّةً منْ كفْرِ أتْباعِ مُسَيلمةَ الكذّابِ ونحوِهِ منَ الكذَّابينَ، فإنَّ أولئك لمْ يقولوا في الإلهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ والشَّرائعِ ما قاله أئمَّةُ هؤلاء، ولهذا يُمَيَّزُ بيْنَ قبورِهم وقبورِ المُسْلمين؛ كَما يُمَيَّز بينَ قبورِ المسلمين والكفّارِ، فإنَّ قبورَهم موجَّهَةٌ إلىٰ غيْرِ القِبلةِ» انْتَهىٰ.

وقالَ شيخ الإسلام -أَيْضًا(١)- في موْضِعٍ آخرَ: «ثمَّ الإسْماعيليَّةُ الَّذين كانوا ملوكَ القاهرَةِ، وكانوا يزْعمون أنَّهم خلفاءُ عَلَويُّون فاطميُّون، وهم عنْدَ أهلِ العلم منْ ذريَّةِ عُبَيْد الله القدّاح. وقال فيهم أبو حامدٍ الغزَّاليُّ -في كتابه الَّذي صنفه في الرَّدِّ عليهم-: «ظاهِرُ مذهبِهِم الرَّفضُ، وباطِنُهُ الكُفْرُ المحضُ».

وَقَدْ صنَّف القاضي وصْفَ مذاهبهمْ في كُتُبه، وكذلك غيرُ هؤلاء مِن علماءِ المُسلمين، وهؤلاءِ الغاليَةُ كفَّارٌ باتِّفاق المُسْلمين» انْتَهىٰ.

وَقال(٢) شيْخُ الإسلامِ -أَيْضًا- في موْضِعٍ آخرَ: «أئمَّةُ الباطنيَّةِ كَبَنِي عُبَيْد بنِ ميمون القدَّاح الَّذين ادَّعَوْا أنَّهم منْ ولدِ مُحمَّد بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرٍ، وَلَم يكونوا من ولدِهِ، بلْ كان جَدُّهم يهوديًّا رَبيبًا لمَجوسِيٍّ، فأظهَرَ التَّشيُّعَ، ولمْ يكونوا في الحقيقةِ علىٰ دينٍ واحدٍ من الشِّيعة لا الإماميَّةِ ولا الزَّيديَّةِ، بل ولا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٣٢٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤/ ١٦٠).

الغاليةِ الذين يعتقدون إلهيَّةَ عليٍّ أو نبوَّتَه، بلْ كانوا شرًّا منْ هؤلاء كُلِّهم، ولِهذا كثُرَتْ تصانيفُ العلماءِ المُسلمين في كشْفِ أسرارِهِمْ، وهتْكِ أستارِهِم، وكثُرَ غزوُ المُسلمين لهم، وقِصَصُهُم معروفَةٌ، وابنُ سينا وأهلُ بيتِهِ مِن أتباعِهم عَلىٰ عهدِ حاكمِهم المِصْرِيّ، ولهذا دخلَ ابنُ سينا في الفَلْسَفَةِ.

وهؤلاء يجعلون محمدَ بنَ إسماعيلَ هو الإمامَ المكتومَ، وأنَّهُ نسخَ شرعَ محمدِ بْنِ عبدِ اللهِ بْنِ عبدِ المُطَّلِبِ، ويقولونَ: إنَّ هؤلاء الإسماعيليَّةَ أئمَّةٌ معصومون، بل قدْ يقولون: إنَّهُم أفضلُ من الأنبياءِ، وقد يقولون: إِنَّهم آلهةٌ، ولِهذا أرْسَل الحاكِمُ غُلامَه «هشتكين الدرزي» إلىٰ وادي تيمِ الله بنِ ثَعْلبةَ بالشَّام، فأضَلَّ أهلَ تِلك النَّاحيةِ، وبقاياه فيهم إلىٰ اليوم، يقولون بإلهيَّةِ الحاكم، وقد خرَّجَهم عنْ دينِ الإسلامِ.

وَقَدِ ادَّعىٰ الرُّبوبيَّةَ، وكتبَ باسم الحاكم الرَّحمن الرَّحيم، واسْتَمال كَثيرًا منَ الجُهّال، وبذَلَ لهم المالَ، ونادَوْه باسمِ الإلهِ، وصنَّف لهُ بعضُ الباطنِيَّةِ كِتابا ذكرَ فيه أنَّ رُوح آدمَ انتقلَ إلىٰ عليٍّ، ثمَّ إليْهِ.

وهؤلاء الباطنيَّةُ لهم في مُعاداة الإسلام وأهلِهِ وقائِعُ مشهورَةٌ، وَكُتُبٌ مصنَّفَةٌ، وضررُهم علىٰ أمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ أعظَمُ منْ ضَرَرِ الكفَّار التَّترِ، وأكفَرُ مِن المشركين المُحاربين مِنَ الإفْرنْجِ، وغيرِهم فإنَّ هؤلاء يتظاهرون عنْدَ جهَّال المُسلمين بالتَّشَيُّع ومُوالاة أهلِ البيتِ، وهم في الحقيقة لا يؤمنون باللهِ،

ولا رسولِهِ، ولا بأمْرٍ ولا نَهْيٍ، ولا ثوابٍ ولا عِقابٍ، ولا جنَّةٍ ولا نارٍ، ويتأوَّلون كلامَ اللهِ ورسولِه علىٰ أمورٍ يفترُونها بِدَعْوىٰ أنَّها من علم الباطن، وليس لهم حَدٌّ محدودٌ فيما يدَّعُونه منَ الإلحادِ في أسماء الله تَعالىٰ وآياتِهِ، وَتَحْريفِ كلام الله ورسوله عن مواضِعه، ولا يَرَوْن الصلواتِ الخمْسَ ولا صيامَ شهْرِ رمضانَ، ولا حجَّ البيتِ الحرامِ، ولا تحريمَ ما حرَّم اللهُ ورسولُه من المَيْتَةِ والدَّمِ ولحْمِ الخنزيرِ، وغيرِ ذلك.

وهؤلاء يَدْعون المُسْتجيبَ لَهُم أوَّلًا إلىٰ التَّشَيُّعِ والْتِزامِ ما توجبه الرَّافضةُ وتحريمِ ما يحرِّمونه، ثُمَّ بعد هذا يَنْقُلُونه درجَةً بعْدَ درجَةٍ، حتَّىٰ ينقلونَه في الآخِرِ إلىٰ الِانسلاخِ منَ الإسلام، وأنَّ المقصودَ هو معرفَةُ أسرارِهم وهوَ العِلْم الَّذي بِهِ تكمُلُ النَّفْس كما تقولُ الفلاسفَةُ المَلاحدَةُ، فَمَن حصَلَ له هذا العِلْمُ وصَلَ إلىٰ الغايةِ، وسقطَتْ عنه العِباداتُ الَّتي تجِبُ علىٰ العامَّةِ كالصَّلواتِ وَصيامِ رمضانَ وحجِّ البيتِ، وحلَّتْ له المُحَرَّماتُ الَّتي لا تَحِلُّ لغيْرِهِ».

ثمَّ ذَكَرَ مَا تقدَّمَ عنْ أبي حامِدٍ الغزَّالِيِّ أنَّه قالَ فيهم: «ظاهِرُ مذهَبِهم الرَّفْضُ، وباطِنُه الكُفْرُ المَحْضُ»، انْتهىٰ.

* * *

فصل

وذَكَرَ **الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٧** عنْ عبدِ الرَّزّاق نوفل أنَّه نقلَ عَنِ الفلكيِّين أنَّهم قالوا بِأنَّ الأرْض كوكبٌ من الكواكبِ الَّتي تَدُور حولَ الشَّمس، وتَتْبَعها في سيْرِها أيْنَما سارَتْ، قال: «وهِي تدورُ بِنا حولَ نفسها مرَّةً كلَّ أرْبعٍ وعِشرينَ ساعَةً».

والجوابُ: أنْ يقالَ: هذا قولٌ باطلٌ مردودٌ بِالأدلَّةِ الكثيرَةِ مِن الكتابِ والسُّنَّةِ والإجْماعِ والمَعْقولِ الصَّحِيح، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقالَ فِي صَفْحَةِ ٣٨: إِنّ الأرْض تدورُ حول الشَّمس في فَلَك يبلغُ محيطُه ٥٨٠ مليونَ ميلٍ، فمُعَدَّلُ سرعتِها في هذه الحركَةِ يبلغُ ٦٠ ألفَ ميلٍ في السَّاعةِ أوْ بنحوِ ألفِ ميل في الدَّقيقة، والنِّظام الشَّمسيُّ كلُّه بما فيه الأرْضُ ينْهَب الفَضاء نَهْبًا بسرعةٍ لا تَقِلُّ عن ٢٠ ألفَ ميلٍ في السّاعة، أي أكْثرَ مِن ٣٠٠ ميلٍ في الدَّقيقة مُتَّجهَةً نحوَ برج «هركيوليس».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يقالَ: إِنَّ إثباتَ مثْلِ هذه الأمور يحتاج إِلىٰ نصٍّ قاطعٍ من كتاب الله تَعالىٰ أو مِن سنَّةٍ رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولمْ يقُمْ علىٰ شيْءٍ تَخرَّصوه دليلُ أَلْبَتَّةَ، لا منَ المنقولِ، ولا مِنَ المعقولِ الصّحيحِ، وَقَد انقطَعَ الوحْيُ من السّماء بموْتِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولمْ يبْقَ معَ المُدَّعين سِوىٰ التَّخرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم: ٢٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقَد جمعَتْ هذه الآيةُ الكريمَةُ بيْنَ الأمْرِ باتِّباع ما أنْزل الله، والنَّهْيِ عنِ اتّباع ما سوىٰ ذلكَ مِن أقوالِ المُتخرِّصين.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: ليْسَ لِلأرضِ فَلَكٌ تدورُ فيه كما زَعَمَ ذلك أهلُ الهَذَيانِ والتَّخرُّص، وإِنَّما الفَلَكُ للشَّمْس والقَمَرِ والنُّجوم واللَّيْلِ والنَّهار، قال

اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

قال ابْنُ جريرٍ(١): «قولُه: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يقولُ: «وكُلُّ ما ذكرْنَا مِنَ الشَّمس والقَمر واللَّيْلِ والنَّهارِ في فَلَكٍ يجْرُون، وبنَحْوِ الَّذي قُلْنَا في ذلك قال أهْلُ التَّأويلِ».

وقالَ ابنُ كثيرٍ(٢): «قولُه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يعْني اللَّيْلَ والنّهار والشَّمس والقمر كُلُّهم يَسْبَحُون أيْ يدُورون في فَلَكِ السَّماء. قاله ابنُ عبّاس وعِكرمةُ والضّحّاكُ والحسَنُ وقتادَةُ وعطاءٌ الخُراسانِيّ.

وقالَ شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابْنُ تيميَّةَ(٣) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وَاللهُ سبْحانَهُ قد أخْبر بأنَّ الشَّمس والقمرَ واللَّيْل والنَّهار كلُّ ذلك يَسْبَح في

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٧٩).

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٦٠٠).

الفَلَك فقالَ تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

والفَلَكُ هو المُسْتديرُ كما ذكَرَ ذلك مَنْ ذكَرَهُ منَ الصّحابةِ والتَّابعين وغيرِهم مِن علماء المسلمين. والمُسْتدير يَظْهَر شيئًا بعْدَ شيءٍ، فيَراه القريبُ منْهُ قبلَ البعيد عَنْه».

وقال الشَّيْخُ -أَيْضًا[(١)]-: «لفْظُ الفَلَك يدلُّ علىٰ الاستدارَةِ، وعلىٰ سُرْعَةِ الحركةِ؛ كما في دَوران فَلَكَةِ المِغْزل ودَوَران الرَّحىٰ».

وقالَ -أَيْضًا-: «وَالسِّباحةُ تتضمَّن الجَرْي بِسرعةٍ كما ذكَرَ ذلك أَهْلُ اللُّغة»[(٢)]، انْتَهىٰ.

وأمَّا الأرض، فإنَّها ساكنَةٌ ثابتَةٌ لا تتحرَّك، ولا تزولُ مِن موضِعها فضلًا عنْ أن يكون لها فَلك تدور فيه، وقد ذكَرْتُ الأدلَّةَ علىٰ سكونها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وأمَّا تحديدُهم لمُحيط فَلَكِ الأرْضِ الَّذي تَوَهَّموه بعقولِهم الفاسدَةِ بما يَنِيف علىٰ سبعينَ ألفَ سَنَةٍ، وتحديدُهم -أَيْضًا- لمعدَّلِ سرعتِها في السّاعة والدَّقيقةِ، وما زعموه -أَيْضًا- من النِّظام الشَّمسي وسرعةِ سيره في السّاعة

(١) انظر: المصدر السابق (٥/ ١٥٠).

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٤).

والدَّقيقة، واتِّجاهه نحوَ برج «هركيولس»، فكلُّه هذيان لا يقولُه عاقِلٌ، ونسْبَةُ هذا الهذيانِ إلىٰ المسلمين فِرْيةٌ بِلا مِرْيَةَ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقدْ ذكرْتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» ما ذكرَهُ العُلماءُ مِن الإجماعِ علىٰ أنَّ السّمَوات مُسْتديرَةٌ، وما ذكروه -أَيْضًا- مِنَ الإجماعِ علىٰ أنَّ الأرْضَ مثْلُ الكُرَةِ، وبيانُ أنّها مُثبتَةٌ في وسطِ كرة السّماء كالنُّقطة في الدَّائرة، وذكرْتُ -أَيْضًا- النّصَّ علىٰ أنَّ بيْنَ السّماء والأرض مسيرةَ خَمْسِمائةِ سَنَةٍ، وأنَّ كسْفَ كُلِّ سماءٍ مَسِيرَةُ خمْسِمائة سنَةٍ، فلو كان لِلأرْضِ فلكٌ يبلغُ محيطه ٥٨٠ مليون ميلٍ -كما زعم ذلك مَنْ زعمه مِن فلاسفة الإفرنجِ ومَنْ يقلِّدهم ويحْذُو حذْوَهم مِن ضعفاءِ البصيرَةِ منَ المسلمين- لكانَ مدارُها منْ فوقِ الكُرْسِيّ بمسافَةٍ بعيدَةٍ، وهذا ظاهِرُ البُطْلانِ.

وَأَيْضًا، فالسّمواتُ السبْعُ الشّديدةُ البناءِ الَّتي ليس لها فروجٌ، وليس فيها فطورٌ، قد أحاطَتْ بالأرض من كلِّ جانبٍ، وَالكُرْسِيُّ مِنْ فوقِ السَّموات قدْ

أحاطَ بالجميعِ؛ فلا طريقَ للأرْضِ إلىٰ اخْتراق السّموات وَالكرسِيِّ، والصُّعود إلىٰ ما فوقَ ذلك حتَّىٰ يتهيَّأَ لها الدَّورانُ في الفَلَكِ الَّذي توهَّموه بِعقولهم الفاسدةِ.

وَإنّما قال أعداءُ اللهِ ما قالوه مِن هذا الهَذيانِ الذي يَضْحَكُ منْهُ كلُّ عاقلٍ؛ لأَنَّهم يرَوْنَ أنَّ سَعَة الجوِّ غيرُ متناهيَةٍ، وأنَّه ليْسَ فوقَنا سَموات مبنيَّةٌ شِدادٌ، كِثَفُ كُلِّ واحدةٍ مِنْهن خمْسُمائة سنة، والأرض في وسَطِ السّماء الدُّنيا منْهُن، وَكُلّ سماءٍ منهن محيطَةٌ بما تحتها وما حَوَت.

وقدْ وجد أعداءُ الله لِتَخَرُّصاتِهم وهذيانِهم قَبولًا عنْدَ الأغبياءِ مِن المسلمين، وهذا منْ أكبَرِ مَقاصدِ أعداءِ اللهِ؛ فإنَّهم حريصون عَلىٰ إضلال المُسْلمين ورَدِّهم إلىٰ الكُفر كما أخْبرَ اللهُ عنهم بذلك في قوْلِه تَعالىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [آل عمران: ٩٩-١٠١].

وَفي هذه الآيَةِ الأخيرَةِ الحَثُّ علىٰ التَّمسُّك بالكِتاب والسُّنَّة، وفي الآياتِ الَّتي قبْلَها التَّحذيرُ من طاعةِ أعداءِ اللهِ تَعالىٰ والإصْغاء إلىٰ تَخرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة الَّتي تصدُّ عن سبيل الله تَعالىٰ، وتورد مَن أصغىٰ إليها مَواردَ العَطَبِ، فمنْ تمسَّك بالكتابِ والسُّنَّة حصلَتْ له الهِداية في الدُّنيا والسّعادةُ في الآخرة، ومَنْ أعْرض عنْهما وتمسَّك بظنون النّاس وتَخرُّصاتهم، فقَدْ ضلَّ وشقِيَ في الدُّنيا والآخِرَةِ.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

قالَ ابنُ عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «مَنِ اقْتَدىٰ بِكِتَابِ اللهِ لَا يَضِلُّ في الدُّنْيا، وَلَا يَشْقىٰ في الآخِرَةِ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه: ١٢٣]»، رواهُ رزين وغيْرُه(١).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٣٨١) (٦٠٣٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٢٠) (٢٩٩٥٥)، (٧/ ١٣٦) (٣٤٧٨١)، وابن جرير في «التفسير» (١٦/ ١٩١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٨) (١٢٤٣٧)، وغيرهم من طرق عن ابنِ

وقال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٦- ١٥٨].

وإذا عُلِمَ هذا، فلابدَّ للمتكلِّم فيما يتعلَّق بالأرْضِ والسَّموات والشَّمس والقمر والنُّجومِ من أحدِ أمريْنِ:

إمَّا التَّمسُّكُ بما جاء عن الله تعالىٰ ورسولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في ذلك، وما أجمَعَ المُسلمونَ عليْه مِن ذلك، وَنَبذُ التَّخرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ وراءَ الظَّهر.

وإمَّا التَّمسُّك بتَخرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم، ونبذُ ما عارض ذلك منْ أدلَّة الكتابِ والسُّنّة والإجماعِ وراءَ الظَّهْر. فلْيَخْتَر المَرْءُ ما يناسِبُه مِن

=

عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

أحدِ الأمرَيْنِ، فَأمَّا الجمعُ بينهما فغَيْرُ ممْكِنٍ؛ لأنَّهُما ضِدّان فلا يجتمعانِ.

وكثيرٌ مِن العصريِّين المفتونين بتَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظنونِهم الكاذِبَةِ يرومون الجَمْعَ بين ما أخبَرَ الله به ورسولُه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبيْنَ تَخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظُنُونِهم الكاذبَةِ، وَذلك بحَمْلِ الآياتِ والأحاديثِ علىٰ غيْرِ مَحامِلِها؛ لِتتّفقَ مَع ظنونِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وَتَخَرُّصاتهم، فيجمَعون بيْنَ قَبُول الباطِلِ وبَيْنَ الإلحادِ في آياتِ اللهِ تَعالىٰ وتحريفِ الكلِمِ عنْ مواضِعِه.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ الله تَعالىٰ نصَّ علىٰ جَريان الشَّمس في مواضِعَ منْ كتابه، وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها تسبَحُ في الفَلَكِ، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّه يأتي بها من المَشْرق، ونَصَّ -أَيْضًا- عَلىٰ طلوعِها وتَزاوُرِها ودُلوكِها وغروبِها.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [إبراهيم: ٣٣]، والدَّأْبُ إدامَةُ السَّيْرِ كما نَصَّ علىٰ ذلك أئِمَّة اللُّغةِ وقرَّر معناه أهلُ التَّفْسيرِ، وفي هذه الآياتِ أوضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ الشَّمس تجري وتدورُ علىٰ الأرْضِ لِقيام معايشِ العِباد ومَصالِحِهم.

وَقَدْ نَصَّ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ جَريان الشَّمس وطُلوعها وارْتِفاعها وزَوالِها ودُنُوِّها منَ الغُروب وغُروبها، وأخْبَرَ أنَّها تذهب بعد الغُروب حتَّىٰ تنتهيَ إِلىٰ مُسْتقرِّها تحتَ العرْشِ، فتَخِرُّ ساجدَةً، ثمَّ يقالُ لها: ارْتَفِعي،

ارْجعي مِن حيثُ جئْتِ، فتَرْجِع فَتُصْبح طالعَةً منْ مطلعِها(١).

وَكُلُّ ذلك يدلُّ علىٰ دورانِ الشَّمس علىٰ الأرْضِ علىٰ الدَّوام، وَرَدٌّ ما هَذَىٰ به المُتَخرِّصون مِن كونِ النِّظام الشَّمسي يَنْهب الفضاءَ نهبًا بِسرعةٍ مُتَّجهًا نحوَ «بُرْجِ هركيوليس».

الوجْهُ الرَّابع: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينقُضُ بعضُه بعضًا، فقدْ ذَكَرَ في هذا الموْضعِ أنَّ النِّظام الشَّمسيَّ ينهَبُ الفضاءَ نهبًا بسرعَةٍ متَّجهةٍ نحوَ «برج هركيوليس»، وذَكَرَ فِي صَفْحَةِ ٤٣ أنَّ الشَّمس والكواكِبَ السَّيَّارةَ وأقمارَها تجري في الفَضاء نَحو «برج النَّسْرِ» بسُرْعةٍ غيرِ معهودَةٍ لنَا علىٰ الأرْضِ، وقال فِي صَفْحَةِ ٦١ أنَّ الشَّمس ثابتةٌ ومتحرِّكةٌ في آنٍ واحدٍ ثابتَةٌ علىٰ مِحورِها، ومتحَرِّكةٌ حوْلَ هذا المِحورِ، أيْ دائرَةٌ حوْلَ نفسِها، ومِثْلُها مِثْلُ المَروحة السَّقفيَّةِ الكَهربائيَّةِ، وهذا تناقُضٌ عجيبٌ، وهكذا الباطل لا تجِدُه إلَّا مختَلِفًا ينْقضُ بعضُه بعضًا؛ كما قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

* * *

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٩)، وغيره من حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به.

فصل

وقالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨: «أمَّا عُمْرُ الأرْضِ، فقَدْ بَدَأَ الإنسانُ تكهُّناتِه عنْهُ من آمادٍ بعيدَةٍ، ففي القَرْن السَّابعَ عَشَرَ، قال أحدُ المفكِّرين واسْمُه «جيمس أوثر»: إنَّ العالَم بدأَ يومَ ٢٦ أكتوبر سنَةَ ٤٠٠٤ قبْلَ الميلادِ.

وجاءَ في أحدِ الكُتُبِ الهِنديَّة المقدَّسةِ أنَّ عُمْرَ العالم ١٩٧٢٩٤٩٠٥٦ سَنَة، وفي العَصْر الحديثِ بدأتِ الجهود الَّتي يبذلها الفلكيُّون في المراصدِ تلتَقِي عنْدَ أدقِّ رقْمٍ يمكنُ أنْ يعتبَرَ أصَحَّ تقديرٍ لِعُمْرِ الكرَةِ الأرْضِيّةِ، فقدْ دلَّت آخِرُ التقديراتِ القائمَةِ علىٰ دِراساتٍ فلكيَّةٍ وأبحاثٍ علميَّةٍ في مراصد «ليك ومونت ويلسون وبالومار» عَلىٰ أنَّ عُمْرَ الكرةِ الأرضيَّةِ حَوالَيْ ٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠ سَنَة، وَنِسبةُ الخطأِ في تقديرِ هذا الرَّقْمِ يَقْرُب مِن ٢٠٪، وَيعْتمِدُ الفلكيُّون في عُمْر الكرَةِ الأرضيَّةِ علىٰ النَّظريَّةِ القائلَةِ بِأنَّ شيئًا حَدَثَ في الفضاءِ في قديمِ الزَّمان جَعَل المادَّةَ تتناثَرُ منْ مركزٍ مُشْتركٍ واحِدٍ.

وقدْ دلَّتِ الدِّراسةُ الَّتي استمرَّتْ ٢٠ عامًا لِلضَّوْءِ المنْبعثِ مِن الكواكِبِ البعيدَةِ علىٰ أنَّ هذه الكواكِبَ لا تزالُ مُمْعِنَةً في الِابتعادِ في الفضاء، وأنَّ سرعتَها تزداد كلَّما ازداد ابتعادُها، وقدْ قضىٰ الفلكيُّون في معرفَةِ ذلك سَبْعَة أعوامٍ بالمراصِدِ المذكورَةِ يُراقبون ٨٠٠ كوكَبٍ و٢٦ مجموعَةٍ مِنَ الكواكب».

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: إنَّ التَّكهُّن منْ أمورِ الجاهليَّةِ، وليْسَ مِن علومِ المُسْلمين، ومَع هذا فقَدْ أدخلَهُ الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نسبَهُ إلىٰ المُسْلمين، وَهذا مِن أكبَرِ الخطأِ، وَأَعْظَمِ الفِرْيَةِ، وَقَد قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ** ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قال أبو قِلابَةَ[1]: «هِي -واللهِ- لِكُلِّ مُفْترٍ إلىٰ يوْمِ القيامَةِ»[2].

وَالوَجْهُ الثَّاني: أنَّ التَّكهُّنَ هو التَّحكُّمُ عَلىٰ الغيْبِ والتَّعاطي لِما اسْتأْثَرَ اللهُ بعِلْمِه.

قالَ ابنُ منظُور في «لِسان العَربِ»: «كَهَنَ لَهُ، وَتَكَهَّنَ لَهُ: قَضَىٰ لَهُ بِالغَيْبِ». وَكذا قال صاحِبُ القاموسِ[3].

---

(١) هو عبد الله بن زيد الجرمي، أبو قلابة البصري، روىٰ عن أنس بن مالك، وثابت بن الضحاك، وغيرهما. روىٰ عنه أيوب السختياني، وثابت البناني، وحميد الطويل، وخلق. ثقة فاضل كثير الإرسال، قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات سنة (١٠٤)، وقيل: بعدها. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٥٤٢)، و«التقريب» (٣٣٣٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٤٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (٥/ ١٥٧١)، وغيرهما من طرق عن أبي قلابة به.

(٣) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣٦٢)، و«القاموس المحيط» (ص١٢٢٨).

قال ابْنُ منظورٍ: «ويُقال: كَهَنَ لَهُم إذا قالَ لهم قَوْلَ الكهَنَةِ». وَنَقل مُرْتضىٰ الحُسينِيّ في «تاجِ العَروسِ»(١) عَنِ التَّوشيح أنَّ الكهانَة ادِّعاءُ علْمِ الغيب، قال: وَمِثْلُه في «ضوْءِ النِّبْراسِ»، و«أفْعالِ ابْنِ القَطاعِ»، وَ«الإِرْشاد».

وَقال الخَطّابِيُّ: «الكاهِنُ هو الَّذي يَدَّعي مُطالعَةَ عِلْم الغَيْبِ، وَيُخبر النَّاس عنِ الكَوائِنِ»(٢).

وَقال ابْنُ الأثيرِ: «الكاهِنُ الَّذي يَتعاطىٰ الخبرَ عنِ الكائناتِ في مسْتَقْبلِ الزَّمان، ويدَّعي معرفةَ الأسْرارِ»(٣).

قُلْتُ: ويقال -أَيْضًا- لِلَّذي يَدَّعي علْمَ الغيْبِ العرَّافُ وَالحازِي.

قالَ الجَوْهريُّ: «العَرَّاف الكاهِنُ»(٤).

وَقال الشَّيْخ أبو محمَّدٍ المَقدسيُّ في «المُغْني»(٥): «العَرَّاف الَّذي يَحْدِسُ وَيَتَخَرَّصُ».

وَقال ابْنُ الأثِيرِ: «العرَّاف المُنَجِّم أو الحازِي الَّذي يدَّعي علْمَ الغيْبِ، وَقَد

---

(١) (٣٦/ ٨١).

(٢) انظر: «معالم السنن» (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٤/ ٢١٤).

(٤) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٤٠٢).

(٥) (٩/ ٣٢).

اسْتأْثَرَ اللهُ بِه»[١].

وقالَ ابْنُ منظورٍ في «لسان العَرب»[٢]: «يُقال لِلحازِي عَرَّافٌ»، قالَ: «وَالعرَّافُ الكاهِن».

وَفي الحديثِ «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣] أرادَ بِالعرَّاف المُنَجِّمَ أو الحازِي الَّذي يدَّعِي علْمَ الغيْبِ الَّذي استأْثَرَ اللهُ بعلمه.

وقال شيْخُ الإسلامِ أبو العَبَّاس ابنُ تيميَّةَ[٤]: «العَرَّاف اسمٌ للكاهن والمُنَجِّم والرَّمَّال ونحوِهم؛ كالحازي الَّذي يدَّعِي علم الغيْبِ أو يدَّعِي الكشْفَ» انْتَهىٰ.

إذا عُلِمَ هذا؛ فكلُّ مَنِ ادَّعىٰ شيئًا من علم الغيبِ فهو طاغوتٌ كافِرٌ، ومَن صدَّقَه فهو مِمَّن آمَنَ بالطَّاغوتِ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢١٨).

(٢) (٩/ ٢٣٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٩)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٦-١٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٩) (١٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وعندهم بزيادة: «فصدقه»، وألفاظهم متقاربة وسياقاتهم فيها طول. وانظر: «الإرواء» (٢٠٠٦).

(٤) انظر: «مختصر الفتاوىٰ المصرية» (ص١٥٢).

وَقَدْ أخبر الله تعالىٰ عن الكاهن بأنَّه أفَّاكٌ أثيمٌ، وفي هذا أبلغُ ذَمٍّ للكُهَّان وأبلغ تحذيرٍ مِن تصديقِهم فيما يدَّعونه منْ علم الغيبِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣]، قال قَتادة: «همُ الكهنةُ يَسْترقُ الجنُّ السَّمعَ، ثمَّ يُلقون إلىٰ أوليائِهم منَ الإنْسِ»[(١)].

وَقال ابنُ كثيرٍ علىٰ قوله: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]: «أي كذوبٍ في قولِهِ، وهو الأفَّاك، أثِيمٍ وهُو الفاجِرُ في أفعالِه، فهذا هو الَّذي تنَزّل عليه الشَّياطينُ مِن الكُهّان وما جرىٰ مَجْراهم من الكَذَبة الفَسَقَةِ»[(٢)] انْتَهىٰ.

وقدْ روىٰ البزَّار عنْ عِمران بنِ حُصَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطيَّرَ أَوْ تُطيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكَهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ**»، قالَ المنذرِيُّ: «إسنادُهُ جيِّدٌ». وقال الهَيْثَمِيّ: «رجالُهُ رجالُ الصَّحيح خَلا إسحاقَ بْنَ الرّبيعِ، وَهُو ثِقَةٌ»[(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٤٠)، ومن طريقه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٤٣)، وغيرهما عن قتادة به.

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٧٢).

(٣) أخرجه البزار في «مسنده» (٩/ ٥٢) (٣٥٧٨)، وغيره من حديث عمران بن الحصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧)، و«الصحيحة» (٦/ ٣١١).

وَرَوىٰ الطَّبراني عنِ ابْنِ عبّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَهُ، قال المُنْذريُّ: «وَإسنادُهُ حَسَنٌ»(١).

وَرَوىٰ رزين عنِ ابن عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا **قال:** قال رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«مَنِ اقْتَبَسَ بَابًا مِنْ عِلْمِ النُّجُومِ لِغَيْرِ مَا ذِكْرِ اللهِ فَقَدِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ، المُنَجِّمُ كَاهِنٌ، وَالكَاهِنُ سَاحِرٌ، وَالسَّاحِرُ كافِرٌ»**(٢).

وَرُوِي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّهُ قالَ:** «الكاهِنُ ساحِرٌ، وَالسَّاحِرُ كَافِرٌ»، ذكرَهُ الذَّهبيُّ في كِتاب «الكبائِرِ»(٣).

ورَوىٰ الطَّبرانيُّ عنِ أبي الدَّرْداءِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لَنْ يَنَالَ الدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مَنْ تَكَهَّنَ، أَوِ اسْتَقْسَمَ، أَوْ رَجَعَ مِنْ سَفَرٍ تَطَيُّرًا»**، قَال المُنْذِريّ وَالهيثميُّ: «رَواهُ الطَّبرانيُّ بإسنادَيْنِ، ورِجالُ أحدِهما ثِقاتٌ».

قُلْتُ: وقد رواه ابْنُ مردويه وأبو نُعيمٍ والبَغويُّ بنحوِهِ، ولفظ البغويِّ: **«مَنْ تَكَهَّنَ أَوِ اسْتَقْسَمَ أَوْ تَطَيَّرَ طِيَرَةً تَرُدُّهُ عَنْ سَفَرِهِ لَمْ يَنْظُرْ إِلَىٰ الدَّرَجَاتِ العُلَىٰ مِنَ**

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٣٠١) (٤٢٦٢)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به. والحديث «حسن لغيره»، انظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٧)، و«الصحيحة» (٦/ ٣١١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الكبائر» (ص١٧١).

الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(١).

الوَجْه الثَّالثُ: أنَّ الصَّوَّاف ذكَرَ أقوالَ المُتكهِّنين في بَدْءِ العالَمِ، وَمُدَّة عُمُرِه وعُمُرِ الأرْضِ وأقرَّها، وَذَلك يدلُّ علىٰ رضاه بهذا التّكهُّن وَتَصْديقِه به، وتلكَ مُصيبَةٌ مِن أعظَمِ المَصائِبِ علىٰ هذا المِسْكين لو كانَ يعْقِلُ.

فَقد روىٰ الإمامُ أحمدُ وأهل السُّنَنِ والبُخارِيُّ في «التَّاريخِ الكبيرِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ كاهِنًا فَصدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، أَوْ أَتَىٰ امرَأَةً حَائِضًا، أَوْ أَتَىٰ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، وَفِي روايَةِ بعضِهِم: «**مَنْ أَتَىٰ حَائِضًا أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»(٢).

قَال الشَّيخُ عبد الرَّحمن بنُ حسنٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «شرْحِ التَّوحيدِ»(٣): «ظاهر الحديثِ أنَّه يكْفُرُ مَتىٰ اعتقَدَ صِدْقَهُ بأيِّ وجهٍ كانَ»، قال: «وَهَلِ الكُفْرُ في هذا المَوْضِع كُفْرٌ دونَ كُفرٍ؛ فلا يَنْقُل عنِ المِلَّة، أَوْ يُتَوَقّف فيه

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ١١٨) (٢٦٦٣)، وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٢٠٩-٢١٠) (٢١٠٤،٢١٠٣)، وتمام في «فوائده» (٢/ ١٦٨) (١٤٤٤)، وغيرهما من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٨)، و«الصحيحة» (٢١٦١).

(٢) تقدم قريبًا.

(٣) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٦).

فلا يُقال: يُخْرِج عن المِلَّة، ولا ما يُخْرِج، وهذا أَشْهَر الرِّوايتَيْنِ عنْ أحمَدَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

وقال القُرْطُبيُّ[1]: «المرادُ بِالمُنْزَلِ: الكِتابُ وَالسُّنَّةُ» انْتَهىٰ.

ورَوىٰ الإمام أحمدُ -أَيْضًا- والحاكم في «مسْتَدْركهِ» عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قال الحاكِمُ: صحيحٌ علىٰ شَرْطهما جميعًا وَلَمْ يخرجاهُ، ووافقَهُ الذَّهَبِيُّ في «تَلْخِيصِهِ».

وَرَوىٰ البزَّار عن عِمْران بنِ حُصَين رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطيَّرَ أَوْ تُطيِّرَ لَهُ، أَوْ تَكهَّنَ أَوْ تُكُهِّنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قَالَ المُنذريُّ: «إِسْنادُه جيِّدٌ»، وقال الهَيْثَميُّ: «رجالُهُ رجالُ الصَّحِيحِ خلا إسحاقَ بنَ الرّبيع، وهو ثقَةٌ».

قال الشَّيْخ عبد الرحمن بنُ حسنٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «شَرْحِ التَّوْحِيدِ»[2]: «كُلُّ مَن تَلَقَّىٰ هذِهِ الأمورَ عَمَّن تعاطاها، فقَدْ برِئَ منْهُ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) القرطبي: كذا وقع في «فتح المجيد»، والذي في «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد» (ص٣٥٠): «الطيبي»، وهو الصواب، وانظر: شرحه علىٰ مشكاة المصابيح المسمىٰ بـ«الكاشف عن حقائق السنن» (٣/ ٨٥٧).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٧).

لِكونِها إِمَّا شِرْكٌ كالطِّيَرةِ، أَوْ كُفْرٌ كالكهانَةِ وَالسِّحْرِ، فَمَنْ رَضِيَ بذلك وَتابعَ فَهُو كالفاعِلِ لِقَبُوله الباطِلَ واتِّباعِه» انْتهىٰ.

وَرَوىٰ البزَّار -أَيْضًا- عنْ جابِرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**مَنْ أَتىٰ كَاهِنًا فَصدَّقَهُ بِمَا قَالَ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قالَ المُنذريُّ: إسنادُهُ جيِّدٌ قَوِيٌّ[1].

وَرَوىٰ البزَّار -أَيْضًا- وأبو يَعْلىٰ عن ابْنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا أَوْ سَاحِرًا أَوْ كَاهِنًا، فَسَأَلَهُ؛ فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، قال المُنذريُّ: «إسنادُهُ جيِّدٌ»، وقال الهَيْثميُّ: «رواه البزَّار ورجالُهُ رجالُ الصَّحيح، خلا هبيرةَ بنَ يريمَ، وهو ثقَةٌ».

ورواه البزَّار -أَيْضًا- والطَّبراني في «الكبيرِ» وَ«الأَوْسط» بِنحوه، قال الهَيْثميُّ: «ورجالُ «الكبيرِ» والبزَّارِ: ثِقاتٌ»، وقال المُنْذري: «رواه الطَّبراني في «الكبيرِ» ورواتُه ثقاتٌ».

وَقد رواه أبو نُعَيم في «الحلْيَةِ» منْ حديث عمروِ بن قَيْسٍ المَلَائِيِّ عنْ أبي إسحاقَ - يعني السَّبِيعِيَّ- قال: حدثَنا هبيرة بنُ يريم عنْ عبد الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا أَوْ سَاحِرًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ**

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٣/ ٤٠٠) (٣٠٤٥) -كشف- من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وانظر: «الترغيب والترهيب» (٤/ ٣٤)، و«الصحيحة» (٣٣٨٧).

مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»، ثُمَّ قال أبو نعيمٍ: رواه الثَّوْرِيّ عنْ أبي إسحاقَ مثلَهُ، ورواه عَلْقَمة وهمّام بنُ الحارثِ عن عبد اللهِ موْقوفًا(١).

قَالَ الشَّيخ عبد الرحمن بنُ حسَنٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «شَرْح التَّوحيدِ»(٢): «فيهِ دليلٌ علىٰ كُفْرِ الكاهِنِ والسّاحرِ؛ لِأَنّهما يدَّعيانِ علْمَ الغيْبِ، وذلك كُفْرٌ، والمُصَدِّق لهما يعتَقِدُ ذلك ويرضىٰ بهِ، وذلك كُفْرٌ -أَيْضًا-»، انْتَهىٰ.

وَرَوىٰ الطَّبراني في «الأوْسَطِ» عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ بَرِئَ مِمَّا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **وَمَنْ أَتَاهُ غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»، قالَ الهيثميُّ: «فيهِ رشدين بنُ سعْدٍ، وهو ضَعيف، وفيه توثيقٌ في أحاديث الرّقاقِ، وبقيَّةُ رجالِهِ ثقاتٌ»(٣).

قلت: وَمَا تَقَدَّم من الأحاديث الصَّحيحةِ يشْهد له ويُقَوِّيهِ.

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٥/ ٢٥٦، ٣١٥) (١٨٧٣، ١٩٣١) -بحر-، وأبو يعلىٰ في «المسند» (٩/ ٢٨٠) (٥٤٠٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٧٦) (١٠٠٠٥)، وفي «الأوسط» (٢/ ١٢٢) (١٤٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٤) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، و«الترغيب والترهيب» (٤/ ١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤٨).

(٢) انظر: «فتح المجيد» (ص٢٩٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦/ ٣٧٨) (٦٦٧٠)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٥٢٣).

وروىٰ الطبراني -أَيْضًا- عن واثِلَة بنِ الأسْقع رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعْتُ رسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**مَنْ أَتَىٰ كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حُجِبَتْ عَنْهُ التَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً؛ فَإِنْ صَدَّقَهُ بِما قالَ كَفرَ**»، إسنادُهُ ضعيفٌ[1]، ولكنَّهُ يتقوَّىٰ بما تقدَّم وما يأتي.

وروىٰ الإمام أحمَدُ ومسلمٌ عن صفيَّةَ بنتِ أبي عبيد عَنْ بعضِ أزواجِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عنِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»[2].

وَروىٰ الطّبرانيُّ في «الأوْسَطِ» عنِ ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا لَمْ تُقبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**»، قالَ الهيثميُّ: «رجالُه ثِقاتٌ»[3].

وروىٰ الطبراني -أَيْضًا- في «الأوسَطِ» عن عمر بنِ الخطّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال سمعت رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقولُ: «**مَنْ أتىٰ عَرَّافًا لَمْ تقبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ**

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٦٩) (١٦٩)، وغيره من حديث واثلة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣٠)، وأحمد (٥/ ٣٨٠)، وغيرهما عن صفية، عن بعض أزواج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ١٠٧) (١٤٠٢)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٨).

لَيْلَةً»، قال الهيثمِيُّ: «رواه الطَّبراني عن شيْخِه مصعَبُ بنُ إبراهيمَ بنِ حمزة الدّهريِّ، ولمْ أعْرِفْه، وبقيَّةُ رجالِهِ رجالُ الصَّحيح»[1].

وَأَيْضًا، فإنَّ التّصديقَ بالتَّكهُّنِ منَ الإيمانِ بالجِبْتِ والطّاغوتِ، وقدْ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

قالَ عمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الجِبْتُ السِّحْرُ، والطّاغوتُ الشَّيْطانُ»[2]، وكذا قالَ الشَّعْبِيُّ[3][4] ومُجاهدٌ[5].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٧٦) (٩١٧٢)، وغيره من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧)، وقد أورد الحافظ ابن كثير تضعيف علي بن المديني لهذا الحديث. انظر: «مسند الفاروق» (١/ ١٩٨).

(٢) رواه البخاري معلقًا (٦/ ٤٥)، ووصله سعيد بن منصور في «سننه» (٢٥٣٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٥)، وغيرهم. قال الحافظ: «إسناده قوي»، انظر: «الفتح» (٨/ ٢٥١).

(٣) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو الكوفي روىٰ عن البراء بن عازب، وغيره. روىٰ عنه حصين بن عبد الرحمن السلمي، وخلائق. ثقة مشهور فقيه فاضل من الثالثة مات بعد المائة وله نحو من ثمانين. انظر: «تهذيب الكمال» (١٤/ ٢٨)، و«السير» (٤/ ٢٩٤)، و«التقريب» (٣٠٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، وغيره عن الشعبي به.

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٣٦)، وغيره عن مجاهد به.

وَقَد تقدّم حديثُ ابنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مرفوعًا، وفيه: «**وَالكَاهِنُ سَاحِرٌ**»، وعن عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مثْلُه، وتقدم -أيْضًا-.

وعن الشّعْبِيّ -أَيْضًا-: «الجبْتُ الكاهِنُ»(١)، وقال محمَّدُ بنُ سيرين ومكحول: «الجبْتُ الكاهِنُ، والطّاغوتُ السّاحرُ»، وقال سعيد بن جبير وأبو العالية: «الجِبْتُ السّاحر بِلسان الحبَشَةِ، والطّاغوت الكاهِنُ»(٢).

وقال الجَوْهريُّ: «الجبْتُ كلمَةٌ تقعُ عَلىٰ الصَّنَمِ، والكاهِنِ والسّاحِرِ، ونحوِ ذلك»(٣).

وقالَ جابرُ بْنُ عبدِ الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «الطّواغيتُ كُهّان تَنْزِلُ عليهِمُ الشَّياطينُ»، رواه ابنُ أبي حاتمٍ بإسنادٍ حَسَنٍ(٤).

ويَشْهد له قولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٢]، وقدْ تقدَّمَ قولُ قتادةَ أنّهم الكهنَةُ.

والمقصودُ ههنا التّحذيرُ مِن تصديقِ الّذين يتكهّنون ويدَّعون علْمَ الغيْبِ،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٤٤٧)، وغيره عن الشعبي به.

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٣/ ٣٢٧)، و«تفسير البغوي» (٢/ ٢٣٤).

(٣) انظر: «الصحاح» (١/ ٢٤٥).

(٤) رواه البخاري معلقًا (٦/ ٤٥)، ووصله ابن جرير في «التفسير» (٤/ ٥٥٨)، وابن أبي حاتم في «التفسير» أيضًا (٥٤٥٢) من طريق ابن جريج، أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ... فذكره.

وبيانُ أنَّ مَن صدّقهم في ذلك فهو مِمَّن آمنَ بالجبْتِ والطّاغوتِ شاءَ أَمْ أَبىٰ.

فَلْيستيقِظِ الصَّوَّاف مِن رَقْدتِه، وَلْيَنْتَبِهْ مِن غَفْلتِهِ، ولا يكنْ كحاطِبِ اللّيل يَضَع في حطبِهِ الأفاعي القاتِلَةَ وهو لا يَشْعر، بلْ إنّ ضررَ الأفاعي أوْهَىٰ ممّا وضعَهُ الصَّوَّاف في رسالَتِهِ مِن الأقوالِ الباطلةِ المتضمِّنة لِمُحادّةِ اللهِ تعالىٰ ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتّباع غيرِ سبيلِ المؤمنينَ؛ لِأَنَّ ضررَ هذه الأقوالِ الباطلةِ علىٰ الدّينِ، وضررَ الأفاعي علىٰ البَدَنِ، وَشَتّان ما بَيْن الضّررينِ.

الوَجْهُ الرَّابع: أنَّ ما زعمه أعداءُ الله تَعالىٰ مِن معرفة الشّهْر الَّذي بدَأَ فيه العالَمُ، وتعْيين اليومِ الَّذي بدأ فيهِ ذلك الشّهر، وتحديدُ عمْرِ العالمِ وعُمْر الأرْضِ- فكُلُّه تخرُّصٌ مردودٌ بِقول اللهِ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥].

وَقَوْله تَعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

وقوله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ﴾ [آل عمران: ١٧٩] الآيَةَ.

وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] الآيَةَ.

وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧].

وقولِه تَعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَفي الحديثِ الصّحيح أنَّ جبريلَ قال لِلنّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أخْبِرْني عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: **مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**»، رواهُ الإمام أحمَدُ، ومسلِمٌ، وأهْلُ السُّنَنِ مِن حديثِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

وَرواه الإمام أحمَدُ والشَّيخانِ وابْنُ مَاجَه مِن حديثِ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢).

وَرواه النّسائِيُّ منْ حديثِ أَبي هُريرَةَ، وأَبي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٣).

وَإِذا كانَ أَشْرَف المَلَائِكَةِ وأشْرَف البَشَرِ لا يَعْلَمان مَتَىٰ تقومُ السّاعَةُ، فغيرُهما مِنَ المخلوقينَ أَوْلَىٰ وأحْرَىٰ أنْ لا يَعْلَمُوا ذلكَ فضلًا عمّا يزعمه

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأحمد (١/ ٥٢)، وأبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، والنسائي (٤٩٩٠)، وابن ماجه (٦٣)، وغيرهم من حديث عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، وأحمد (٢/ ٤٢٦)، وابن ماجه (٦٤، ٤٠٤٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ به.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨)، والنسائي (٤٩٩١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة، وأبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا به.

المتخرِّصون من معرفةِ الشّهر الَّذي بدأ فيه العالَمُ، وتعيينِ اليومِ الذي بدَأَ فيه من ذلك الشّهر، وتحديدِ عُمْر العالَمِ وعمْرِ الأرْضِ.

وَلَقَد أحسَنَ الشّاعر[1] حيثُ يقول:

الغَيْـبُ يَعْلَمُـهُ المُهَـيْمِنُ وَحْـدَهُ ... وَعَـنِ الخَلَائِـقِ أَجْمَعِـينَ مُغَيَّـبُ

وَقَالَ آخَرُ:

الزَّجْـرُ وَالطَّيْـرُ وَالكُهَّـانُ كُلُّهُـمُ ... مُضَـلِّلُونَ وَدُونَ الغَيْـبِ أَقْفَـالُ

الوَجْهُ الخامِسُ: أَنَّهُ لم يجِئْ في كتاب الله تَعالىٰ ولا عَنْ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ لِلأرضِ عُمُرًا معلومًا إذا انْتَهىٰ زالت مِن مكانِها وذهبت بالكُلِّيَّة، بلِ الَّذي يدلُ عليه القرْآنُ العظيمُ أنَّ الأرْضَ لا تزالُ باقيةً إلىٰ الأبدِ إلَّا أنَّها تُبدَّلُ يومَ القيامَةِ. قالَ الله تَعالىٰ: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨]، فقدْ دلَّتْ هذه الآياتُ علىٰ أنَّ الأرْضَ لا تَزالُ باقيَةً علىٰ الأبدِ.

---

(١) نسبه العلامة ياقوت الحموي، والحافظ السيوطي إلىٰ «القاسم بن محمد بن بشار أبي محمد الأنباري النحوي»، انظر: «معجم الأدباء» (٥/ ٢٢٢٨)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٢٦١-٢٦٢).

وأمَّا تبديلُها يومَ القيامَةِ فقَدْ قالَ تَعالىٰ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال ابْنُ كثير[١]: «أي وَعْدُه هذا حاصِلٌ يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ، وهي هذه علىٰ غيْرِ الصِّفة المألوفة المعروفة».

ثُمَّ ذكر الأحاديثَ والآثار الواردة في تبديل الأرضِ، وهي كثيرةٌ، فلْتُراجع في آخر تفسيرِ سورةِ إبراهيمَ.

وأمَّا زعمُ الفلكيِّين أنَّ عمر الأرض حوالي ألف وأربعمائة مليون سَنَة، فهو تخرُّصٌ مردودٌ عليهم.

الوجْهُ السّادس: أنَّ الصَّوَّاف سمّىٰ رسالته «المسلمون وعلمُ الفلَكِ»، وذَكَر في مقدِّمَتِها فِي صَفْحَةِ ١٢ أنَّ ما جمعه فيها هو ممَّا تركه العلماء الأعلامُ، وقالَ فِي صَفْحَةِ ٥١ و٦٥ أنَّهُم سَلَفُه الصَّالحُ، وقال فِي صَفْحَةِ ٦٧ أنَّهُم علماؤُهُ الأعْلام، وقَدْ نَقَل في هذا المَوْضِع الَّذي نَرُدُّ عليه عن «جيمس أوثر» وَعَنْ الفلكيِّين أصحابِ المراصِدِ في «ليك ومونت ويلسون وبالومار» وَنَقَل -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٠ عن «لابلاس» وَفِي صَفْحَةِ ٤٣ عن «سيمون» وَفِي صَفْحَةِ ٥٨ عن الدُّكتور «توماس جولد» وَفِي صَفْحَةِ ٦٠ عن المَرْصَدِ الأمريكيّ، وعن الدكتور «دونالد مينزل» وَفِي صَفْحَةِ ٧١ عن «اللورد افبري» وَفِي صَفْحَةِ ٨٠

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥١٨).

عن البريطاني «سبريل هازارد» وزميله» البروفيسور شميدت» وَفِي صَفْحَةِ ١٠٨ عن «أرثر فندلاي» و«سيمون ينوك»، وهؤلاءِ كُلُّهم منَ الإفرنْجِ، ومع هذا فقدْ جعلَ الصَّوَّاف تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبةَ وتحكُّمَهم علىٰ الغيب مِن علومِ المُسْلمينَ! بَلْ ظاهرُ كلامِه أنَّه يرىٰ أنّهم مِن المُسْلمين، وَمِن العلماءِ الأعلامِ والسّلف الصَّالح.

نعوذُ باللهِ مِنْ تقليبِ الأفئدَةِ والأبْصارِ.

وَأَمَّا قولُه: وجاء في أحد الكُتب الهنديَّة المقدَّسة الخ.

فجَوابُه: أنْ يقالَ: إنّما تكون الكتب مقدَّسَةً إذا كانت مُنَزّلَةً مِن الله تَعالىٰ أو مأثورَةً عنِ الأنبياءِ -صلواتُ الله وسلامه عليهم أجمعين-.

فأَمَّا ما وضعه أعداءُ الرُّسل مِن عند أنْفسهم وما تُوحِيه الشَّياطينُ إليهم فهو باطِلٌ مردودٌ، وليس بِمُقَدَّسٍ.

وَكِتاب الهِنْد الَّذي نقل الصَّوَّاف عنْهُ تحديدَ عُمْرِ العالَم هوَ مِن هذا الجِنس الباطلِ المردودِ لِما فيه مِن التَّحكُّم علىٰ الغيب والتّعاطي لما استأْثَرَ اللهُ بعلمِهِ.

وَأَمَّا قولُه: «ويعتمد الفلكيون في عُمْرِ الكرَةِ الأرْضِيّةِ علىٰ النَّظريَّة القائلة بأنّ شيئًا حدَثَ في الفَضاء في قديم الزّمان جعلَ المادَّة تتناثر من مركَزٍ مشترَكٍ واحد».

فجوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن تخَرُّصات أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وظنونِهم الكاذبَةِ. وقدْ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقالَ تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وقالَ تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

[الذاريات: ١٠-١١].

وقد ذَكَرْتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» ما ذكره الألوسِيُّ(١) عن أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ في ذلك، وتعقَّبْتُه بالرَّدِّ، فلْيُراجَعْ ذلك في المِثال الخامِسَ عَشَرَ مِن الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة.

وَأَمَّا قولُه: «وقد دلَّت الدِّراسة الَّتي استمرت ٢٠ عامًا لِلضَّوْء المُنْبعِث مِن الكواكِبِ البعيدَةِ علىٰ أنَّ هذه الكواكِبَ لا تزال مُمْعِنةً في الابتعاد في الفضاء،

---

(١) هو محمود شكري بن عبد الله الآلوسي الحسيني، أبو المعالي: مؤرخ، عالم بالأدب والدين، له تصانيف منها «فتح المنان»، وغير ذلك. توفي سنة (١٣٤٢)، انظر: «الأعلام» (٧/ ١٧٣)، و«طبقات النسابين» (ص١٩٤).

وأنَّ سرعتَها تزداد كلَّما ازداد ابتعادُها».

فجَوَابه: أنْ يقالَ: هذا مِن جِنْس ما قَبْلَه منَ التَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ، وهذا القولُ الباطِلُ مبنيٌّ عَلىٰ قولهم: إنّ سَعَةَ الجَوّ غيرُ متناهيةٍ، وأنَّه ليس فوقَنا سَمواتٌ مبنيَّةٌ. وقدِ استوفيْتُ الرّدَّ علىٰ هذا القول الباطل في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المثال الثَّالث مِنَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجَديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

ولَوْ كان الأمرُ علىٰ ما زعموه مِنْ نفْيِ وجودِ السّمواتِ، وأنَّه ليس فوقنا إلَّا فضاءٌ لا نِهايَةَ لَهُ، وأنَّ الكواكب لا تزال مُمْعِنةً في الابتعاد فيه، لَكانَ يَخْتَفي ضوْؤُها عنْ أهلِ الأرض شيئًا فشيْئًا حتّىٰ لا يَرَوْا منها شيئًا، ويكفِي في معرفة بُطْلان قولِهم ما يشاهده النّاس مِن اسْتِمْرار ضَوْءِ كُلِّ كَوْكَبٍ عَلىٰ حاله علىٰ ممَرِّ الأزمانِ.

وَأَيْضًا، فإنّ الله تعالىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقَدْ حَكَىٰ غيرُ واحدٍ مِن العلماءِ الإجماعَ علىٰ أنَّ السّمواتِ مُسْتديرَةٌ،

وَقَرّروا أنَّ كُلَّ سماءٍ مُحيطةٌ بالسّماء الَّتي تحتها وما حوت، والكواكِبُ قد جُعِلَت زينةً للسّماءِ الدُّنيا بنصِّ القرآن.

فَالسّموات الشِّدادُ الَّتي ليس لها فروجٌ، وليس فيها فُطورٌ، مُحيطَةٌ بالكواكِب مِن كلِّ جانبٍ، ولا طريقَ لها إلىٰ ما زعموه منَ الابتعادِ المُتوَهَّم.

وَأَيْضًا، فإنّ الله -تَعالىٰ- قَد جعَلَ السّماء سقْفًا لِمَا تحتَها مِن المخلوقات، وجعَل الكواكبَ زينةً لهذا السَّقف المحفوظِ؛ فقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وَقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وَقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، وهذه الزِّينة لا تزال علىٰ حالها ما بقِيَتِ الدُّنيا، فإذا قامتِ القيامَةُ زالت هذه الزِّينةُ عن مَحلِّها، وانتَثَرت علىٰ الأرض؛ كما أخبرَ اللهُ تَعالىٰ بذلك في قولِه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: ١-٢]، وقولِه تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ١-٢]، قال البَغويُّ وغيرُهُ في قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ [التكوير: ٢] أي تَناثرتْ من السّماء،

وتساقطَتْ علىٰ الأرضِ؛ كما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢].

ورَوىٰ ابنُ أبي حاتم عن الشَّعْبي أنَّه سمع ابنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وجَهنَّم هو هذا البحْرُ الأخضرُ تَنْتثِرُ الكواكبُ فيه، وتُكوَّر في الشَّمس والقمَرُ، ثمَّ يوقَدُ؛ فيكون هو جهنّمَ»(١).

وروىٰ ابنُ أبي حاتم -أَيْضًا- عن ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «يكوِّر اللهُ الشَّمس والقمرَ والنُّجوم يومَ القيامة في البحْرِ، ويبعثُ ريحًا دَبورًا فيُضرمُها نارًا»، وكذا ذكَر البغويُّ في «تفسيرِهِ» عنِ ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال ابنُ كثيرٍ: «وكذا قال عامر الشَّعْبِيّ»(٢).

وفيما ذكرْتُه ههنا منَ الآيات وقولِ حبْرِ الأمَّة كفايَةٌ في رَدِّ ما زعمه أعداءُ اللهِ تَعالىٰ من كونِ الكواكب لا تزال مُمْعِنَةً في الابتعادِ عن الأرضِ.

وَأَيْضًا، فإنَّ الله تَعالىٰ قد جعل الكواكِبَ زينةً للسَّماء، ورُجومًا للشّياطين،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٩٤)، وابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٨٣)، وفي إسناده عمر بن اسماعيل بن مجالد «متروك»، وجده هو مجالد بن سعيد الهمداني الكوفي، ليس بالقوي، وقد تغير في آخر عمره. قاله في «التقريب».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩١٥٤) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا به، وفي إسناده مجالد بن سعيد، وقد تقدم بيان حاله، كما أن فيه -أيضًا- من لم يسم، وانظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩).

وعلاماتٍ يَهْتدِي بها أهلُ الأرضِ في ظُلمات البرِّ والبحر.

ولو كانَت لا تزال مُمْعنةً في الابتعاد عن الأرض كما زعَمَه أعداءُ الله تَعالىٰ لفاتَتْ هذه المَصالحُ مِنها، وفي بَقائها علىٰ حالِها علىٰ ممَرِّ الأزْمان أوْضَحُ دليلٍ علىٰ بُطْلان ما توهَّموه بعقولِهم الفاسدَةِ.

وَأَمَّا قولُه: «وقدْ قضىٰ الفلكيُّون في معرفَةِ ذلك سبْعَةَ أعوامٍ بالمَراصد المذكورَةِ يراقبون ٨٠٠ كوكبٍ و٢٦ مجموعَةً منَ الكواكب».

فجَوابُهُ: أنْ يقالَ: إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قدْ جعل الكواكب زينَةً للسّماء الدُّنْيا. وما في السّماء لا يُعْلم إلَّا من طريق الوَحْيِ، وقدِ انقطَعَ الوَحْيُ منَ السّماء بمَوْتِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فأَمَّا المَراصد والنَّظّاراتُ، فهي أضْعف وأعجزُ مِن أنْ يُتَوصَّل بِها إلىٰ العِلْم بِما في السّماء.

وإنَّما يعتَمِد أعداءُ اللهِ تَعالىٰ علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونِهم الكاذبَةِ، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وما زعموه مِن وجود المجموعات مِن الكواكبِ؛ فهوَ باطلٌ.

وَقَدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، في المِثال الثَّامنَ عَشَرَ مِن الأمْثلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجديدَةِ؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩: (عِلْم طَبقاتِ الأرْضِ): «وَلَقَد نشَأَ بسببِ هذه التّحقيقاتِ علْمٌ سُمِّيَ (بعلْمِ طبقاتِ الأرْضِ) وهوَ علْمٌ يختصُّ بدراسة الأرْضِ، ومعرِفَةِ تاريخِها ونشأَتِها وعمرِها، وكيْفَ تكوَّنَت طبقاتُها وما طَرَأَ عَلىٰ كلِّ طبقَةٍ مِن تغييرِ نتيجةٍ لعواملَ جُيولوجِيّةٍ أو حَيَوِيّة، وقدْ تمكّن بعضُ العلماءِ مِن معرفَةِ أشياءَ مهمّةٍ عن الأرضِ ومكوِّناتِها ومَا تحتَ قِشرتها، وهو ما يُسَمُّونه بعِلْم «الجيولوجيا»، وكلُّ هذه الدِّراسات تضيف في كلِّ لحظَةٍ وحينٍ أدلَّةً مُشْرقَةً علىٰ عظمَةِ الخالِق، ووُجود الصَّانع الحكيمِ العليمِ القديرِ».

والجَوابُ: أنْ يقالَ: أمَّا دَعوىٰ معرفَةِ تاريخ الأرْضِ ونشأَتِها وعُمْرها وكيفَ تكوَّنَت طبقاتُها، وما طرَأ علىٰ كل طبقَةٍ منْ تغييرٍ، فذلك من التَّحَكُّم علىٰ الغيب، والتَّعاطي لما اسْتأثَرَ اللهُ بعلمه؛ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥] الآية.

وَلَيْست هذه الأمورُ ممَّا يدْرَكُ عِلمُه بالعوامِلِ الجُيولوجِيّةِ أو الحيويَّةِ، وإنَّما تُعْلم منْ طريقِ الوحيِ، وقد انْقطع الوَحْيُ بموتِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ قال تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَأَمَّا قولُه: «وقد تمكَّن بعضُ العلماء من معرفَةِ أشياءَ مهمَّةٍ عن الأرض ومكوناتها».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس للأرْضِ ولا غيرِها مِن المخلوقاتِ خالقٌ ومُكَوِّن غيْر اللهِ تَعالىٰ.

قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وإضافَةُ التَّكوينِ إلىٰ العناصر هو مذهب الطبيعيِّين الَّذين يزعمون أنَّ الإيجادَ والتَّكوين ناشِئٌ عن الطَّبيعة، وذلك شركٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ هو الَّذي خلَقَ العناصِرَ، وخلَقَ ما تَكوّن منها فَلا يضاف التَّكْوينُ إلىٰ غيْرِه.

وَأَمَّا قولُه: «وكلُّ هذه الدِّراسات تضيف في كلِّ لحظة وحينٍ أدلَّةً مشرقةً علىٰ عظمة الخالق، ووجود الصَّانع».

فجوابُه: أنْ يقالَ: إنّ في القرآن والأحاديث الصحيحة كفايَةٌ وغُنْيَةٌ في الدَّلالةِ علىٰ عَظَمَةِ الخالق ووجود الصَّانع، ولا يُحْتاج معهما إلىٰ ما سواهُما مِنْ أقوالِ النّاس وآرائِهم، فضْلًا عنْ تَخَرُّصات أعداءِ الله وظنونهم الكاذبَةِ وَتَحكُّمهم علىٰ الغيْب.

قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] الآياتَ إلىٰ قولِهِ: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] إلىٰ قولِه: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، والآياتِ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ.

ورَوىٰ الإمامُ أحمدُ وابنُ مَاجه والحاكِمُ في «مستدركه» عن العِرباض بنِ ساريَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال «قَدْ تَركْتُكُم عَلَىٰ البَيْضاءِ **لَيْلُهَا كَنَهارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ**»، ورواه ابْنُ أبي عاصِمٍ في كِتابِ «السُّنَّةِ» بِنحوه، قال المنذِريُّ: «وإسنادُه حسَنٌ»(١).

وَرَوىٰ ابْنُ مَاجه -أَيْضًا- عنْ أبي الدَّرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**وَايم اللهِ، لَقَدْ تَركْتُكُمْ عَلَىٰ مِثْلِ البَيْضَاءِ لَيْلُهَا وَنهارُهَا سَوَاءٌ**»، قالَ أبو الدَّرداء: «صَدَقَ -واللهِ- رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، تركنَا -واللهِ- علىٰ مِثْلِ البيضاءِ لَيْلُهَا وَنهارُهَا سَوَاءٌ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٦)، وغيرهم من حديث العرباض رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٤٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥)، وغيره من حديث أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في

وَإذا عُلِم هذا فَمِن أقبحِ الجهل أنْ تجعلَ التَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ مِن أعداءِ اللهِ أدلَّةً علىٰ عظمةِ الخالق ووُجود الصَّانع، وأنْ يُقالَ: «إِنّها أدلَّةٌ مشرقةٌ»! وَهِي في الحقيقة بعكس ذلك ظُلُماتٌ بعضُها فوقَ بعضْ.

* * *

فصل

وقَال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩ و٤٠ و٤١ ما مُلَخَّصه:

(خَلْقُ الأرْضِ) قال اللهُ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۚ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، هذه الآيَةُ من الآياتِ المُعجزاتِ الَّتي أخبرَت بمَغيبٍ لا يَعْلمه إِلَّا الله. وجاءَ العِلْم الحديثُ يشير إلىٰ ما أشارت إليه هذه الآيَةُ البليغَةُ.

فقَدِ اختلفَتِ الآراء العِلميَّةُ منْذُ القديمِ علىٰ كيفيَّة نشوءِ الأرْضِ حتَّىٰ توَصَّل العلماءُ أخيرًا بعد البحوثِ العميقَةِ، وَبَعْد الِاختراعات العجيبَةِ لِلمراصِدِ والمَجاهر، وبَعْد تقدُّم أبحاثِ الجُيُولوجيا والتَّحاليل الأرضيَّةِ توصَّلوا إلىٰ النَّظرية الصَّحيحة في خلْقِ الأرْضِ، وَسُمِّيَت بنظرِيَّة «لابلاس» هذِهِ النَّظريةُ قرَّرت أنَّ الأرْضَ والشَّمس ومخْتَلفَ الكواكِبِ والأجرامِ إنَّما كانت سديمًا في

=

«الصحيحة» (٦٨٨).

الفَضاء، وأنَّ الأرض انْفَصَلت عنْ هذا السّديم. وهذا هو الذي أشارَ إليه القرآنُ العظيمُ في الآية الَّتي صدرنا بها هذا الموضوعَ قبْلَ «لابلاس»، وقيلَ غيْرُه مِن عُلماء الدُّنيا.

ويُؤيِّد هذه النَّظريَّةَ كما يقول العلماء أدِلّةٌ كثيرةٌ منها: شدَّةُ حرارةِ باطن الأرْضِ -إلىٰ أنْ قال، وبِتَقَدّم العلم أمْكن إلىٰ حدٍّ ما معرفَة العناصر المكونة للشّمس بتحليلٍ لطيف؛ فلكُلِّ عنْصُر عندَ احتراقه لوْنٌ خاصٌّ به. فوجد أنَّها تتكون منْ نفس العناصر الَّتي تتكون منها الأرْضُ.

بل اكتُشِفت عناصِرُ في الشَّمس قبل اكتشاف وجودِها في الأرض؛ وبذلك قرَّر العلم اليوم ما قرَّره القرآنُ وأشار إليه قبْلَ ألفِ وأربَعِمائة عامٍ مِن أنَّ الأرض والشَّمس والنُّجوم أيِ السّماء والأرضَ وما فيهما إنّما كانَتْ سديمًا انْفصل إلىٰ أجزاءٍ: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَالجوابُ: أنْ يقالَ: أمَّا ما زعمه مِن تَوصُّلِ الفلكيِّين إلىٰ معرفَةِ كيفيَّةِ نُشُوء الأرْضِ فهو زَعمٌ باطِلٌ مردودٌ بِقول اللهِ تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وكيفيَّةُ خلْقِ الأرْضِ منْ أمورِ الغيبِ الَّتي لا يعلمُها إلَّا اللهُ تَعالىٰ، أوْ مَن أطلَعَه علىٰ ذلك مِنَ المرسلين.

قالَ الله تَعالىٰ: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآيَةَ.

وقالَ تَعالىٰ: ﴿۞ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾

[الكهف: ٥١].

وَلَيس الغيبُ ممَّا يُتَوَصّل إليْهِ بالبُحوثِ والمَراصد وَالمجاهِرِ والأبحاثِ الجيولوجيَّة والتَّحاليل الأرضيَّة -كما زعمه الصَّوَّاف!-.

وَمَن ادّعىٰ علْمَ الغيْبِ بهذهِ الطُّرق فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقَه فهو ممَّن آمنَ بالطّاغوتِ شاءَ أم أَبىٰ.

وَأَمّا نظريَّةُ «لابلاس» فليسَتْ بصحيحةٍ كما زعمَهُ الصَّوَّاف! وإنَّما هي ظَنٌّ وتخرُّصٌ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَقَد ذكَر الله تَعالىٰ خلْقَ الأرض في مَواضِعَ كثيرةٍ منَ القرآن، وفصَّل ذلك في سورة «حم السجدة»؛ فقال تَعالىٰ: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا

بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فلَمْ يذكُرْ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنَّ الأرضَ كانت سديمًا في أوَّلِ الأمرِ، ولا أنَّها انفصلَتْ عن سديمٍ.

والسّديمُ هو «الضَّباب الرَّقيق»، قاله ابْنُ منظورٍ في «لسانِ العربِ»، وصاحب القاموسِ، وغيرُهما مِن أهل اللُّغة(١).

وَقَد روىٰ ابنُ جرير عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ اليهود أتَتِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألَتْه عن خلْقِ السّموات والأرضِ؛ فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«خَلَقَ اللهُ تَعَالَىٰ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ، ويَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الجِبَالَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنَافِعَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الأَرْبَعَاءِ الشَّجَرَ وَالمَاءَ وَالمَدَائِنَ وَالعُمْرَانَ وَالخَرَابَ، فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ:** ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠] **قال: وخلَقَ يومَ الخميس السّماء، وخلَقَ يوم الجمُعَة النُّجوم والشَّمس والقمرَ والمَلائكةَ إلىٰ ثلاثِ ساعاتٍ بقيَتْ منْهُ، وفي الثَّانيَةِ ألْقَىٰ الآفَةَ علىٰ كلِّ شيْءٍ ممَّا يَنْتَفِع به النَّاس، وفي الثَّالثة آدَمَ وأسكَنَه الجنَّةَ، وأمَرَ إبليسَ بالسُّجود له، وأخرَجَه منْها في آخِرِ ساعَةٍ»**(٢).

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٨٤)، و«القاموس المحيط» (ص١١٢٠).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٢)، =

وَفي هذا الحديث بيانُ خلْقِ السَّماء والأرض وما فيهما، وليْسَ فيه ما يدلُّ عل أنَّ الأرض كانت سديمًا في أوَّل الأمر، ولا أنَّها انْفَصلتْ عن السّديمِ.

وَرَوىٰ ابنُ جرير -أَيْضًا- عن عبدِ الله بْنِ سَلَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قال: «إنَّ اللهَ بدأَ الخَلْق يوْمَ الأحَدِ، فخلَقَ الأرَضينَ في الأحَدِ والاثْنيْنِ، وخلَقَ الأقواتَ والرّواسِيَ في الثُّلاثاءِ والأرْبعاءِ، وخلَقَ السَّمواتِ في الخميسِ والجُمُعةِ، وفَرَغَ في آخرِ ساعَةٍ منْ يومِ الجُمُعَة؛ فخلَقَ فيها آدَمَ علىٰ عَجَلٍ، فتلك السّاعةُ الَّتي تقومُ فيها السّاعَةُ»، وهذا الأثَرُ يدلُّ علىٰ ما دلَّ عليه الحديث قبْلَه منْ تقدمِ خلْقِ الأرْضِ علىٰ خلق السّمواتِ(١).

وَرَوىٰ عبدُ الرّزاق وعبْدُ بنُ حميْدٍ وابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتِمٍ وأبو الشَّيخِ عنْ مجاهِدٍ: «قال خلَقَ الله الأرض قبْلَ السّماء، فلمَّا خلِقَت ثارَ منْها دُخانٌ؛ فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١] فسّواهن سبْعَ سمواتٍ بعضُهُنّ فوقَ بعضٍ، وسبْعَ أرضين بعضُهن فوْقَ بعضٍ»(٢).

=

وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا به، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٩٧٣).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٤٦٤)، وغيره عن عبد الله بن سلام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وصحح الألباني إسناده في «مختصر العلو» (ص١٢٧).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٩، ٥٨٩)، وابن جرير (١/ ٤٦٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٧)، وغيرهم من طريق معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد به.

وَفِي الآياتِ الَّتي ذكرنا مع حديثي ابنِ عبّاس وعبد الله بْنِ سلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ دليلٌ علَىٰ أنَّ الأرضَ خُلِقت قبْل السّماء، وما فيها مِن الشَّمس وَالقَمر والنُّجومِ. وقدْ صرّح مجاهدٌ أنَّ الأرض خُلِقَت قبْلَ السّماء، وهو إنَّما تلَقّىٰ التّفسير عنِ ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي كُلِّ ما ذكرنا رَدٌّ لما قرَّرته نظريَّةُ «لابلاس» مِن أنَّ الأرْضَ والشَّمس ومختلفَ الكواكِب والأجرام كانت سديمًا في الفضاء، وأنَّ الأرض انْفصلَتْ عن هذا السّديمِ، وبيانُ أنّها نظريَّةٌ فاسدَةٌ، لا كما يزعم الصَّوَّاف أنّها نظريَّةٌ صحيحةٌ!

وفي ذلك -أَيْضًا- رَدٌّ لمَا ذَكَره الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٩٤ مِن كتابِه الَّذي سماه «ما دَلَّ عليه القرآنُ ممَّا يُعَضِّدُ الهيئَةَ الجديدَةَ» عنِ الفلاسفة المتأخرين أنَّهم ذهبوا إلىٰ أنَّ العالم كلَّه كان قطعةً واحدَةً؛ فأصابَتْه صدمةٌ، فتفَرَّق إلىٰ ما يُرىٰ منَ الأَجْرامِ.

والظّاهر أنَّ هذه النَّظريَّة هي نظريَّةُ «لابلاس» الَّتي ذكرها الصَّوَّاف، وإنَّما اخْتَلَف تعبيرُهم عنها، وقد ذكرتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الخامسَ عشَرَ منَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئَةِ الجديدَةِ، وتعقَّبْتُها بالرَّدِّ؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأمَّا قولُه: وجاءَ العلم الحديثُ يشير إلىٰ ما أشارت إليْهِ الآيةُ البليغَةُ.

فجَوابُهُ: أنْ يُقال ليْسَتْ تَخَرُّصات الفلكيِّين وظنونُهم الكاذبَةُ بِعِلْمٍ كما

توهَّمَه الصَّوَّاف وأشباهُه مِن العصريّين! وإنَّما هي تَحَكُّمٌ علىٰ الغيب، وذَلك هو الجهل علىٰ الحقيقةِ.

وأمَّا زعمُه أنَّ الآية مِن سورة الأنبياء أشارت إلىٰ ما جاء في نظريَّة «لابلاس».

فجوابُه: أنْ يقالَ: ليسَ في الآية الكريمة ما يشير إلىٰ أنَّ الأرض والشَّمس ومختلف الكواكب والأجرامِ كانت سديمًا في الفَضاء، وأنَّ الأرض انفصلت عن هذا السّديمِ.

وَإنّما الَّذي في الآية أنَّ السّموات والأرضَ كانتا رتْقًا ففتقَهُما اللهُ، وقد اخْتَلَف المفسِّرون في المراد بذلك، قال ابنُ الجوزيِّ[1]: «وَللمفسِّرين في المُراد به ثلاثَةُ أقوالٍ: أحدُها أنَّ السّمواتِ كانت رتْقًا لا تُمْطر، وكانت الأرضُ رتقًا لا تُنْبِت؛ ففتَقَ هذهِ بِالمطرِ، وهذهِ بالنّباتِ، رواه عبدُ الله بنُ دينارٍ عن ابن عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وبِه قال عطاءٌ وعكرمَةُ ومجاهدٌ في روايةٍ، والضّحاك في آخرين.

قلْتُ: وهذا مرويٌّ عنِ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه ابنُ أبي حاتِمٍ بإسنادٍ حسَنٍ عنْ عبد الله بنِ دينارٍ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ رجلًا أتاه يسْأَلُه عنْ: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠] قال: اذْهب إلىٰ ذلك

(١) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٨٩).

الشَّيخِ فاسْألهُ، ثمَّ تَعالَ فأخبِرْني بما قال لك، قالَ: فذهبَ إلىٰ ابْنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فسألَه، فقال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نَعَم، كانتِ السّموات رتْقًا لا تُمْطر، وكانت الأرْضُ رتْقًا لا تُنْبِت، فلما خلق لِلأرْضِ أهلًا فَتَقَ هذه بالمَطَرِ، وفتق هذه بالنَّبات. فرجع الرجلُ إلىٰ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فأخبرَهُ، فقال ابنُ عُمَر: الآنَ قد علمتُ أَنَّ ابنَ عبَّاس قد أوتيَ في القرآنِ عِلمًا، صَدَقَ، هكذا كانت.

قال ابنُ عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**قدْ كنْتُ أقولُ**: ما يُعْجبني جَراءَةُ ابْنِ عبّاس علىٰ تفسيرِ القرآنِ، فالآنَ عَلِمْتُ أنَّهُ قد أوتيَ في القرآنِ عِلمًا»(١).

قال ابنُ الجوزيِّ: «وَالثَّاني أنَّ السَّموات والأرْضَ كانتا مُلْتَصِقتيْنِ فَفَتَقَهُما اللهُ تَعالىٰ»، رواه العوفي عنِ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وبه قال الحَسَن وسعيدُ بنُ جبير وقتادةُ.

والثَّالث: «أنَّه فتَقَ مِن الأرضِ ستَّ أرَضِينَ؛ فصارَتْ سبْعًا، ومن السَّماء سِتَّ سمواتٍ؛ فصارَتْ سَبْعًا»، رَواه السُّدِّيُّ عنْ أشياخه، وابنُ أبي نَجِيحٍ عنْ مُجاهد»، انْتَهىٰ.

وقال السّدِّيُّ: عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابنِ عباسٍ، وعن مرة عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (١٣٦٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٢٠)، وغيرهما عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا به. وفي إسناده حمزة بن أبي محمد المدني، ضعيف، كما في «التقريب».

ابنِ مسعود، وعن ناس من أصحابِ النَّبيّ صَلَّاَللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍۚ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: «إنَّ الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كان عرْشُه علىٰ الماءِ، ولم يخلُقْ شيئًا غيرَ ما خلق قبْلَ الماءِ، فلمَّا أرادَ أنْ يخلُقَ الخَلْقَ أخرجَ مِنَ الماءِ دُخانًا؛ فارْتفع فوْقَ الماءِ فسَما عليه؛ فسَمّاه سماءً، ثمَّ أيْبَس الماءَ فجعلَهُ أرْضًا واحدَةً، ثمَّ فتَقَهَا فجعلها سبْعَ أرَضِينَ في يومَيْنِ في الأحدِ والاثنينِ، وخلقَ الجبالَ فيها وأقواتَ أهلِها وشجرَها وما ينبغي لها في يومين في الثُّلاثاء والأرْبعاء، وذلك حينَ يقول: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِى يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠] يقول: أنْبت شَجرَها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] يقول: أقواتَها لأهلِها: ﴿فِىٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: قُل لمَنْ يسألُك: هكذا الأمرُ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدُّخان مِن تنفس الماء حين تنفس؛ فجعَلها سماءً واحدةً، ثمَّ فتقها فجعلَها سبْعَ سمواتٍ في يومين في الخميس والجمعة، وَإِنَّما سُمِّي يومُ الجُمُعَةِ؛ لأنَّه جَمَع فيه خَلْقَ السّموات والأرض: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها مِن الملائِكة والخَلْق الَّذي فيها من البحار، وجبالِ البَرَدِ وما لا يعلَمُه غيرَه، ثمَّ زَيّن السّماء الدُّنيا بالكواكب، فجعلها زينَةً وحفظًا، تُحْفَظ منَ الشَّياطين، فلما فَرَغَ منْ خلْقِ ما أحبَّ، استوىٰ علىٰ العرْشِ، فذلك حينَ يقولُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقولُ: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، رواه ابنُ جريرٍ[١].

فهذِه أقوالُ المفسِّرين في تفسير الآية مِن سورةِ الأنبياء، وليس في شَيْءٍ منْها أنَّ الأرض كانت في أوَّل الأمرِ سديمًا، ولا أنَّها انفصَلَتْ عن السّديمِ.

وقد قال شيخ الإسلام أبو العبّاس ابنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَنْ فسَّر القرآنَ والحديثَ، وتأوَّلَه علىٰ غير التَّفسيرِ المعروفِ عن الصَّحابة وَالتَّابعين فهوَ مُفْتَرٍ علىٰ الله مُلْحِدٍ في آياتِ الله مُحرِّفٍ لِلكلِمِ عنْ مواضِعه»[٢] انْتَهىٰ.

وَقدِ اختلفَ المفسِّرون في مِقدار السِّتَّة الأيّام الَّتي خُلقتْ فيها السّمواتُ والأرضُ علىٰ قولَيْنِ، قال ابنُ كثيرٍ[٣]: «والجمهورُ علىٰ أنَّها كأيّامِنا هذه. وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا ومجاهدٍ والضَّحاكِ وكعبِ الأحبارِ أنَّ كلَّ يوم منْها كألف سنَةٍ ممَّا تعدُّون. رواه ابنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتم، واختار هذا القولَ الإمام أحمد بنُ حنبلٍ في كتابه الذي ردَّ فيه علىٰ الجهميةِ، وابنُ جرير وطائفةٌ من المتأخرين، وَاللهُ أَعْلَمُ»، انْتَهىٰ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١/ ٤٦٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٨٦)، وابن منده في «التوحيد» (٧٨)، قال ابن جرير: «ولست أعلمه صحيحًا، إذ كنت بإسناده مرتابًا».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (١/ ٢٧).

قلتُ: ويؤيِّد القولَ الأخيرَ ما تقدَّم من حديث ابنِ عبّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا «أنَّ اليهودَ أتتِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فسألَتْه عنْ خلقِ السَّمواتِ والأرْضِ...» الحديثَ.

وفيهِ: أنَّ الله تَعالىٰ خلقَ آدمَ، وأسكنَهُ الجنَّةَ، وأخرجَهُ منها في آخر ساعَةٍ من يومِ الجُمُعَةِ الَّذي هو آخرُ الأيّام الستَّةِ الَّتي خلقَ الله فيها السّمواتِ والأرْضِ؛ فهذا يدُلُّ علىٰ أنَّ تلك السّاعة كانتْ بقدر سنينَ كثيرَةٍ، وأنّ تلك الأيَّامَ ليست كأيَّامنا هذه، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأمَّا قولُه: ويؤيّد هذه النظريَّةَ أدلّةٌ منها: شدَّةُ حرارة باطنِ الأرضِ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وأيُّ دليلٍ في شدّة حرارةِ باطن الأرضِ علىٰ أنها كانت سديمًا في أوّل الأمر، أوْ أنَّها انفصلتْ عن السديم؟!

وَأمَّا قولُه: «وبتقدُّمِ العلم أمْكَن إلىٰ حدٍ مَا معرفَةُ العناصِرِ المُكوِّنَةِ للشَّمس؛ فوُجدَ أنّها تتكوَّن منْ نفسِ العناصِرِ الَّتي تتكوَّن منْها الأرْضُ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليْسَ هذا بِعلمٍ، وإنّما هو تخرُّصٌ وظنٌّ كاذبٌ، ومنازعَةٌ للرَّبِّ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فيما استأْثر بِهِ من علم الغيبِ، وقدْ تقدَّم التّنبيه علىٰ أنَّ هذا هو الجهل علىٰ الحقيقةِ.

وَأمَّا قولُه: العنَاصِر المكوِّنةُ للشّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليْس للشَّمس وَلا غيرِها منَ المخلوقات خالِقٌ ومُكوِّن

غيرَ اللهِ تعالىٰ. قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر: ٣].

وإضافَةُ التَّكوينِ إلىٰ العناصر هُو مذهَبُ الطَّبيعِيِّين الَّذين يزْعمون أنَّ الإيجادَ وَالتَّكوينَ نَاشِئٌ عنِ الطَّبيعةِ، وذلك شِرْكٌ باللهِ تَعالىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعالىٰ هو الَّذي خلقَ العناصرَ، وخلَقَ ما تكَوّن منْها؛ فلا يُضاف التكوينُ إلىٰ غيْرِه.

وَأَمَّا قولُه: «فوُجِد أنّها تتكوَّن من نفسِ العناصر الَّتي تتكوَّن منها الأرضُ».

فَجَوابُه منْ وجهَيْنِ:

أحدُهُمَا أنْ يُقالَ: ما زعمَهُ ههنا فهُوَ تخرُّصٌ وظَنٌّ كاذبٌ، وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

ومَن هو الَّذي ذهب إلىٰ الشَّمس، وحلَّلَ عناصرَها، وقابل بينَها وبين عناصِرِ الأرْض، حتَّىٰ عرَفَ مُشَابهة كُلٍّ منْهُمَا للآخرِ؟!

وعَناصِرُ الشَّمس مِن أمورِ الغيب الَّتي لا تُعْلم إلَّا مِن طريقِ الوَحْيِ، وَلَم يأتِ عن اللهِ تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيانٌ عن عناصرِ الشَّمس، وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ولوْ كانتْ عناصرُ الشَّمس مثْلُ عناصِرِ الأرْضِ لكانَتْ تُرابًا وأحجارًا وماءً مثل الأرْضِ، ولو كانت كذلك لمَا كانتْ سِراجًا وهّاجًا -كما وصفها الله بذلك

في كتابه-، وإنّما تكونُ بارِدَةً غيرَ مضيئَةٍ.

ولوْ كانت عَناصر الأرْضِ مثْلَ عناصِرِ الشَّمس لاحتَرَق ما علىٰ الأرض، ولم يُمكن أنْ يعيشَ عليها شيءٌ من الحيوانات ولا النّباتاتِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينقُضُ بعضُه بعضًا؛ فقدْ زعمَ ههنا أنَّه بِتَقدُّمِ العِلْم أمْكَن إلىٰ حَدٍّ ما مَعْرفةُ عناصرِ الشَّمس، فَوجد أنَّها تتكوَّن منْ نَفْس العناصِرِ الَّتي تتكوَّنُ منْها الأرْضُ. ثمَّ نَقَضَ ذلك فِي صَفْحَةِ ٥٨ حيثُ ذكر عن الفَلَكِيِّين أنَّ الشَّمس إنَّما هي كرَةٌ هائلَةٌ من الغازات المُلتهبَةِ، وكلٌّ منْ هذينِ القوليْنِ باطلٌ وضلال؛ إذ لا مُستندَ لهما سِوىٰ التَّخَرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ.

وَأمَّا قَوْلُه: «بلِ اكتُشِفت عناصِرُ في الشَّمس قبلَ اكتِشاف وُجودِها في الأرْضِ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنّ دعوىٰ اكتشافِ العناصر في الشَّمس دعوىٰ باطِلَةٌ لا مستند لها سوىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا**﴾ [النجم: ٢٨]، وقالَ تَعالىٰ: ﴿**قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ**﴾ [النمل: ٦٥].

والشَّمس في السّماء بِنَصِّ القرآن، وبَيْنَ السّماء والأرض مسيرَةُ خمْسِمِائَةِ سنَةٍ بنصِّ الأحاديثِ الثَّابتَةِ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمِن أينَ لِبَنِي آدَمَ أنْ يكتَشِفُوا عناصِرَ الشَّمس مِنْ هذا البُعْد الشّاسِع.

وَأَمَّا قولُه: «وبذلك قرّر العلمُ اليومَ ما قرَّره القرْآنُ، وأشارَ إليه قبل ألفٍ وأربعِمائةِ عامٍ من أنَّ الأرْضَ والشَّمس والنُّجومَ -أيِ السّماءَ والأرضَ وما فيهما- إنّما كانت سَديمًا انفَصَل إلىٰ أجزاء: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ بيَّنْتُ مِرارًا أنَّ ما سماه الصَّوَّاف ههنا عِلمًا، فليْسَ بعلمٍ، وإنّما هو جهلٌ علىٰ الحقيقة.

وَأَمَّا قولُه: «إنّ الأرْضَ والشَّمس والنُّجُوم كانت سديمًا انْفَصل إِلىٰ أجزاءٍ».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا قولٌ باطل وقد تقدَّم ردُّهُ قريبًا، وحمْلُ الآية مِن «سُورَةِ الأنبياءِ» علىٰ هذا القوْلِ الباطِلِ مِنَ الإلحادِ في آياتِ الله، وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه.

* * *

فصل

قال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤١ -٤٢:

(حَرَكةُ الأرْضِ والشَّمس) قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ

ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٨-٤٠].

اعتبر اكتشاف حركةِ الأرض بدورانها حول نفسِها وحوْلَ الشَّمس من أروع ما اكتشفه علْمُ الفَلَك، وقدْ سبق القرآن هذا العلمَ بما يزيد علىٰ ألفِ عام، ولمْ يصلِ العلمُ الحديثُ إلىٰ ما قرَّره القرآن مِن حركَةِ الشَّمس إلَّا أخيرًا، واعتبَر العلمُ اكتشاف هذه الحركة حَدثًا جديدًا في كتابِ الدُّنيا. لقد جمعَتِ الآيَةُ الشَّريفة علمًا اعتُبِرَ اكتشافُه في العصرِ الحديث نصرًا للعلم والعلماء؛ إذْ تقول الآيَةُ: إنّ المجموعَةَ الشَّمسية وما حولها تتحرَّك في الفَلَك وأنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بعيد فيه، وليس إلىٰ قريبٍ؛ إذ لا ينبغي أن تَلْحَق القمَرَ بالنُّزول إلىٰ فلكِهِ وأنّها تجري لمُسْتقرٍّ لها.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يقالَ: ليس للأرض حركةٌ كما زعمه الصَّوَّاف تَقْليدًا لكوبرنيك وهرشل وأتباعِهما مِن فلاسفة الإفرنج ومَن يقلِّدهم ويحذو حذْوَهم مِن العصْرِيِّين.

والقَوْل بحرَكَةِ الأرْضِ مخالِفٌ للأدِلَّة الكثيرَةِ منَ الكِتاب وَالسُّنَّةِ وإجماعِ المُسْلمينَ. وقدْ ذَكَرْتُ الأدِلَّةَ علىٰ سكونها مستوفاةً في أوّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَكُلُّ قولٍ خالف ما جاء عنِ الله تَعالىٰ ورسولِه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أَجْمَع عليه المسلمون، فمضروبٌ به عُرْض الحائِطِ، ومَردودٌ علىٰ قائِلِه كائنًا مَنْ كانَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ الله تَعالىٰ فرّق بينَ الأرْضِ والشَّمس؛ فأثْبَت لِلشّمس الجَريانَ في عِدَّة مواضِعَ مِن كتابِهِ، وأثْبَت لها السّبْح في الفَلَك، ونَصّ علىٰ أنَّه يأتي بها مِن المشرق، ونَصّ علىٰ طُلوعها ودُلوكها وغُروبها وَتزاورها، وَنَصَّ علىٰ أنَّها هي والقمرُ بِحُسْبانٍ، وأنَّه سخَّرَهما لعبادِهِ دائِبَيْنِ، وَالدُّؤوب إِدَامة السَّيْرِ -كَما نصَّ علىٰ ذلك أئمَّةُ اللُّغَةِ-.

وقدْ جاء عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إِثْبات جريانِ الشَّمس وسيرِها في الفَلَك أحاديثَ كثيرَةً صحيحةً، ذكرتها في «الصَّواعِق الشَّديدَة».

وأَمَّا الأرْض، فقد تَضافرَتِ الأدلَّةُ الكثيرَةُ مِن الكتاب والسُّنَّةِ علىٰ سكونها وثَباتها، وأجْمَعَ المُسْلمون علىٰ ذلك، وَأَجْمع عليهِ أهلُ الكِتاب -أَيْضًا- كما حكاهُ القُرْطبيُّ عنهُم في «تفسيرِه»[1]، ودلَّت علىٰ ذلك الأدِلَّةُ العقليَّةُ الصحيحَةُ. فأبَىٰ الصَّوَّافُ وأشباهُه مِن أَتْباع الإفرنج ومقلِّدوهم إِلَّا أنْ يجمعوا بيْنَ ما فرَّق اللهُ ورسولُه بينَهُما، وأنْ يُخالفوا إجماعَ المسلمين، وهذا عيْنُ المُحادَّةِ لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقدْ قال الله تعالىٰ: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ

---

(١) (١٠/ ٩٠).

جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

الوَجْه الثَّالثُ: أنَّ الآيتَيْن مِنْ سورَةِ: ﴿يسٓ﴾ لَيْس فيهِما ما يدُلُّ علىٰ حركَةِ الأرْضِ بوجْهٍ من الوجوه، ومَنِ استَدَلَّ بهما علىٰ حركة الأرضِ، فهو مُفْترٍ علىٰ الله، وقد قال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١١٧﴾ [يونس: ٦٩-١١٧].

الوَجْهُ الرَّابعُ: أنَّ الآيتينِ حجَّةٌ علىٰ الصَّوَّاف وأشباهِهِ مِن أتْباع أهل الهيئَةِ الجديدَةِ، فإنَّ فيهما النَّصَّ علىٰ جَريان الشَّمس إلىٰ مستقرِّها، والنَّصَّ علىٰ أنَّها تَسْبَح في الفَلَك، وهذا يَرُدُّ ما قرَّره الصَّوَّاف في صَفْحَةِ ٦١ مِن أنَّ الشَّمس ثابتَةٌ علىٰ مِحْورِها، ومُتَحرِّكة حولَ هذا المِحْور، وأنَّها مِثْل المِرْوحةِ السَّقْفيّةِ الكَهْربائِيَّة.

وقدْ جاء بيانُ جَريان الشَّمس إلىٰ مُستقرِّها في الحديث الصّحيحِ عَنْ أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ حينَ غَرُبَتِ الشَّمس: «**تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟**» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ**

تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَاللَّفْظُ لِلبُخَارِيِّ، وَرَوَاهُ الإمامُ أحمَدُ وأبُو دَاودَ الطَّيالِسِيُّ وَالتِّرْمذيُّ بنحْوِه، وَقالَ التِّرْمذيُّ: «هذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ»، قالَ: «وفي البابِ عنْ صفوانَ بْنِ عَسّالٍ، وَحُذيفةَ بْنِ أسيد، وَأَنَسٍ، وَأَبِي مُوسىٰ»، انْتَهىٰ.

وَفي رواية لِمُسْلم أنَّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟»، قالوا: اللهُ ورسولُه أعلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي، ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ؛ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا»، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٢٤)، ومسلم (١٥٩)، وأبو داود (٤٠٠٢)، والترمذي (٢١٨٦، ٣٢٢٧)، وأحمد (٥/ ١٥٢)، والطيالسي في «مسنده» (٤٦٢)، وغيرهم من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَهذا الحديثُ يوضِّح المُرادَ مِن قولِهِ تعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨].

وفيهِ الرّدُّ علىٰ مَنْ تأوَّلَ الآيَةَ عَلَىٰ غيْرِ تأويلِها كَالصَّوَّاف وأشْبَاهِهِ مِنَ المُتَخَرِّصين القائلينَ فِي كتابِ الله بغير عِلْمٍ.

فإنْ قيل: إنّ الشَّمسَ لا تزال طالعةً علىٰ الأرْضِ، ولكنَّها تَطْلع عَلىٰ جِهةٍ منْها، وتَغْرب عَنِ الجِهة الأخرىٰ، فأين يكونُ مُسْتَقرُّها الذي إذا انْتهتْ إليه سجَدَتْ، واستَأْذنت في الرُّجوع منَ المَشْرق؟

فالجَوابُ أنْ يُقال: حسْبُ المُسْلم أنْ يُؤْمِنَ بِما جاءَ في الأحادِيثِ الصحيحَةِ عنِ النَّبيّ ﷺ، ويَعْتَقِدَ أنَّه هو الحَقُّ، ولا يتكلَّفُ ما لا عِلْم له به مِنْ تعْيين المَوْضِع الَّذي تَسْجُدُ فيهِ الشَّمس، بلْ يَكِلُ علْمَ ذلك إلىٰ عالمِ الغَيْبِ والشّهادَةِ.

وقدْ جاء في «الصّحيحينِ» و«مُسْند الإمام أحمَدَ» عنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألْتُ رسولَ الله ﷺ عن قوْلِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨] قال «**مستقرها تحت العرش**».

فهَذا المُسْتَقرُّ الذي أخبَرَ به رسولُ الله ﷺ إذا انتهَتْ إليه الشَّمسُ سجدَتْ واستأذَنَتْ في الرُّجوع مِن المَشْرِق؛ فيؤذَنُ لَها، فإذا كانَ في آخِرِ الزَّمانِ سجدَتْ كما كانت تَسْجُدُ فلَم يُقْبَل منْها، واستأذنت في الرُّجوع مِن

المَشْرِق؛ فلَمْ يؤذَنْ لها، يقال لها: ارْجِعي من حيثُ جئت؛ فتطلُعُ مِن مغْرِبها.

وقدْ قال ابْنُ كثيرٍ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «البِدايَةِ والنِّهايَةِ»(١) في الكلام علىٰ حديث أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وما جاء فيه من سُجودِ الشَّمس ما مُلَخَّصُه: «لا يَدُلُّ علىٰ أنّها -أي الشَّمس- تَصْعَد إلىٰ فوق السّمواتِ مِن جهَتِنا حتَّىٰ تسجُدَ تحتَ العرشِ، بلْ هي تغرُب عن أعيننا وهي مسْتَمِرَّة في فَلَكِها الذي هي فيه، فإذا ذهَبَت فيه حتىٰ تَتَوسَّطَه وهو وقت نصف الليل، فإنَّها تكونُ أبعدَ ما تكون من العرْشِ؛ لأنَّه مُقَبَّب مِن جهةِ وجْهِ العالَم، وهذا محَلُّ سجودِها كما يناسِبها، كما أنَّه أقرَبُ ما يكونُ مِن العرْشِ وقتَ الزّوالِ مِن جِهتِنا، فإذا كانَتْ في مَحَلِّ سُجُودِها اسْتَأْذَنتِ الرَّبَّ جَلَّجَلَالُهُ في طُلُوعِها مِن المَشْرِق؛ فيُؤْذَن لنا؛ فتَبْدُو من جِهة المشرق، وهي مع ذلك كارِهَةٌ لِعُصاةِ بَنِي آدَمَ أنْ تَطْلعَ عليْهِم.

فَإذا كانَ الوَقْتُ الذي يريد اللهُ طلوعَها منْ جهة مغربها تسْجُد علىٰ عادَتِها وتسْتَأْذِن في الطُّلوع مِن عادَتِها؛ فلا يُؤْذَن لها، فَجاء أنَّها تَسْجُد -أَيْضًا- ثمَّ تَسْتَأْذِن فلا يُؤْذَن لَها، ثُمَّ تَسْجُد فلا يُؤْذَن لها، وَتَطُول تِلْك اللَّيْلَةُ؛ فتقول: يا رَبِّ إنَّ الفَجْرَ قد اقْترَب، وَإِنَّ المَدىٰ بعيدٌ، فيقالُ لها: ارْجِعي من حيثُ جِئْت؛ فَتَطْلُعُ منْ مغرِبها، فإذا رآها النَّاس آمَنُوا جميعًا، وذلِكَ حينَ لا يَنْفَع نَفْسًا إيمانُها لَمْ تكُنْ آمَنَتْ مِنْ قبْلُ أو كَسَبَتْ في إيمانها خيرًا.

(١) (١/ ٧٠).

وَفَسَّروا بذلك قولَهُ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] قيل: لِوَقْتها الذي تُؤْمَرُ فيه أنْ تَطْلُع من مَغْرِبها، وَقيل مُسْتَقَرُّهَا مَوْضِعُها الذي تسْجُدُ فيه تحتَ العرش، وقيلَ: مُنْتهىٰ سَيْرِها وهو آخِرُ الدُّنْيا.

قلْتُ: والقَوْلُ الثَّاني أظْهَر، وَيُؤَيِّده ما تَقَدّم مِن رِوايةِ مُسْلِم عنْ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قالَ: «**أتَدْرونَ أيْنَ تذهب الشَّمس؟**»، الحَديثَ.

قالَ ابْنُ كثيرٍ(١): «وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّهُ قرَأَ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، أيْ لَيْسَتْ مسْتَقِرَّةً؛ فَعَلىٰ هذا تَسْجُدُ وهي سائِرَةٌ»، انْتَهىٰ.

وَقال ابنُ العربِيِّ: «أنْكر قومٌ سجودها، وهو صحيحٌ مُمْكِنٌ»(٢).

قُلْتُ: إنّما يُنْكر ذلك مَنْ يرتابُ في صِدْق النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فأمَّا مَنْ لا يشُكُّ في صدْقِهِ، ويعتَقِدُ أنَّهُ كَما أخبرَ اللهُ عنْهُ بقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم: ٣-٤]، فلا يُنْكَر ذلك، وَلا يُرْتابُ فِيه.

الوَجْه الخامِسُ: أنْ يقالَ: مِن المزاعم الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنون الكاذبة زعْمُ الصَّوَّاف وَسَلَفِه أهْلِ الهيئَةِ الجديدة وأتباعِهم أنَّهم اكتشفوا حركَةَ

---

(١) المصدر السابق (١/ ٧٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٦/ ٢٩٩).

الأرْضِ ودورانَها حول نفْسِها وحول الشَّمس، وهؤلاء يَنْطبقُ عليهم قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾

[الذاريات: ١٠-١١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

الوَجْه السّادس: أنْ يقالَ: مِنْ قَلْبِ الحقائِقِ زعْمُ الصَّوَّاف أنَّ أهل الهيئة الجديدة مِن العلماء، وأنَّ تَخَرُّصاتهم وظنونَهُم الكاذبَةَ مِن العِلْمِ، وَالصّحيحُ المُطابق لِلواقع أنْ يُقالَ: إِنّهم الجاهلون المُحادُّون لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنّ تَخَرُّصاتهم هي الجَهْل الكثيفُ.

العِلْمُ: قَالَ اللهُ، قَالَ رَسُولُهُ ... قَالَ الصَّحابَةُ هُمْ أولو العِرْفانِ

مَـا العِلْـمُ نَصْـبَكَ لِلخِـلَافِ سَـفَاهَةً ... بَـيْنَ الرَّسُـولِ وَبَـيْنَ رَأْيِ فُـلَانِ[١]

وَلَا يغْتَرُّ بأباطيلِ أعداءِ الله وتَخَرُّصاتهم ويرىٰ أنَّها علوم رائعةٌ إلَّا مَنْ هو مِن أجْهَلِ النّاسِ.

الوَجْه السّابعُ: مِن جَراءة الصَّوَّاف علىٰ الله تَعالىٰ، وعلىٰ القَوْلِ في كتابه بغير علمٍ، زعْمُهُ أنَّ القرآن قد سبَقَ جَهْل أهلِ الهيئة الجديدة إلىٰ القَوْل بحركَةِ الأرْضِ ودورانها حوْلَ نفسها وحوْلَ الشَّمس، وهذا مِن الافتراء علىٰ الله تَعالىٰ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

الوَجْهُ الثَّامِن: مِن قَرْمَطَةِ الصَّوَّاف زعمُهُ أنَّ الآية مِن سورة: ﴿يسٓ﴾ تقول: إنّ المجموعة الشَّمسيَّةَ وما حولها تتحرَّكُ في الفَلَك، وأنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بعيدٍ فيه، وليسَ إلىٰ قَريبٍ؛ إذْ لا يَنْبَغِي لها أَنْ تلحَقَ القمَرَ بالنُّزول إلىٰ فَلَكِه.

وَهَذا مِنَ الإلحادِ في آياتِ الله، وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضِعِه.

وَأَيْنَ في الآية مِن سورة: ﴿يسٓ﴾ أو غيرِها مِن آيات القرآن ذِكْرُ المَجْموعَةِ الشَّمسية وما حَوْلَها.

وَأَيْنَ في الآية أنَّ الشَّمس تجري في الفَلَك إلىٰ بَعِيدٍ فِيهِ، وليْسَ إلىٰ قريبٍ.

---

(١) انظر: «القصيدة النونية» لابن القيم (ص٢٢٦).

وَأَيْنَ في الآية أنَّ الشَّمس لا ينبغي لَها أن تلْحَق القمرَ بالنُّزول إلىٰ فَلَكِه.

وَقَد تقدَّم قريبًا حديثُ أبي ذرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في بيان المُراد منْ قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، وَالعُمْدَة عليه لا علىٰ ما خالفه. وليس فيه ما يُشيرُ إلىٰ أنَّ هناك مجموعةً شَمْسِيَّةً، ولمْ يُرْوَ عنِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بإسنادٍ صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنَّ هناك مجموعَةً شمسيَّةً، ولم يُرْوَ ذلك عن أحَدِ الصّحابة ولا التابعين ولا تابعيهم بإِحسان ولا أئمةِ العِلْم والهُدىٰ مِن بعدِهِم، وإنَّما قال ذلك أهلُ الهيئة الجديدة مِن فلاسفة الإفرنج، معتمدين علىٰ أرْصادهم وتَخرُّصاتهم وظنونهم الكاذِبَةِ، وَتَلَقّىٰ ذلك أتباعُهم منَ العصريِّين بالقبُول والتَّسْليم، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَأَمَّا قولُه تَعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ [يس: ٤٠]؛ فمعناه كما قال مجاهد: «لكُلٍّ منْهما حَدٌّ لا يَعْدُوه ولا يُقَصِّر دُونَه، إِذا جاء سُلْطان هذا ذَهَب هذا، وإذا ذَهب سُلطانُ هذا جاء سُلْطَانُ هذا».

وَقال عكرمة: «يَعْني أنَّ لكلٍّ مِنْهما سُلْطانًا فلا ينبغي لِلشَّمْس أنْ تَطْلع باللَّيْلِ»(١).

الوَجْه التَّاسِع: أنَّ القوْلَ فِي القُرآن بِمُجَرَّد الرَّأْيِ حَرَامٌ شديدُ التّحريم، وقَدْ ورد الوعيدُ الشّديدُ علىٰ ذلك؛ كما في الحديث الَّذي رواه الإمامُ أحمد والترمذيُّ وابن جرير والبغوي عنِ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قالَ: «**مَنْ قَالَ فِي القرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، هَذَا لفظُ ابْنِ جريرٍ، وقال التّرمذي: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»(٢).

ورَوىٰ التِّرمذي -أَيْضًا- وأبو داود وابنُ جرير والبغوي عن جندب بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»، قال التِّرمذي: هذا حديثٌ غريبٌ(٣). قالَ: «وَهَكذا رُوِي عن بعضِ أهل العلم مِن أصحاب النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وغيرِهم أَنَّهم شَدَّدوا في هذا، أنْ يفسَّرَ القرآنُ بغيرِ علْمٍ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٦/ ٥٧٨، ٥٧٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢)، والترمذي (٢٩٥٢)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧٣)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨- ٢٥٩) من حديث جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٥).

وَأَمّا الذي رُوي عنْ مجاهد وقتادة وغيرِهما مِن أهل العلم أَنَّهم فَسَّروا القُرْآن، فَلَيْس الظَّنُّ بِهِم أَنَّهم قالوا في القرآن أو فَسَّروه بِغَيْر عِلْمٍ، أو مِنْ قِبَلِ أنْفُسِهم، وقدْ رُوِي عنْهم مَا يدُلُّ علىٰ ما قُلْنا أَنَّهُم لم يقولوا مِن قِبَلِ أنْفُسِهم.

ثمَّ رَوىٰ بِإِسْنادِهِ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قالَ: ما في القرآنِ آيَةٌ إِلَّا وقد سمِعْتُ فيها شيئًا.

وروىٰ -أَيْضًا- عنْ مُجاهِدٍ أَنَّه قال: لوْ كُنْت قرَأْتُ قِراءَةَ ابْنِ مَسْعودٍ لم أَحْتجْ أَنْ أَسْأَلَ ابْنِ عبّاس عن كثيرٍ مِن القرآن ممَّا سألْتُ»[1]، انْتَهىٰ كلامُ التِّرْمِذِيِّ.

وقال البغويّ: «قال شيخُنا الإمام: قد جاءَ الوعيدُ في حقِّ مَن قال في القُرآن برأيه، وذلك فيمَن قالَ مِن قبَلِ نفسِه شيئًا منْ غيرِ علْمٍ، وأمَّا التَّفسيرُ، وهو الكلامُ في أسْبابِ نُزولِ الآيَةِ وشَأْنِها وقصّتِها، فلا يَجوزُ إِلَّا بالسَّماعِ بعدَ ثُبوتِهِ مِنْ طريقِ النَّقْلِ»[2] انْتَهىٰ.

وَلا يَخْفَىٰ عَلَىٰ مَن له أدْنَىٰ عِلْمٍ وفَهْمٍ أنَّ ما زعمَهُ الصَّوَّاف في مَعْنَىٰ الآيتيْنِ منْ سورة: ﴿يسٓ﴾ لم يكنْ مِن طريقِ النَّقْل الثَّابِتِ، وَإِنَّما هو تخرُّصٌ وتخبُّطٌ بِمُجرَّدِ الرّأيِ فهو بذلك مُتَعرِّض للوعيدِ الشّديدِ.

---

(١) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٦).

الوَجْه العاشِرُ: أنْ يقالَ: مِن الخطَأِ ما يستعمِلُه الصَّوَّاف وكثيرٌ مِن العصريِّين منْ إضافة القولِ إلىٰ القرآن أو إلىٰ بعضِ الآيات منْه كقَوْل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢: (إذ تقولُ الآية: إنَّ المجموعةَ الشَّمسية... إلىٰ آخره)، وقولُه فِي صَفْحَةِ ٤٣: (هذا قول القُرْآنِ). وهذا الصّنيع منه خِلاف ما كان عليْهِ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابُهُ -رضوان الله عليهم أجمعين-، وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ؛ فإنّهُم ما كانوا يقولون: (قال القرآن كذا، ويقول القرآن كذا. وَلا قالت الآيَةُ كذا، وتقولُ الآية: كذا)، وإنَّما كانوا يقولونَ: قال الله كذا، ويقول اللهُ كذا. فيُضِيفون القوْلَ إلىٰ قائلِهِ المُتكلِّم به وهو اللهُ تَعالىٰ، والقرآنُ كلام الله وقولُه، وليس الكلامُ هو المُتكلمَ القائِلَ حتىٰ يضافَ القَوْل إِلَيْه.

وَلَعلّ السّببَ في إضافَةِ كثيرٍ مِن العَصْريِّين القَوْلَ إلىٰ القرآن أو إلىٰ بعْضِ الآيات منْهُ هو ما كان عليه بعضُهم مِنَ المَيْل إلىٰ قول الجَهْمِيّةِ في القُرآن أنَّه مخلُوقٌ، وأنَّ اللهَ تَعالىٰ لا يتكَلَّم ولا يقول؛ فهُمْ لذلك يقولونَ: (قال القرآنُ كذا، ويقول القرآن كذا، وقالت الآية كذا، وتقول الآية كذا)؛ فِرَارًا من أنْ يقولوا: (قال الله، ويقولُ اللهُ)، وَمَنْ لم يكنْ منهم علىٰ رأيِ الجهميَّةِ فهو مقلِّدٌ لمَن كان علىٰ رأي الجهمية في العُدول عن إضافة القولِ إلىٰ قائله، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

فصل

قال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢: «وحرَكَةُ الأرْضِ وردَتْ في غيرِ هذه الآيَةِ؛ فيقولُ المَوْلىٰ سبحانه في سورة النمل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، فضرَبَ الله المَثَل بحركة الأرْض بِمرورِ الجبال، وهي أبرزُ ما عليها، وليس ذلك في يوم القيامة؛ إذ يقول -جلَّ شأنه-: إنَّ في القيامة لن تكون هناك جبالٌ؛ ففي سورة طه: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، وفي سورة الواقعة: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦﴾ [الواقعة: ٥-٦]».

وَالجوابُ عنْ هذا مِن وجهَيْنِ:

أحدُهُما: أن يُقال: لم يَرِد في القرآن ما يدلُّ علىٰ حركة الأرض بوجه مِن الوجوه، وما زعمه الصَّوَّاف وأشباهه في الآية مِن سورة النمل وغيرها من الآيات أنّها تدل علىٰ حركة الأرض؛ فكلُّه مِن الإلحاد في آياتِ الله وتحريفِ الكلم عن مواضعه.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت: ٤٠-٤٠]، وفي هذه الآيةِ تهديدٌ شديد ووعيد أكيدٌ لمَن ألحد في آيات الله

تَعالىٰ ووضَعَ كلامه علىٰ غير مواضعِهِ.

وهلَّا قرَأَ الصَّوَّاف ما قبْلَ الآيةِ وما بعدها حتَّىٰ يَعْلَم أنَّه لا مُتَعَلِّق له في الآية الكريمَةِ، وإنَّ ما ذكر فيها من مُرور الجِبال مِثْلَ مر السحاب إنّما يكون بعد النَّفْخِ في الصُّور وليْسَ قبْلَهُ.

وَهلَّا قرأ -أَيْضًا- قول الله تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقولَهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ٧-١١]، وقولَهُ تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: ١-٣] إلىٰ قَوْلِه: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]. وقولَهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبأ: ١٧-٢٠].

ففي هذه الآيات أوضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ تسييرَ الجبال ومرورها مِثْل مَرِّ السّحابِ إنّما يكون يوم القيامة. وقدْ أوضح اللهُ ذلك في آياتٍ كثيرَةٍ مِن القرآن سِوىٰ ما ذكرنا ههنا. وقد ذكرتُها مستوفاة في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، مع الرَّدِّ علىٰ مَنِ استدَلَّ بالآية من «سورة النّمل» علىٰ حركة الأرض وسيرها؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ اللهَ تَعالىٰ ذكرَ في القرآن مرورَ الجِبال وسيرَها، ولم يذْكُر

عنِ الأرْضِ مرورًا وسيرا أبدًا، ولو كان الأمر علىٰ ما زَعَمَه الصَّوَّاف وأشباهُه مِن أتْباع أهل الهيئَةِ الجديدَةِ لَنصَّ تبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ سيْرِ الأرْضِ ومرورها، ولم يَخُصَّ الجبالَ بالنّصِّ دون الأرْضِ. وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وتخصيصُ الجبالِ بالمُرور يدُلُّ علىٰ أنَّ ذلك خاصٌّ بها دونَ الأرْضِ.

وقدْ أوضحَ اللهُ ذلك بقوله: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧].

* * *

فصل

قالَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٢ - ٤٣ ما نصُّه:

«كما وردَ في القرآن أنَّ الله ربَّ المشرق والمغرِبِ، وأنَّهُ رَبُّ المَشْرقَيْنِ والمَغرِبَيْنِ، وأنَّهُ رَبُّ المشارق والمَغارِبِ. أيْ أنَّ المَشْرِق والمَغرِب يَخْتلفُ يومًا عَنْ يومٍ؛ فَهُناك أقْصَىٰ وَأَقرب مَشْرِقَيْن وَأَقْصىٰ وأَقْرب مَغْرِبين، وَبَيْنهما مشارِق ومغارب، هذا قولُ القرآن الكريم منْ ألفٍ وأربعِمائة سنةٍ. فما قول العلم؟

كان أول من قال بحركَةِ الأرض حول محورها العالم «كوبرنيكس» في عام ١٥٤٣ أي بعْدَ تاريخ القرآن بألفِ سنَةٍ، وقرّر أنَّ ما يظهر للنَّاس مِن حركة الشَّمس والنُّجومِ إنّما هو ناتِجٌ مِن دوران الأرض، وقد اتَّهمه رجالُ الدّين عندئذ بالكفْرِ والمُروق عن الدّين، وتوالت بعد ذلك أبحاثُ علماءِ الفَلَك حتىٰ وصلوا إلىٰ ما قرَّرَه القرآن الكريمُ، وليس هناك أبلغُ ولا أدقُّ ممَّا يقولُهُ حجَّةُ عِلم الفَلَك العالم «سيمون» من أنَّ أعظمَ الحقائق الَّتي اكتشفها العقل البشرِيُّ في كافَّة العصور هي حقيقَةُ أنَّ الشَّمس والكواكبَ السَّيَّارَة وأقمارَها تجري في الفضاء نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتصويرها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يوميًّا فلن تصل مجموعتنا الشَّمسية إلىٰ هذا البرج إِلَّا بعد مليون ونصف المليون سنةٍ من وقتنا الحاضر.

أليست هذه إحدىٰ معجزات القرآن العلمية؟».

والجَوابُ عن هذا مِنْ وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقال: إِنّ الظّاهرَ مِن صنيعِ الصَّوَّافِ حيثُ ذَكَر المَشْرق والمَغْرب، وَالمشرِقَيْنِ والمغرِبَيْن، والمشارِقِ والمغارب، ثمَّ عقَّب ذلك برأي «كوبرنيكس وسيمون» أنَّه يرىٰ أن المشرق والمغرب والمشرقَيْنِ والمغْرِبَيْنِ وَالمشارقَ والمغاربَ- للأرض؛ لِأنَّها هي الَّتي تدور علىٰ الشَّمس، علىٰ حد زعمهم الكاذبِ، وتقريرِهم الفاسِدِ الَّذي ذكره ههنا عن

«كوبرنيكس»، وهو أن ما يظهر للنّاس منْ حرَكَةِ الشَّمس والنُّجُوم إنما هو ناتج من دوران الأرض، وهذا من قلب الحقيقة ومن الإلحاد في آيات الله تَعالىٰ، وتحريفِ الكلم عن مواضِعِه.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يقالَ: ليس في الآيات الَّتي ذكرَالله فيها المشْرِق والمغْرِبَ، والمشرِقَيْن والمغرِبَيْنِ والمشارق والمغارب ما يدُلُّ علىٰ حركة الأرْضِ ودورانها بوجْهٍ مِن الوُجوهِ، وَإِنّما هي حجَّةٌ علىٰ مَنْ أنْكَرَ جَريانَ الشَّمس في الفلك وسيرَهَا مِنَ المَشْرق إلىٰ المغرب كلَّ يوم، وسواءٌ مَن زعم أنَّها ساكِنَةٌ لا تتحرك أصلًا، وَمَن زعم أنَّها ثابتَةٌ علىٰ مِحْورها ومتحرِّكَةٌ حول هذا المحور مِثْل المِرْوحة السَّقْفِيّة الكهربائية.

وَمَنْ قال: (إِنها ومجموعتها تجري في الفضاء بسُرْعةٍ عظيمَةٍ نحوَ برج النسر)؟!

ومَن قال: (إنها ونظامَها تنهب الفضاءَ نهبًا بسرعة عظيمةٍ متجهة نحو برج هركيوليس)؟! فكلُّ هؤلاء متخرِّصون وضالُّون عن الحقِّ، وفي الآيات الَّتي أشرنا إليها أبلغ ردٍّ عليْهِم.

وقدْ قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وقال تَعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] **الآية.**

ثمَّ قال تَعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ [الكهف: ٩٠]

فذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في الآية الأولىٰ أنه يأتِي بالشَّمس من المَشْرق، وأضاف في الآيَةِ الثَّانية والآيَةِ الثَّالثة المَطلِع والمَغْرِب إِلَيْهَا؛ فدَلّ علىٰ أنَّ المراد بالمشرق والمغرب عنْدَ الإطلاق مشرِقُ الشَّمس ومغربُها، وكذلك المراد بالمشرقيْنِ والمغربيْنِ والمشارقِ والمغاربِ، وهذا أمر معلومٌ بالضرورة عند كلِّ عاقل؛ كما أنَّه معلومٌ بالمشاهدة -أَيْضًا-، وقد قرَّر ذلك المفسِّرون وأئمَّةُ اللُّغَةِ.

قال ابنُ كثيرٍ في «تفسير سورة الرحمن»(١) عند قوله تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]: «يعني مشْرِقَي الصَّيْف والشِّتاء ومغربي الصَّيْف والشِّتاء». وقال في الآية الأخرىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠]: «وذلك باخْتلافِ مَطالِعِ الشَّمس وتنَقُّلِها في كلِّ يوم وبروزِها منه إلىٰ النَّاس». وقال في الآيةِ الأخرىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]: «وهذا المرادُ مِنه جِنْس المَشارق والمَغاربِ».

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٩٢).

وَقال -أَيْضًا- في تفسير سورة الصَّافات[١]: «وقال تَعالىٰ في الآية الأخرىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧]، يعْنِي في الشّتاء والصّيف لِلشّمس والقَمَر».

وَقال ابْنُ منظورٍ في «لسان العرب»[٢]: «وقولُه تعالىٰ: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن: ١٧] أحدُ المغربَيْنِ أقْصىٰ ما تنتهي إليه الشَّمس في الصّيْفِ، والآخَرُ أقْصَىٰ ما تَنْتَهي إليه في الشِّتاء، وأحدُ المشرقين أقصىٰ ما تُشْرِق منه الشَّمس في الصّيف، وأقصىٰ ما تُشْرق منه في الشِّتاء، وبين المَغْرب الأقصىٰ والمَغْرِب الأدنىٰ مِائَةٌ وثَمانون مَغْرِبًا، وكذلك بيْنَ المَشْرقَيْنِ».

وَفِي «التّهذيبِ»[٣]: «للشَّمس مشْرِقانِ ومغْرِبان، فأحَدُ مَشْرقَيْها أقْصَىٰ المَطالع في الشِّتاء، والآخَرُ أقصىٰ مطالِعِها في القَيْظِ، وكذَلك أحدُ مغربَيْهَا أقْصَىٰ المغارب في الشّتاء، وكذلك في الجانِبِ الآخر، وقولُهُ -جلَّ ثناؤه-: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] جَمْعٌ؛ لِأَنَّهُ أُريدَ أنَّها تُشْرِق كُلَّ يومٍ مِن موضع وتَغْرُب في مَوْضع إلىٰ انتهاءِ السَّنَةِ».

وَفِي «التّهذيب»[٤]: «أَرادَ مشرِقَ كلِّ يومٍ ومغربَه؛ فهي مائَةٌ وثمانونَ

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٦).

(٢) (١/ ٦٣٧).

(٣) انظر: «تهذيب اللغة» (٨/ ١١٨).

(٤) المصدر السابق.

مَشْرقًا ومائةٌ وثمانون مَغْربًا، والغُروبُ: غُيوبُ الشَّمسِ، غَربَتِ الشَّمسُ تَغْرُبُ غُرُوبًا ومُغَيْرِبانًا غابَتْ في المَغْرِب، وكذلك غَرُبَ النَّجْم وَغَرَّب» انْتَهىٰ.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ ما ذكره الصَّوَّاف عن (كوبرنيكس وسيمون) ليْسَ بِعِلْمٍ كَما زعم ذلك في قوله: «فما قولُ العلْمِ»، وإنَّما هي تَخَرُّصاتٌ وظُنونٌ كاذبةٌ أوحاها الشَّيطان إليهم، وفتنَهُم بها، وفتَنَ بها أتباعَهُم والمقلدين لهُمْ مِن الجهَلة الأغْبياءِ الذين لا يسمَعونَ ولا يَعْقلون: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقدْ قالَ الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ

مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلۡخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

الوجْهُ الرَّابع: أنَّ كلامَ الصَّوَّاف ينْقُضُ بعضُهُ بعضًا، فقدْ ذكَرَ ههنا أنَّ أوَّلَ مَنْ قالَ بحرَكَةِ الأرْضِ حوْلَ محوَرِها «كوبرنيكس».

وذكر فِي صَفْحَةِ ٣١ أنَّ بعض الفلكيِّين في زمن العباسِيِّن قالوا بحركَةِ الأرْضِ، وهذا تناقضٌ.

والصّحيح ما ذكرَهُ ههنا، وهذه الأوَّلِيَّة بالنِّسبة لإحياء مَذْهَب فيثاغورس اليونانِيِّ بعْدَ أنْ كانَ عاطلًا مهجورًا مِن قِبَلِ زمانِ المَسِيح بِنَحْوِ مِائَةٍ وخَمْسينَ سنَةً، وأمَّا علىٰ الإطلاق فالأوَّلِيَّةُ لفيثاغورس؛ فهو أوَّلُ مَن قال بحركة الأرْضِ ودَوَرانِها حوْلَ الشَّمس.

ومِن تناقض الصَّوَّاف -أيْضًا- أنَّه ذكر في هذا المَوْضِع أنَّ الشَّمس والكواكب السّيّارةَ وأقمارَها تجري في الفضاء نَحْو برج النّسر بسرعة غيرِ معهودَةٍ لنا علىٰ الأرض.

وقال فِي صَفْحَةِ ٣٨: إن النّظام الشَّمسيّ كلَّه ينهب الفضاء نهبًا بسرعة متجهة نحو برج هركيوليس.

وقال فِي صَفْحَةِ ٦١: إن الشَّمس ثابتَةٌ ومتحرِّكَةٌ في آنٍ واحد، ثابتةٌ علىٰ

محورِها ومتحرِّكَةٌ حوْل هذا المحور، أيْ دائرَةٌ حوْلَ نفْسِها مثْلَ المِروحَةِ السّقْفِيّةِ الكَهْربائِيَّةِ، وهذا تناقض عجيبٌ. وقد تقدَّم التنبيهُ عليه، وهذه الأقوالُ المتناقِضَة كلُّها باطِلَةٌ كما هو موضَّح فيما تقدَّم، وفيما سيأتي إن شاء الله تَعالىٰ.

الوَجْه الخامِسُ: أنَّ ما زعمه الصَّوَّاف مِن كون «سيمون» حجَّةٌ في عِلْم الفَلَك مردودٌ. وكذلك غَيْر «سيمون» من الفلكيِّين، فليس قولُ أحد منهم وتخرُّصُه حجَّةً علىٰ غيْرِه.

وقد أجمع المسلمون علىٰ أنَّ الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحُجَّة.

قال مجاهدٌ: «ليْسَ أَحَدٌ بعدَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا يؤخذ مِنْ قولِهِ ويُتْرك إلَّا النَّبيّ» صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رواه البُخاريُّ في «جُزْءِ رفع اليَدَيْنِ» بإسنادٍ صحيحٍ[1].

واخْتلف العلماءُ في قول الصّحابي إذا لَمْ يظهَرْ له مُخالِف مِنْهم، والصحيح أنَّه حجَّةٌ[2].

واختلفتِ الرِّواية عن الإمام أحمد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في الاحتجاجِ بِقولِ

---

(١) أخرجه البخاري في «جزء رفع اليدين» (١٠٣)، عن مجاهد به.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما أقوال الصحابة فإن انتشرت ولم تُنكر في زمانهم فهي حجة عند جماهير العلماء. وإن تنازعوا رد ما تنازعوا فيه إلىٰ الله والرسول، ولم يكن قول بعضهم حجة مع مخالفة بعضهم له باتفاق العلماء. وإن قال بعضهم قولًا ولم يقل بعضهم بخلافه، ولم ينتشر، فهذا فيه نزاع، وجمهور العلماء يحتجون به». انظر: «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٧٩).

عمَرَ بْنِ عبد العزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، والصَّحيحُ أنَّه ليس بِحُجَّةٍ.

وأمَّا مَنْ سواه من التابعين ومن بعدهم، فلا خِلاف أنَّه لا حُجّةَ في قوْل أحدٍ منهم.

وإذا كانت أقوالُ علماء المسلمين بعدَ الصّحابة ليست بحجَّةٍ، فأقوال فلاسفة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم أولىٰ وأحرىٰ أن لا تكونَ حُجَّةً، ولاسيما في الإخبار عن الأمور الغَيْبيَّةِ الَّتي لا تُعلم إلَّا عن طريق الوحي؛ فإن أقوالَهُم فيها وتَخَرُّصاتِهم مردودَةٌ عليهم بلا توقُّفَ.

الوَجْه السّادس: أنْ يقالَ: مِن قلْبِ الحقائِق وصفُ هوس «سيمون» وهذيانِه بأنَّه مِن أعظم الحقائقِ الَّتي اكْتشفها العقلُ البَشريُّ في كافَّة العصور، وكفىٰ بالرَّجل جهلًا وغباوَةً أنْ يرىٰ الهوس والهذيانَ مِن أعظم الحقائقِ.

الوجْهُ السّابع: أنْ يُقال: إِن العقول البَشرية أضْعفُ وأعجزُ منْ أنْ تكتشفَ ما في السَّماء الدُّنيا الَّتي بيْنَها وبيْنَ الأرضِ مسيرَةُ خمسِمائةِ عامٍ، وهي عن اكتشاف ما هو أبعدُ من ذلك أضعفُ وأعجَزُ، فضلًا عنِ اكْتِشاف البُرج الَّذي زعمَه «سيمون» في هوَسِه وهذيانِه، وحدد بُعدَه الشّاسعَ تحديدَ مَن ذهبَ إليْهِ وقاسه، أوْ مَن كان مَعه نصٌّ عنِ الله تَعالىٰ أو عنْ رسولِه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُطابق ما قالَه.

والتَّحقيق أنَّ ما قاله «سيمون» هو الجَهْل والهَوَسُ والهذيانُ الَّذي

يُشْبه هذيانَ المجانينِ، ومع هذا فقد صادَفَ هوسُه وهذيانُه آذانًا مُصغيةً إليه، وقلوبًا فارغةً من العلم النَّافع، بلْ منكوسَةً ترىٰ الحقَّ في صورة الباطِلِ، والباطِلَ في صورَةِ الحَقِّ، وَلَم يقفْ أهلُها عنْدَ هذا الحَدِّ، بَلْ جعلوا كتابَ اللهِ مَلْعبَةً لهم يُلْحدون فيه! وَيَتأوَّلونَهُ علىٰ ما يُوافِقُ تَخَرُّصاتِ المتخرِّصين وهذيانِ المُبرسمين!

عافانا الله وإخواننا المسلمين مما ابتلاهم به.

الوجْهُ الثَّامن: أنَّ البروج كلَّها في السَّماء الدُّنيا بنَصِّ القُرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

قالَ مجاهدٌ وسعيد بْنُ جبيرٍ وأبو صالِحٍ والحسَنُ وقتادَةُ: «البُروج هي الكواكِبُ العظامُ».

وقال البَغويُّ: «هي النُّجوم الكبارُ، مأخوذٌ من الظُّهور؛ يُقال: تَبَرَّجَتِ المَرْأَةُ أَيْ ظَهرَتْ»، وَقال -أَيْضًا-: «وَسُمِّيَتْ بروجًا؛ لِظهورها»(١).

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧].

---

(١) تقدم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذِه الآياتِ كلِّها النَّصُّ علىٰ أنَّ الكواكِبَ في السَّماء، وفي الآية مِن سورةِ الصَّافَّات وما بَعْدها النَّصُّ علىٰ أنَّها في السَّماء الدُّنيا.

وَالنَّسْر مِن جُملة الكواكِبِ الثّوابت الَّتي قَدْ جُعِلت زينةً للسَّماء الدُّنيا، وقدْ ثبتَ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّهُ قال: «**بَيْنَ السَّماءِ وَالأَرْضِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ**»، رَواهُ عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرْبَعةٌ مِنَ الصّحابةِ، وَهُم: عبدُ اللهِ بْنُ عمرٍو، وَأَبُو هريرَةَ والعبَّاس، وأبو سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وروي -أَيْضًا- عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وله حُكْمُ الرَّفْعِ كنَظائِرهِ.

وَفي الآياتِ الَّتي ذكرْنَا معَ هذه الأحاديثِ أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما هَذىٰ بِهِ «سيمون» في بُعْدِ النَّسر.

الوجْهُ التَّاسِع: قال بعض السَّلف: إِنّ ارتفاعَ العرش عن الأرض السَّابعةِ خمسون ألفَ سنةٍ، ورواه ابنُ أبي حاتم عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٢١)، وفي إسناده ليث وهو ابن

ولوْ كان الأمرُ في بُعْدِ النَّسر علىٰ ما زعمه «سيمون»، لكان محلُّه فوق العرْشِ، وهذا مِن أبطل الباطل؛ فإنَّه ليس فوق العرش شيْءٌ سوىٰ اللهِ تَعالىٰ.

الوجْهُ العاشِرُ: أنَّ الله تَعالىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وَقال تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤].

وقدْ حكىٰ غيرُ واحد منَ العلماء الإجماعَ علىٰ أنَّ السَّموات مستديرةٌ، وقرَّروا أنَّ كلَّ سماءٍ محيطَةٌ بِالسَّماء الَّتي تحْتَها وما حَوَتْ، والشَّمسُ في السَّماء بنصِّ القرآن، وَسيأتي ما يدلُّ علىٰ أنَّها في السَّماء الدُّنيا، وعلىٰ هذا فالسَّمواتُ الشِّداد الَّتي ليس لها فُروجٌ، وليس فيها فُطورٌ، قد أحاطَتْ بالشَّمس من كلِّ جانب، فليس لها طريقٌ تَنْفُذُ منه وتذهب نحو البُرْج الَّذي توهمه «سيمون» بعقلِهِ الفاسدِ.

الوجْه الحادِيَ عَشَرَ: أنَّ الله تَعالىٰ قال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا

=

أبي سليم «صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فترك»، قاله في «التقريب».

﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تَعالىٰ مُخْبِرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦]. وفي هذه الآيات النَّصُّ علىٰ أنَّ الشَّمس في السَّماء.

وقدْ روىٰ ابن مردويه عن ابنِ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَمَّا السَّماءُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ دُخَانٍ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَزَيَّنَهَا بِمَصَابِيحَ، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**»(١).

وَرَوىٰ البيهقِيُّ في كتاب «الأسماء وَالصِّفات» بإسناد صحيح عنْ عبد الله بنِ عمرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «خَلَقَ اللهُ سبْعَ سمواتٍ، وخلَقَ فوقَ السَّابعةِ الماءَ، وجعل فوق الماءِ العَرْشَ، وَجعل في السَّماء الدُّنيا الشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ والرُّجوم»(٢).

وفي الآيات الَّتي ذكرنا مع هذيْنِ الحديثَيْنِ ومع ما تقدَّم في الوجه الثَّامن

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قوله.

من النُّصوص علىٰ أنَّ الكواكب في السَّماء الدُّنيا أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما هَذَىٰ بِهِ «سيمون» في بُعْدِ النَّسر عن الشَّمس.

وَعلىٰ هذا؛ فنقولُ علىٰ سبيلِ الفرْضِ والتَّقدير: لوْ كانَ النَّسْر ثابتًا في موضعٍ مِن السَّماء لا يُزايلُهُ ثمَّ سارتِ الشَّمس نَحْوَه لَوَصَلَتْ إليْهِ في يوم واحد أو أقَلَّ مِن ذلك؛ لأنَّها تَقْطَعُ الفَلَكَ في يوْمٍ وليلَةٍ، وَتَقْطع مِن كُلِّ موضِعٍ مِنْه إلىٰ ما يُقابِلُه منَ النَّاحية الأُخْرىٰ في اثْنَتَيْ عَشْرَةَ ساعَةً، والمسافة بيْنَ جرمَيْنِ يَضُمُّهما سماءٌ واحدٌ لا تَكون أكثرَ من نِصْف الفَلَك، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوَجْهُ الثَّانِيَ عَشَرَ: أنْ يُقالَ: إنَّ القرآنَ مُنَزَّهٌ عن تَخَرُّصات كوبرنيكس، وَهَوَسِ سيمون وهذيانِهِ، وَما زعمه الصَّوَّاف مِن كوْنِ القرآنِ الكريم قد قَرَّر ذلك، وأنَّه منْ معجزات القرآن العِلْمية فهو كَذِبٌ علىٰ اللهِ وعَلَىٰ كتابه.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠]

وقال تَعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]

وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر: ٦٠]

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى

ﭐلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قالَ أَبُو قلابة: «هِيَ -واللهِ- لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ».

وأيْنَ في القُرْآن أنَّ لِلأرْضِ مِحْوَرًا، وَأَنَّها تَدُورُ حَوْلَهُ، وَأَنَّ ما يظهر للنَّاس منْ حركة الشَّمس وَالنُّجومِ إِنَّما هو ناتِجٌ من دوران الأرْضِ؟

وأينَ في القرآنِ أنَّ للكواكب السَّيارة أقمارًا، وأنَّ هناك مجموعةً شَمْسِيَّةً، وأنَّ الشَّمس والكواكب السَّيَّارَةَ وأقمارَها تجري في الفضاء نَحْوَ بُرْج النَّسر بسرعة غيرِ معهودَةٍ للنَّاس عَلىٰ الأَرْضِ يكفي لِتَصْوِيرها أَنَّنا لَوْ سِرْنا بِسُرْعة مليون ميل يوميًّا فلَنْ تَصِلَ مجموعَتُنا الشَّمسيَّةُ إلىٰ هذا البُرْج إِلَّا بعد مليون ونصف مليون سَنَةٍ من وقتنا الحاضر؟

أَمَا يَسْتَحِي الصَّوَّاف مِن إيراد هذا الهذيانِ الَّذي يضحك منه الصِّبيانُ فَضْلًا عنِ العُقلاءِ؟!

أمَا يستحي من الجَراءة العظيمة علىٰ الله وعلىٰ كتابه؟!

أَمَا يخاف أنْ يلحقَه الوعيدُ الشَّديد الذي توعد الله به المفترين عليه؟!

الوَجْه الثَّالِثَ عَشَرَ: أنْ يُقالَ: إِنَّ تَخَرُّصات كوبرنيكس وهوسَ سيمون ليْسَتْ مِنْ علومِ المُسلمين، ومع هذا فقَدْ أدْخلَها الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نسبه إلىٰ المسلمين، وهذا مِن أكبر الخطأ وأعْظَم الفِرْيةِ.

* * *

فصل

وقدْ ساق الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤٤ وما بعْدَها إلىٰ صَفْحَةِ ٥٤ كَلامًا للآلوسي، وقدِ استوفَيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وقدْ أدخل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٢ جمْلَةً ليسَتْ مِنْهُ، ولم ينبِّهْ علىٰ ذلك، وهذا مِن عدَمِ الأمانة في النَّقل، وهذه الجملة هي قوله: «بل هناك شُموسٌ وأقمارٌ لكلِّ كوكب أرْضِيٍّ أوْ سماوِيٍّ».

والجَواب أنْ يُقال: هذا قولٌ باطلٌ لا مُسْتندَ لَه سوىٰ التَّخَرُّصات والظُّنونِ الكاذبَةِ، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعمه مِن تَعَدُّد الشُّموس والأقمار في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الحادِيَ عَشَرَ منَ الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأمَّا قولُه: «لكلِّ كوكَبٍ أرْضِيٍّ»، فإنْ كان مرادُهَ أنَّ الأرض لها كواكبُ مثْلُ السّماء فهو قولٌ باطِلٌ معلومُ البُطْلان بالضَّرورة عنْدَ كلِّ عاقل، وَإنْ كان مرادُهُ أنَّ الكواكب صنفانِ بعضُها أرَضُون وَبَعْضُها سموات -كَما قدْ قالَهُ بعضُ أتْباعِ الإفرنج من العَصْرِيِّين- فَهُو -أَيْضًا- من أَبْطَل الباطِلِ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قدْ جعل الكواكب زينَةً للسَّماء الدُّنْيا ومصابيحَ تُضِيء لأهْلِ الأرْضِ؛ ليَهْتَدُوا بها في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحْرِ، وجعلها -أَيْضًا- رُجومًا

لِلشَّياطين؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وَما كان زينةً للسَّماء ورُجومًا لِلشَّياطينِ؛ فَلَيْسَ بسَمَواتٍ ولا أَرَضِينَ.

* * *

فصل

وقَال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٤ ما نصُّه:

(وُقوفُ حَرَكةِ الأرْضِ) يقولُ الحقُّ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

الله تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يذكِّر النَّاس بهذه الآية منْ آيات الكونِ، ويخاطِبُهم وكأنَّه يقولُ لهم: اسْمعوا وانْظُروا، وَتبَصَّروا؛ فَلَوْ أنَّ الكرة الأرْضيَّةَ توقَّفت عَنْ دورانها وتعطَّلَتْ حركتُها، وأصبَحُ نصفُها المواجه للشَّمْس نهارًا دائِمًا لا يَبْرحُ؛ فمَنْ يأتيكم بِلَيْلٍ تسكنونَ وتستريحونَ مِن عناءِ النَّهارِ غَيْرُ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي يُقلِّبُ الليْلَ وَالنَّهارَ؟!

وَلَوْ كان العَكْس فوقَفَتْ حَرَكَةُ الأرْضُ، وَكانتِ الشَّمْس إلىٰ الجِهَةِ الأخرىٰ الَّتي تُقابِلُنا، وكانَ عَلَيْنا اللَّيْلُ سرْمَدًا دائِمًا، فَمَنْ يأتينا بضياءٍ غيرُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟!

والجَواب أنْ يُقالَ: لَيس للأرض حركَةٌ كما زعمه الصَّوَّاف تَقْليدًا لِفلاسفَةِ الإفرنْجِ ومَنْ يوافِقُهم ويحْذُو حذْوَهم مِنَ العَصْرِيِّين، وقدْ تَضافَرَتِ

الأدِلَّةُ مِن الكِتاب والسُّنَّةِ علىٰ سُكُونها وَثَباتِها، وَأَجْمَع المُسْلِمون عَلَىٰ ذلك، وَقَد ذَكَرْتُ ذلك مُسْتَوفًىٰ في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك، ففيه رَدٌّ لِمَا زعمه الصَّوَّاف من حركة الأرْضِ.

وأمَّا كلامُهُ في معنىٰ الآيتين من «سورة القصص» فهُوَ منَ الإلحاد في آيات الله، وتحريفِ الكَلِم عنْ مواضِعِه.

وَقَدْ نَصَّ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ علىٰ جريان الشَّمس في عِدَّةِ آياتٍ مِن القُرْآن، وَالجريانُ ضِدُّ الثَّبات والاستقرارِ، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها تَسْبَح فِي الفَلَكِ، وَالسَّبْحُ هو المَرُّ السَّريع، نَصَّ علىٰ ذلك أئمَّةُ اللُّغة، ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّها هي وَالقَمَرُ بِحُسْبان، وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّه سَخَّرَهما دَائبيْنِ، وَالدَّأب إِدامَةُ السَّيْرِ، نَصَّ عَلىٰ ذلك غيْرُ واحِدٍ مِن أئمَّةِ اللُّغَة، وَقَرَّرَ معناه غَيْرُ واحِدٍ مِنَ المُفَسِّرين، وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرِق، وَنَصَّ -أَيْضًا- عَلَىٰ طُلُوعها وغُرُوبها وَدُلُوكها أَيْ زَوالها.

وَفِي هذه النُّصوص أوْضَحُ دليلٍ علىٰ أنَّ الشَّمس هي الَّتي تَجْري وَتَدور علىٰ الأرْضِ لِقيام مَعايش العِبادِ وَمَصالِحِهِم، وَالنَّهار هُو ضَوْءُ الشَّمس وهو تابعٌ لَهَا يسير بِسَيْرِها.

وَقَدْ نَصَّ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلىٰ جريانِ الشَّمس، وَطُلوعها، وَارْتِفاعها، وَزَوالها، ودُنُوِّها مِنَ الغُرُوبِ، وَغُرُوبِها، وأنَّها تذْهَب بعْدَ الغروب

حتَّىٰ تنْتَهِيَ إلىٰ مُسْتقرِّها تحْتَ العرش؛ فَتَخرّ ساجِدةً، ثمَّ يُقَالُ لها: ارْتفعي، ارجِعي من حيثُ جِئت، فتَرْجِع فتصبح طالعة من مَطْلَعها، وأنَّهُ يقال لها في آخر الزَّمان: ارجعي ارتفعي أصبحي طالِعَةً من مَغْرِبك؛ فتصبح مِنْ مغرِبها.

وَنَصَّ -أَيْضًا- علىٰ أَنَّها حُبِسَتْ لِـ«يُوشَع بنِ نون» حين حاصَرَ القرْيَة حتَّىٰ فتحها الله عليه[1].

وَفي كلِّ ما ذكرنا أوضَحُ دليلٍ علىٰ جَريان الشَّمس ودَوَرانِها علىٰ الأرْضِ، وفِيه -أَيْضًا- أبلَغُ رَدٍّ لما زعمه الصَّوَّاف في معنىٰ الآيتيْنِ منْ سورة القصص.

وَقد قال ابْنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «مِفتاحِ دارِ السَّعادة»[2]: «ثمَّ تَأَمَّل حالَ الشَّمس في طلوعها وغروبِها لإقامَةِ دَوْلتي اللَّيْلِ والنَّهار، ولَوْلا طُلُوعُها لَبَطَلَ أمْرُ العالَمِ، وكيْفَ كانَ النَّاس يَسْعَوْنَ في مَعايشهم، وَيَتَصَرَّفون في أمورِهم والدُّنيا مُظْلِمَةٌ عليهم، وكيْفَ كانوا يَتَهَنُّون بالعيْشِ مع فَقْدِ النُّورِ؟!».

ثُمَّ تأمل الحكمة في غُروبها، فإنَّه لولا غُرُوبُها لَمْ يكنْ للنَّاس هدوءٌ ولا قَرارٌ مع فَرْط الحاجَةِ إِلىٰ السُّبات وجُمومِ الحَواسِّ، وانْبعاث القُوىٰ الباطِنَةِ وظُهور سُلْطانها في النَّوْم المُعِين علىٰ هَضْمِ الطَّعام وتَنْفيذِ الغِذاء إِلىٰ الأعْضاء، ثمَّ لولا الغُروب لكانَتِ الأرْضُ تُحْمَىٰ بدَوام شُرُوق الشَّمس واتِّصال طُلوعها

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (١/ ٢٠٧).

حتَّىٰ يحتَرِقَ كُلُّ ما عليها مِنْ حيوانٍ وَنباتٍ، فصارَتْ تَطْلُع وَقْتًا بمَنْزِلَةِ السِّراجِ يُرْفَعُ لِأَهْلِ البَيْتِ لِيَقْضُوا حوائِجَهم، ثمَّ تَغيب عنهم مِثْل ذلك؛ ليقرُّوا ويَهْدَؤوا، وصارَ ضياءُ النَّهار معَ ظلام اللَّيْلِ وحَرِّ هذا مع بَرْدِ هذا مَعَ تَضادِّهما مُتَعاوِنين مُتظاهِرين بِهِما تمامَ مَصالِحِ العالَمِ.

وَقَدْ أشارَ تَعالىٰ إلىٰ هذا المَعْنىٰ، وَنَبَّه عبادَهُ عَلَيْهِ؛ بِقَوْله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

وَقال ابْنُ القَيِّم -أَيْضًا-(١): «ثُمَّ تأمَّلِ الحِكْمة في طُلوع الشَّمس علىٰ العالَمِ كيْفَ قَدَّرَه العزيزُ العَليمُ سُبْحانه، فَإِنَّها لَوْ كانَتْ تَطْلُعُ في مَوْضِعٍ مِنَ السَّماء فَتَقِفُ فِيهِ وَلَا تَعْدُوه لَمَا وَصَلَ شعاعها إلىٰ كثيرٍ مِن الجِهات؛ لِأَنَّ ظِلَّ أحدِ جوانِبِ كُرَةِ الأرض يَحْجُبها عَنِ الجانِبِ الآخَرِ، وكانَ يكونُ اللَّيْل دائمًا سَرْمدًا علىٰ مَنْ لم تَطْلُعْ عَليهم، وَالنَّهار سَرْمدًا علىٰ مَنْ هي طالِعَةٌ عليهم، فَيَفْسُدُ هؤلاءِ وهؤلاء؛ فاقتَضَتِ الحكمةُ الإلهيَّةُ والعناية الرَّبَّانيَّةُ أنْ قَدَّرَ طُلوعها مِنْ أوَّلِ النَّهار مِنَ المَشْرِق، فَتُشْرِق علىٰ ما قابَلَها مِن الأفُقِ الغَرْبِيِّ.

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠٩).

ثمَّ لا تَزال تَدُور وتَغْشَىٰ جِهَةً بَعْد جِهَةٍ حتَّىٰ تَنْتَهِي إلىٰ المَغْرِبِ فَتُشْرق عَلىٰ ما اسْتَتَرَ عَنْها في أوَّلِ النَّهار، فَيَخْتَلِف عنْدَهُمُ اللَّيْلُ والنَّهار؛ فَتَنْتَظِم مَصَالِحُهم»، انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- وهو مُعارِضٌ لكلام الصَّوَّاف ومناقِضٌ له.

* * *

فصل

وَقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٥ ما نصُّه:

وقدْ ذكر علماء الجيولوجيا والفَلَك أنَّ الأرض بعدَ انفصالِها عن الشَّمس كانَتْ تدورُ حول نَفْسِها بسُرْعَةٍ أكبرَ ممَّا هي عليه الآن؛ إذْ كانَتْ تُتِمُّ دَوْرتَها حوْلَ نفسِها مَرَّةً كلَّ أرْبَعِ ساعاتٍ.

فاللَّيْل والنَّهار كانَا في مَجْموعِهما أرْبَعَ ساعاتٍ فقط، وبِتوالي النَّقْص في سُرْعة دورانها حوْلَ نفْسِها زادَتِ المدَّةُ الَّتي تُتِمُّ فيها دورانَها هذا؛ فزادَتْ مدَّة الليل والنَهار إلىٰ خَمْس ساعاتٍ، ثمَّ سِتٍّ، حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربعٍ وعشْرِين ساعَةً، وهي الَّتي نحن عليها الآنَ.

وقدْ أظهَرَ بعضُ العلماء أنَّهُ تمكَّنَ مِنَ احتِساب النَّقْص في سُرْعَةِ دَوَران الأرْضِ؛ فَوَجَد أنَّ هذا النَّقْص يبلُغُ حوالَيْ ثانية واحدة كُلَّ مائَةٍ وعِشْرين ألْفَ سَنَةٍ.

وَعَليه؛ فبعْدَ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ يَنْقص دورانُ الأرْضِ مِقدار ساعَةٍ، وَعِنْدئِذٍ يُصْبح مجموعُ ساعاتِ اللَّيْل وَالنَّهار ٢٥ ساعة، وَهَكذا يَتوالىٰ النَّقْصُ وَيطَّرِد طُولَ اللَّيْل والنَّهار، وَعَلىٰ هذا الأساسِ يقولُ العلماءُ: إنَّ الأرْضَ لابُدَّ أنْ تَقِف يومًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بذلكَ اليَوْمِ، وَعِند وقوفِها يصْبِح الوجْهُ المُقابلُ لِلشَّمْس نهارًا دائِمًا، والوَجْهُ البَعِيد عَنْها ليلًا دائِمًا، وهذا ما أشار إليه الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز، وما ذكَّر النَّاسَ به مِن تَعاقُبِ اللَّيْلِ والنَّهار، وَفَضْلِ اللهِ علىٰ النَّاس في هذا التَّعاقب الَّذي جعل الله اللَّيل فيه سَكَنًا وَالنَّهار معاشًا، فَلَه الفَضْلُ ولَهُ الشُّكر وله الثَّناء الحَسَن، والحَمْدُ لله رَبِّ العالمينَ.

والجَوابُ أَنْ يُقالَ: ما ذَكَرهُ الصَّوَّاف هَهنا عَنْ أَهْلِ الجَهالة والضَّلالَةِ مِن أَهْلِ الجيولوجيا والفَلَك فَكُلُّها تَخَرُّصات وظنونٌ كاذبةٌ، وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، ولا يعتمد عَلىٰ مثلِ هذه الأباطيل ويرىٰ أنَّها حقائِق علميَّةً إلَّا مَنْ هو مِن أَجْهَلِ خَلقِ اللهِ.

وَنِسْبة هذه الجَهالاتِ والضَّلالاتِ إلىٰ المُسْلمين فِرْيَةٌ عليهم، وقَدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، قالَ أبو قِلابة: «هي -والله- لِكُلِّ مُفْترٍ إلىٰ يوم القيامَةِ».

فَأَمّا ما زعموه مِنَ انْفِصال الأَرْضِ عنِ الشَّمْس، فجوابُهُ مِن وُجوهٍ:

أَحَدُها: أنْ يقال: إِنَّ دعوىٰ انفصال الشَّيْءِ عن الشَّيء في الأزمان الماضيةِ لا تَثْبُت إِلَّا بِدَليل قاطع مِن كتاب الله تَعالىٰ أو ممَّا ثبتَ عن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ ذلك مِن أمور الغيب الَّتي لا تُعْلم إِلَّا مِن طريق الوحي ولا دَلِيلَ علىٰ ما زَعموه منَ انفصال الأرْضِ عنِ الشَّمس أَلْبَتّة، وَما ليْسَ عليه دَليلٌ فَهُو مِنَ الرَّجْم بالغَيْبِ، وَما كان كَذَلك فَحَقُّه أنْ يُطْرَحَ ولا يُعَوَّلَ عليه، وقدْ قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿ مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ ﴾ [الكهف: ٥١].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لو كانَ الأمر علىٰ ما زعموه مِن انفصالِ الأرض عنِ الشَّمس لكانت الأرض مِثْلَ الشَّمس في الحَرارَةِ والضِّياءِ، وَكَانَتْ تحرق مَا يَكونُ عَلىٰ ظَهْرها، ولَمْ يُمْكن أنْ يَعِيشَ عَلَيْها شيْءٌ مِن الحيوانَاتِ ولا النَّبَاتَاتِ. وَلَمَا كانَتْ عديمَةَ المُماثَلَةِ لِلشَّمْس في الحَرارة والضِّياء، دَلَّ ذَلِكَ علىٰ بُطْلان مَا زَعَموه مِنَ انْفِصالها عَنِ الشَّمس.

الوَجْه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ما زعموه مِن انْفصال الأرْضِ عنِ الشَّمس فَهُو

زعْمٌ باطِلٌ وظَنٌّ كاذِبٌ مردودٌ بِما أخبرَ اللهُ بِهِ مِن تقدُّم خلْقِ الأرْض عَلَىٰ خلق السَّمواتِ وَما فِيهِنَّ.

قال الله تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقالَ تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾

[فصلت: ٩-١٢].

وَرَوىٰ ابنُ جريرٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّ اليهودَ أتَتِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألَتْهُ عنْ خلْقِ السَّموات والأرْضِ؛ فقال النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «خَلَقَ اللهُ تَعالَىٰ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحدِ وَيَوْمَ الاِثْنَيْنِ، وَخلَقَ الجِبالَ يَوْمَ الثُّلاثاءِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ مَنافِعَ، وَخلَقَ يَوْمَ الأَرْبعاءِ الشَّجَرَ وَالماءَ وَالمَدائِنَ وَالعُمْرانَ وَالخَرابَ؛ فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فصلت: ٩-١٠] لِمَنْ سَأَلهُ. قال: وَخلَقَ

يَوْمَ الخَمِيسِ السَّمَاءَ، وَخَلَقَ يَوْمَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ، وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَالمَلَائِكَةَ، إِلَىٰ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ بَقِيَتْ مِنْهُ، وَفِي الثَّانِيَةِ أَلْقَىٰ الآفَةَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا يَنْتَفِعُ بِهِ النَّاسُ، وَفِي الثَّالِثَةِ آدَمُ وَأَسْكَنَهُ الجَنَّةَ، وَأَمَرَ إِبْلِيسَ بِالسُّجودِ لَهُ، وَأَخْرَجَهُ مِنْهَا فِي آخِرِ سَاعَةٍ».

وَرَوَىٰ ابنُ جريرٍ -أَيْضًا- عن عَبْد اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّه قال: «**إِنَّ اللهَ بَدَأَ الخَلْقَ يَوْمَ الأَحَدِ؛ فَخَلَقَ الأَرَضِينَ فِي الأَحَدِ وَالِاثْنَيْنِ، وَخَلَقَ الأَقْوَاتَ وَالرَّوَاسِيَ فِي الثُّلَاثَاءِ وَالأَرْبِعَاءِ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ فِي الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ، وَفَرَغَ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ؛ فَخَلَقَ فِيهَا آدَمَ عَلَىٰ عَجَلٍ؛ فَتِلْكَ السَّاعَةُ الَّتِي تَقُومُ فِيهَا السَّاعَةُ»**.

وَرَوَىٰ ابنُ جرير -أَيْضًا- من طَرِيق السُّديِّ عنْ أبي مالكٍ وَعَن أبي صالحٍ عنِ ابنِ عبَّاس وَعَنْ مرّة عنِ ابنِ مَسْعود وعنْ ناسٍ مِن أصحابِ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ**﴾ [البقرة: ٢٩] قَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ كانَ عرشُهُ علىٰ الماءِ، وَلَمْ يخْلُق شَيْئًا غَيْرَ ما خَلَق قَبْلَ الماءِ، فَلَمَّا أَرادَ أَنْ يَخلُقَ الخَلْقَ أَخْرَج مِن الماءِ دُخانًا فَارْتَفَع فوْقَ الماءِ، فَسَما عليْهِ؛ فَسَمَّاه سَمَاءً، ثمَّ أَيْبس الماءَ؛ فَجَعَله أرْضًا واحدَةً، ثمَّ فَتَقَها فَجَعلها سَبْعَ أرَضِينَ في يَوْمين في الأَحَد والاثْنَيْنِ، وَخَلَق الجِبالَ فِيها وَأَقْوَاتَ أَهْلِها وَشجَرها وما يَنْبَغي لَها في يومَيْنِ في الثُّلاثاءِ وَالأَرْبعاء وَذَلك حِينَ يقول: ﴿ ۞ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ**

فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠] يقولُ: أنْبتَ شَجَرَها.

﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] يقولُ: أقْواتَها لأهلِها.

﴿فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقولُ: قُل لِمَنْ يَسْألك هذا الأمْر.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وكانَ ذلك الدُّخانُ مِن تنَفُّس الماءِ، وحينَ تَنَفَّسَ فجعَلها سَماءً واحِدَةً، ثمَّ فَتَقها فجعَلَها سبْعَ سمواتٍ في يَوْمَيْنِ في الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ، وَإِنَّما سُمِّي يَوْمُ الجُمُعَةِ لِأَنَّهُ جَمَعَ فيهِ خَلْقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ.

﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢] قال: خلَقَ في كلِّ سماءٍ خَلْقَها مِنَ المَلائِكَةِ والخَلْقَ الَّذي فيها مِن البِحار وَجِبالِ البرَدِ، وَمَا لا يَعْلمه غَيْرُه، ثُمَّ زَيَّن السّماء الدُّنيا بالكواكب؛ فجعلها زينَةً وحفْظًا تُحْفَظ مِن الشَّياطينِ، فَلَمَّا فَرَغ مِنْ خلْقِ ما أحبَّ استوىٰ علىٰ العرشِ؛ فذلك حينَ يقولُ: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وَرَوىٰ عَبْد الرَّزَّاق وعَبْدُ بنُ حميْدٍ وابْنُ جريرٍ، وابنُ أبي حاتِمٍ وأبو الشَّيْخ عنْ مُجاهِدٍ؛ قالَ: «خَلقَ اللهُ الأرْض قبْلَ السَّماء، فَلَمَّا خُلِقَت ثارَ مِنْها دُخانٌ؛

فذلِكَ قولُه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]؛ فسوَّاهن سَبْعَ سمواتٍ بَعْضُهُنَّ فَوْقَ بعْضٍ وسَبْعَ أَرَضِينَ بَعْضُهُنَّ فوْقَ بَعْضٍ»(١).

وقالَ البغويُّ في «تفسيره»(٢) عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادَةُ والسُّدِّيُّ: يعني خَلَق فيها شَمْسَها وقمرَها ونجومَها.

وقال مقاتل: وأوحىٰ إِلىٰ كلِّ سماءٍ ما أرادَ مِن الأَمْرِ والنَهْيِ، وذلك يَوْمَ الخَمِيسِ وَالجُمُعَةِ»، انْتَهىٰ.

وَفي الآياتِ الَّتي ذَكَرْنَا معَ حديثِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وما ذُكِرَ بعْدَهُ مِن الآثارِ عَنِ الصَّحابة وَالتَّابعين دَلِيلٌ عَلىٰ أنَّ الأرْضَ خُلِقَتْ قَبْلَ السَّماء وما فيها مِن الشَّمس وَالقمَرِ والنُّجوم.

بلْ في حديثِ ابنِ عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا النَّصُّ عَلىٰ أنَّ الشَّمس والقَمَرَ والنُّجوم خُلِقَتْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَهُو آخِرُ الأَيَّامِ السِّتَّة الَّتي خَلَق اللهُ فيها الخَليقَةَ، وَفي هذا أبْلَغ رَدٍّ علىٰ ما زعمه طواغيت الإِفْرنجِ مِن انْفصالِ الأرْضِ عنِ الشَّمس؛ لِأَنَّ المُتَقدِّم في الخَلْق لا يكونُ مُنْفصلًا عَمَّا هو مَخْلوقٌ بعدَهُ، ثمَّ لَيْسَ في المَعْقول الصَّحيح ما يُؤَيِّد ما زعموه مِن انْفصال الأرْضِ عن الشَّمس؛ فليْس لَهُم علىٰ ما

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (١/ ٢٦٣) (٢٩)، والطبري (١/ ٤٣٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٧٤) (٣٠٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٦٧).
(٢) (٧/ ١٦٦).

زعموه مِن الانفصالِ دليلٌ أَلْبَتَّةَ، لا مِن المنقولِ، ولا من المعقول.

وَأَمَّا ما زَعَموه مِن سُرْعة دَوَران الأَرْضِ حوْلَ نَفْسِها في أَوَّلِ الأَمْرِ، وَأَنَّ مُدَّةَ اللَّيْلِ والنَّهار إِذْ ذاك كانَتْ أَرْبَعَ ساعَاتٍ فَقَط، وَبِتَوالِي النَّقْص فِي سُرْعَةِ دورانِها حوْلَ نفْسِها زادَتْ مُدَّةُ اللَيْل والنَّهار إلىٰ خَمْس ساعاتٍ، ثمَّ إلىٰ ستٍّ حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربَعٍ وعِشرين ساعَةً.

فَجَوابُه مِنْ وُجوهٍ:

أحدُها: أَنْ يُقال: ما زَعموه مِن دوران الأَرْض حَوْل نفسِها؛ فهُو زَعْمٌ باطِلٌ، وظنٌّ كاذب مردودٌ بالأدلَّة الكثيرة مِن الكتاب والسُّنَّةِ وإِجْماع المُسْلمين عَلَىٰ سكونِ الأَرْضِ وَثَباتِها.

وَقَدْ ذكرتُ ذلك مُسْتوفًىٰ في أَوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

الوَجْهُ الثَّاني: أَنَّ دعوىٰ قِصَرِ مدَّة اللَيل والنَّهار في أَوَّل الأَمْرِ، ثمَّ زيادَتِها شَيْئًا فشيْئًا حتَّىٰ وصلت إلىٰ أربعٍ وعشرين ساعةً، لا تَثْبُت إِلَّا بدليل قاطِعٍ مِن كتاب الله تَعالىٰ، أو ممَّا ثبت عن رسول الله ﷺ؛ لِأَنَّ ذلك مِن أمور الغيب الَّتي لا تُعْلم إِلَّا مِن طريق الوحي، ولا دَليلَ عَلىٰ ما زعموه مِن قصَرِ مدَّةِ اللَّيْل والنَّهار في أَوَّلِ الأمْرِ، ثمَّ زِيادَتِها شيئًا فشيئًا أَلبتَّةَ، وما ليس عليه دَلِيلٌ فهوَ مِنَ الرَّجْم بِالغَيْبِ، وَتَعاطِي عِلْمِ المُغيباتِ حَرامٌ شَديدُ التَّحريمِ، وَمَنِ ادَّعىٰ علْمَ الغيبِ فهُوَ مِن رؤوسِ الطَّواغيتِ، وَمَنْ صَدَّقه فهُوَ مِمَّن آمَنَ بالطَّاغوتِ.

الوَجْه الثَّالث: أَنَّ مَا تَوَهَّمُوه بِعقولِهِم الفاسِدَةِ مِن قِصَرِ مُدَّةِ اللَّيْل والنَّهار في أوَّلِ الأَمْرِ، ثمَّ زِيادتها شيْئًا فشيئًا مردودٌ بقولِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خُطْبته في حجَّة الوداع: «**أَلا إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**»، الحديثُ رواهُ الإمامُ أحمد والشَيخان مِن حديث أبي بَكْرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

ورَواه ابْنُ جريرٍ والبزَّار مِن حديثِ أَبي هُريرَةَ[(٢)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورواه ابْنُ جَرِيرٍ -أَيْضًا- وابْنُ مردويه والطَّبرانِيُّ في «الأَوْسَطِ» منْ حديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قالَ الهيْثَمِيُّ: «ورجالُ الطَّبرانِيِّ ثِقاتٌ»[(٣)].

قَال الجَوْهري: «الزَّمن والزّمان اسمٌ لِقليل الوَقْتِ وكثيرِه»، وكذا قال ابْنُ منظورٍ في «لِسان العَرَبِ»، وصاحِبُ «القاموسِ».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧)، والبخاري (٣١٩٧)، ومسلم (١٦٧٩)، وغيرهم. من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٤٤٠)، والبزار في «مسنده» (١١٤٢) -كشف، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده أشعث بن سوار الكندي «ضعيف».

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٤٤٠)، وابن مردويه كما عزاه له ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٤٥)، والبزار في «مسنده» (٦١٣٤) -بحر، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَقال ابنُ الأثير وابن منظورٍ -أَيْضًا-: «الزّمان يقَعُ علىٰ جَمِيعِ الدَّهْر وبعضِهِ»[١].

وَفي هذه الأحاديث دليلٌ علىٰ أنَّ الزَّمان في عهد النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانَ مِثْل الزّمان يومَ خلق اللهُ السَّموات والأرض، وأنَ مدَة اللّيل والنّهار كانت علىٰ هيئتِها مِن أوّل الدُّنيا، ولم تكن قصيرَةً في أوّل الأمْرِ، ثمَّ زادَتْ شيئًا فشيئًا؛ كما زعمه أعداء اللهِ مِن فلاسِفَةِ الإِفْرنْجِ.

الوَجْه الرَّابِعُ: أنَّ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**يَوْمُ الجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً**»، الحَدِيثُ رَوَاه أبو داود والنّسائيُّ والحاكم بأسانيدَ صحيحةٍ من حديث جابر بنِ عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال الحاكم: صحيحٌ علىٰ شرط مسلمٍ، ووافقَه المُنْذريُّ والذّهبيُّ علىٰ ذلك[٢].

وروىٰ الحافظ أبو يعلىٰ عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **قال**: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إِنَّ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الجُمُعَةِ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ سَاعَةً**»، الحديثَ[٣].

---

(١) انظر: «الصحاح» (٥/ ٢١٣١)، و«لسان العرب» (١٣/ ١٩٩)، وانظر: «القاموس المحيط» (ص١٢٠٣)، و«النهاية» (٢/ ٣١٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٣٨٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٠٣٢ ، وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر: «الترغيب والترهيب» (١/ ٢٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٨١٩٠).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٦/ ٢٠١) (٣٤٨٤)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، =

وَروىٰ الطّبرانيّ في «الكبيرِ» عن ابنِ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: «**إِنَّ رَبَّكُمْ تَعالَىٰ لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ، وَإِنَّ مِقْدَارَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكُمْ عِنْدَهُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَاعَةً**»، الحديثَ(١).

وهذه الأحاديثُ مطلقَةٌ ليْس فيها تقييدٌ بالأزمانِ المُتأخِّرة دُونَ الأزمانِ المتقدِّمة، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ مدَّة اللَّيل والنَّهار كانت أربعًا وعشرين ساعةً مِن أوَّل الدُّنيا، ولم تكنْ قصيرَةً فِي أوَّل الأمْرِ، ثمَّ زادت شيئًا فشيئًا؛ كَما قد زعمه أعداء اللهِ مِن فلاسفة الإفرنجِ اعتمادًا عَلىٰ ظنونِهم الكاذِبَةِ وتَوَهُّماتِهم الخاطِئَةِ.

وَأَمَّا قولُه: وقد أظهر بعض العلماء أنه تمكَّن منَ احتساب النّقص في سُرْعة دوران الأرض، فوجدَ أنَّ هذا النَّقص يبلغ حوالي ثانية واحِدَة لكُلِّ مائَةٍ وعِشرين ألفَ سنَةٍ، وعليْهِ فبَعْدَ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ ينقُصُ دورانُ الأرض بمِقدار ساعَةٍ وعندئذ يُصْبح مجموع ساعاتُ اللَّيل والنَّهار ٢٥ ساعة، وهكذا يَتوالَىٰ النَّقص، ويطَّرِد طول اللّيل والنّهار».

=

وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٥٠٦٧).

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٧٩) (٨٨٨٦)، وغيره عن ابنِ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال الهيثمي: «وفيه أبو عبد السلام. قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله علىٰ الشك - لم أر من ذكره»، انظر: «المجمع» (١/ ٨٥).

فَجَوابُه مِنْ وُجوهٍ:

إحداها: أنَّ تسميتَه للطّواغيتِ المُتعاطِين لعلم الغيب باسْمِ العلماء خطأٌ كبيرٌ، وهو مِن قلْبِ الحقائِقِ؛ لِأَنَّ المطابق لحال أعداء الله أنْ يوصفوا بالجَهل والتّخرُّص واتّباع الظُّنون الكاذبة لا بالعلم.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقال: كُلُّ ما زعموه ههنا مِن حساب النَّقص في سرعة دَورانِ الأرْضِ، وما يَبْلغ النَّقص في مِائةٍ وعِشرينَ ألفَ سنَةٍ، وما يبلغ بُعْد ٤٣٢ مليون سنَةٍ، وما يبلُغ مَجْموع ساعات اللَّيل والنَّهار حينئذٍ؛ فكلُّه تخرُّصٌ ورَجْمٌ بالغَيْب، وهو مردود علىٰ قائليه وعلىٰ مَنْ قَبِلَ تَخَرُّصاتِهم وظنونَهم الكاذبةَ واعْتمد عليها.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠].

الوجْهُ الثَّالثُ: أنَّ النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، رواه الإمام أحمدُ، والشَّيخان مِن حديثِ سهل بنِ سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: رأيتُ رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ بأصْبعيْهِ هكذا؛ بالوُسْطىٰ والَّتي تلي الإبهامُ: «**بعثْتُ والسَّاعَةُ كَهاتَيْنِ**».

وفي روايةٍ للبخاريِّ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ هَاتَيْنِ**» وَيُشير بإصْبعيْهِ فيمدّها.

في روايةٍ لأحمد أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَثَلي ومَثَل السّاعةِ كهاتَيْنِ**»، وَفرَّق بيْنَ أصْبُعَيْهِ الوُسْطىٰ والَّتي تلي الإِبْهامَ، ثُمَّ قالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السّاعةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، ثمَّ قالَ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ طَلِيعَةً؛ فَلَمَّا خَشِيَ أَنْ يُسْبَقَ أَلَاحَ بِثَوْبِهِ أُتِيتُمْ أُتِيتُمْ**»، ثمَّ يقول رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**أَنَا كَذَلِكَ**»(١).

وَرَوىٰ الإمامُ أحمد -أَيْضًا- والشَّيخانِ وأبو داود الطَّيالِسِيُّ والتِّرمذي عن أنسِ بنِ مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**».

زَادَ مُسْلِمٌ: «**قَالَ شُعْبَةُ**: وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ فِي قَصَصِهِ: كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ»، فَلَا أدْرِي أَذَكَرَهُ عنْ أنسٍ أو قالَهُ قتادةُ.

وفي رواية له عن مَعْبَدٍ -وهو ابن هلالٍ- عنْ أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهاتَيْنِ**»؛ قَالَ: وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَىٰ(٢).

وَرَوىٰ البُخَارِيُّ -أَيْضًا- وَابْنُ مَاجَه، واللَّفظ له عنْ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣١)، والبخاري (٤٩٣٦)، ومسلم (٢٩٥٠)، وغيرهم من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٣)، والبخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤)، والطيالسي في «المسند» (٢٠٩٢)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال: قال: رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ(١).

وَروىٰ الإمامُ أحمَدُ ومُسْلِمٌ وابنُ ماجه عَنْ جابِرِ بنِ عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كانَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلا صَوْتُه، وَاشْتَدَّ غضَبُه حتَّىٰ كأنَّه مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ(٢).

وروىٰ التِّرمذي عَنِ المَسْتورد بنِ شَدّاد الفِهْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا فِي نَفَسِ السَّاعَةِ؛ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ هَذِهِ**»، لِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ(٣).

قَالَ الحافِظُ ابنُ حَجَرٍ: «قَوْله: (فِي نفَس) بِفَتْحِ الفاءِ، وَهُو كنايَةٌ عن القُرْب؛ أي بُعِثْت عنْدَ نَفَسِهَا»(٤)، انْتَهىٰ.

وَروىٰ الإمامُ أحمَدُ بإسنادٍ صَحيحٍ عن بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سمعْتُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٥)، وابن ماجه (٤٠٤٠)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٠)، ومسلم (٨٦٧)، وابن ماجه (٤٥)، وغيرهم من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٢١٣)، وغيره من حديث المستورد بن شداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٣٣٩).

(٤) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٣٤٨).

رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «**بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ جميعًا، إِنْ كادَتْ لَتَسْبِقُنِي**»(١).

وَرَوىٰ الإمامُ أحمَدُ -أَيْضًا- بإسناد حسن عن جابر بنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رأيْتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِير بِإِصْبعيْهِ، ويقولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ**».

وَرَواهُ ابْنُ جريرٍ، وَلَفْظُهُ قالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ أُصْبُعَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَارَ بِالمِسْبَحَةِ والَّتي تليها، وهو يقول: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَذِهِ مِنْ هَذِهِ**»، وَفِي روايَةٍ: «وجمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ»(٢).

وَفِي هذه الأحاديث علىٰ اخْتِلاف ألفاظِها إِشَارَةٌ إِلىٰ قِلَّةِ المُدَّةِ الَّتي بَيْنَ بَعْثَةِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ قِيامِ السَّاعَةِ.

قال عِياضٌ وَغَيْرُهُ: «والتَّفَاوُتُ إِمَّا في المُجَاوَرَةِ، وَإِمَّا في قَدْرِ مَا بَيْنَهُمَا ويُعَضِّدُهُ - أي القولَ الأخيرَ - قولُهُ: كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَىٰ الأُخْرَىٰ».

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨)، وغيره من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «حسن لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٣٠٩)، وابن جرير في «تاريخه» (١/ ١٢)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره دون قوله: إن كادت لتسبقها».

وَقال القُرْطبيُّ في «المُفْهِمِ»: «حاصِلُ الحديثِ تقريبُ أمْرِ السَّاعَةِ، وَسُرْعَةِ مجيئها»[١].

وقال البَيْضاوِيّ: «معناهُ أنَّ نسبةَ تَقَدُّم البَعْثَةِ النَّبويَّة علىٰ قيامِ السّاعَةِ كَنِسْبة فضل إحدىٰ الإِصْبعينِ عَلَىٰ الأخْرَىٰ، ورجَّح الطيبيُّ هذا القولَ، ذَكَر ذلك الحافظ ابن حجر في «فتح الباري»..»[٢].

وقال الحَسَن البصريُّ: «بَعْثَةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أَشْرَاطِ السَّاعَةِ»، ذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ في «تَفْسِيرِهِ»[٣]، وَقالَ: هو كما قال.

وقال ابنُ كثيرٍ -أَيْضًا-: «بعثَةُ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أشْراطِ السَّاعة؛ لِأَنَّه خاتَمُ الرُّسل الَّذي أكْمَلَ اللهُ بِهِ الدِّين، وأقامَ بِهِ الحجَّةَ علىٰ العالَمِينَ»[٤].

وقال البغوي في «تفسيره»[٥]: «وكانَ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أشراطِ السّاعة».

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٤٩).

(٢) (١١/ ٣٥٠).

(٣) (٧/ ٣١٥) ط: دار طيبة.

(٤) (٧/ ٣١٥).

(٥) (٧/ ٢٨٤).

وذكر الحافظ ابنُ حجرٍ في «فتح الباري»[١] عن الضَّحّاك أنَّه قال: «أوَّلُ أشراطِها بعثةُ محمّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وَإِذا عُلِمَ قُرْبُ زمَنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قيامِ السّاعة، وأنّها كادَتْ أنْ تَسْبقه، عُلِم بُطْلان ما يَهْذُو بِه طواغيتُ الافْرنجِ مِن أنَّه بعد ٤٣٢ مليون سنَةٍ ينْقُص دَورانُ الأرْضِ بمِقدار ساعَةٍ، ويصْبِح مجموعُ ساعاتِ اللّيل والنّهار ٢٥ ساعَةً، وأنَّه هكذا يَتوالىٰ النّقص، ويطّرد طولُ اللّيل والنّهار.

وَلا يخفىٰ أنَّ قولهم هذا يُعارِض قولَ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَينِ**»، وقولَهُ -أَيْضًا-: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا-: «**بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السّاعَةِ**»، وَقَوْلهُ -أَيْضًا-: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي**».

وَإذا تعارض قولُ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقولُ غيْرِه منَ النّاس؛ فقولُ الغيْرِ مُطَّرَحٌ مردودٌ علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

ولَوْ كان الأمْرُ علىٰ ما زَعَمَه أعداءُ اللهِ مِن طولِ مُدَّة اللّيل والنّهار بَعْدَ ٤٣٢ مِلْيون سنَةٍ لَمَا كانَتْ بعثَةُ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ أشراطِ السّاعَةِ.

وفي الأحاديث الَّتي ذكرنا أبلغُ ردٍّ علىٰ هذا التّخرُّص والظّن الكاذبِ.

---

(١) (١١/ ٣٥٠).

الوَجْه الرَّابع: أنَّ ما زعمه أعداء الله تَعالىٰ مِن زِيادَةِ اللَّيل والنَّهارِ مِقدار ساعَةٍ في كلِّ ٤٣٢ مليون سَنَةٍ بناءً علىٰ ما تَوَهَّموه بِعقولِهِم الفاسدة مِن نقصانِ دوران الأرْضِ، يقْتَضِي أنْ يكونَ قَدْ مَضَىٰ علىٰ الأرْضِ ثَمانيَةُ آلافٍ وسِتُّمائَةٍ وأرْبعون مليون سنَةٍ مُنْذُ خُلِقت، أو مُنْذ انْفصالها عن الشَّمس علىٰ حَدِّ تعبيرهم الخاطِئِ وظنِّهم الكاذبِ، وهذا مِنَ الرَّجم بالغيب.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ [يونس: ٢٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقدْ ذكرَ ابنُ قتيبةَ(١) في كتاب «المعارف»(٢) أنَّ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ عاش ألْفَ سنةٍ، وكانَ بينَهُ وبيْنَ الطُّوفان ألفانِ ومِائتان واثنتان وأربعون سَنَةً، وبيْنَ الطُّوفان وبيْنَ مَوْتِ نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثلاثُمائةٍ وخمسونَ سَنَةً، وبيْنَ نوحٍ وإبراهيم ألفٌ

---

(١) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة، أبو محمد الدينوري، نزيل بغداد، صاحب التصانيف. حدث عن ابن راهويه، وغيره. وعنه ابنه القاضي أحمد، وعبد الله بن جعفر بن درستويه، وغيرهما. صنف: «غريب القرآن»، وغير ذلك. مات في سنة (٢٧٦). انظر: «تاريخ الإسلام» (٦/ ٥٦٥).

(٢) (ص٥٦).

وأربعون سَنَةً، وبيْنَ إبراهيمَ وموسىٰ تِسْعُمائة سنةٍ، وبين موسىٰ وداود خمسُمِائة سنَةٍ، وبين داود وعيسىٰ ألفُ سنةٍ، وبين عيسىٰ ومحمد صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعليهم أجمعين ستُّمائة وعشرون سنَةً، فكان مِن عهد آدم إلىٰ محمد سَبْعَةُ آلاف وثمانُمائة واثنتان وخمسون سَنَةً علىٰ ما ذكره ابنُ قتيبةَ.

وقَد مَضىٰ منْذُ وُلِدَ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ سنتِنا هذهِ -وهِي سنة ١٣٨٨هـ- ألفُ سنَةٍ وأربَعُمائةٍ وإحْدَىٰ وأربعون سَنَةً، فيكونُ منذ خُلِق آدمُ إلىٰ هذه السّنَةِ تِسْعَةُ آلافٍ ومِائتان وثلاثٌ وتسعون سنةً. وهذا يُعارِضُ مَا تخرَّص به الفَلَكِيُّون مِن طُول المُدَّة الَّتي مضت علىٰ الأرض مُنذ خُلِقتْ إلىٰ الآن.

وما ذَكَره ابنُ قتَيْبةَ في تحديدِ المدَّة الَّتي كانت مُنْذُ خُلِقَ آدَمُ إلىٰ أنْ ولد النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهُو ممَّا لا يَنْبَغِي الجَزْمُ بِه؛ لِأَنَّ ذلك لمْ يثْبُتْ عن المعصومِ -صلوات الله وسلامه عليه-، ومع هذا فهو أقرَبُ إلىٰ الصَّواب ممَّا تخرَّصه أعداءُ الله وتَوَهَّموه بِعقولهم الفاسدَةِ.

وإذا عُلِم هذا؛ فالواجِب علىٰ المسلمين الإعراضُ عنْ أعداءِ الله تَعالىٰ وعَن تَخَرُّصاتهم وظُنونهم الكاذِبَةِ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ قدْ حذَّر منْهُم، وأمَرَ بالإعراضِ عنْهُم؛ فقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

الوَجْهُ الخامِسُ: أنَّ ما قرَّره في هذا الموضع يقتضي أنَّ الدُّنيا لا تزال باقيةً علىٰ الأَبد، وأنَّه ليس هناك قيامةٌ ولا بعثٌ ولا آخرةٌ، وقد قرَّر هذا المعنىٰ فِي صَفْحَةِ ١١٧ حيثُ قال عن القرآن: «إِنّه كتاب أبديٌّ سرمديٌّ أُنْزل للخلودِ والبقاءِ، وَلِيكون دينًا أبديًّا للإنسانية جمعاء»، انْتَهىٰ.

وَالآيات القرآنيَّة والأحاديثُ الصحيحة في إثبات القيامةِ والمعاد أكثَرُ مِن أنْ تحصَرَ.

وَقد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

وقال تَعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشورىٰ: ١٧].

وفي هذه الآيات أبْلغُ ردٍّ علىٰ ما ذكرنا مِن تَخَرُّصات أعداءِ اللهِ وظُنونهم الكاذبَةِ.

الوجْهُ السّادس: أنَّ الصَّوَّاف قد نَقَض ما قرَّره في هذا الموضع بما قرَّره فِي صَفْحَةِ ١٠٤ مِن أنَّ حركة الأرض حوْلَ محوَرِها يبْلُغ من الِانتظامِ والدِّقَّة بحيثُ لا يَلْحقه خَلَلٌ، ولا تقديمُ أو تأخيرُ ثانِيَةٍ واحدة في موعدها، ولوْ بعد قرونٍ. وهكذا الباطِل لا تجِدُه إلَّا مخْتلِفًا ينْقُض بعضُه بعضًا.

وَأمَّا قولُه: «وعلىٰ هذا الأساسِ يقول العلماء أنَّ الأرْضَ لابُدَّ أنْ تقِفَ يومًا وَاللهُ أَعْلَمُ بذلك اليومِ، وعند وقوفها يصبح الوَجْه المقابِلُ للشَّمس نهارًا دائمًا، والوجْهُ البعيد عنها ليلًا دائمًا، وهذا ما أشار إليه الرّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في كتابه العزيز، وما ذكر النّاس بِهِ مِن تعاقُبِ اللَّيْل والنَّهار».

فَجوابُه مِن وُجوهٍ:

أَحُدها: أنَّه لا ينبغي تسميَةُ أعداءِ الله باسْم العلماء؛ لِأَنَّ هذه التَّسمية لا تَلِيق بهم، ولا تُطابِقُ حالَهُم، وقدْ تَقَدَّم التَّنبيه عَلىٰ ذلك قريبًا.

وقَدْ روىٰ ابْنُ أبي الدُّنيا وأبو يَعْلىٰ والبيهقيُّ في «شُعَب الإيمان» عنْ أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إذا مُدِحَ الفَاسِقُ غَضِبَ الرَّبُّ،**

وَاهْتَزَّ لِذَلِكَ العَرْشُ»(١).

وَمِن المَعْلومِ أنَّ اسْمَ العالِمِ والعُلماءِ مِن أعلىٰ صِفات المَدْحِ والتَّعظيمِ، وَعَلىٰ هذا فَلَا يَنبَغي مَدْح أعْداءِ اللهِ، وَلَا تسميَتُهم بأسْماءِ المَدْح وَالتَّعظيم؛ لِأَنَّ ذَلِك ممَّا يُغْضب الرَّبَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَهْتَزُّ له العَرْشُ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يقالَ: إنَّ الأرضَ لا تزال واقفَةً ساكنَةً منْذُ أرساها اللهُ بالجِبال إلىٰ أنْ تقومَ السَّاعة، فَتُرَجُّ رجًّا؛ كما أخبرَ الله بذلك في قوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ۝٣ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ۝٤ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝٥ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝٦ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ١-٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

وَقال تَعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ [الحاقة: ١٣-١٥].

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة: ١-٢] الآياتِ.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (٢٢٨)، وأبو يعلىٰ في «المعجم» (١٧١)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٤٤)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده أبو خلف الأعمىٰ البصرىٰ، نزيل الموصل، خادم أنس بن مالك - متروك.

فَأمَّا قبْلَ يومِ القيامةِ، فهي كما قلنا «لا تَزالُ واقفةً ثابتَةً»، وقدْ تضافرَتِ الأدلَّةُ مِن الكتابِ والسُّنَّة علىٰ وُقُوفها وثَبَاتها، وأجْمعَ المُسْلمون عَلىٰ ذلك، وَأَجْمع علىٰ ذَلِك أهْلُ الكِتاب -أَيْضًا-، وَقامَتْ علىٰ ذَلِكَ الأدلَّة العقليَّةُ الصَّحيحةُ، وقدْ ذكرتُ ذلك مُستَوْفًىٰ في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك، وَما زَعمه الخرَّاصون مِن أنَّ الأرض لابُدَّ أنْ تقف يومًا فهو مردود بما ذكرنا مِن الأدلَّةِ علىٰ وقوفها مُنْذ أُرْسِيتْ بِالجبالِ إِلىٰ أنْ تَقوم السَّاعَةُ.

الوَجْه الثَّالث: قَوْلهم: «إِنَّه عِنْد وقوفِها يُصْبِح الوَجْه المُقابل لِلشَّمس نهارًا دائمًا، والوجْهُ البعيد عنها ليلًا دائمًا».

جَوابُهُ: أنْ يقالَ: إِنَّما يكون هذا لو وَقَفَت الشَّمس عنْ حركتِها وَجَريانها فِي الفَلَك، وهي لا تَقِف إلىٰ يوْمِ القِيامة؛ كما قال الله تَعالىٰ: **﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾** [الرعد: ٢]، قال أبُو الفَرَج ابنُ الجوزِيِّ في «تفسيره»(١): «أَيْ إلىٰ وقْتٍ معلومٍ، وهو فَناء الدُّنيا».

وَقال ابْنُ كثيرٍ في قوله: **﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ﴾** [إبراهيم: ٣٣]، قال: القُرْطبيُّ: «المَعْنىٰ يجريانِ إلىٰ يوم القيامةِ لا يَفْتُرانِ»، وقال ابنُ كثير: «أيْ: لا يَفْترانِ، ولا يَقِفان إِلىٰ يومِ القيامَةِ»(٢)، انْتَهىٰ.

---

(١) (٢/ ٤٨٠).

(٢) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٥٧٧).

وَإذا عُلِم هذا فَمَا تخرَّصه أعداءُ اللهِ مِن وقوفِ الأرْضِ ودوامِ النَّهار عَلىٰ الوَجْه البعيد عَنْها مردودٌ عليهم؛ لأنَّه مِن الرَّجم بالغيب، والأرْضُ لم تزل وَاقِفةً ساكنَةً منذ أرساها الله بالجبال، ولا تزال كذلك إلىٰ يوم القيامة؛ كما تقدَّم تقريره في الوجه الثَّاني.

الوجه الرَّابع: أنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يُشِرْ قطُّ إلىٰ حركَةِ الأرْضِ ودَورانها حوْل نفسها وعلىٰ الشَّمس، فضْلًا عنِ الإشارة إلىٰ وقوف حركَتِها في المُسْتقبل، ودوامِ النَّهار علىٰ الوجه المقابل للشَّمس ودوامِ اللَّيل علىٰ الوجه البعيد عنْها.

وَما زعمه الصَّوَّاف ههنا فهُو كَذِبٌ علىٰ اللهِ، وعَلىٰ كِتابه، وَقد قالَ اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود: ١٨، ١٩].

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠].

وَقد تقدَّم حديثُ ابنِ عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لا يَعْلَمُ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، رَواه الإمام أحمَدُ والتِّرمذيُّ وَابْنُ جريرٍ والبغوِيُّ، وقال التّرمذِيُّ: «هَذا حديثٌ حسَنٌ صحيحٌ»(١).

وَما ذُكِر في هذا الحديثِ والآيات قَبْلَه مِن الوعيد الشّديد يَمْنع مَنْ لَهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِن عَقْل مِن الجَراءَةِ علىٰ القرآن، والقَوْلِ فيه بِغير عِلْمٍ، وَمَن اجْترَأ علىٰ القَوْل في القُرآن بغير علم، ولَمْ يُبالِ بهذا الوعيد الشديد، فذلك لا عَقْل لَهُ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

* * *

فصل

قال: الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٧ ما نَصُّه:

(الشَّمس) تَنْتَقِل الآنَ إلىٰ الآية الكُبرىٰ مِن آياتِ عَظَمة اللهِ وقدْرَته وَجلاله وَهِي الشَّمس الَّتي جَعَلها اللهُ آيةَ النَّهار؛ كما جَعَل القَمَر آيَةَ اللَّيْل وقدَّره منازل لِنَعلم عَدَد السِّنين والحساب.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢].

هذه الشَّمس الَّتي ما زالت أسرارها في الخفاء، والَّتي ما زالت مَوْضع حَدْس وتَخْمينٍ، هذه الشَّمس الَّتي لَيْست مصدَرَ نورِنا ونارِنا فَقَطْ؛ بَلْ هي مِحور نِظامنا السَّياري ومصدَرُ حياتنا -أَيْضًا-، هذه الشَّمس الَّتي كانَتْ ما يكتشف عنْها يزيدُها غموضًا، ولم تُزِحْ يدُ العِلم بَعْدُ النِّقابَ عنْ كلِّ ما يجبُ أنْ نَعْلمه عَنِ الواحدَةِ مِن احْتِراقِها، وَلَم تَزَلْ تُجَدِّد وَزْنَها وحَجْمَها، هذِه الشَّمس هي آيةٌ من آيات الخالق، وإنْ هي إِلَّا آيَةٌ صغيرَةٌ تزْخَر السَّماء بِملايين مِنَ النُّجوم أضْخَمَ منْها حجْمًا وأكبرَ سُرْعةً، وأكثَرَ تَأَلُّقًا.

وقد قالَ عُلماء الفَلَك: إِنَّما هي كُرَةٌ هائلَةٌ مِن الغازات المُلْتهبةِ، قُطْرها يَزيدُ عَنْ مليون وثلث مليون كيلو متر، وَمُحيطها مِثْل مُحيطِ الأَرْضِ ٣٢٥ مرَّة، ويَبْلُغ ثِقَلُها ٣٣٢ ألفَ ضِعْفِ ثِقَلِ الأرْضِ، وحَرَارَةُ سطْحِها نحو ٦٠٠٠ درجةٍ سنتجراد، وهذا السَّطح تنْدَلِع منْهُ أَلْسِنَة اللَّهب إِلىٰ ارْتِفاع نِصف مليون كيلو متر، وَهِي تَنْثُر في الفضاء باستمرارٍ طاقَةً قدْرُها ١٦٧٤٠٠ حصان مِن كل متر مُربَّعٍ، ولا يَحْصُلُ لِلأرْضِ منها إِلَّا جزءٌ مِن مليونَيْ جزء، وَهِي لا تُعْتَبَر إِلَّا نَجْمَةً، ولكنَّها لَيْسَت في عِداد النُّجوم الكُبرىٰ، وَسَطْحها بِه عواصِفُ وزوابع كهْربائيَّةٌ ومِغناطيسيَّةٌ شديدَةٌ.

والمُشْكلة الَّتي حيَّرَت العُلماء هي أنَّ الشَّمس -كما يُؤْخَذ مِنْ عِلم طَبقات الأرْضِ- لَمْ تزَلْ تُشِعُّ نَفْسَ المِقدار مِنَ الحرارَةِ مُنْذ ملايينِ السِّنينَ، فَإِن كانت الحَرارة النَّاتجة عنها نتيجَةَ احتراقها، فكيْفَ لم تَفْنَ مادَّتُها علىٰ توالي العُصور؛ فَلا شَكَّ أنَّ طريقةَ الاحتراقِ الجارِيَةِ فيها غَيْرُ ما نعهدُ ونألَفُ، وَإِلَّا لكفَاها ستَّة آلافِ سَنَةٍ لِتَحْتَرِق، وتَنْفَدَ حرارَتُها.

وَقد زعَمَ البَعْضُ أنَّ النَّيازِكَ والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سَطْحها تُعَوِّض الحرارة الَّتي تَفْقِدها بطريقِ الإشْعاعِ.

وَالجوابُ أنْ يقالَ: هذا الكلام يدورُ عَلىٰ التَّناقض واتِّباع الظُّنون الكاذِبَةِ، وَمَع ذلك فَقَد أدْخلَه الصَّوَّاف في عِلْمِ الفَلَك الَّذي نَسَبه إلىٰ المُسْلمين، وذلك مِن أكْبَر الخَطَأِ، وأعْظَمِ الفِرْية علىٰ المسلمين.

فأمَّا التَّناقض، فالأوَّلُ مِنْه أنَّه قرَّر في أوَّل كلامه أنَّ الشَّمس هي الآية الكُبرىٰ مِن آيات عظمة الله وقُدْرته، ثمَّ نَقَض ذلك بقوله: «وَإِن هي إِلَّا آية صغيرةٌ تزْخَر السَّماء بملايين مِن النُّجوم أضخم منها حجمًا، وأكبر سُرْعةً، وأكثَرُ تألُّقًا» -أي إضاءة-، وبقوله: «وَهِي لا تعتبر إِلَّا نجمَةً ولكنَّها ليست في عِداد النُّجوم الكُبرىٰ»، وبما ذكره فِي صَفْحَةِ ٩٨ -٩٩ عَنِ الفَلكيِّين أنَّ الشِّعْرىٰ اليَمانيَّةَ أثْقَل مِنَ الشَّمس جِرْمًا بِعشرين مرَّةً، وأنَّ نورَها خمسون ضعفَ نُورِ الشَّمس، وأنّ ثلاثًا مِن بناتِ نَعْش يَفُقْنَ الشَّمس نورًا، واحدَةٌ مِنْهُن أربعُمِائة

ضِعْف، وَالثَّانية أربَعُمائةٍ وثَمانين، وَالثَّالثة أَلْفُ ضعفٍ، وَأَنَّ سُهَيْلًا أَضْوَأُ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، وأنَّ السّماك الرَّامح حجْمُه ثَمانون ضعفَ حجْمِ الشَّمس.

وَالصَّواب: أَنَّ الشَّمس أكْبَر مِن سائِرِ النُّجوم حجْمًا، وأشَدُّ إضاءَةً، وَإِنَّها مِن أعظَمِ الآياتِ السَّماويَّةِ، وَلَيْس شيءٌ مِن النُّجوم يُقارِبُها في كِبَرِ الحَجْمِ، وَشِدَّة الإِضاءَةِ.

وَالدَّليل عَلىٰ ذلك قَوْلُ اللهِ تَعالىٰ مُخْبِرًا عَنْ مُناظَرَةِ إِبْراهيمَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨].

وَفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أنَّ الشَّمس أكبر مِنَ الكواكِبِ.

وَأَيْضًا، فقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، والبُروج هي الكواكب العِظام، قاله مُجاهِدٌ وسعيدُ بنُ جُبَيْرٍ وأبو صالح والحسن وقتادَةُ وغيرُهم.

وَقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وَرَوىٰ ابْنُ مردويه عَنِ ابْن مَسْعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أَمَّا السَّمَاءُ الدُّنْيَا، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَهَا مِنْ دُخَانٍ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَزَيَّنَهَا بِمَصَابِيحَ، وَجَعَلَهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ**»(١).

وَرَوىٰ البَيْهَقِيُّ فِي كِتاب «الأَسْمَاءِ وَالصِّفات» بِإِسنادٍ صَحيحٍ عَنْ عبد الله بنِ عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهُ قالَ: «خلَقَ اللهُ سبع سموات، وخلق فوقَ السَّابعة الماءَ، وجعلَ فوق الماءِ العرْشَ، وجَعل في السَّماء الدُّنيا الشَّمسَ والقمر والنُّجوم والرُّجوم»(٢).

وَإِذا عُلِمَ ما في الآية الأُولىٰ مِن النَّص علىٰ أَنَّ الشَّمس والبُروجَ في السَّماء وما في الآياتِ بعْدَها مِنَ النَّص عَلىٰ أَنَّ الكواكب في السَّماء الدُّنيا، وَما في حَدِيثَي ابْنِ مَسْعودٍ وعبدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مِن النَّصِّ علىٰ أَنَّ الشَّمس والنُّجوم كُلَّها في السَّماء الدُّنيا، فَلا رَيْبَ أَنَّه ليْسَ شيْءٌ مِن الكواكِبِ

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله، وقد سبق.

يُقاربُ عُشْرَ عُشْرِ الشَّمس في كِبَرِ الحَجْمِ وَشِدَّة الضِّياءِ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تكون المَلايينُ مِنْها أضْخَمَ مِن الشَّمس حَجْمًا، وَأَكْثَر تألُّقًا -أيْ أَشَدَّ إِضاءَةً- وَلَوْ كان الأمْرُ عَلىٰ ما يَزْعُمه الصَّوَّاف وأشْبَاهُهُ مِن أتْبَاعِ أَهْل الهيئَةِ الجديدَةِ، لكانَتِ السَّماء الدُّنيا مَمْلوءَةً مِن الشُّموسِ العِظام، ولكانَ ضَوْؤها يَطْمِس ضوءَ الشَّمس ونُورَ القَمَرِ؛ بَلْ لو كانَ الأمْرُ علىٰ ما زعموه لَاحترَقَ ما بَيْن الخافقيْنِ، ولمْ يُمْكن أنْ يعيشَ علىٰ الأرضِ شَيْءٌ من شدَّة حرارة الشُّموس المزعومة، ولمْ يكُنْ عنْدَ أهْلِ الأرْضِ ليْلٌ أبدًا؛ بلْ يكونُ النَّهار دائِمًا سَرْمدًا مِن كثرة الشُّموس الَّتي تُعَدُّ عندهم بالملايين.

وَفَساد قولِ أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم في تَعَدُّد الشُّموس لا يخفىٰ إلَّا علىٰ مَنْ ختمَ اللهُ علىٰ سمعه وقلْبِه، وجعَلَ علىٰ بَصره غِشاوَةً، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَةِ» في المِثال الحادِيَ عشَرَ من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدة؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَيْضًا، فقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا ۝١٢ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ۝١٣﴾ [النبأ: ١٢-١٣]، قَالَ البغوِيُّ في «تفسيرِه»[(١)]: «﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا﴾ [النبأ: ١٣] يعنِي الشَّمس: ﴿وَهَّاجٗا﴾ مُضِيئًا منيرًا».

قال الزَّجاجُ: «الوَهّاج الوَقّاد».

---

(١) (٨/ ٣١٢).

وقال مُقاتِلٌ: «جَعل فيه نورًا وحرارَةً، وَالوَهجُ يَجْمع النُّور والحرارة».

وَقال ابْنُ كَثيرٍ علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]: «يَعْني الشَّمس المنيرَةَ عَلىٰ جميعِ العَالم الَّتي يتوهَّج ضوْؤُها لِأَهْلِ الأرْضِ كُلِّهِم»[١]، انْتَهىٰ.

وَقال الرَّاغِبُ الأصْفَهانِيُّ[٢]: «الوَهَج حُصُولُ الضَّوءِ، وَالحَرِّ مِن النَّار، وَالوَهَجان كذَلِك: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]، وتَوَهَّج الجَوْهر تَلأْلَأَ»[٣].

وَقال ابنُ منظورٍ في «لِسان العَرَبِ»[٤]: «وَالوَهَج والوَهْج والوَهَجان وَالتَّوَهُّج حرارَةُ الشَّمس والنّار مِن بعيدٍ، وَالوَهْجُ بِالتّسكينِ مَصْدرُ وَهَجت النّار تَهِج وَهْجًا ووَهَجانا إذا اتَّقَدَت»، انْتَهىٰ.

وَقال اللهُ تَعالىٰ مخبِرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنَّه قالَ لقومِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٣).

(٢) هو الحسين بن محمد أبو القاسم، العلامة، المحقق، صاحب التصانيف له «جامع التفاسير»، وغير ذلك. توفي سنة (٥٠٢). انظر: «السير» (١٨/ ١٢٠)، و«الأعلام» (٢/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المفردات في غريب القرآن» (ص٨٨٥).

(٤) (٢/ ٤٠١).

قال البغويُّ في قوْله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]: «قال الحسن: يعني في السماء الدنيا»: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ [نوح: ١٦] مصباحًا مضيئًا(١).

وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، قال أبو الفرج ابْنُ الجوزيِّ في «تفسيرِهِ»(٢): «المُراد بالسِّراج الشَّمسُ»، قال: «وقال الماورديُّ: لَمَّا اقترَنَ بِضوء الشَّمس وَهَجُ حَرِّها جَعَلها لِأَجْلِ الحرارة سِراجًا، وَلَمَّا عُدِمَ ذلك فِي القَمَرِ جعلَهُ نورًا».

وَقال ابْنُ كثيرٍ(٣) علىٰ قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وَهِي الشَّمس المُنيرَةُ الَّتي هِي كالسِّراج في الوُجود؛ كَما قالَ تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ [النبأ: ١٣]»، انْتهىٰ.

وَفِي التَّفْسِيرِ المَرْوِيِّ عن ابن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قوله: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ [الرعد: ٣] في السّماء: ﴿سِرَاجًا﴾ شمسًا مضيئَةً لبني آدم بالنَّهار: ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ مضيئًا لبني آدم بالليل»، انْتهىٰ.

وَفي هذه الآيةِ والآيتَيْنِ قبْلَها أَوْضَحُ دليلٍ عَلىٰ أنَّه ليس في الوجود سوىٰ شمسٍ واحدَةٍ جعلها الله سِراجًا للعالَم.

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٣١).

(٢) (٣/ ٣٢٦).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٣).

وَفي هذه الآيات أبْلَغُ رَدٍّ عَلىٰ ما يهذو بِهِ أهْل الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعُهم من وجود الملايين مِن النُّجوم الَّتي يزعمون أنَّها أكبر مِن الشَّمس حجمًا وأشَدُّ إضاءَةً.

وَقد روىٰ الإمام أحمد والتِّرمذيُّ مِن حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَ فَبَدَا سِوَارُهُ لَطَمَسَ ضَوْؤُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ؛ كَمَا تَطْمِسُ الشَّمْسُ ضَوْءَ النُّجُومِ**»(١).

وَهَذا الحديثُ يدلُّ علىٰ أنَّ ضَوْءَ الكواكب كُلِّها لا يُقاوِم ضوْءَ الشَّمس فضلًا عن أنْ يكون فيها ما هو أكبر مِن الشَّمس وأعظَمُ منها ضوْأً بكثيرٍ.

وَرَوىٰ الإمام أحمد وأبو داود والتِّرمذي وابن مَاجَه وَابنُ حبان في «صحيحه» وَالبيهقيُّ عن أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**».

وَرَوىٰ الدَّارِمِيُّ في «سُنَنِهِ» وَلَفْظُهُ: «**وَإِنَّ فَضْلَ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ١٦٩)، والترمذي (٢٥٣٨)، وغيرهما من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، والدارمي في «سننه» (١/ ٣٦١) (٣٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٨٩) (٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (١٥٧٣)، وغيرهم من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. =

وَرواه أبُو نعيم في «الحِلْية» عن مُعاذ بنِ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ**»(١).

وَفِي هذيْنِ الحديثيْنِ النَّصُّ عَلىٰ تفضيل القمر علىٰ سائر الكواكب، وفي هذا النَّصِّ أبلغُ رَدٍّ علىٰ ما يهذو به أهل الهيئة الجديدة وأتباعُهم مِن وجود الملايين من النُّجُوم الَّتي يزعمون أنَّها أكبر من الشَّمس حجمًا وأشدُّ إضاءَةً.

وَأمَّا الأدلَّة علىٰ أنَّ الشَّمس مِن أعظَمِ الآيات السَّماوية لَا مِن أصْغَرِها فَفِي عدَّة آياتٍ من القرآن منها قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقولُهُ تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يس: ٣٧-٤٠].

=

وصححه الألباني في «المشكاة» (٢٢٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٤٥)، وغيره عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] الآيَةَ.

قال مُجاهِدٌ: «الشَّمْسُ آيَةُ النَّهار، والقَمَر آية اللَّيل»(١).

وقوله تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وَقَد جاء عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في عدَّة أحاديث صحيحةٍ أنَّه قال: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ، لا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلا لِحَيَاتِهِ**»(٢).

وَفي الآيات الَّتي ذكرنا مع هذه الأحاديث دليل علىٰ أنَّ الشَّمس والقمر مِن أعظَمِ الآيات السَّماوية، وَلِهذا نَصَّ الله عليهما دون سائر الأجرام السَّماويَّة، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ مَن زعم خِلاف ذلك.

الثَّاني مِن تناقُضِ الصَّوَّاف: أنَّه ذكر الآية مِن سورة الرَّعد، وَفِيها النَّصُّ علىٰ جريانِ الشَّمس، ثمَّ عارض الآية بِقَوْله في الشَّمس: «بلْ هي مِحور نظامِنا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٤٧٠) عن مجاهد به.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٥٢)، ومسلم (٩٠٧)، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وفي الباب عن المغيرة بن شعبة، وأبي بكرة، وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

السّياري»، يعني أنّها المركز الثَّابت الَّذي تدورُ عليه الأفلاك والكواكِبُ، وَمِنها الأَرْض بزعْمِه وزَعْمِ أسلافه أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ».

وَنَحْو هذا ما ذكره في آخر كلامِه عنِ البعض «أنَّ النَّيازك والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سطح تعوِّض الحَرارة الَّتي تفتَقِدها بطريق الإشعاع»، يعني أنَّ الشَّمس هي المَرْكز والمُسْتَقرُّ الَّذي يقع عليه ما يسْقط مِن الأجْرام العُلْويَّةِ.

والحَقُّ ما أخبر الله به في كتابه من جريان الشَّمس وسَبْحِها في الفَلَك وَدَأْبها في السَّير.

وَقَد نَصَّ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَيْضًا- علىٰ جَرَيان الشَّمس واستمرارِها في ذلكَ، وَقَد ذكَرْتُ الأحاديثَ بِذلك في أَوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَما كان جاريًا وسابحًا في الفلك علىٰ الدَّوام؛ فإنَّه لا يكون مِحورًا ثابتًا تدورُ عليه الأفلاك والكواكِبُ.

وَكُلُّ قولٍ خالَفَ كتابَ اللهِ تَعالىٰ أَوْ ما صَحَّ عنِ النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فمضروبٌ به عُرْضَ الحائط، ومردودٌ علىٰ قائِله.

وَأَمَّا زَعْمهم أنَّ النَّيازك وَالشُّهب تَسْقط عَلَىٰ ظهْرِ الشَّمس، فهو مردودٌ بقولِ الله تعالىٰ: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

وَالشَّمس في السَّماء بنَصِّ القرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١].

وَقال تَعالىٰ مخبِرًا عنْ نوحٍ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّه قال لقومه: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وما كانَ في السَّماء فَهُو ممَّا أمْسكه اللهُ تَعالىٰ مع السَّماء عَنِ الوُقوع علىٰ الأرْضِ، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ الأرض هي المركز للأثقال، والمُسْتقرُّ لِما ينزل مِن السماء.

ويدلُّ علىٰ ذلك -أَيْضًا- آياتٌ وأحاديث ذكرْتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَةِ» في آخر الأدلَّة من القرآن علىٰ ثَبات الأرْضِ واسْتِقرارها؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَإِذا كانتِ الأرْض مركزًا للأثقال ومستَقَرًّا لِما يَنْزل من السّماء، فالنَّيازك والشُّهب الَّتي تَسْقط من السَّماء إنَّما تَسْقط علىٰ الأرْضِ لا علىٰ الشَّمس.

وَقد ذكر «فريد وجدي» في دائرة المعارف عِدَّة نيازك سَقَطت علىٰ الأرض وصارَ لها آثارٌ باقيةٌ، وذكر الصَّوَّاف ثلاثَةً منها فِي صَفْحَةِ ٨٢ من رسالته.

الثَّالث مِن تَناقض الصَّوَّاف: زَعْمه أنَّ الشَّمس تَفْقد أربعَةَ ملايين طِنٍّ مِن وَزْنِها في الثَّانية الواحِدَةِ، ثمَّ نَقَض ذلك بقوله: «وَلَمْ تزَلْ تُجَدِّد وزْنَها وحجْمَها».

وَهَذا كلُّه تخرُّص لا دليلَ عليه مِن كتابٍ وَلا سُنَّةٍ ولا مَعقول صحيح، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ

﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وَقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

الرَّابع من تناقض الصَّوَّاف: أنَّه ذكر فِي صَفْحَةِ ٤١ أنَّه بتَقَدُّمِ العِلْم أمْكَن إِلىٰ حَدٍّ ما معرِفَةُ عناصِرِ الشَّمس، فوَجَد أنها تتكون مِن نَفْسِ العناصر الَّتي تتكون منها الأرض، ثمَّ نَقَض ذلك بما ذكره في هذا الموضع عن الفلكِيِّين أنَّ الشَّمس إنَّما هي كُرَةٌ هائِلَةٌ مِن الغازات الملتهبةِ.

وَكُلٌّ مِن هذيْنِ القوليْنِ باطِلٌ وضَلالٌ، ويَلْزم علىٰ القول الأوَّلِ أنْ تكونَ الشَّمس تُرابًا وَأَحْجارًا وماءً مِثل الأرْضِ، ولو كانت كذلك لما كانَتْ سِراجًا وَهَّاجًا؛ كما وصفها الله بذلك، وإنَّما تكون باردَةً مضيئَةً، وهذا معلوم البُطْلانِ بالضَّرورة، ويلزم علىٰ القول الثَّاني أنْ تكون الأرض كرَةً مِن الغازات الملتهِبَةِ، وهذا -أَيْضًا- معلوم البُطْلان بالضَّرورةِ.

وَأَمَّا ما في كلامه من التَّخرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذِبِ فكثيرٌ، ومنه قوله في الشَّمس: إِنَّها مصدَرُ نارِنا.

وَهذا خطأ مردود بقولِه تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، وقولِهِ تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ٧٢﴾ [الواقعة: ٧١-٧٢].

وكما تكونُ النَّار مِن الشَّجر؛ فكذلك تكون مِن الشَّمس بواسطة بَعْض الزُّجاج، وتكون -أَيْضًا- من الكَهْرباء، ومن الكِبْريت، ومن الأحجارِ الصّلبَةِ، وَغير ذلك مما تتولَّد منه النَّار بواسطة الاحتكاك.

وَمَن قالَ: إنّ النّار مصدرها الشَّمس وحدَها فهو مِن أجهَلِ النَّاس.

وَمِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذب -أَيْضًا- قوله في الشَّمس؛ بَلْ هي مِحْور نِظامنا السّيّاري، وَمَصْدر حياتِنا، وَقَدْ تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ قَوْلِه؛ بَلْ هي مِحور نِظامنا السّياري قريبًا.

وَأمَّا قولُه: وَمَصْدر حياتِنا.

فَجَوابه مِن وجهيْنِ:

أحدُهما: أنْ يقالَ: إنّ الحياة مصدَرُها مِن اللهِ وحدَهُ لا شريك له في ذلك، فهُوَ الَّذي أوْجَد الخَلْق مِن العدَمِ، وهيَّأ الأسباب لِحياتهم في دارِ الدُّنيا، وفي الدّار الآخرَةِ.

ومَن قال: (إنّ الشَّمس هي مصدر الحياةِ)، فقد جعلَها نِدًّا لله تَعالىٰ.

وَالقرآن مملوءٌ مِن تقريرِ التَّوْحيد وَالرَّدِّ علىٰ مَنْ جعل لله نِدًّا مِن خلقه.

قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [الملك: ١-٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤].

وقال تعالىٰ: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ﴾ [الحج: ٦٦].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة: ٦-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾

[الحجر: ٢٨-٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَـٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [ص: ٧١-٧٢].

والآيات الدالَّة علىٰ تفرُّد الرّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالخلق والإيجاد كثيرةٌ جدًّا، وفيما ذكرتُه ههنا كفاية.

ورَوىٰ الإمام أحمد والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسىٰ؛ فَقَالَ مُوسَىٰ: يَا آدَمُ، أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**»(١)، الحَدِيثَ.

وَرَوىٰ الإمام أحمد -أَيْضًا- والشَّيخانِ مِن حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ الشَّفاعةِ قالَ: «**فَيَقولُ النَّاس بعضُهم لبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ**»(٢)، الحديثَ.

وَرَوىٰ الإمام أحمدُ والشَّيْخان -أَيْضًا- وأبو داود الطيالسِيُّ وأهل السُّنَنِ إِلَّا النسائيَّ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدَّثنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو الصَّادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ /٣٩٨)، والترمذي (٢١٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرىٰ» (١١٠٦٥)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «ظلال الجنة» (١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٣٥- ٤٣٦)، والبخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ المَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»(١)، الحَدِيثَ.

فَقَدْ دَلَّتِ النُّصوص مِن القُرآن والأحاديثِ الصَّحيحة عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعالىٰ نفخَ فِي آدَمَ مِنْ رُوحه، وَدَلَّ حديثُ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أَنَّ الله تَعالىٰ يُرْسل إِلىٰ بَنِي آدَمَ ملكًا ينفخ فيهم الرُّوح وهم في بُطون أَمَّهاتهم، وفي هذا أبلَغُ رَدٍّ علىٰ مَنْ قال: إِن الشَّمس هي مصدَرُ حياتِنا.

وَقَد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لقيام المعايش في الدُّنيا أسبابًا كثيرَةً، ومِن أعظَمِها الماءُ واللَّيْل والنَّهار والشَّمس والقَمَر؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، قال البغوي: «أيْ أَحْيَيْنا بِالماءِ الَّذي ينزِل من السَّماء كُلَّ شيء حيٍّ؛ أيْ من الحيوانِ، ويدخلُ فيه النَّبات والشَّجر، يعني أنَّه سببٌ لحياة كلِّ شيءٍ»(٢)، انْتَهىٰ.

وَقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٢)، والبخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣)، وأبو داود (٤٧٠٨)، والترمذي (٢١٣٧)، وابن ماجه (٧٦)، والطيالسي (٢٩٦)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ٣١٦).

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النحل: ١٠-١٣] الآيات إلىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[النحل: ١٨].

وَقال تَعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٢-٣٤].

والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ، وفيما ذكرْتُه ههنا كفاية في الرَّدِّ علىٰ مَن زعم أنَّ الشَّمس هي مصدر الحياةِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ تعظيمَ الشَّمس بغير ما جاء عن الله تَعالىٰ ورسولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعبةٌ من المجوسِيَّةِ؛ لِأَنَّ المجوس كانوا يعظِّمون النَّار والنُّور والشَّمس والقمرَ، وقد قال عبيد الله بنُ الحسينِ القيروانيُّ جدُّ العبيديين في «رسالته إلىٰ سليمانَ بنِ الحسن بن سعيد الجنابي القرمطيِّ»: (وَمَن وجدْتَ مجوسيًّا اتفقت معه في الأصلِ في الدَّرجة الرَّابعة منْ تعظيم النَّار والنُّور

والشَّمس والقمرِ)، ذكر ذلك عنهم القاضي أبو بكر محمَّد بنُ الطَّيِّب الباقلانيُّ، ونقله عنه شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمِيَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في رَدِّه علىٰ الرَّافِضِيِّ(١).

ورِسالة عبيد الله إلىٰ القرمطي هي الَّتي تسمي عِندهم بـ«البَلاغِ الأكْبَرِ، والنَّاموسِ الأعظم»، أوصاه فيها بِدعاء جميعِ الطَّوائف إلىٰ مذهبهم الخبيثِ، وأمَرَهُ أنْ يتقرَّب إِلىٰ كُلِّ قوْمٍ بما هو معظَّم عندهم، وما تميل أنفسُهُم إليه من العقائد وغيرها.

وَإِذا أضيف إلىٰ تعظيم الشَّمس ما زعموه منْ كونِها مصدَرَ الحياة؛ فذلك زيادةُ شَرٍّ إلىٰ شَرٍّ، وضَمُّ مجوسِيَّةٍ إِلىٰ مجوسيَّةٍ أخرىٰ، وكما أنَّ تعظيم الشَّمس من شُعَب المجوسِيَّة؛ فهو -أَيْضًا- مِن دين اليونان المتقدمين وغيرِهم مِن الصَّابِئين الَّذين يعبدون الشَّمس والقمر والنُّجوم، ويزعمون أنَّها تُدَبِّر أمرَ العالم.

فينبغي للمسلم أنْ يبْعُدَ غايَةَ البُعْد عَن عقائد المشركين، ولا يتعلَّق بشيْءٍ منْها؛ فيكون منهم وهو لا يشعر، فَقَد ثبتَ عنِ النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قال: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»، رواه الإمام أحمدُ وأبو داود مِن حديثِ عبد الله بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصَحَّحه ابْنُ حِبَّانَ، وقال شيخ الإسلام أبو العباس ابْنُ تيمِيَّة -رَحِمهُ

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٨/ ٤٨١).

اللهُ تَعالىٰ- إِسنادُهُ جَيِّد، وقال الحافظ العراقيُّ: «إسنادُهُ صحيحٌ»، وقال ابن حجر العسقلانيُّ: «إسنادُهُ حسن،» وقد احتج الإمام أحمد بهذا الحديث، وذلك يقتضي صحَّتَه عنده[(١)].

وَمِن التَّخَرُّص واتِّباع الظَّنِّ الكاذب -أَيْضًا- زعْمُهُ أنَّ الشَّمس تَفْقِد أربعة ملايين طِنٍّ من وزنها في الثَّانية الواحدة مِن احتراقِها.

والجَوابُ أنْ يقالَ: لو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لكانت الشَّمس قد ذهبت منذ دهْرٍ طويل، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

ومِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنّ الكاذب -أَيْضًا- قوله في الشَّمس: ولم تزل تُجدِّد وزنها وحجمها.

والجوابُ أنْ يُقال: إِنّ الشَّمس مخلوقَةٌ مسخَّرَةٌ بأمر الله تَعالىٰ، ولَيْس لها تصرُّف في نَفْسها بِزيادة وَلا نَقْص، وكذلك ليس لها تصرُّفٌ في غيرها من المخلوقات، ومن زعم أنَّها تُجدِّد وزْنَها وحجْمَها فقدْ جعل لها تصرفًا في نفسها، وذلك مِن الشِّرْك في الرُّبوبيَّة.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبو داود (٤٠٣١)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
وانظر: «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٢/ ٦٧٦)، و«فتح الباري» (١٠/ ٢٧١).
وصححه الألباني في «الإرواء» (١٢٦٩).

وَمِن التَّخرُّص واتِّباع الظَّنّ الكاذب -أَيْضًا- قولهم: (إِنّ الشَّمس كُرَةٌ من الغازات الملتَهِبَةِ)، وما زعموه مِن تحديد قُطْرها، وتحديدِ مُحيطِها وثِقَلِها وحرارَةِ سَطْحها، وما زعموه من نَشْرها للطّاقات الكثيرة في الفضاء، وأَنَّ سطحها به عَواصِفُ وزوابِعُ كهْربائيَّة ومغناطيسيَّةٌ شديدَةٌ، وأَنَّها لم تزَلْ تُشِع في نفس المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين، وأَنَّ النَّيازك والشُّهب الَّتي تسقط علىٰ سطحها تعوِّض الحرارة الَّتي تفقدها بطريق الإشعاعِ.

فكُلُّ هذه تَخَرُّصاتٌ وظنونٌ كاذبة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

* * *

فصل

وقَدْ ذَكَرَ الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٨-٥٩-٦٠ إعلاناتٍ لبعض الإفرنج المعاصِرين عنِ انفجاراتٍ حدَثَت في الشَّمس في سنة ١٩٥٦ -١٩٥٧ ميلادية،

مِنْها ما يعادِلُ القوَّة النّاجمة عن تفجير مليون قنبلة هيدروجينيَّةٍ، وَأَنَّه حَدَث في مِنْطقة أكْبَرَ بكثيرٍ مِن مساحة الكرة الأرضيَّة، ومنها ما يُعادل انْفِجار مائَةِ مليون قنبلة هيدروجينية دَفْعَة واحِدَةً.

وَهذه كُلُّها تَخَرُّصاتٌ وهذيانات لا تَروج إلىٰ علىٰ مَنْ لا عَقْل له، وقد أدخلها الصَّوَّاف في علم الفَلَك الَّذي نَسَبه إِلىٰ المسلمين، وذلك مِن أكبر الخطأ وأعظَمِ الفِرْية علىٰ المسلمين، وقدْ قالَ الله تَعالىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وَمِن هذا القبيل ما نشر في جريدَةِ الرِّياض في عدد١٠٠٩ في يوم الخميس خامس جمادىٰ الثَّانية سنة ١٣٨٨ هجرية، تحت هذا العنوان:

(انْفِجارٌ في الشَّمس يُهَدِّد الأَرْضَ)

وَهَذا نص المنشور:

«**داندي -اسكتلندة- ٢٨ أغسطس- ١ ب**: سيَأْتي ذلك اليومُ المشرقُ الَّذي ستنفجر فيه الشَّمس، وعندما يقرُب ذلك اليومُ؛ فإنَّ الطّريق الوحيدةَ لإنقاذ الأرض هي إبعادها بعيدًا عن الشَّمس، هذا هو رأي الفَلَكي (أيان روكسبرغ) الذي تكهَّن بهذا الانفجار أمام المؤسسة البريطانية للتَقدُّم العلمي أمسِ، ويقول: إنّه عندما يقترب موعد الانفجار، فإنَّه سيكون يومًا عظيمًا للذين

يَعْشقون أنْ تَلْفَح الشَّمس جُلودَهم بالسّمرة، وقبيل الانفجار النائي ستحترق الشَّمس بسطوعٍ أكثَرَ بعشرة آلاف مرَّةٍ ممَّا تبدو عليه الآن، وستمدد أربعمائة مَرَّة أكثَرَ من حجمها الحالي، وبعدها ستنفجر ويَنْدفعُ ثُلثُها إلىٰ الفضاء، وستكون سرعة الاندفاع عشرين مِيلًا في الثَّانية، أي (٧٢) ألف ميل في السَّاعة، وسيَخِرُّ كلُّ شيء في طريقه بما في ذلك هذا الكوكَبُ الذي نحن فيه، ولكن متىٰ ينتظر أنْ يأتي ذلك اليوم الرهيب، يقول (روكسبرغ): أنَّه بَعْدَ خمسة ملايين عام».

انْتهىٰ ما نُشِر في الجريدة من التَّخرُّص والهذيانِ الذي يشبه هذيان المجانين، ولا يروج هذا الهذيان إلَّا علىٰ مَن أضلَّه اللهُ، وختم علىٰ سمعه وقلبه، وجعل علىٰ بصره غشاوةً.

وقَد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ﴾ [هود: ١٢٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تَعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآيَةَ.

وَمِن مفاتيح الغيب الَّتي استأثر الله بِعِلمها عِلْمُ ما يكون في المستقبل، فَلا يعلم ما يكون في المستقبل إِلَّا اللهُ، أو مَنْ أظهره الله علىٰ ذلك مِن المُرْسلين؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧] الآية.

وَرَوىٰ الإمام أحمد والبخارِيُّ عنِ ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَفَاتِيحُ الغيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهنَّ إِلَّا اللهُ**؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]».

وَرَوىٰ الإمام أحمد -أَيْضًا- بإسْناد صحيحٍ عن بُرَيْدَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوَه(١).

وَفِي «الصّحيحين» وغيرِهما من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قِصَّة مجيءِ جبريل إلىٰ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسؤالِهِ عنِ الإيمان والإسلامِ والإحسانِ، وَعَنِ السّاعة، نحوَهُ -أَيْضًا-.

وَفِي «المُسْنَدِ» من حديث ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا نحوُ ذلك -أَيْضًا(٢)-.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣)، وغيره من حديث بريدة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣١٨)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال الأرنؤوط: =

وَروىٰ الإمام أحمد والبُخاريُّ وأهلُ السُّنن إِلَّا النّسائِيّ عن خالد بن ذَكْوان قال: قالت الرُّبَيِّعُ بِنْتُ مُعَوِّذِ بْنِ عَفْراء رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: جاء النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يَدخُل حِين بُنِيَ عليَّ فَجلَسَ عَلَىٰ فِرَاشِي كَمَجْلِسِكَ مِنِّي، فَجَعَلَتْ جُوَيْرِيَاتٌ لَنَا يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَنْدُبْنَ مَنْ قُتِلَ مِنْ آبائِي يَوْمَ بَدْرٍ؛ إِذْ قَالَتْ إِحْدَاهُنَّ:- وَفِينَا نَبِيٌّ يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ- فقالَ: «**دَعِي هَذِهِ، وَقُولِي بِالَّذِي تَقُولِينَ**»، قال التِّرمذيُّ: «هذا حديث حسن صحيحٌ».

وَزَاد ابنُ ماجه في آخِرِه: «مَا يَعْلَمُ مَا فِي غَدٍ إِلَّا اللهُ»، وَإسناده صحيحٌ علىٰ شرط مسلم(١).

وَروىٰ الإمام أحمد والبخارِيُّ -أَيْضًا- عن مَسْروقٍ قال: قُلْت لعائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: يا أُمَّ المؤمنين، هل رأىٰ محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَبَّه؟ فقالَتْ: «لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ مَنْ حَدَّثَكَهُنَّ فَقَدْ كَذَبَ؟ مَنْ حَدَّثَك أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام: ١٠٣]: ﴿**۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ**﴾ [الشورىٰ: ٥١]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا

=

«حديث حسن».

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٠)، والبخاري (٤٠٠١)، وأبو داود (٤٩٢٢)، والترمذي (١٠٩٠)، وابن ماجه (١٨٩٧)، وغيرهم.

فِي غَدٍ فَقَدْ كَذَبَ، ثمَّ قَرَأَتْ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، وَمَنْ حَدَّثَكَ أَنَّهُ كَتَمَ فَقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: ﴿ ۞ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧] الآيَةَ، وَلَكِنَّهُ رَأَىٰ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.

وَرواه مُسْلِمٌ، وَلَفْظُهُ: عن مَسروق قالَ: كُنْت متكئا عند عائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالَتْ: «يا أبا عائشةَ، ثلاثٌ مَن تكلَّم بواحدة منهن فقَدْ أعظَمَ علىٰ الله الفِرْيَة»، فذكر الحديث، وفيه قَالَتْ: «ومَن زعم أنَّه يخبر بما يكون في غدٍ فقد أعظم علىٰ الله الفرْيَة والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]»(١).

وَفِي الآيات والأحاديث الَّتي ذكرنا أبْلَغُ رَدٍّ عَلىٰ مَنْ زعم أنَّه يعلم ما يكون في المستقبل.

وَإِذا كانَ أشْرَف المُرْسلين صلوات الله وسلامه عليهِ لا يعلم ما يكون في غدٍ، فغيرُه مِن النّاس أوْلىٰ أَنْ لا يعلموا ذلك.

وَعَلىٰ هذا فَمَن زعم أنَّه يَعْلم ما يكون في المستقبل فهو مِن رءوس الطَّواغيت؛ لِكَوْنِه قد نازعَ اللهَ فيما استأثَرَ به مِن عِلْم الغيبِ، وَمَن نازعَ اللهَ في خصائصه فهو طاغوتٌ شاءَ أمْ أبىٰ، ومن صدَّقه فيما يقولُ فهو ممَّن آمَنَ

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٤٩)، والبخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧)، وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

بالطَّاغوت شاء أم أبىٰ.

وَمَن زعم أنَّه يَعْلم ما يَكون بعد ملايين السّنين فهو شَرٌّ ممَّن زعم أنَّه يعلم ما يكون في غدٍ القريبِ.

وَقَدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] أي: يَجْرون فيهِ، ويسيرونَ بِسُرْعة.

وَقال تَعالىٰ في أربعة مواضِعَ مِن القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ [الرعد: ٢] قال البغوِيُّ وغيرهُ: «أي: إلىٰ وقت معلومٍ وهو فناء الدُّنيا»(١).

فالشَّمس لا تزال جاريَةً سابِحَةً في فلكها الَّذي جعلها الله فيه ما دامت الدُّنيا، فإذا كان يوم القيامة أُدْنِيت مِن الخلق حَتَّىٰ تكونَ مِنهم كمِقْدارِ مِيلٍ، وَزِيد في حَرِّها؛ كما جاءت بذلك الأحاديثُ عنِ النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. ثمَّ بَعْد ذلك تُكَوَّرُ في النَّار كما قال تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١].

وَروىٰ ابنُ أبي حاتِمٍ عن ابنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: (يُكَوِّر اللهُ الشَّمس

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٩٣).

والقَمَر والنُّجوم يوْمَ القِيامَةِ في البَحْرِ، وَيَبْعَث اللهُ رِيحًا دَبُورًا؛ فَيُضْرِمُها نارًا).

وَكَذا ذَكَرَ البغوِيُّ في «تفسيرِهِ» عنِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال ابن كثيرٍ: وكذا قال عامر الشَّعْبِيُّ.

قُلْتُ: وَيَشْهد لهذا الأثر ما رواه البُخارِيُّ في «صحيحه» عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ مُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيامَةِ**»[١].

وَرواه البزار بإسناد صحيحٍ علىٰ شرط مسلمٍ، ولفظُه: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالقمَرَ ثَوْرَانِ عَقِيرَانِ**[٢] **يَوْمَ القِيَامَةِ**»[٣].

وروىٰ الحافِظُ أبو يعلىٰ عنْ أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثله[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٠)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) وفي لفظ: «نوران عقيران». قال ابن الأثير: وفي حديث كعب: «إن الشمس والقمر نوران عقيران في النار. قيل: لمَّا وصفهما الله تعالىٰ بالسباحة في قوله: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثم أخبر أنه يجعلهما في النار يعذب بهما أهلها، بحيث لا يبرحانها، صار كأنهما زمنان عقيران، حكىٰ ذلك أبو موسىٰ». انظر: «النهاية» (٣/ ٥٢٩)، و«لسان العرب» (٤/ ٥٩١).

(٣) أخرجه البزار كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٢٩)، وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله. وانظر: «الصحيحة» (١٢٤).

(٤) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٧/ ١٤٨) (٤١١٦)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «الصحيحة» (١٢٤).

وروى ابنُ أبي حاتم عن الشَّعْبِيّ أنَّه سمِعَ ابنَ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وجَهَنَّمُ هو هذا البَحْرُ الأخْضَرُ تَنْتَثِرُ الكواكبُ فيه، وَتُكَوَّر فيه الشَّمس والقمرُ، ثمَّ يوقَد فيكون هو جهَنَّم».

فَهذه نِهاية الشَّمس يومَ القيامة لا ما تَخرَّصه عدوُّ الله «أيان روكسبرغ» مِنَ انفجارها وزيادَةِ سطوعها، وتمدُّدِ حجمها، واندفاع بعضها إلىٰ الفضاء، وسُرعة اندفاع المندفع منها، وأنه سَيَخِرُّ كلُّ شيءٍ في طريق ذلك المندفع منها، ومن ذلك الأرضُ.

فهذا كلُّه من زُخْرُفِ القول الذي أوحاه إِلَيْهِ شَيْطانه؛ كما قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

[الأنعام: ١١٢-١١٣].

وفي هذه الأُكْذوبة الَّتي افتراها «أيان روكسبرغ» التَّصريح بِأنَّه قد تَكهّن بما زَعمه مِن انْفجار الشَّمس، والكهانة مِن أمورِ الجاهلية الَّتي قدْ أبطلها الإسلام، والكُهَّان هم الذين تَنزَّل عليهم الشَّيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ

وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١-٢٢٣] قال قَتَادة: «هم الكهنة»، وقال ابن كثير على قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢] أي: «كذوب في قولِه وهو الأفَّاك. أثيمٌ: وهو الفاجر في أفعالِه؛ فهذا هو الذي تنزل عليه الشياطين من الكُهَّان وما جرىٰ مجراهم مِن الكذَبَةِ الفَسَقة»، انْتَهىٰ.

وَمِن أعظَمِ المصائب الَّتي أصيب بها كَثِيرٌ مِن المسلمين تلَقِّيهم لأكاذيبِ أعداء الله تَعالىٰ وتَخَرُّصاتِهم بالقَبُول ومقابلتها بالرِّضا والتَّسليم، ونَشْرها في كُتُبِهم وجرائدهم، وتمسكهم بها أعَظْمَ ممَّا يتمسَّكون بنصوص الكتاب والسُّنَّةِ، وَزعمهم أنَّ ذلك مِن تقدُّم العلم، وهذا مِن تلاعب الشَّيطانِ بهم.

فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيمِ.

وَقَد وَرَد التَّشْديد في إِتْيان الكُهَّان وَتَصْديقِهِم، وَأَنَّ ذلك مِنَ الإيمانِ بِالجِبْت والطَّاغوت، وَقَدْ ذَكَرْتُ ذلك مُسْتوفيًا في أوَّل الكتابِ؛ فلْيُراجَعْ.

وَأَمَّا زعمُهُم أنَّ التكهُّن بانفجار الشَّمس مِن التّقدُّمِ العلمِيِّ فهو مِن قَلْبِ الحقيقَةِ، وَالصَّوابُ المطابِقُ للحقيقَةِ أنَّ ذَلك مِن تقدُّم الجَهْل وظُهورِهِ كَمَا أَخْبرَ بذلك رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «**مِنْ أشْراطِ السّاعَةِ أنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ**»، متَّفَقٌ عليه مِن حديث أنس بن مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

وَأَمَّا قولُه: «وعِندما يَقْرُب ذلك اليومُ؛ فإن الطّريق الوحيدةَ لإنقاذ الأرض

---

(١) أخرجه البخاري (٨١)، ومسلم (٢٦٧١)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

هي إِبْعادها بعيدًا عن الشَّمس».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هَذا مِن أَسْمَجِ الهَذيان والهَوَسِ، ولا يتفوه بِمِثل هذا الهذيان عاقِلٌ أبدًا.

وَمَن هُو الَّذي يقدِر علىٰ زَحْزَحَةِ الأرض مِن موضعها سوىٰ اللهِ تَعالىٰ، ولوِ اجتمع الأوّلونَ والآخرون مِن الجِنِّ والإنس لَمَا قَدَروا علىٰ زحزحة أَكَمَةٍ مِن الآكام عن موضعها فضْلًا عنِ الجبلِ العظيم؛ فكيف بالأرض؟!

وَقد جاء في عدَّةِ أحاديثَ صحيحةٍ أنَّ الشَّمس تُدْنَىٰ يومَ القيامة مِن الخَلْقِ حتَّىٰ تكونَ مِنْهم كمِقْدَار مِيلٍ، وفي بعضها التَّصريح بِأنَّها تُدْنىٰ مِن الأرض فَتَصْهَرُ النّاس، ويَتَضَرَّرون منها، ولا يَضُرُّ ذلك الأرضَ شيئًا.

وَكذلك قد جاء في الأحاديثِ والآثار الَّتي تَقَدّم ذكرُها قريبًا أَنَّ الشَّمس والقمر يكوَّران يومَ القيامَةِ في البحر، وتنْتَثِر الكواكب فيهِ، ولا يُؤَثِّر ذلك في الأرض، ولا تَتَزَحْزَحُ مِن موضِعها فضلًا عنْ أنْ تخِرَّ منه.

وَأَمَّا تسميتُه الأَرْضَ كوكبًا؛ فهو خطأٌ وضَلالٌ. وقدِ استوفيت الرَّدَّ علىٰ هذا القولِ الباطل في «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: إن ما هذىٰ به مِن الانفجار يكون بعْدَ خمسَةِ ملايين عام، فهو مَرْدودٌ بِقول الله تَعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ

تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وَقَدْ ثبتَ عَنِ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عِدَّة أوْجُهٍ أنَّه قالَ: «**بُعِثْتُ أَنا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالوُسْطَىٰ.

وفِي رواية: «**مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، وَفِي رواية «**بُعِثْتُ أَنَا فِي نَفَسِ السَّاعَةِ؛ فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبقَتْ هَذِهِ هَذِهِ**»؛ لإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ.

قَال الحافِظُ ابْنُ حجَرٍ: «قَوْلُهُ في نَفَس بِفَتْحِ الفاءِ، وهو كناية عن القُرْب، أي بُعِثْتُ عِنْدَ نَفَسِها»، انْتَهىٰ.

وَفِي روايَةٍ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا، إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي**».

وَفِي هذه الأحاديثِ إشارةٌ إِلىٰ قِلَّةِ المُدَّةِ الَّتي بَيْنَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبيْنَ قِيامِ السّاعَةِ، وَلِهَذا قال الحَسَن البَصْرِيُّ: «بَعْثَةُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَشْرَاطِ السّاعَةِ»، ذكره ابن كثير في «تفسيره»[١]، وقال: هو كما قال.

وَقال البغوي في «تفسيره»[٢]: «وكان النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أشراط السَّاعة»، وكذا قال ابن كثير: «بعثةُ الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن أشراط السَّاعةِ»[٣].

---

(١) (٧/ ٣١٥) ط: دار طيبة.

(٢) (٧/ ٢٨٤).

(٣) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٣١٥).

وذَكر الحافظ ابن حَجَرٍ في «فتْحِ البارِي»[١] عَنِ الضَّحّاك أَنَّه قالَ: أوَّل أشْراطِها بَعْثَةُ مُحَمّدٍ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

وَإِذا عُلِم قرْبُ زمان النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مِن قيامِ السّاعة، وَأَنَّها كادَتْ أَنْ تَسْبِقَه عُلِم بُطْلان ما هذىٰ به (روكسبرغ) من الِانْفجارِ الَّذي يكون في الشَّمس بعدَ خمسَةِ ملايين عامٍ، ولا يخفىٰ أَنَّ قوله هذا يعارِضُ قولَ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**مَثَلِي وَمَثَلُ السَّاعَةِ كَمَثَلِ فَرَسَيْ رِهَانٍ**»، وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ**» وَقَوْلَهُ -أَيْضًا- «**أَنَا وَالسَّاعَةُ جَمِيعًا إِنْ كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي**».

وَإِذا تعارَضَ قَوْلُ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وقوْلُ غَيْرِهِ مِنَ النَّاس، فَقَوْل الغيرِ مَطْروحٌ مردود علىٰ قائِله كائِنًا مَن كانَ.

وَفِي الأحاديث الَّتي ذكرنا أبلغ رَدٍّ علىٰ تخرُّص (روكسبرغ) وهذيانِه لما دلَّت عليه مِن قُرْب قيام السّاعة.

وإذا كان يومُ القيامة لم تبق الشَّمس علىٰ حالها في الدُّنيا، بل تُكَوَّر ويذهب ضوؤُها؛ كما دل علىٰ ذلك الكتاب والسُّنَّةُ.

* * *

---

(١) (١١/ ٣٥٠).

فصل

وَقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٠-٦١-٦٢-٦٣ ما نصُّه:

(سُكون الشَّمسِ وجريانُها) وَالقولُ بجريانها وسيرها أو ثُبوتها وقرارِها قَد سبق إليه العلماءُ الأعلامُ مِمَّنِ اشْتغل بهذا العلم مِن المسلمين في القديم والحديثِ وغيرِهم.

أمَّا القول بثبوتها وقرارها كما يَثْبُت الجبل في مَحَلِّه والسَّهل في مكانه، فَلَم يَقُل بِه أحَدٌ فيما نَعْلم، والَّذين قالوا بِقرارها قالوا هي ثابتَةٌ ومُتَحَرِّكة في آنٍ واحدة، ثابتةٌ علىٰ مِحورها الذي أرساه الله لها، ومتحرِّكَةٌ حوْلَ هذا المِحْور أي هي دائِرَةٌ حوْلَ نفسِها، ومِثْلُها مِثْلُ المِرْوحة السّقفية الكهربائية، فهي ثابِتَةٌ في سَقْفها، وهي متحرِّكة حوْلَ نفسِها، وبحركتها يَنْطَلِق الهواء المطلوب، وهؤلاءِ استدَلُّوا بقوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]، وفسَّروا المُسْتقرَّ بِالمِحْورِ، وَقَد قالَ بِمِثل هذا القَوْلِ رجالٌ مِن سَلَف هذِهِ الأمَّة الخيارِ، وَهُم مِن خَيْرِ العُصور، بَلْ هم مِن العَصْر الأوَّل الَّذي هو خَيْر العصور، فقد ورد عن التَّابعي المَشْهور مُجَاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّه قال في تَفْسير قولِهِ تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]: «إِنَّهُ كَحُسْبَانِ الرَّحىٰ»، وتبعه علىٰ ذلك بعضُ العلماء، وَهذا يُوافِقُ قولَ مَن قالَ: إِنَّها تجري حوْلَ نفْسِها.

وَهَل يجد القارئ الكريم فَرْقًا بَيْن المَثَلِ الَّذي ضربْتُه وهو المِرْوحة حَيْثُ تَتَحرك وهي ثابتةٌ، وبين ما قاله مجاهِدٌ وَمَثَّلَه بالرَّحىٰ، حَيْثُ تتحرَّك كذلك حول نفسها وهِي ثابتَةٌ بِمكانِها، وَقَد ذكرَ قولَ مُجاهدٍ هذا الإمامُ البُخارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه» في كتاب «بَدء الخَلْق» حَيْث قالَ: «بَابُ صِفة الشَّمس والقمرِ، بحُسْبان: قال مجاهد: كحسبان الرحىٰ، وقال غيره: بحسبان ومنازل لا يعدوانها، وحسبان جمع حساب مثل شهاب وشهبان».

قال الحافظ ابن حجَرٍ في «فتح الباري» عند هذه الترجمة ما نَصُّه: «قَوْله قال مجاهد: كحُسْبان الرَّحىٰ، وَصَلَه الفِرْيابيُّ في «تفسيره» مِن طريق ابْنِ أبي نَجِيحٍ عن مُجاهِدٍ[1]، ومرادُهُ أَنَّهما يَجْريان علىٰ حِساب الحَرَكَةِ الرَّحَوِيّة الدَّوْرِيّةِ وعلىٰ وضعها.

قال: وقال غيرُهُ: حِساب ومَنازل لا يَعْدُوانا.

ووقع في نسخة الصّغاني عن ابنِ عبّاس، وقد وَصَله عبْدُ بنُ حميْدٍ من طريق أبي مالك وهو الغِفارِيُّ مِثْله.

---

(١) رواه البخاري (٤/ ١٠٧)، ووصله الفريابي في «تفسيره» كما في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٩١)، ومن طريق الفريابي أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٢/ ١٧٢)، وانظر: «الفتح» (٦/ ٢٩٨).

وروىٰ الحَرْبيُّ والطبريُّ عن ابنِ عبَّاس نحوَه بإسناد صحيحٍ، وبه جزم الفراء»[١]، انْتَهىٰ.

وَنَقل هذا المعنىٰ عن مجاهد جماعَةٌ مِن المفسِّرين الكبار الأئمَّةِ منهم الإمامُ أبو جعْفرٍ ابْنُ جريرٍ[٢]، والإمامُ أبو عبد اللهِ القرطُبِيُّ[٣] وغيرُهُما؛ كما نُقِلَ عَنْ مجاهد رَحِمَهُ اللهُ وَجْهٌ آخَرُ يخالف هذا الوجهَ، وذلك فيما رواه عنه الإمام أبو جعفر ابن جريرٍ في «تفسيره»[٤] حيث قال عند تفسير قوله جَلَّ وَعَلَا في سورة الأنعام: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦]: «حدثنا القاسم قال: حدثنا الحسين قال: حدثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهدٍ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ قالَ: هو مِثْلُ قوله: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، وَمِثْلُ قوله: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]»، انْتَهىٰ.

وقال ابن حبان[٥] في تفسيره «البحر المحيط»[٦]: «قال مجاهد:

---

(١) انظر: «الفتح» (٦/ ٢٩٨).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٧٢).

(٣) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥٣).

(٤) (٩/ ٤٢٩).

(٥) هو محمد بن يوسف الغرناطي أثير الدين أبو حيان الأندلسي الجياني صاحب التصانيف له «تحفة الأريب»، وغير ذلك. توفي سنة (٧٤٥). انظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٩/ ٢٧٦)، و«الأعلام» (٧/ ١٥٢).

(٦) (١٠/ ٥٥).

الحُسْبان الفَلَك المستديرُ شَبَّهَه بحسبان الرحىٰ، وهو العُود المستدير الَّذي باستدارَتِه تستَدِيرُ المطحنة».

وَنَقَل شيخ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المنادي وأبي محمد بن حزم وأبي الفرج بن الجوزي أنَّهم حَكَوُا الإجماعَ علىٰ أنَّ الأفلاك مستديرَةٌ، كما ذكرنا ذلك سابقًا.

والجوابُ عن هذا من وجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقال: إنّ العُلماء الأعلامَ مِن الصّحابة والتَّابعين وتابِعيهم بإحسان إلىٰ زَمَنِنا كُلُّهم مجمِعُون عَلَىٰ القَوْل بجريان الشَّمس في الفَلَك تَصْديقًا لِما أَخْبَرَ اللهُ بِهِ في كِتابه، وما أخبر به رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الأحاديث الصَّحيحةِ، وَلَمْ يقلْ أحدٌ منهم بِثَبات الشَّمس واستقرارِها، لا في القديم ولا في الحديث، والعِبْرَةُ بِهِم لا بِغَيْرِهِمْ.

وَمَنْ حادَ عَنْ مِنهاج الصَّحابَةِ والتَّابعين مِنَ الفَلَكِيِّين وَغَيْرِهِم، فَهُوَ مِنَ الجُهَّالِ، لا من العلماء ولا عِبْرَةَ بِهِ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إنّ الَّذين سبقوا إلىٰ القولِ بثبات الشَّمس واستقرارِها، هُمْ (فيثاغورس اليوناني) وأتباعُه في القديم، و(كوبرنيك البولوني) و(هرشل الإنجليزي) وأتباعُهما مِن فلاسِفَةِ الإفرنج في الحديث، وهؤلاءِ لَيْسوا

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦١).

مِن المسلمين فضلًا عنْ أنْ يكونوا من العُلَماء الأعْلامِ.

وزَعْمُ الصَّوَّاف أنَّهم مِن المُسْلمين، ومِن العُلماء الأعلامِ، لا أساس له مِنَ الصِّحّةِ، وَإِنَّما هُو تمويهٌ، وَتَلْبيسٌ عَلىٰ الجَهلَةِ الأغْبياءِ.

الوَجْه الثَّالِثُ: أنَّ الصَّوَّاف قد جمَعَ في كَلامه بَيْنَ النَقِيضَيْنِ فقالَ في التّرجمة ما نصه (سكون الشَّمس وجريانُها) وهذا تناقُضٌ لا يصدر مِنْ عاقلٍ؛ لِأَنَّ السُّكون ينافي الجريانَ.

الوجْهُ الرَّابعُ: أنَّ كلام الصَّوَّاف يوهِمُ أنَّ الفلكِيِّين المُنْتَسِبين إلىٰ الإسلام في القديم كانوا يقولونَ بِثَبات الشَّمس واستقرارِها، وهذا كَذِبٌ عليهم؛ لِأَنَّ الفلكِيِّين قَبْل ظُهور أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ كانوا علىٰ القوْلِ بِثَبات الأرْضِ واستقرارِها وجريانِ الشَّمس وسيرِها، وأوَّل مَنْ قال بخلاف ذلك هو (كوبرنيك البولوني) في أثْناء القرْنِ العاشِرِ من الهجرة وتَبِعَهُ علىٰ ذلك مَنْ كانَ بَعْده مِن فلاسفة الإفرنج.

ولمَّا كان في القرن الرابعَ عَشَرَ من الهجرة كثُرَ المقلِّدون لأهل الهيئَةِ الجديدة من العصْرِيِّين المنتسبين إلىٰ العلم، فخالفوا ما جاء في كتابِ الله وما صحَّ عن رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أجْمعَ عليه المسلمون، ولا عِبْرَةَ بهؤلاء العصرِيِّين المفتونين بآراء الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذِبَةِ، وكما أنَّه لا يُعْتَدُّ بِأقوالِ أعداء الله في شَيْءٍ مِن المَسائل العلمية؛ فكذلك لا يُعْتَدُّ بأقوال

أتباعهم ومقلديهم بطريق الأولىٰ، ولو كانوا من المسلمين.

الوجْهُ الخامِسُ: ذَكَرَ الألوسِيُّ فِي صَفْحَةِ ٢٩ مِن كِتابه الَّذي سَمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة» أنَّ أصحاب الزيج الجديدِ ذهبوا إلىٰ أنَّ الشَّمس ساكنةٌ لا تتحرك أصلًا، وأنَّها مركزُ العالم، وأنَّ الأرض وكذا سائر السّياراتِ والثّوابت تتحرَّكُ عليها، وهذا يَرُدُّ قولَ الصَّوَّاف: (إِنّ القول بثبات الشَّمس واسْتِقرارِها؛ كما يَثْبت الجبل في مَحَلِّه لَمْ يَقُلْ به أَحَدٌ).

الوَجْهُ السّادس: أنَّه لم يَجِئْ في كتاب الله تَعالىٰ ولا عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَطُّ أنَّ للشَّمس مِحورًا تدورُ عليْهِ، وَمَن أثْبَتَ أَنَّ لِلشَّمْسِ أو غَيْرِها مِن الأجرام العُلْوِيّةِ مَا لَمْ يخْبِر اللهُ بِهِ ولا رَسُوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُو مُتَخرِّصٌ مُتَّبعٌ للظَّنِّ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والعِلْمُ ما جاء في كتابِ الله تَعالىٰ، وما ثَبَتَ عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

[الأعراف: ٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تَعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾

[النجم: ٣-٤].

الوَجْهُ السّابِعُ: أنَّ القَوْلَ بِثباتِ الشَّمس علىٰ مِحْورِها، وَدَورانِها حَوْلَ نَفْسِها وتمثيلِها بالمِرْوحةِ السّقفية الكهربائيَّة ينافي ما أخبر الله به من جَرَيانها وسَبْحها في الفَلَك ودُؤُوبُها في ذلك، وما أخبرَ به من طلوعها وغُرُوبها ودُلُوكِها وأنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرِق، وما أخبر به رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِن جريانها وذهابِها إِلىٰ مُسْتَقَرِّها تحتَ العرْشِ إذا غَرُبَتْ، ورُجوعِها إلىٰ مطلعها، وطُلُوعِها وارتفاعِها واستوائها وزوالِها ودنوِّها للغروب وغُروبِها، وَحَبْسِها لِـ(يوشعَ بنِ نون) حين حاصر القريَةَ حتَّىٰ فتَحَها الله عليه.

وقدْ ذكرْتُ الآيات والأحاديث الدالَّةَ علىٰ جريان الشَّمس في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وقدْ قال النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حينَ غرُبَت الشَّمس: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ

تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَسْتَأْذِنُ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ، فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]»، رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَالإمام أحمدُ، وأبو داود الطيالِسِيُّ، والتِّرْمِذِيُّ، وَقالَ: هَذا حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

وَفِي رواية لِمُسْلم: أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قَالُوا: اللهُ ورسولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرَّ سَاجِدَةً **فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ العَرْشِ، فَتَخِرَّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ؛ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا**».

وَهذا الحديثُ الصّحيح صريحٌ في بيان المراد من قولِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ﴾ [يس: ٣٨]، وَفِيهِ الرَّدُّ علىٰ مَنْ تأوَّل الآية علىٰ غيرِ تأويلِها.

الوَجْهُ الثَّامن: قالَ شيخُ الإسلام أبو العبّاس ابنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَنْ فَسَّرَ القُرْآنَ وَالحديثَ وتأوَّلَهُ علىٰ غَيْرِ التَّفسيرِ المَعْروفِ عَنِ الصَّحابَةِ والتَّابعين فهو مُفْترٍ علىٰ الله، مُلْحِدٌ في آياتِ اللهِ، مُحَرِّفٌ لِلكَلِمِ عَنْ مَواضِعِه»، انْتَهىٰ(١).

وَمِنَ الافتراء علىٰ اللهِ والإلحادِ في آياته وتحريفِ الكَلِمِ عنْ مواضعه تفسيرُ المُسْتَقَرِّ بالمحْورِ الَّذي تدورُ عليه الشَّمسُ؛ علىٰ حدِّ زعمهِم الباطِلِ. وَمُخَالَفَةُ ما ثبت عن النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في تفسيرِ قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] الآيَةَ.

وقَدْ تقدَّم حديثُ أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ذلك، وفيه كِفايَةٌ في الرَّدِّ علىٰ مَنْ فسَّرَ المُسْتَقَرَّ بالمِحْوَرِ.

الوَجْهُ التَّاسِعُ: أنَّ تفسيرَ المُسْتَقَرّ بالمِحْورِ الَّذي تدورُ عليه الشَّمس وهي ثابِتَةٌ في موضعها كما تدورُ المروحة السقفية الكهربائية، خَطَأٌ مردودٌ مِنْ وجهينِ:

أحدُهُما: أنَّ الَّذي يجري لَا يثبُتُ في موضِعِه، بل يفارِقُه بِالانتقال إلىٰ غيره؛ كما قال اللهُ تَعالىٰ مخبِرًا عن سفينة نوح عَلَيْهِٱلسَّلَامُ: ﴿۞ وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡر۪ىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ﴾ [هود: ٤١-٤٢] الآياتِ إلىٰ قولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] الآيَةَ.

ففَرَّق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بيْنَ جرْيِ السّفينَةِ في الماءِ، وبيْنَ رُسُوِّها واستوائِها علىٰ جَبَل الجُودِيّ.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ﴾ [الشورىٰ: ٣٢-٣٣].

ففرّق سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بيْنَ جريِ السُّفُنِ في الماء وبين رُكودِها علىٰ ظَهْر البَحْر وهو وُقوفُها وسكونُها عليْهِ.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ [الأنبياء: ٨١] الآيَةَ.

والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرَةٌ جِدًّا.

ثانيهما: أنَّ الذي يدور علىٰ مِحوره مَع ثباتِه في موضِعه لا يوصف بالجَريان، وإنما يوصف بالدّورانِ فَقَط.

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قد وصف الشَّمس بِصفات لا تنطَبِق علىٰ ما هو ثابتٌ في موضعه ودائِرٌ علىٰ محوره؛ فوَصَفها بالجريان والدُّؤوب في ذلك والسَّبْحِ في الفَلَك والطُّلوعِ والغُروبِ والدُّلوكِ والتَّزاوُر.

وأخبر أنه يَأْتِي بِها مِن المَشْرق.

وكذلك الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصَفَها بالجَريان والطُّلوع والارْتِفاع والاِسْتواءِ والزَّوالِ والدُّنُوِّ مِن المغرِب، والغُروبِ، والذَّهاب إلىٰ مُسْتَقَرِّها تحت العَرْشِ إذا غربت، ورُجوعِها بعد ذلك إلىٰ مَطْلَعِها،

وأَخْبَرَ أَنّها حُبِسَت لِـ«يوشع بن نون» حين حاصَرَ القريَةَ حتَّىٰ فَتَحَها اللهُ عليه، وهذه الصِّفات لا تنطبق علىٰ ما هو ثابِتٌ في موضِعِه ودائِرٌ علىٰ مِحْورِهِ كالمِرْوحَةِ السّقفِيَّةِ الكهربائِيَّةِ، وإِنَّما تنطبق علىٰ ما هو سائِرٌ علىٰ الدّوامِ.

وَبِما ذكرنا يتَّضح بُطْلانُ ما حاوله المُقَلِّدون لأهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن حمل الآية الكريمةِ علىٰ زعمهم الباطِلِ.

وَهَهنا أمرانِ ينبغي التَّنْبيهُ عليهما.

أحدهُما: أنَّ لفظ الدّوران لفظٌ مُشْتركٌ؛ لأنَّه يطْلَق علىٰ ما يدورُ علىٰ نفسه وهو ثابِتٌ في موضعه؛ كالمراوح الكهربائية. ويطلق علىٰ ما يَجْري ويدورُ في شيء متسع جِدًّا كالشَّمس والقمَرِ والنُّجوم الَّتي تجري في الفَلَك وتدورُ علىٰ الأرض.

فمن جعل جَريانها في الفَلَك ودَورانها علىٰ الأَرْضِ مِثْل دَوران المَراوح الكهربائية، فقد غَلِطَ غَلَطًا فاحِشًا، ومنْ فَرَّق بينها وبينَ ما يدور علىٰ نَفْسِه وهُوَ ثابِتٌ في موضعه، فقَدْ أصابَ.

الأمْر الثَّاني: أنَّ المُواصفاتِ بالجريانِ أوِ الدّوران عَلىٰ ثَلاثة أَضْرُبٍ:

الأوَّلُ: ما يُوصفُ بِالجريانِ فَقَط كالرِّياح، والسُّفُنِ، والخيْلِ، والأنْهار والعُيونِ، وغيرِها ممَّن يجري في جهةٍ أو جِهات غيرِ مستديرةٍ.

الثَّاني: ما يوصَفُ بالدَّوران فقَطْ؛ كالمَراوح الكهربائيَّةِ الَّتي تَدورُ، وهِي ثابتَةٌ في مَواضعِها.

الثَّالِثُ: ما يجري في شَيْءٍ مُستديرٍ، فَهُو بهذا يَجْمع بيْنَ الجَريان وَالدَّورانِ؛ كالشَّمس، والقَمَر، والنُّجوم؛ فإنَّها تَجْري في الفَلَك -وَالفَلَك مُسْتديرٌ بِالإجماع-، وَتدور علىٰ الأرض، فَمِن أجْلِ كونِها تَجْري في الفَلَك تُوصَفُ بالجَريان؛ كما دَلَّت علىٰ ذلك النُّصوصُ الكثيرَةُ مِن القرآنِ وَمِن السُّنَّة -أَيْضًا- في جَريان الشَّمس، وَمِن أجْلِ كونِها تدورُ عَلىٰ الأرْضِ في فَلَك مُسْتديرٍ تَقْطعُه في كلِّ يومٍ وليلَةٍ تُوصَفُ بالدَّورانِ؛ كَما قالَ ذلك مَنْ قاله مِن السَّلف؛ كمُجاهِدٍ وغيرِهِ.

وَنَظِير ذلك الطّائفُ بِالكعْبَةِ؛ فَإنّه يجمَعُ بيْنَ المَشْيِ والدَّورانِ عَلىٰ الكعبة، وَكما لا يقول عاقِلٌ: إنّ الطائِفَ بالكعْبَةِ إنّما يُوصَف بالدَّوران عَلىٰ نَفْسه، فكذَلِك لا يَقُول عاقِلٌ: إنَّ الشَّمس والقَمَر والنُّجوم إنَّما توصف بِالدّوران فَقَط، كَما تدورُ المَراوح الكَهْربائِيَّةُ.

الوَجْه العاشِرُ: أنَّ الصَّوَّاف أَخْطأَ خطَأً كبيرًا علىٰ مُجاهِدٍ وغيرِهِ مِن

الرِّجال الَّذينَ أشارَ إليهم بِقولِهِ: «وَقَد قالَ بمثْلِ هذا القولِ رجالٌ مِن سَلَف هذه الأُمَّة الخيارِ، وهُمْ من خير العصورِ، بل هم مِنَ العصْرِ الأوَّل الذي هو خيرُ العصورِ).

وَهذا كَذِبٌ علىٰ مُجاهد وغيرِه ممَّن أشار إليهم في كلامِه هذا، فَلَم يقُل أحدٌ مِن الصَّحابة الذين هم خيرُ العصورِ ولا التَّابعين ولا تابعيهم بِإِحْسانٍ وَلَا أئمَّةِ العِلْم والهُدىٰ مِن بعدِهم أنَّ الشَّمس ثابتةٌ، وأنَّها تدورُ حوْلَ نَفْسها كَما تدورُ المروحة السَّقفيَّةُ الكهربائيَّةُ، وأنَّ مستقرَّها هو مِحْورها الَّذي تدورُ عليه، وَمَنْ زعم أنَّ أحدًا مِنْهم قال بهذا القولِ الباطِلِ، فَهو مُفْتَرٍ أثيمٌ.

وقدْ قال الله تَعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢]

قال أبو قلابة: «هِي -واللهِ- لِكُلِّ مفترٍ إلىٰ يومِ القيامةِ».

وَقَد سبَق للصّوافِ أنْ أورَدَ آياتٍ من القرآنِ، وألْحَد فيها، حيْثُ تأوَّلها علىٰ غيْرِ تأويلِها، وَحَملها عَلىٰ ما هو مفتونٌ بِه مِن آراء الإفرنجِ وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، وَمَن كانَ جريئًا عَلىٰ الإلحاد في آياتِ الله وتحريفِ الكلمِ عن مواضِعِه فغَيْرُ مُسْتبْعَدٍ منْه أنْ يفترِيَ علىٰ مُجاهد وغيرِه مِن السَّلف الصَّالح، وَيقول عليهِمْ ما لم يقُولوه، ولا يَحْتَمِله كلامُهُم.

الوَجْه الحادِيَ عَشَر: أنَّ مجاهدًا إنَّما أرادَ بِالحُسْبان الفَلَك الَّذي تَجْري

فيه الشَّمس والقَمَر والنُّجومُ، ولم يُرِد بِهِ المِحْور الَّذي زَعَمَه الصَّوَّاف تَبعًا لِأئمَّتِه أهلِ الهيئَةِ الجديدَةِ، فروىٰ ابْنُ أبي حاتِمٍ مِن طريق عبد الله بنِ كثيرٍ أنَّه سَمِع مجاهدًا[1] يقولُ: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] قالَ: «النُّجومُ والشَّمْسُ والقَمَرُ فَلَكٌ كفَلْكَةِ المغزَلِ»، وقالَ: «مِثْلُ ذلكَ الحُسْبانُ»، يَعْني حُسْبانَ الرَّحىٰ وهو سفودها القائِمُ الَّذي تَدور عليْهِ-، وكان مُجاهد يُفسِّر قولَه تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] بهذا.

قال مُجاهد: «وَلا يدورُ المِغزل إِلَّا بالفَلَكة، ولا تدورُ الفلكة إِلَّا بالمِغْزل، وَلَا يدور الحُسْبان إِلَّا بالرَّحىٰ، ولا تدور الرَّحىٰ إلىٰ بالحُسْبان».

قال: «فكذلك النُّجوم والشَّمس والقمر هي في فَلَك لا يَدُمْنَ إِلَّا بِهِ، وَلَا يدوم إِلَّا بِهِن»، قالَ: «فنقَرَ لي بإصْبعه»، قال: فقال مجاهد: «يَدُمْن كذلك كما نَقر» قال: «فالحُسْبان والفَلَك يصيرانِ إلىٰ شيءٍ واحد غير أنَّ الحسبان في الرَّحىٰ، والفَلَكَ في المِغْزل».

قَال شيخ الإسلام أبو العباس ابنُ تيميَّة[2] -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- بعد ما ذَكَر هذا الأثَرَ عن مجاهِدٍ: «قوله: لا تدوم إِلَّا به، أي لَا تدور إِلَّا به، ومِنْه الدُّوامة بالضّم والتّشديدِ، وهي فَلَكة يرميها الصَّبِيّ بخيطٍ، فتدومُ علىٰ الأرض أي تدورُ،

---

(١) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢١١)، وغيره عن مجاهد به.

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٢).

وَمِنه تدويمُ الطّير، وهو تَحْليقه ودَورانه في طيرانِهِ؛ ليرتَفِع إلىٰ السَّماء.

وَقولُه: (فَنَقَر بإِصبَعِه)، يعني نَقَر بها في الأرض، وَأَدَارها؛ لِيُشْبِه بذلك دورانَ الفَلَك»، انْتهىٰ.

وَروىٰ ابنُ جريرٍ عن مُجاهِدٍ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥] قال: هُو مِثْل قولِه: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، وَمِثْل قولِهِ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ .

وَقال ابنُ كثيرٍ(١) عند قوله تَعالىٰ في سورة الأنْبياءِ: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي يَدورونَ.

قال ابن عبّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يَدورونَ كما يدور المِغْزل في الفَلْكَة، قال مجاهِدٌ: فلا يدور المِغْزل إِلَّا بالفَلْكَة، ولا الفلكَةُ إِلَّا بالمِغْزل، كذلك النُّجوم والشَّمس والقمر لا يدورون إِلَّا به، ولا يدور إِلَّا بِهِنّ؛ كما قال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾

[الأنعام: ٩٦].

وقال ابنُ كثيرٍ(٢) -أَيْضًا- في تفسير «سورة يس»: «وقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] يعْني اللَّيْلَ والنّهار، والشَّمس والقمرَ،

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٣٤١).

(٢) المصدر السابق (٦/ ٥٧٩).

كلُّهم يسبحون أي يدورن في فَلَك السَّماء؛ قاله ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وعِكْرِمَةُ والضَّحَّاك والحَسَن وقتادَةُ وعطاءٌ الخُراسانِيُّ، قال ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيرُ واحدٍ منَ السَّلف في فَلَكةٍ كفلَكَة المِغْزل، وقال مجاهد: الفَلَك كحدِيدِ الرّحىٰ، أو كفَلَكَة المِغْزل لا يدورُ المِغْزل إلَّا بها، ولا تَدور إلَّا به».

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»: «قال مُجاهد: الحُسْبان الفَلَك المُسْتديرُ، شَبَّهه بحُسْبان الرَّحىٰ، وَهُو العودُ المُسْتدير الَّذي باستدارته تستدير المِطْحَنَة»، انْتَهىٰ.

وممَّا ذكرنا يُعْلَم أنَّ البُخارِيَّ قدِ اختصرَ قولَ مُجاهدٍ، ولم يُوردْهُ بِتَمامه.

ويُعْلم -أَيْضًا- أنَّ مجاهدًا إنَّما أرادَ بالحُسْبان الفَلَك الذي تدور فيه النُّجوم والشَّمس والقمر، وَلَم يُرِد به المِحْور الذي توهَّمه الصَّوَّاف وأئمَّتُه مِن فلاسِفَةِ الإفْرِنج.

وَقد قال شَيْخ الإسلام أبو العبَّاس ابن تيميَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «فأمَّا قوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقولُه: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥] فقد قيلَ: هو مِن الحِساب، وقيل: بِحُسْبان كحسبانِ الرَّحىٰ وهو دَوران الفَلَك، فإنَّ هذا ممَّا لا خِلاف فيه، بلْ قد دلَّ الكتاب والسُّنَّة، وأجْمَع علماءُ الأمَّة علىٰ مثْلِ ما عليه أهل المعرفة مِن

أَهْل الحِساب مِنْ أَنَّ الأفلاكَ مستديرَةٌ لا مُسَطَّحَة»[١]، انْتَهىٰ.

الوَجْه الثَّانِيَ عَشَرَ: أنَّ القمَرَ قرينُ الشَّمس في الحُسْبان، كَمَا أَنَّه قرينُها في الجريان والسَّبْح في الفَلَك والدُّؤوب في السَّير والبزوغِ والأفولِ؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقالَ تَعالىٰ في أَرْبَعة مواضِعَ من القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وقال تَعالىٰ في موضِعَيْنِ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

وقال تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٨].

وإِذا كان القَمَر قرينَ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ؛ فإنَّه يلزم أنْ يُقالَ فيه مِثْلُ ما قيل في الشَّمس، فمَن قال: إنّ للشمس مِحورًا تدور عليه وهي ثابتة في مَكانها كما تدور المروحة السَّقفيَّة علىٰ مِحورها، وَأَنَّ ذلك المِحْور هو الحُسْبان الَّذي ذكرَهُ اللهُ في كتابه، فلازِمُ قولِهِ أَنْ يكون لِلقمَرِ مِحْور يدورُ عليه، وهو ثابِتٌ في

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٤٢).

مكانِهِ، كما تدور المروحة السّقفيَّة علىٰ محورها، وهذا ما لا مَحِيدَ لِلصَّواف عنه، وهو مِنْ أبطَلِ الباطل كما أنَّ التَّفريق بيْنَ الشَّمسِ والقمر فيما جمَعَ اللهُ بينهما فيه مِنْ أبْطَل الباطِلِ -أَيْضًا-.

والتَّفريق بينهما هو الَّذي عليه أهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفَةِ الإفرنج وأتباعهم من العصْرِيِّين المفتونين بآرائهم وتَخَرُّصاتهم وظنونهِمُ الكاذبةِ.

ومَثُل هؤلاءِ الذين يفرِّقون بين ما جمع اللهُ بيْنَه كمَثَلِ اليهود يؤمنونَ بِبَعْضِ الكتابِ ويكفرون بِبَعْضٍ.

الوجْه الثَّالثَ عَشَر أن يُقال: قدْ تبيَّن لمَنْ له أدنىٰ علمٍ وفهم أنَّ الصَّوَّاف قد افترىٰ علىٰ مُجاهد وعلىٰ العلماء الَّذين زعم أنَّهم قالوا: إنَّ الشَّمس ثابتَةٌ، وأنّها تدورُ حوْل نفسِها، كما تدور المروحة السَّقفية علىٰ مِحْورها، وَأَنَ مستقرَّها هو مِحورُها الَّذي تدور عليه.

وَحِينئذ فقَوْله: (وهل يجد القارئُ الكريم فرْقًا بين المَثَل الذي ضربته وهو المروحة حيث تتحرك وهي ثابتَةٌ، وبين ما قاله مجاهد ومثَّله بالرَّحىٰ حيثُ تتحرَّك كذلك حول نفسِها وهي ثابتَةٌ بمكانِها).

جَوابهُ أن يُقال: الفرْقُ بينَهُما واضِحٌ جَلِيٌّ، أمَّا مجاهِدٌ فإنَّه شبَّه الفَلَك الذي تجري فيه الشَّمس والقَمَر والنُّجوم، وَيَدُرْنَ فِيه عَلىٰ الأرْضِ بِفَلَكَة المِغْزل وحُسْبانِ الرَّحىٰ؛ لِأَنَّ كُلًّا مِن الفَلَك والفَلَكَة والحُسْبان يُدار عليه، فَهَذا

وجْهُ تشبيهِ مُجاهدٍ وغيرِه مِن السَّلف لِلفَلَك بفَلْكَة المِغْزل وحُسْبان الرَّحىٰ.

وأمَّا الصَّوَّاف فإنَّه زعم أنَّ الحُسْبان هو المِحْور الَّذي تدورُ عليه الشَّمس وهي ثابتَةٌ في مَكانها كما تتحرَّك المروحة السَّقفيَّة علىٰ محورها، وهذا القولُ الذي ذهب إليه الصَّوَّاف لا أصْلَ له مِن كتابٍ ولا سُنَّةٍ، ولا قالَهُ أَحَدٌ مِن الصّحابة ولا التَّابعين ولا أئمَّة العلم مِن بَعْدهم، وَإِنَّما قاله أهل الهيئَةِ الجديدَةِ مِن فلاسفة الإفرنج وَمَن يُقلِّدهم ويحذُو حذْوَهم مِن العصرِيِّين المفتونين بآرائهم وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبَةِ.

وَمُجاهد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- أَجَلُّ قدرًا مِن أن يقول بهذا القول الباطلِ المُخالف لكتاب اللهِ تَعالىٰ وسنَّة نبيِّه محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجْهُ الرَّابعَ عَشَرَ: قد تقدم أنَّ مجاهدًا قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]: للنُّجوم والشَّمس والقَمَر فَلَك كفَلْكَة المِغْزل، وقالَ: مَثَل ذَلِك الحُسْبان يعني حُسْبان الرَّحىٰ، وهو سَفُّودُها القائِمُ الَّذي تدور عليه، قال: وَلا يدورُ المِغْزل إِلَّا بالفلْكَة ولا تدورُ الفلكة إِلَّا بالمِغْزل ولا يدور الحُسْبان إِلَّا بالرَّحىٰ، ولا تدور الرَّحىٰ إلىٰ بالحسبان، قال: فكذلك النُّجوم والشَّمس والقمَرُ هي في فَلَك لا يَدُمْن إِلَّا به، ولا يدوم إِلَّا بهنَّ.

وَإِذا كان مجاهدٌ قد جمع بين الشَّمس والقمر والنُّجوم في تَفْسير الفلك والحسبانِ، ولم يفرِّق بينها، فإنه يلزم علىٰ قول الصَّوَّاف أنْ يكون مجاهدٌ يرىٰ

أن كلًّا من الشَّمس والقمر والنُّجومِ له مِحْورٌ يدور عليه وهو ثابتٌ في مكانه، كما تدور المروحة السَّقْفيّة الكهربائيَّة علىٰ مِحْورها وهي ثابتة في سقفها، وهذا ما لا مَحِيد للصَّواف عنْه، وحينئذ فلا بُدَّ للصّواف ومَن قال بقوله من أحد أمرَيْنِ: أحدهُما: أن يُلْزموا مُجاهدًا بهذا القول الباطِلِ الَّذي لم يقل به أحدٌ من المسلمين فضْلًا عن مجاهد.

وإمَّا أنْ يرجعوا عمَّا افترَوْه علىٰ مُجاهد في تخصيص الشَّمس بالثَّبات في مكانِها دونَ القمر والنُّجومِ.

الوجْهُ الخامِسَ عَشَرَ: أنَّ قولَ مجاهدٍ في الحسبان والسَّبْح في الفلك متَّفِقٌ.

وما جاء في بعض الرِّوايات عنه من ذكر الدَّوران؛ فالمراد به دوران الشَّمس والقمر والنُّجوم علىٰ الأرض، وهي في فَلَكها الَّذي تسْبَح فيه، أي تجري فيه بِسُرْعة، كما تقدَّم إِيضاحُ ذلكَ، وليس هو بدورانٍ فقطْ كما تدور المراوح الكهربائيَّةُ.

ويدلُّ علىٰ ذلك ما رواه ابن جريرٍ[1] عنه أنَّه قال في قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ﴾ [الأنعام: ٩٦] قال: «هو مِثْل قوله: ﴿كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، والسَّبْح هو الجَرْي بسرْعَةٍ».

قال الرَّاغب الأصْفهاني: «السَّبْح المَرُّ السَّريع في الماء وفي الهواء، يُقال سَبَحَ

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٤٢٩).

سَبْحًا وَسِبَاحَةً، واستعير لِمَرِّ النُّجوم في الفَلَك نحو: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ولجَرْيِ الفَرَس نَحْو: ﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ [النازعات: ٣]، وَلِسُرْعة الذَّهاب في العمل نحوَ: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ [المزمل: ٧]»(١).

وقال شيخ الإسلام أبو العبَّاس ابْنُ تيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «السِّباحَةُ تتضمَّن الجرْيَ بسُرْعة كما ذكر ذلك أهل اللُّغة»(٢)، انْتَهىٰ.

وَإِذا عُلِم هذا، فكلامُ مُجاهد صريحٌ في كونه يَرَىٰ أَنَّ الشَّمس والقَمَر والنُّجوم سابِحَةٌ في الفَلَك أي جاريَةٌ فيه بسُرْعة، وَإِنَّ الفَلَك لهُنَّ مِثْل الحسبان للرَّحىٰ والفَلَكَةِ للمِغْزَل، يعني أَنَّهُن يَدُرْنَ حول الأرض في فلك مستديرٍ، وفي هذا رَدٌّ علىٰ مَنْ تَقَوَّل عليْهِ، وزعم أنَّه يقول: «إنَّ الشَّمس ثابتَةٌ ودائرة علىٰ نفسها مِثْل المروحة السقفيَّة الكهربائيَّة»، وأمَّا زعم الصَّوَّاف أنَّ قوْلَ مجاهد يخالف بعضُه بعضًا، فهو خَطأٌ مردودٌ.

الوجه السَّادِسَ عَشَر: لوْ فرضْنَا أنَّ مجاهدًا قال: (إنَّ الشَّمس ثابتَةٌ، وَأَنَّها تدورُ علىٰ نفسها مثل المِروحة السَّقفيَّةِ الكهربائيَّةِ)، فقوْلُه ليْسَ بِحُجَّةٍ، وَإِنَّما الحجَّةُ فيما أَخْبَرَ اللهُ بِهِ منْ جَريان الشَّمس وسبْحها في الفلك ودؤوبها في ذلك وطلوعِها وغروبِها ودلوكِها وتَزاورِها، وأنَّه يأتي بها مِنَ المَشْرق، فهَذا يَدُلُّ دلالةً

---

(١) انظر: «تفسير الراغب» (ص١٤٠).

(٢) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٤).

واضحةً عَلىٰ دوران الشَّمس علىٰ الأرضِ لا علىٰ نَفْسها.

وكذَلِك ما أخبر به الرَّسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من جَريان الشَّمس وطلوعِها، وارْتفاعِها، واستوائِها، وزوالها، ودنوِّها من الغُروبِ، وغروبِها، وذهابها بعد الغروب إلىٰ مستقرِّها تحتَ العرشِ، وأنَّها حُبِستْ لِيُوشعَ بْنِ نونٍ حين حاصَر القرية حتَّىٰ فتحها الله عليه.

وَما أشرت إليه ههنا من الآيات المحكماتِ والأحاديث الصَّحيحة فَهو الحُجَّةُ، وما خالفها فهو باطل مردودٌ علىٰ قائله كائِنًا مَنْ كانَ.

وقد ثبت عن مُجاهد أنَّه قال: «لَيْسَ أَحَدٌ بَعْدَ النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَّا يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا النَّبيّ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ»، رواه البخارِيُّ في «جُزْءِ رفعِ اليدين» بإسنادٍ صحيحٍ.

الوجْهُ السّابعَ عَشَرَ: أنَّ الصَّوَّاف قدْ قرَّر فِي صَفْحَةِ ٩٩ وصفْحَة ١٠٠ أَنَّ الشَّمس تسير في كل بُرْج شهرًا، وأنَّها تقطَعُ البُروج كُلَّها مرَّةً في السَّنَةِ، وَهذا يُناقِضُ ما قرَّرَه ههنا منْ كونِ الشَّمس ثابتَةً علىٰ محورها ومتحركَةً حوْل هذا المِحْور مثْلُ المروحة السقفية الكهربائية، وما قرَّره ههنا فهو باطلٌ مردودٌ بالأدلَّة الكثيرة من الكتاب والسنة، وقد تقدَّم ذِكْرُ بعضِها والإشارَةُ إلىٰ الباقي في الوجْهِ السّابعِ.

وما قرَّره في ٩٩ - ١٠٠ فهو الحقُّ الثَّابت بالنُّصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة.

وقد ذكرت الأدلَّة علىٰ ذلك مستوفاةً في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»؛ فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: «وقال ابنُ حِبّان في تفسيره «البحر المحيط».

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إِنَّ مصنِّف «البحر المحيط» في التّفسير هو أبو حيَّان بالياء المثناة التَّحتيَّةِ، لا بالباءِ الموَحَّدَةِ، وهو مِن أعيان المائة الثَّامنة من الهِجْرة، وأما ابْنُ حبَّان بالباءِ الموحدة فهو صاحب «الصحيح» المسمَّىٰ بـ«الأنواعِ والتَّقاسيم»، وهو من أعيان المائة الرَّابعة من الهجرة والقول بأنَّ «البحر المحيط» منْ تصنيفه وَهْمٌ وَغَلَطٌ.

* * *

فصل

وَنَقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٣ عن (قطب) أنه قال في تفسيرِهِ «في ظِلال القُرآنِ» عِنْد قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] ما نَصُّه:

والشَّمس تَدور حوْلَ نفسها، وكان المَظْنون أَنَّها ثابتَةٌ في موضعها الَّذي

تدور فيه حول نفسها، ولكنْ عرف أخيرًا أنَّها ليْسَت مُسْتَقِرَّةً في مَكانها إنَّما هي تجري، تجري فِعْلًا في اتِّجاه واحدٍ في الفضاء الكونيِّ الهائل بسرعة حَسَبَها الفلكيون بإثني عَشَر ميلًا في الثَّانية، والله ربُّها الخبير بها وبجريانها وبمصيرها يقولُ: إنّها ﴿تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، هذا المُسْتقرُّ الَّذي ستنتهي إليه لا يعلمه إِلَّا هُوَ سُبْحانَهُ، ولا يُعْلَم موعدُهُ سواه، وحينَ نتصوَّر أنَّ حجمَ هذه الشَّمس يبْلُغ نحوَ مِلْيون ضِعْفِ حجمِ أرْضِنا هذِهِ، وأنَّ هذه الكُتْلَةَ الهائلَةَ تتحرَّكَ وَتَجري في الفَضاء لا يسندها شَيْءٌ، ندرِكُ طَرَفًا مِن صفة القدرة الَّتي تُصَرِّف هذا الوجود عن قوَّةٍ وعنْ عِلْمٍ».

إلىٰ أن قال عند قوله تعالىٰ: ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]: «وحركةُ هذه الأجرام في الفضاء الهائل أشْبَهُ بحركَةِ السَّفينة في الخِضَمِّ الفسيح، فهي مَعَ ضخامَتِها لا تزيد علىٰ أنْ تكون نُقَطًا سابِحَةً في ذلك الفضاء المرهوبِ، وأنَّ الإنسان ليتضاءَلُ ويتضاءَلُ وهو ينظر إلىٰ هذه الملايين الَّتي لا تُحْصَىٰ مِنَ النُّجوم الدَّوّارَةِ والكواكِبِ السَّيّارَةِ مُتناثرَةً في ذلك الفضاء، سابِحَةً في ذلك الخِضَمِّ، والفضاءُ من حولها فسيحٌ فسيحٌ، وأحجامها الضخمة تائِهَةٌ في ذلك الفضاءِ الفسيحِ».

والجَواب أن يُقال: أمَّا قولُهُ: (إنّ الشَّمس تدور حول نفسها) فهو ما قرَّره الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦١، وتقدَّم ردُّه قريبًا في الوجه السّابع والثَّامن والتَّاسع مِنَ الفَصْل الَّذي قَبْل هذا الفصْلِ؛ فليُراجَعْ.

وَأَمَّا قولُه: وكانَ المَظْنون أَنَّها ثابتَةٌ في موضِعِها الذي تَدُورُ فيه حوْلَ نفسِها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلُّ أقوالِ أهل الهيئَةِ الجديدةِ وأتباعهم في الشَّمس وغيرها من الأجرام العلويَّة مبناها علىٰ التَّخرُّصات والظُّنون الكاذبَةِ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

وَأَمَّا قولُه: ولكنْ عُرِفَ أخيرًا أنها لَيْست مُسْتَقِرَّةً في مكانها، إنَّما هي تجري، تجري فعلًا في اتجاه واحدٍ في الفضاءِ الكونيِّ الهائل بسرعَةٍ حَسَبَها الفلكيون باثني عَشَرَ ميلًا في الثَّانية.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مِن أين عَرَف جريانَ الشَّمس علىٰ الوجه الذي توهَّمه الفلكيون من فلاسفة الإفرنج بعقولهم الفاسدة، والوَحْيُ قدِ انقطَعَ عن الأرض بموت النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولمْ يَبْقَ إلىٰ وَحْيُ الشَّياطين إِلَىٰ أوليائِهم من فلاسفة الإفرنج وأتباعهم بِالأكاذيب والتَّخَرُّصات والظُّنون الَّتي لا حاصل لها في نفس الأَمْر، فهذا الوَحْي الشَّيطانيّ الكاذب هو الذي يعتمد عليه أهل الهيئَةِ الجديدَةِ وأتباعِهم في الأجرام العلويَّة.

والذي قرَّره (قطب) ههنا هو ما نقله الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨ عن الفلكيِّين، أنَّهم قالوا: إن النِّظام الشَّمسيَ ينهب الفضاءَ نهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة، أيْ أكثر من ٣٠٠ ميل في الدَّقيقة، مُتَّجِهَةً نحو بُرْج هركيوليس.

وذكر الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٢ في الكلام علىٰ قوْلِ اللهِ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] الآيَةَ، أنَّ المجموعة الشَّمسيَّة وما حولها تتحرَّك في الفَلَك، وأنَّ الشَّمس تجري إلىٰ بَعِيدٍ فيهِ، وليس إلىٰ قريبٍ.

وذَكَرَ الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣ عن «سيمون» أنَّ الشَّمس والكواكب السّيَّارَةَ وأقمارَهَا تجرِي في الفضاء نحو بُرْج النَّسر بسرعة غير معهودةٍ لنا علىٰ الأرض.

وذكرَ الصَّوَّاف -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ١٠٣ أنَّ الشَّمس تجري بسرعة هائِلَةٍ تبْلغ اثنيْ عَشَر ميلًا في ثانية نحو الجانب الخارجيِّ لمَجَرَّته، وتقود كُلَّ ما يَتْبَعُ النِّظام الشَّمسِيَّ.

قُلْتُ: وقدْ تقدَّم رَدُّ هذه الأباطيلِ بما أغْنَىٰ عن إعادته ههنا؛ فليُراجَعْ.

وَأَمَّا قولُه: (والله يقول: إِنَّها ﴿تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨]، هذا المُستقرُّ الذي ستنتهي إليه لا يعلمه إِلَّا هو، ولا يعلم موْعِده سِواه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: الظّاهر أنَّ مراد (قطب) بهذا المُسْتقرِّ برجُ هركيوليس الذي توهَّمه الفلكيُّون من فلاسفة الإفرنج بعقولهم الفاسدة؛ لِأَنَّ كلامه منْ أوَّله إلىٰ آخره في تقرير قولهم، ويدلُّ علىٰ ذلك قوله في الشَّمس: إنّها تجري في اتِّجاه واحدٍ في الفضاء، وهذا خلاف ما أخبرَ الله به عنها أنَّها تسبح في الفلك، والفلَكُ مستدير بالإجماع، وفي هذا ردٌّ لما زعموه من كونها تجري في اتجاه واحد.

وَأَيْضًا، فَقد روىٰ الإمام أحمد والشَّيخان عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] قال: «مُسْتقَرُّهَا تَحْتَ العَرْشِ».

وروىٰ الإمام أحمد والشيخان -أَيْضًا- وأبو داود الطَّيالسِيُّ والتِّرمذيُّ عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينَ غربَتِ الشَّمس: «تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟ قُلْتُ: اللهُ ورسولُهُ أعْلَمُ، قال: فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّىٰ تَسْجُدَ تَحْتَ العَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»، هذا لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم قالَ: ثُمَّ قَرَأَ فِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللهِ: (وَذَلِكَ مُسْتَقَرٌّ لَهَا). وَلِلتِّرمذيِّ نحوُه، وقال: «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ».

وَفي رواية لمُسْلِمٍ أنَّ النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قالَ: «إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ؛ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ؛ فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحتَ العَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي

ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا: ارْتَفِعِي أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا».

وهذا الحديث الصّحيح يدلُّ علىٰ أنَّ الشَّمس تنتهي إِلىٰ مستقرِّها تَحْتَ العرْشِ كُلَّ ليلَةٍ، فتسْجُدُ حينئِذٍ، وتستأذن في الطُّلوعِ.

وفِي هذا الحَدِيثِ رَدٌّ علىٰ (قطب) وعلىٰ غيرِهِ ممَّن تأوَّلَ الآيَةَ علىٰ غير تأويلِها الثَّابت عن النَّبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَأَمَّا قولُه: (وحينَ نَتصوَّرُ أنَّ حجمَ هذه الشَّمس يبلغ نحوَ مليون ضعفِ حجمِ أرضِنا هذه).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن الرَّجْم بالغيبِ، والقولِ بغيرِ علمٍ، وقدِ استوفيْتُ الرَّدَّ عليه فِي «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثال الخامس من الأمثِلةِ علىٰ بُطْلان الهيئة الجديدَةِ، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: (وأنَّ هذه الكتلَةَ الهائِلةَ تتحرَّك وتجري في الفضاءِ).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ ذكَرَ الله في كِتابه أنَّ الشَّمس تَسْبَح في الفَلَك، ولمْ يَقُلْ في الفضاءِ، فيَجبُ إِثْباتُ ما أثبتَه اللهُ، ورَدُّ ما سوىٰ ذلك مِن الأقْوالِ الَّتي لا مُسْتندَ لها سوىٰ التَّخرُّصات والظُّنون الكاذِبةِ.

وَأَمَّا قولُه: (وحرَكةُ هذه الأجْرام في الفَضاء الهائِلِ أشْبَه بحَرَكَةِ السَّفينَةِ في

الخِضَمِّ الفسيحِ)، إلىٰ آخرِ كلامِهِ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قدْ أخبرَ اللهُ تَعالىٰ أنَّه جعلَ الكواكبَ زينةً لِلسَّماء الدُّنيا؛ فقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، والبُروجُ هي الكَواكِبُ العِظام، قالَه مجاهِدٌ وسعيدُ بْنُ جبيرٍ، وأبو صالحٍ وَالحسَنُ وقتادَةُ.

وفي هذه الآيات رَدٌّ علىٰ (قُطْبٍ) وعلىٰ غَيْرِه مِمَّن زعم أنَّ الكواكبَ متناثِرَةٌ في الفضاءِ وسابحَةٌ فيه.

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٤ ما نصه:

«قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ» صفحة ١١٨: والذي قاله المتأخرون مِن الفلاسفة أهلِ الفنِّ الجديد المتشرِّعين -وانظروا إلىٰ قوله المُتشرِّعين-: إن هذا الجَرْم العظيم -الشَّمس- مركزٌ للسَّيَّارات...» إلىٰ آخر ما نقلَه الصَّوَّاف من كلام الألوسي في أول صفحة ٦٧.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: أما كلام الألوسي فقد استوفيتُ الردَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما قول الصَّوَّاف: وانظروا إلىٰ قوله: المُتشرِّعين.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: أنْ يُقالَ: وأي فائدة للقُرَّاء في النظر في كَلمة الألوسي؟ وهل ظننتَ أيُّها الصَّوَّاف أن الألوسيَّ قد أورد نصًّا من كتاب الله تَعالىٰ، أو مما صحَّ عن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتىٰ لا يجوزَ لأحد أن يُعارضَ ذلك أو يَعدِلَ عنه؟! وهل ظننتَ أيُّها الصَّوَّاف -أَيْضًا- أن المُتشرِّعين الذين أشار إليهم الألوسي هم السَّلف الصَّالح من الصحابة والتابعين وتابِعيهم بإحسانٍ، حتىٰ تَطلبَ من القرَّاءِ أن يَنظروا في كلمة الألوسي؟!

الوجه الثَّاني: أنْ يُقالَ: قد نَظرنا في كتاب الألوسي الذي سمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، ونظرنا في قوله: «المُتشرِّعين»، فوجدناه قد صرَّح فِي عِدَّة مواضع من كتابه المُشار إليه بأنهم من فَلاسفةِ الإفرنج، وليسوا من المسلمين.

فقال فِي صَفْحَةِ ٢٣: «إن المتأخِّرين ممَّن انتظم في سلك الفلاسفةِ - كهرشل الحكيم، وأتباعِه أصحابِ الرَّصد والزيج الجديد- تخيَّلوا خلاف ما ذهب إليه الأوَّلون في أمرِ الهيئة، وقالوا بأن الشَّمس مَركز، والأرضَ وكذا النُّجوم دائرةٌ حولها.

قلت: وهرشل من الإنجليز، وقد وُلد في سنة ١٧٣٨ ميلادية، ومات في سنة ١٨٢٢ ميلادية، وقوله وقول أتباعه في الشَّمس: إنَّها مَركزٌ، وأن الأرض والنُّجُومَ دائرةٌ حولَها، هو الذي ذكره الألوسيُّ فِي صَفْحَةِ ١١٨، وقد ذكرهم الألوسي -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٣-٤٦-٥٩-٩٥، وأشار إليهم في مواضع كثيرة سوىٰ هذه المواضع. وسمىٰ منهم هرشل فِي صَفْحَةِ ٢٣-٣٤-٤٥، وسمَّىٰ منهم -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٣-٣٤ أولبوس وهاردنق وبياظي.

وقد ذكر مُحمَّد فريد وجدي في «دائرة المعارف» منهم كوبرنيك البولوني، وتيخربراهي الدانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، ومنهم -أَيْضًا- داروين الإنجليزي، فهؤلاء الفلاسفة كلهم من

الإفرنج، وهم أهلُ الفن الجديد، أي: أهلُ الهيئة الجديدة، وأقوالهم هي الَّتي أودَعها الألوسي في كتابه الذي سماه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، وعلىٰ هذا فوَصْف الألوسي لهم بالمتشرِّعين معناه المُنتسبين إلىٰ شريعة الإنجيل.

وقد نُسخت الشَّرائعُ كلها بالشَّريعة المحمديَّة، فلا يجوزُ لأحد بعد بَعثَة مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتمسَّك بشريعةٍ غيرِ شَريعته، ولا أنْ يَنتسِبَ إلىٰ غيرها من الشَّرائعِ، ومَن انتسَب إلىٰ غير الشَّريعة المُحمَّدية فليس بمُتشَرِّع وأن قيل فيه ذلك، وعلىٰ هذا فوَصْف الألوسي لأهل الهيئة الجديدة بأنهم مُتشرِّعون لا معنىٰ له، ولا حاصلَ تحته.

الوجه الثَّالث: أن الظاهرَ مِن كلام الصَّوَّاف أنه يَرىٰ أن الفلاسفةَ مِن المسلمين، وهذا غلطٌ، فإنه ليس للإسلام فلاسِفَة.

قال شيخ الإسلام أبو العباس بنُ تيميَّة[1] -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس الفَلاسفةُ مِن المُسلمين»، ونَقل عن بعض أعيان القُضاة في زمانه أنه قيل له: ابن سِينَا[2] من فلاسفة الإسلام، فقال: ليس للإسلام فلاسِفَة، وسيأتي الكلامُ في

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١٩٩).

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، أبو علي البلخي. له تصانيف. قال الذهبي عنه: «فلسفي النحلة ضال». توفي (٤٢٨)، انظر: «وفيات الأعيان» (٢/ ١٥٧)، و«تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٣٨)، و«ميزان الاعتدال» (١/ ٥٣٩).

الفلاسِفَة وشِدَّة ضَررهم علىٰ الإسلام قريبًا عند ذكر نَصير الشِّرك الطُّوسي، إن شاء اللهُ تَعالىٰ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٧ ما نَصُّه:

«أكتفي بهذا المِقدار مِن النَّقل، ولا أريدُ أنْ أَسترسِلَ، إلَّا أني أَودُّ أذكر كيف أن العلماء تكلموا في الشَّمس والقمر، وتكلَّموا في النُّجوم الثوابتِ والسَّيَّارات، وقدَّروا الأبعادَ بين الأرض والشَّمس، وقدَّروا مِقدارَ ضَخامة الشَّمس عن الأرض، وأن الشَّمس أكبر من الأرضِ بمِليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين مرَّة، وأن الشَّمس تَبْعُد عن الأرض بأربعةٍ وثلاثين مليون فَرْسَخ فِرنْسِي، وقاسوا بُعْد القمر عنها وبيَّنوا البُعد الأبعدَ والبُعدَ الأقرب.

والخُلاصة: أنَّهم لم يَتْركوا بَابًا إلَّا طَرَقُوه، وسواء كانوا مُخطئين في تَقديراتهم أم مُصِيبين، فإنهم اجْتَهَدوا في علوم الكَوْن، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصل إليه علمهم. وما صَنَعوا ذلك إلا بوَحْيٍ مِن دينِهم، وأَمَلًا في خدمة هذا الدِّين الذي وهبُوه كُلَّ شَيء: حَياتهم وأمْوالهم وجُهدهم وعِلمهم وجهادهم وسَهرهم وعَرقهم في سبيل الوُصول إلىٰ الحقائق العِلميَّة الَّتي تدعو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم، الذي خلق كلَّ شيء فقدَّره تقديرًا، والذي خلق السمواتِ والأرضَ

ولم يَعْيَ بخَلقِهنَّ؛ تبارك ربُّنا وتَعالىٰ، وله الحَمدُ علىٰ ما أنْعَم وتَفضَّل، ورَحِم اللهُ علماءنا الأعلامَ، وجَزاهُم عمَّا قدَّموا خيرَ ما يَجزي عاملًا عن عَمَلِه.

والجَوابُ أنْ يُقالَ: إنَّ الذين تكلَّموا في الشَّمس والقمر والنُّجوم الثَّوابت والسَّيَّارات، وقدَّروا ضَخامةَ الشَّمس وبُعدَها عن الأرض وبُعْدَ القمر عنها، هم أهلُ الهيئةِ الجَديدة، وليَسوا مِن علماء المسلمين، وإنما هم مِن فلاسفةِ الإفرنج كما تَقدَّم إيضَاحُه في عدَّة مواضِع، ووَصْفُهم بأنهم عُلماء خلافُ الصَّواب، وهو مِن قَلْب الحقيقَة.

والصَّوابُ أنْ يُقالَ: إنَّهم أهلُ الجَهل والتَّخرُّص وأَتْباع الظُّنون الكاذِبَة، فهذا هو اللائِقُ بهم، والمُطابِقُ لحالِهم علىٰ الحقيقة، وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما تكلَّموا به في الشَّمس والقَمر والنُّجوم في مواضعَ كَثيرة من «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

فأما زَعمُهم أن الشَّمس أكبَرُ مِن الأرضِ بمليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرَّة، فالرَّدُّ عليه في المثال الخامِس من الأمثلةِ علىٰ بُطْلان الهَيئةِ الجَديدة.

وأما زَعمُهم أن الشَّمسَ تَبْعُد عن الأرض بأربعةٍ وثلاثين مليون فَرْسَخ فرنسي، فالرَّدُّ عليه في المِثال السَّابع.

وأما قياسُهم لبُعد القمر عن الأرض، فالرَّدُّ عليه في المِثَال التَّاسع.

وأما تَخرُّصُهم في النُّجُوم الثَّوابِت، فالرَّدُّ عَليه في المِثَال الحَادي عَشَر، والأمثلة الثَّلاثة بَعدَه.

وَأَمَّا قولُه: والخُلاصَة أنَّهم لم يَتركوا بابًا إِلَّا طرقوه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعَهم لم يَطرُقوا الأبوابَ بالعِلم الصَّحيح المأخوذِ مِن كتاب الله تَعالىٰ وسُنَّةِ رسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأقْوال الصَّحابة والتَّابعين وأئمَّة العِلم والهُدىٰ مِن بَعْدِهم؛ وإنما طَرقُوها بالتَّخرُّصات والظُّنون الكَاذِبَة، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلْم وفَهْم.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَأَمَّا قولُه: وسواء كانوا مُخطئين في تقديراتهم أم مُصيبين، فإنهم اجتَهدوا

في علوم الكَوْن، وتكلَّموا فيها علىٰ حَسَب ما وصل إليه عِلمُهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مِن عَجيب أمرِ الصَّوَّاف انْدفاعُه خلف أعداء اللهِ مِن فَلاسِفَة الإفْرِنج، وقَبولُه لظُنونهم وتَخَرُّصاتِهم، سواء كانُوا مُخطِئين في تقديراتِهم -أي: ظُنونِهم وتَخَرُّصاتِهم- أم مُصِيبين، وهذا مِن أقبح الجَهل والتَّقليد، نَعوذ بالله مِن عَمَىٰ البَصِيرة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦].

وَأَمَّا قولُه: فإنهم اجتَهدوا في علومِ الكَون، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصَل إليه علمُهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن اجتهاد أهل الهَيْئة الجَدِيدة في علومِ الكَون كله جَهلٌ وضلال؛ مثل اجتهادِ أسلافهم من النَّصارىٰ في تقريرِ دياناتهم، وما يعتقدونَه في المَسيح وأُمِّه، ومِثْل اجتهاد أهل البِدَع في تقرير مذاهبهم الباطِلَة، وكلُّ مَن حاد عن الصِّراط المستقيم فلا عِبرَةَ به ولا باجْتِهَاده.

وَأَمَّا قولُه: وما صَنَعوا ذلك إلَّا بوَحْيٍ مِن دِينهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بل إنما صنَعوا ذلك بوحي مِن شَياطِينهم الذين أضلُّوهم وأضَلُّوا علىٰ أيديهم وأيدي أتباعهم بَشَرًا كثيرًا. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا**

يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٢١].

وَأَمَّا قولُه: وأَمَلًا في خدمة هذا الدِّين الذي وهبُوه كلَّ شيء، حياتهم وأَموالهم وجُهدهم وعَملهم وجهادهم وسَهرهم وعَرقهم في سبيل الوُصول إلىٰ الحقائق العلميَّة الَّتي تدعو إلىٰ الإيمان بالله العظيم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الصَّوَّاف قد اغْتَرَّ بأهل الهَيْئة الجَدِيدة غايةَ الاغْتِرار، وأحْسَن الظَّنَّ بهم غايةَ الإحسانِ، حيث زعَم أنهم ممَّن يَدينُ بدِين الإسلامِ كما هو ظاهرُ كلامِه ههنا، وكما صرَّح بذلك فِي صَفْحَةِ ٤٤ حيث قال: إنهم مُسلمون عُرف أكثرهم بالتَّقوىٰ والصَّلاح.

وهذا خطأ كبيرٌ وغَلَط فاحِشٌ، فإن أهل الهَيْئة الجَدِيدة كلَّهم من فَلاسِفَة الإفرنج، وقد ذكرتُ جُملةً منهم في الفصْل الذي قبل هذا الفَصل. وطوائف الإفرنج كلُّهم يَنتسبون إلىٰ النَّصرانيَّة، والنَّصارىٰ ضالُّون مُضِلُّون، كما أخبَر الله عنهم بذلك في قولِه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

وفي فاتِحَة الكتاب الَّتي قد أُمِر المُسلمون بقراءتها في كلِّ ركعة مِن

صلواتهم: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. والمغضوبُ عليهم هم اليَهود، والضَّالُّون هم النَّصارىٰ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ الطَّيالسي والتِّرمذي وابنُ حبَّان في «صَحِيحه»: عن عَدِي بن حاتِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ المَغْضُوبَ عَلَيْهِم اليَهُودُ، وإنَّ الضَّالِّين النَّصَارَىٰ**»، قال التِّرمذي: حسَن غَريب[1].

وروىٰ ابنُ مَردويه: عن أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المَغضوب عليهم قال: «**اليَهُود**»، قلتُ: الضَّالِّين؟ قال: «**النَّصارىٰ**»[2].

وإذا عُلم هذا فمِن أقبح الجَهل أن لا يُميِّزَ الرَّجُلُ بَين المُسلمين والنَّصارىٰ.

وأقْبَحُ مِن ذلك أن يَجعل بعضَ النصارىٰ من جُملةِ المسلمين، وأقبحُ مِن ذلك أن يُزكِّيهم، ويَشهَد لهم بالتَّقوىٰ والصَّلاح، ولقد أحسَنَ الشَّاعِرُ حيث يقول[3]:

يُقضَىٰ علىٰ المَرْءِ في أيَّامِ مِحنَتِهِ ... حتىٰ يَرَىٰ حَسَنًا ما لَيْسَ بالحَسَنِ

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٨)، والطيالسي (١١٣٠)، والترمذي (٢٩٥٣)، وابن حبان (١٦/ ١٨٣- ١٨٤) (٧٢٠٦)، وغيرهم. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٢٦٣).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤٢).

(٣) نسبه ابن فضل الله الحموي للأمير يحيىٰ بن علي باشا الأحسائي المدني الحنفي. انظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (٤/ ٤٧٦).

وأما زَعمُه أنَّ أهلَ الهَيْئة الجَدِيدة مِن فَلاسِفَة الإفْرنجِ لهم أمَلٌ في خِدمَة دِينِ الإسلامِ، فهو زَعمٌ كاذِب، لا يقولُه مَن له أدنىٰ مُسكةٍ مِن عَقل؛ بل إن أعداءَ الله حَريصون كلَّ الحِرص علىٰ إضلالِ المُسلمين وصَدِّهم عن دِينهم، كما أخبر اللهُ عنهم بذلك في قوله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء: ٨٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩].

وأما زَعْمُه أنَّهم وهَبُوا الدِّين كلَّ شَيء، فهو مِن نَمَط ما قبله مِن التَّهوُّر في الكلامِ وعَدم التَّثبُّت فيه، وكذلك زَعمُه أنهم بذَلوا كلَّ شَيء في سبيلِ الوُصول إلىٰ الحقائقِ العِلميَّة الَّتي تَدعُو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم.

والجواب أنْ يُقالَ: إن أهلَ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعَهم لم يَصِلوا في كلامهم في السَّماء والأرض والشَّمس والقمر وغيرهما من الأجْرام العُلوية - إلىٰ شيءٍ من الحقائقِ العلميَّة الَّتي تدعُو إلىٰ الإيمانِ بالله العظيم، وإنما وصلوا إلىٰ التَّخَرُّصات والظُّنون الَّتي لا تُغني من الحقِّ شَيئًا؛ بل إنَّها تَدعو إلىٰ الضَّلال والكُفر بما أَنزل اللهُ علىٰ رسولِه مُحمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» تَسعةَ عَشرَ مِثالًا علىٰ بُطْلان ما يَهذُون به مِن التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذِبَة، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: ورَحِم اللهُ عُلماءنا الأعلامَ، وجَزَاهُم عمَّا قدَّموا خيرَ ما يَجزي عاملًا عن عملِه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وهل تَدري أيُّها الصَّوَّاف بالَّذين تَعدُّهم مِن عُلمائك الأعلامِ، وتَتَرَحَّم عليهم، وتَسأَلُ اللهَ أنْ يَجزِيَهم خيرَ ما يَجزي عامِلًا عن عمله- أنَّهم أعداءُ الله مِن فَلاسِفَة الإفرنج، وأوَّلُهم كبرنيك البولوني، ثمَّ أتباعه من الإفرنج، ومِن أعيانهم: تيخوبراهي الدَّانماركي، وكبلر، وغاليليه، ونيوتن الإنجليزي، وهرشل الإنجليزي، وداروين الإنجليزي، وأولبوس، وهاردنق، وبياظي، وستروف.

فهؤلاء كلُّهم مِن الإفرنج، وهم أساطينُ الهَيْئة الجَدِيدة، وأقوالُهم هي الَّتي أَودَعها الألوسيُّ في كتابه الذي سمَّاه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»، وهي الَّتي يَعتَمِد عليها الصَّوَّاف في كتابِه الذي افتَرىٰ فيه علىٰ المسلمين حيث نسَب ما فيه مِن الجهالات والضَّلالاتِ إلىٰ علومِهم. والمسلمون بريئونَ مِن كلِّ ما يُخالف كتابَ الله تَعالىٰ وسُنَّةَ رسولِه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإجماعَ المُسلمين.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٨ ما ملخَّصُه: هل تعلَم أيُّها القارئ الكَريم أن العالِم المُسلم عبدَ الله بنَ مُسلم بن قُتيبة الدِّينَوري يكادُ يكون أوَّلَ مَن ألَّف في عِلْم النُّجُوم والأَنْواء. وله كتابُ «الأنواء» الذي تكلَّم فيه عن النُّجُوم وكيفيَّة استدلالِ العرب بها، والمَاهِر في هذا العِلم من قبائلهم ورِجالِهم.

والجَوَابُ أَنْ يُقالَ: إن في ذِكْر الصَّوَّاف لابن قُتيبةَ في هذا المَوضع إيهَامًا لمَن لا عِلمَ عندهم بأنه كان يقولُ بما يقولُ به أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة مِن ثَبات الشَّمس ودَوران الأرْض حَولَها، وغَير ذلك مِن تَخَرُّصاتِهم في الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. وليس الأمرُ كَذلك، فإنَّ ابنَ قُتيبةَ لم يكن يَقولُ بشيء مما يقولُ به أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة، وإنما ألَّف فيما هو مَعروف عند العَرب من مَنازِلِ الشَّمس والقَمَر، والاستدْلَال بها وبغَيرها من النُّجُوم علىٰ جِهةِ القبلة وغيرها مِن الجِهات الَّتي يَقصِدُها المسافرون في البرِّ والبحر.

والاستدلالُ بالنُّجُوم علىٰ جهةِ القِبلة وغيرها من الجهاتِ جائزٌ؛ لقول الله تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقولِهِ تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٨، ٦٩ ما ملخصه: وهل تَعلم أنَّ مِن علماء الهَيئة المُسلمين الذين رَصَدوا وألَّفوا وسَهِروا اللَّيالي الطوالَ في مناجاةِ النُّجُوم ورَصْد حَركاتِها وسَكنَاتها، والناسُ نِيام، والعَالَم في غَفوةٍ وغفلة: الشَّيخ أبو جَعفر نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسَن الطُّوسي الفَيلسوف[1] العالِم بالأرصادِ والرِّياضيات والعلُوم العَقلية، وكان يُراقِبُ النُّجُوم والقمرَ ويَرصدُ حركاتِها بمرْصَد مرَاغة في مِصر، وبعد السِّنين الطوال طَلَع علىٰ الناس بكتُبه الفذَّة في عِلم الفلَكِ، وصحَّح فيها ما أخطأ فيه عُلماء اليُونان، وما انْحَرف فيه بَطلَيمُوس مِن آراء لا تَنطبق مع العِلم الصَّحيح.

ولو أردنا أن نَزيد لأَتينا بالشيء الكثيرِ الغَزير مِن فِعل سلفنا الصَّالح رحِمَهم اللهُ ورضي اللهُ عَنهم وأرضاهم، وحشَرنا وإيَّاهم مِن المُتَّقين الأبرار.

والجواب أنْ يُقالَ: أمَّا مُناجاة النُّجُوم، فمَعناها المُخاطبة لها في السِّرِّ، وذلك شِرْكٌ، كما سيأتي بيانُه.

---

(١) هو محمد بن محمد بن حسن، نصير الدين، الطوسي. قرأ علىٰ المعين سالم بن بدران المصري المعتزلي الرافضي، وغيره، وصنف كتبًا عدة. وسيذكر العلامة التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ أخبارًا من شناعات الطوسي هذا نقلًا عن أهل العلم من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره. وقد هلك الطوسي سنة (٦٧٢)، انظر: «تاريخ الإسلام» (١٥/ ٢٥٢)، و«فوات الوفيات» (٢/ ٢٤٦)، و«الأعلام» (٧/ ٣٠).

قال الجَوهَري: «**النَّجْو**: السِّرُّ بين اثْنين، يقال: نَجوتُه نَجوًا، إذا سَارَرْتُه. وكذلك ناجَيْتُه وانْتَجىٰ القومُ وتَناجَوا، أي: تَسارُّوا»(١).

وقال ابنُ الأثير، وابنُ مَنظور في «لسان العرب»(٢): «المُناجي: المُخاطِبُ للإنسانِ والمُحدِّث له. قال ابنُ الأثير: يُقال: ناجَاه يُناجِيه مُناجاة فهو مُناجٍ، والنَّجِيُّ فَعيلٌ مِنه». انْتَهىٰ.

وقد رَوىٰ مالكٌ في «المُوطَّأ» عن أبي حازم التَّمَّار، عن البَياض، أن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرَج علىٰ الناس وهم يُصلُّون وقد علَت أصواتُهم بالقِراءة، فقال: «**إنَّ المُصلِّي يُناجِي ربَّه، فَلْيَنظُرْ بمَا يُناجِيه بِه، ولا يَجهَر بَعضُكم علىٰ بَعضٍ بالقُرْآن**»(٣).

ورَوىٰ أبو داود في «سُنَنِه»، والحاكِمُ في «مُستَدْرَكِه» عن أبي سَعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحوَه، وقال الحاكِمُ: «صَحيحٌ علىٰ شرْطِ الشَّيخَين»، ووافقه الذَّهبي في «تَلخِيصِه»(٤).

---

(١) انظر: «الصحاح» (٦/ ٢٥٠٣).

(٢) (١٥/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٩)، ومن طريقه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٤٤)، وغيرهما. قال الأرنؤوط: «حديث صحيح».

(٤) أخرجه أبو داود (١٣٣٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٥٤) (١١٦٩)، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» =

وقال ابنُ عَبد البر: «حدِيثَا البياض وأبي سَعيد ثابتان صَحيحان»[١].

وفي «المُسنَد» مِن حديث ابنِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحو ذَلك أَيْضًا[٢].

وإذا عُلِم هذا، فلا يُناجي النُّجُومَ إِلَّا مَن يَعتَقِد فيها الإلهيَّةَ، وأنها تُدبِّرُ أَمرَ العَالَم، وتَسمَع دُعاءَ مَن يَدعُوها ويُناجِيها. وهذا المُعتقَدُ الخَبيثُ مَوروثٌ عَن عُبَّاد الشَّمس والقَمر والنُّجُوم من فَلاسِفَة اليُونان وأتباعِهم من المُتقدِّمين والمُتأخِّرين. ولهم كتبٌ في مُخاطبة الشَّمس والقَمر والنُّجُوم ومُناجَاتها، ودُعائها، والالْتِجاءِ إليها لقَضاء الحاجاتِ وتَفريج الكُرُبات وإغاثَةِ اللَّهفان.

وقد صنَّف بعضُ الأعيان في المِائة السَّادسة مِن الهجرة كتابًا سمَّاه «السِّر المَكتوم في السِّحر ومخاطبة الشَّمس والقَمر والنُّجُوم».

قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بنُ تَيميَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «وهذه رِدَّةٌ صَريحَة». وقال في مَوضِع آخر: «هذه رِدَّةٌ عن الإسلام باتِّفاق المسلمين، وإن كان قد يكونُ عادَ إلىٰ الإسلام».[٣] انْتَهىٰ.

=

(٥/ ٧٧)، و«صحيح الجامع» (٢٦٣٩).

(١) انظر: «التمهيد» (٢٣/ ٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٣) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥٥، ١٨/ ٥٥).

وقد أراد الصَّوَّاف أن يُبالِغَ في الثناءِ علىٰ نَصير الشِّرك الطُّوسي بما وصَفه به مِن سَهَر الليالي الطوال في مُناجاة النُّجُوم، فانعكَس الأمرُ عليه، وكان مَدحُه له ذَمًّا مِن أبلغِ الذَّمِّ، حيث حكَم عليه بالكُفْر، وأَلْحَقَه بعُبَّاد النُّجُوم مِن فَلاسِفَة اليُونان وأتباعِهم، وهو لا يَشْعُر.

وقد قيل في المَثَل السَّائر: (عَدُوٌّ عَاقِل خَيرٌ مِن صَديقٍ أَحمَقَ).

وَأَمَّا قولُه: ورَصد حَركاتها وسَكناتها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنَّ النُّجُوم ليسَت جامعةً بين الحَركة والسُّكون، كما قد توَهَّمه الصَّوَّافُ، وإنما هي دائبةٌ في الحَركة والجَريان إلىٰ يوم القيامة، سوىٰ القُطْبَيْن، فإنهما لا يُفارقان مَوضِعَيْهما، ولا يَخلُو الصَّوَّاف في قولِه هذا مِن أَحَد أمْرَين: إما أنْ يقولَ: إن النُّجُوم قد جَمَعت بين الحَركة والسُّكون في آنٍ واحد، وإما أنْ يَقول: إنها تَتحرَّك في وقتٍ وتَسكن في وقت آخر.

فإن قال بالأوَّل فقد جمع بين النَّقيضَين، ولا يقولُ بذلك مَن له أدنىٰ مُسكَة من عقل. وإن قال بالثَّاني فقد كابَر المحسوسَ المُشاهَدَ من جرَيَان النُّجُوم علىٰ الدَّوام، مع مُخالفته للأدلَّة الكثيرة من الكِتاب والسُّنَّة، وسيأتي ذكرُها -إن شاء الله تَعالىٰ- مع الكَلام علىٰ ما نقله الصَّوَّاف من تَفسيرِ طَنطاوي جَوهري، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وَأَمَّا قولُه: والعالَم في غَفوَةٍ وغَفْلة.

فهو مِن تَهوُّرِه في الكلام وعَدم تَثبُّتِه فيه، حيث جعل العالَم كلَّه في غَفْوة وغَفْلة، وجَعَل نَصيرَ الشِّركِ الطُّوسِي هو المُتيقِّظَ المُتَنَبِّهَ وحْدَه؛ لأنه كان يَسهَر اللَّيالي الطُّوال في مُناجاة النُّجُوم.

والأمرُ في الحقيقةِ بعَكس ما زعَمه الصَّوَّافُ؛ فأهلُ طاعةِ الله تَعالىٰ هم أهلُ التَّيقُّظِ والنَّباهَة مَن كانوا وأيْن كانُوا. وأهلُ الكُفْر والشِّرك وأعوانُهم مِثْل: نَصِير الشِّرْك الطُّوسِي وأَشْبَاهه مِن المَلاحدة المُحادِّين لله ولرسُولِه - هم أهلُ الغَفْوة والغَفْلة عن اللهِ والدَّار الآخِرَة.

وَأَمَّا قولُه: نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسَن الطُّوسِي الفَيلَسُوف.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: فهو غيرُ مُطابق له، وإنما المُطابِقُ تَلقيبُه بنَصِير الشِّرْك، كما يَشهد به الواقعُ مما ذكره المؤرِّخون في وَقعة بغدادَ المَشهورة في سنَةِ سِتٍّ وخَمسين وسِتِّمائة. فقد قيل: إن القَتلىٰ بلغوا ألفَ ألفَ وثَمانمِائة ألْف. وقيل: ألْفَي ألف. وقيل غير ذلك.

وهذه المَلحمَة العظيمة لم يَجرِ علىٰ أهلِ الإسلام مِثْلها لا قبلُ ولا بعدُ. وكان ذلك بإشارةِ عَدُوَّيِ الإسلامِ نَصِير الشِّرْك الطُّوسِي الفَيلَسُوف المُلحِد البَاطني الإسْماعيلي وَزيرِ هُولاكو، والوَزيرِ ابنِ العَلْقَمِيِّ الرَّافِضي، وكَيدهما للإسْلَام وأهله. عامَلَهُما اللهُ بِعَدْلِه.

وقد قال ابنُ القيم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(١):

وكَذا أَتَىٰ الطُّوسِيُّ بالحَرْب الصَّريـ ـحِ بصَارِمٍ مِنْه وَسَلِّ سِنَانِ
وأَتَىٰ إلَىٰ الإسلَامِ يَهدِمُ أَصلَهُ مِن أُسِّه وقَواعِد البُنْيَانِ
عَمَر المَدارِسَ للفَلاسِفَة الأُولَىٰ كَفَروا بدِين اللهِ والقُرآنِ
وأَتَىٰ إلىٰ أوقافِ أهلِ الدِّين يَنْـ ـقِلُها إلَيهم فِعلَ ذي أَضغَانِ
وأرادَ تَحويلَ الإشاراتِ الَّتي هِيَ لابْنِ سِينا مَوضِعَ الفُرقانِ
وأرَاد تَحويلَ الشَّريعةِ بِالنَّوا مِيسِ الَّتي كانَت لَدىٰ اليُونَانِ
لكِنَّه عَلِم اللَّعينُ بأَنَّ هَـ ـذا لَيس في المَقدُور والإمْكَانِ
إلا إذا قُتِل الخَليفَةُ والقُضا ةُ وسَائرُ الفُقهاء في البُلدانِ
فسَعَىٰ لِذاكَ وسَاعَد المَقدُور بالْـ أَمْر الَّذي هو حِكمَةُ الرَّحْمَنِ
فأشار أن يضع التتار سيوفهم في عسكر الإيمان والقرآن
لَكنَّهم يُبقُون أهلَ صَنائعِ الدْ دُنْيَا لأَجْلِ مَصالِحِ الأبْدَانِ
فغَدَا علىٰ سَيفِ التَّتار الأَلْف في مَثَل لها مَضْرُوبَة بوِزَانِ
وكَذا ثَمان مِئينِها في أَلْفِها مَضرُوبَة بالعَدِّ والحُسْبَانِ
حتَّىٰ بَكَىٰ الإسْلامَ أَعْداهُ اليَهُو دُ كَذا المَجوسُ وعَابِدُو الصُّلْبَانِ
فشَفَىٰ اللَّعِينُ النَّفْسَ مِن حِزْبِ الـ ـرَّسُو لِ وَعَسْكَرِ الإيمَانِ وَالقُرْآنِ

(١) (ص٦١).

وقال ابن القيم -أَيْضًا-(١):

وكَـذَلِكَ الطُّوسِـيُّ لَمَّـا أَنْ غَـدَا ... ذا قُـدرَةٍ لَـم يَخْـشَ مِـن سُـلطانِ
قَتَلَ الخَليفَـةَ والقُضَاةَ وحَـامِلِي الْـ ... قُــرْآنِ وَالفُقَهَــاءَ في البُلْـــدانِ
إذْ هُــمْ مُشَــبِّهَةٌ مُجَسِّــمَةٌ وَمَــا ... دَانُــوا بِــدِينِ أَكَــابِرِ اليُونَــانِ

وقال -أَيْضًا-(٢):

وكَـذا نَصِـيرُ الشِّـرْك في أَتْبَاعِــه ... أَعْــدَاءُ رُسْــلِ اللهِ وَالإِيمَــانِ
نَصَـرُوا الضَّلَالَةَ مِـن سَـفَاهَةِ رَأْيِهِـمْ ... وَغَــزَوْا جُيُــوشَ الــدِّينِ والقُــرْآنِ
فجَـرَىٰ عَلـىٰ الإِسْـلَامِ مِـنْهُم مِحْنَـةٌ ... لَــمْ تَجْـرِ قَــطُّ بِسَــالِفِ الأَزْمَــانِ

فانْظُروا أيُّها المُسلمون إلىٰ شِدَّة عَداوةِ الفَلاسِفَة والرَّافضة للإسلام وأهلِه، وخُبْثِ طَوِيَّتِهم وكَيْدهم للمُسلمين، وطَلَبهم الغوائلَ لهم والشُّرُورَ حتىٰ أوْقَعوا بهم هذا الأمرَ الفَظيع، الذي لم يُؤرَّخ في الإسلامِ أَشنَع ولا أبْشَع مِنه.

فهذا دليلٌ علىٰ أن انْتِسابَهم إلىٰ الإسلام كِذَب مَحْض، ومَكْرٌ وخَديعة ليَفعلوا بالإسلام مِثلَ ما فعله بُولِص بالنَّصرانية.

ولهذا قال شَيْخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس

---

(١) (ص٣٣).
(٢) (ص٢٢٤).

الفَلاسِفَة من المُسلمين»(١).

ونقَل عن بعض أعيانِ القُضاة في زمانه أنه قيل له: «ابنُ سينا من فَلاسِفَة الإسلام، فقال: ليس للإسلام فَلاسِفَة»(٢).

قلتُ: وفي هذا حكايةٍ عَجيبة، ذكرَها ياقوتُ الحَمَوي في كتابه «معجم الأدباء»(٣) في ترجمة أحمَد بن الحُسَين بن مهران المُقري أبي بكر النَّيسابوري.

قال ياقوت: «كان مُجَاب الدَّعوة، مات في السَّابع والعشرين مِن شوَّال سنة إحدىٰ وثمانين وثلاثمائة، وتُوفِّي في ذلك اليوم أبو الحسَن العامِري صاحب الفلسفة. قال الحاكم: فحدَّثني عمرُ بن أحمد الزَّاهد قال: سمعتُ الثِّقةَ مِن أصحابنا يَذكُر أنه رأىٰ أبا بكر بنَ الحسين بن مِهران في المَنام في الليلة الَّتي دُفِن فيها، قال: فقلتُ: أيُّها الأستاذُ، ما فعَل اللهُ بِكَ؟ فقال: إن اللهَ عَزَّوَجَلَّ أقام أبا الحسَن العامري بحِذائي وقال: هذا فِداؤُك من النَّار. ثمَّ ذكر الحاكمُ بإسنادٍ رفعَه إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كانَ يَومُ القِيامَة أَعطَىٰ اللهُ كُلَّ رَجُلٍ مِن هذه الأُمَّة رَجلًا مِن الكُفَّار، فيقولُ: هذا فدَاؤُك مِن النَّار»(٤)، وهذا الخبَر إذا قُرن بالرُّؤيا

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص١٩٩).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) (١/ ٢٣٣).
(٤) أخرجه البيهقي في (٨٧)، وغيره من حديث أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقد أخرجه مسلم =

صار مِن بَراهين الشَّرع». انْتَهىٰ.

وقد ذَكر ابنُ كَثير هذه الحكايةَ في «البداية والنهاية»[(١)] مُختَصرَةً.

وحديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ الذي ذكره الحاكمُ قد رواه الإمام أحمدُ ومُسلم من حديث أبي أُسامة عَن طلحةَ بن يحيىٰ عن أبي بُردَة عن أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «إذا كانَ يَومُ القِيامَةِ دُفِع إلىٰ كُلِّ مُؤمِن رَجلٌ مِن أهلِ المِلَل فيُقالُ له: هذا فِداؤكَ مِن النَّار»، هذا لفظُ أَحمدَ. ولفظُ مُسلم: «إذا كان يَومُ القِيامةِ دَفَع اللهُ عَزَّوَجَلَّ إلىٰ كلِّ مُسلِم يَهُودِيًا أو نَصْرانِيًّا فيقولُ: هذا فِكَاكُكَ مِن النَّار»، ورواه الإمامُ أحمد -أَيْضًا- من طَريق أُخرىٰ بنحو روايةِ مُسلم[(٢)].

قال ابنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «الفَلاسِفَة اسمُ جِنس لمَن يُحبُّ الحِكمةَ ويُؤثِرُها، وقد صار هذا الاسمُ في عُرف كثيرٍ مِن الناس مُختَصًّا بمَن خرَج عن دِياناتِ الأنبياء ولم يَذهب إلَّا إلىٰ ما يَقتضيه العقلُ في زعمه. وأَخصُّ مِن ذلك أنه في عُرف المتأخِّرين اسمٌ لأتباع أَرسْطُو، وهم المَشَّاؤُن خاصَّةً، وهم الذين هذَّب ابنُ سِينا طَريقتَهم وبَسطَها وقرَّرها، وهي الَّتي يَعرِفُها بل لا يَعرِف

=

(٢٧٦٧)، وأحمد (٤/ ٤٠٢)، وغيرهما بنحوه.

(١) (١٥/ ٤٤٠).

(٢) تقدم قريبًا.

سواها المُتأخِّرون من المُتكلِّمين»(١). انْتَهىٰ.

ومِن أقوال الفَلاسِفَة الَّتي ذكرها شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في مَواضع مِن كُتبه: أنَّ النُّبوة مُكتَسَبة، وأنها فَيضٌ يَفيضُ علىٰ رُوح النَّبيِّ إذا استعدَّتْ نفسُه، لذلك فمَن راضَ نفسَه حتىٰ استعدَّت فاضَ ذلك عليه. والنَّبيُّ عندهم مِن جنس غيرهم مِن الأذْكِياء الزُّهَّاد، لكنه قد يكونُ أفْضَلَ. والمَلائكةُ عندهم هي ما يتخيَّل في نفسِه من الخَيالات النُّورانية. وكلامُ الله هو ما يُسمع في نفسه من الأصوات بمَنزلة ما يراه النائمُ في منامه. ويُجوِّزُون علىٰ الأنبياء الكَذبَ في خِطاب الجمهور للمصلحة.

والفَيلسُوف عند بعضِهم أعظمُ من النَّبيّ. وعند بعضهم أن الرِّسالةَ إنما هي للعامَّة دون الخاصة. والعبادات كلُّها عندهم مقصودُها تهذيبُ الأخلاق. والشَّريعة عندهم سياسَةٌ مَدنيَّة. إلىٰ غير ذلك مِن كُفريَّات الفَلاسِفَة وأقوالهم الباطلة.

وقد قال ابنُ القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(٢):

لكِنْ حَقيقةُ قولِهم أنْ قد أَتوا ... بالكذْبِ عند مصالِح الإنسانِ

والفَيلسُوف وذا الرَّسولُ لَديهِمُ ... مُتفاوتانِ وما هما عِدْلانِ

---

(١) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٥٧).

(٢) (ص٥٤).

أمــا الرســولُ ففَيْلَسُــوفُ عــوامِهم ... والفَيْلَسُــوفُ نبــيُّ ذي البرهــانِ

والحـــقُّ عنــدهمُ ففِيمـــا قالَـــه ... أتبــاعُ صــاحبِ مَنطــق اليونــانِ

ومضــىٰ علــىٰ هــذِي المقالــةِ أُمَّــةٌ ... خَلْـف ابـنِ سـينا فاغْتـذوا بلبَـانِ

مــنهم نَصـير الكُفـر في أصـحابه ... النَّاصــرين لمِلَّـــة الشَّـــيطان

فاســأَلْ بِهــم ذا خِبْـرة تلقَــاهُم ... أعــداءَ كُــلِّ مُوحِّــدٍ ربَّـــاني

واســأَلْ بهــم ذا خِبــرةٍ تَلقــاهمُ ... أعــداءَ رُسْـــلِ الله والقُـــرآنِ

وقد تعلَّق بأذيالهم كثيرٌ مِن منافقي هذه الأمَّة مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين إلىٰ زماننا، ووردوا مواردَهم الخَبيثة، فمُستقِلٌّ منها ومُستكْثِر.

وكثيرٌ منهم أضَرُّ علىٰ الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم من المُشركين.

وقد ذكر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ(١) -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ الرَّافضي مما قيل فيهم.

الـــدِّينُ يَشـــكُو بَلِيَّـــهْ ... مِـــنْ فِرقَـــةٍ فَلسَـــفِيَّهْ

لَا يَشــــهَدُون صَـــلاةً ... إلَّا لأجْـــلِ التَّقِيَّـــهْ

ولَا تَـــرىٰ الشَّـــرْع إلَّا ... سِياَســـةً مَدنِيَّـــهْ

ويُـــؤْثِرُون عَلَيْـــهِ ... مَنَاهِجًـــا فَلْسَـــفِيَّهْ

---

(١) انظر: «منهاج السنة» (٣/ ٤٤٩).

قلتُ: وقد ذُكر لنا عن بعض أتباعهم في زماننا أنهم لا يُصلُّون إلَّا للرِّياضة أو للتَّقيَّة. وأنهم يُنكرون وجودَ الملائكةِ وتَنزُّلَهم بأمرِ الله، وتَدبيرَهم للأمورِ بإذْنِه. وبعضُهم يُنكرون كونَهم يَعقِلون، وإنما هم عندهم بمَنزلة الجمادات والنَّباتات، ويُنكرون -أَيْضًا- وجودَ الجنِّ وصَرعهم لبني آدم، ويسمُّون الصَّرع الأمراضَ العصبيَّة. إلىٰ غير ذلك مما دخَل عليهم مِن سُموم الفَلاسِفَة وجَراثيم أمراضِهم المُهلِكة.

وليُعلم أن بين الفَلاسِفَة والمَلاحدة الباطنيَّة تَناسُبًا وتقارُبًا واتفاقًا في بعض الأمور.

وقد ذَكر بعضُ العلماء عن ابن سينا أنه قال: كان أبي وأخِي من أهل دَعوة الحَاكم - يَعني العُبَيدي.

وكان نَصير الشِّرْك الطُّوسِي وزيرًا لأصحابِ قِلاع الألموت مِن الإسماعيليَّة، وكانوا يَنتسبون إلىٰ نزَار بن المُستنصر العُبيدي. ثمَّ وزَر لهُولَاكو. وقد شرَح «الإشارات» لابن سينا. ذكَر ذلك شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- وغيرُه من أكابر العُلماء.

وذكر شيخُ الإسلام -أَيْضًا[1]- في ردِّه علىٰ الرَّافضي عن نَصير الشِّرْك الطُّوسِي أنه كان ممَّن يقولُ: إنَّ الله مُوجب بالذَّات لا مُختار، ويقولُ بقِدَم

---

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٤٤٥).

العالم. قال: وهذا الرجلُ قد اشتهر عند الخاصِّ والعامِّ أنه كان وزيرًا لمَلاحدة الباطنيَّة الإسماعيليَّة بالألموت، ثمَّ لما قدِم التَّترُ المشركون هولاكو أشَار عليه بقَتل الخليفة وبقتلِ أهل العِلم والدِّين، واستبقاءِ أهل الصِّناعات والتِّجارات الذين يَنفعونه في الدنيا، وأنه استولىٰ علىٰ الوَقف الذي للمسلمين، وكان يعطي منه ما شاء اللهُ لعُلماء المُشركين وشُيوخهم من النَّخشية السَّحرة وأمثالهم، وأنه لما بنىٰ المَرصدَ الذي بمَراغة علىٰ طريقةِ الصَّابئة المشركين كان أخسُّ الناس نصيبًا منه مَن كان إلىٰ أهل المِلل أقربُ، وأوْفَرهم نصيبًا مَن كان أبعدَهم عن المِلَل؛ مثل الصَّابئة المُشركين، ومِثل المُعطِّلة وسائر المشركين.

ومِن المَشهور عنه وعن أتباعه الاستهتارُ بواجبات الإسلام ومُحرَّماته، ولا يُحافِظون علىٰ الفرائض؛ كالصَّلاة، ولا يَنزعُون عن محارمِ الله مِن الخَمر والفواحش وغير ذلك مِن المُنكرات، حتىٰ إنهم في شهرِ رَمضان يُذكر عنهم مِن إضاعةِ الصَّلاة وارتكابِ الفواحش وفِعْلِ ما يعرفه أهلُ الخِبرة بهم. ولم يكن لهم قوَّة وظُهور إلَّا مع المشركين الذين دِينُهم شرٌّ مِن دين اليهود والنصارىٰ.

إلىٰ أن قال: «وبالجُملة، فأمرُ هذا الطُّوسِي وأتباعِه في المسلمين أشهَرُ وأعرَف من أن يُوصَف». انْتهىٰ.

ومع ما ذكره شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ والعلَّامة ابنُ القيِّم - رحمهما الله تَعالىٰ- عن نَصير الشِّرْك الطُّوسِي من الأفعالِ الشَّنيعة والأقوال

الباطلة الوضِيعة فقد خالفَهُما الصَّوَّافُ وصار معهما في طَرَفي نقيض، حيث بالغ في الثناءِ علىٰ نَصير الشِّرْك، ووصفَه بما لا يَستحقُّه، وجَعلَه مِن سلفِه الصَّالِح، وفي هذا أوضحُ دليل علىٰ كَثَافة جهلِه، وعَدم تَمييزه بين الطَّيِّب والخَبيث.

وقد ذكر الشَّيخُ عبدُ القاهر بن طاهِر البغدادي في كتابه «الفَرْق بين الفِرَق»[١] عن عُبيد الله بن الحسين القَيرواني جدِّ العُبيديِّين، أنه قال في رسالته إلىٰ سُليمان بن الحسن بن سعيد الجنابي القُرمطي: إذا ظَفرتَ بالفَلسفي فاحتَفظ به، فعلىٰ الفَلاسِفَة مِعوَلُنا، وأنا وإيَّاهم مُجمعون علىٰ ردِّ نواميس الأنبياء، وعلىٰ القول بقِدَم العالَم، لولا ما يخالفنا فيه بعضُهم من أن للعالَم مُديرًا لا نعرفه.

وذكر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ الرَّافضي نحوَ ذلك -أَيْضًا- نقلَه عن القاضي أبي بكرٍ مُحمَّد بن الطَّيِّب البَاقلاني.

ورسالةُ عُبيد الله إلىٰ القُرمطي تسمىٰ عندهم بالبَلاغ الأكبَر والنَّامُوس الأعظم، أوصاه فيها بالدعاء إلىٰ مذهَبِهم الخبيث، وأمرَه بالاحتفاظ بإخوانِهم الفَلاسِفَة، وهذا مما يَدعو كلَّ مسلم إلىٰ زيادةِ البُغض للفَلاسِفَة ومَقتِهم والبُعدِ عنهم.

---

(١) (ص٢٧٨).

ولكن الأمْر قد انعكس في زماننا، فصار الانتسابُ إلىٰ الفلسفةِ مَألوفًا عند كثير من المسلمين، بل عند كثير مِن المنتسبين إلىٰ العِلم، فإذا بالغوا في مَدْح العالِم والثناء عليه قالوا: (هو فَيلَسُوف). وكذلك الكلامُ المُشتمل علىٰ الحِكَم يسمُّونه فلسَفَة، ويجعلون الوصفَ بذلك تعظيمًا له وثناءً عليه. وهو في الحقيقة تَهجِينٌ له وعيبٌ وذَمٌّ، لأنه ليس للإسلامِ فَلاسِفَة، وليس الفَلاسِفَة من المسلمين. وأقل ما يقالُ في ذلك: أنه خلاف عُرف المسلمين ولُغتهم، وعُدول عن ذلك إلىٰ عُرف اليونان ولُغتهم، وذلك نوعٌ من التَّشبُّهِ بهم. وفي الحديث الصحيح: «**مَن تَشَبَّه بقَومٍ فهُو مِنهُم**» رواه الإمامُ أحمد وأبو داودَ مِن حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وصحَّحه ابنُ حبَّان. وقال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ: إسنادُه جيد. وقال الحافظ العراقي: إسناده صحيح. وقال ابن حَجر العسقلاني: إسناده حسن. وقد احتج به الإمام أحمدُ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-، وذلك يَقتضي صِحَّتَه عنده.

قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تعالىٰ-: «وهذا الحديثُ أقلُّ أحواله أنه يَقتضي تحريمَ التَّشبُّهِ بهم، وإن كان ظاهرُه يَقتضي كُفرَ المُتشَبِّه بهم، كما في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]». انْتَهىٰ.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وقال تعالىٰ: **﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾** [النساء: ١١٣]، وقال تَعالىٰ: **﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ**

وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢].

فسمَّاها اللهُ تَعالىٰ حِكمةً، ولم يُسمِّها فلسفةً. وكذلك سمَّىٰ أهلَها علماء وأئمَّةً وربَّانيِّين وأحبارًا، ولم يسمهم فَلاسِفَة. قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، وقال تعالىٰ: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

وفي «الصحيحين» وغيرهما، عن عبد الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا حسَدَ إلَّا في اثْنَتَين: رَجلٌ آتاه اللهُ مَالًا فسلَّطَه علىٰ هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، ورَجُلٌ آتاهُ اللهُ الحِكمَة فهُو يَقضِي بها ويُعلِّمُها**»[1].

فسمَّاها حِكمةً ولم يُسمِّها فلسَفَة.

وروىٰ أبو نُعيم وغيرُه، عن سُويد بن الحَارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثنىٰ علىٰ وَفْد الأزْدِ، ووصَفَهم بأنهم حُكمَاء عُلماء[2]، ولم

(١) أخرجه البخاري (٧٣)، ومسلم (٨١٥)، وغيرهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٧٩)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٩٧٠)، وغيرهما =

يقل: إنهم فَلاسِفَة.

وفي حديث أبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأنْبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرْهَمًا، وإنَّما وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَن أَخَذَه أخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ**» رواه الإمامُ أحمدُ وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجه وابن حبان في «صَحِيحه» والبيهقي(١).

وإذا كان العلماءُ ورثةَ الأنبياء، فالفَلاسِفَة ورَثَة اليُونان، وكان مُعلِّمهم الأوَّل أرسطو وزيرًا للإسكندر بن فليبس المَقدوني ملك اليونان، وكان هو والمَلِك وأصحابهما مُشركين يَعبدون الكواكبَ والأصنامَ، ويُعانون السحر. فهذا ميراثُهم الذي خلَّفوه لأتباعهم، مع ما تقدم ذكره عنهم قريبًا، وما لم يُذكر فهو أكثر.

وأما مُعلِّمهم الثَّاني أبو نَصر الفارابي التُّركي فقد خلَّف لهم من المِيراثِ أنواعَ الألحان والمعازف.

=

من حديث سويد بن الحارث به، وفي إسناده علقمة بن يزيد بن سويد. قال الذهبي: «لا يعرف. وأتىٰ بخبر منكر فلا يحتج به»، انظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ١٠٨)، و«لسان الميزان» (٥/ ٤٧٢). وانظر: أيضًا «الضعيفة» (٢٦١٤).

(١) تقدم.

وقد قال ابنُ القيم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»[(١)]:

أَنَّىٰ يُقاوم ذِي العَساكر طَمطَم ... أو تَنكلوشًا أو أخُو اليونانِ

أعني أَرسطو عابدَ الأوثان أو ... ذاك الكَفور مُعلِّم الألحانِ

ذاك المُعلِّم أوَّلًا للحرف والثـ ... ـثَانِي لِصَوت بِئست العلمَانِ

هذا أساسُ الفِسق والحَرف الذي ... وضَعوا أساسَ الكُفر والهذيان

إذا عُرف هذا فما أَسْفَهَ رَأيَ مَن رغِب عن الأسماء الَّتي اختارها اللهُ لهذه الأُمَّة، واختارها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، وكانت هي المعروفة عنده وعند أصحابِه والتابعين لهم بإحسان، وعَدَلَ إلىٰ أسماء أَجْنَبيَّة عن الإسلام وأهل الإسلام ولُغتهم وعُرفِهم!

وقد قال الشيخُ سُليمان بن سَحمان[(٢)]-رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في ردِّه علىٰ زنادِقَة البَحرين لمَّا خاطبوا رَشيد رضا باسم الفَيلسوف:

«ثم لو سلَّمنا أن الفَيْلَسُوف علىٰ عُرف الفَلاسِفَة وأتباعِهم مِن أهل الكَلام هو مُحِبُّ الحِكْمَة، وأنه يُمدح ويُثنىٰ به علىٰ العالِم المُصلِح المُرشِد للعباد، لم يكن هذا مِن عُرف أهل الإسلام ولا مِن لُغتهم، ولا يُمدَح به أحدٌ مِن علماء

---

(١) (ص٢٢٤).

(٢) هو سليمان بن سحمان بن مصلح، كاتب فقيه، من علماء نجد. وصنف كتبًا ورسائل، منها «الضياء الشارق»، و«تبرئة الشيخين»، و«منهاج أهل الحق والاتِّباع»، وغير ذلك. توفي سنة (١٣٤٩)، انظر: «الأعلام» (٣/ ١٢٦).

الإسلام، لأنه قد كان مِن المَعلوم أنه لم يكن يُسمَّىٰ به أحدٌ من علماء الصَّحابة ولا عُلماء التابعين، ولا مَن بعدَهم مِن الأئمة المُهتَدين والعُلماء المُصلِحين المُرشِدين، ولا أكابرِ عُلماء أهل الحديثِ المُجتهِدين، بل كان هذا الاسمُ في عُرْف أهل الإسلام لا يُسمَّىٰ به إلَّا مَن كان مِن علماء الفَلاسِفَة ومَن نحا نحوَهم مِن زَنادقةِ هذه الأمَّة، فكان في الحقيقة أن هذا مما يُعابُ ويُذمُّ به مَن يسمَّىٰ بذلك، لا مما يُمدَح ويُثنىٰ به عليه.

ولو أراد هؤلاء المُتنطِّعون المُتعمِّقون أن يَنقلوا هذا عن أحدٍ مِن أهل العِلم أو يَذكُروه في شيءٍ مِن دواوين أهلِ الإسلام لم يَجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا البَتَّةَ. اللَّهمَّ إلَّا ما يُذكر عن أشباهِ هؤلاء الهَمَج الرَّعَاع أتباعِ كلِّ ناعِق، الذين لم يَستضيئوا بنُور العِلم، ولم يَلجَئوا إلىٰ رُكن وَثيقٍ مِن الفَهْم، إنْ هُم إلَّا كالأنْعام بل هُم أضَل، أولئك هُم الغَافِلون»(١). انْتَهىٰ كلامُه -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-.

ومما ذَكَرْنا يُعلَم أن اسمَ الفَيْلَسُوف ليس بمَدح، وإنما هو ذَمٌّ علىٰ الحَقيقة، وأن هذا الاسمَ هو اللائقُ بنَصِير الشِّرْك الطُّوسِي وأشباهِه مِن ورَثَةِ اليُونان، ولا يَنبغي أن يُسمَّىٰ به أحدٌ مِن علماء المسلمين.

وَأَمَّا قولُه: وكان يُراقب النُّجُوم والقمرَ، ويَرصُد حركاتِها بمَرصَد مَراغَة في مِصْر.

---

(١) انظر: «إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل» (ص٥٥).

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنَّ نَصيرَ الشِّرْك الطُّوسِي إنما بَنىٰ المَرصَد بمَدينة مَراغة المَعروفة بأذربيجان. قال مُحمَّد فَريد وجدي في «دائرة المَعارف»: «ولمَّا نبَغَ نَصيرُ الدِّين الطُّوسِي بنىٰ مرْصَدًا في المَراغة بالتُّركستان، أنفق عليه الأموالَ الطَّائلةَ»، وهذا هو الصَّحيح، لا ما تَوهَّمهُ الصَّوَّاف.

وَأمَّا قولُه: وبَعد السِّنين الطُّوال طَلَع علىٰ الناس بكُتُبه الفَذَّة في عِلْم الفَلَك.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وهو مع ذلك علىٰ مَذهب أهل الهيئة القديمةِ في القول بجَريان الشَّمس وثَبات الأرض. فأيُّ فائدةٍ للصَّواف مِن الجَعْجَعَةِ بِذِكْرِه وذِكْر غيرِه مِن الفَلكِيِّين الذين هم علىٰ خِلاف ما يَراه هو وأسلافُه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة مِن ثباتِ الشَّمس ودَوران الأَرْض حَولَها؟!

وَأمَّا قولُه: ولو أرَدْنا أن نَزيدَ لأتَيْنا بالشَّيء الكثيرِ الغَزيرِ مِن فِعْل سلفِنا الصَّالح رحمهم الله، ورضي الله عنهم وأرضاهم، وحشَرَنا وإيَّاهم مع المُتَّقين الأبرار.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد ذَكر الصَّوَّاف في مقدِّمة رسالته فِي صَفْحَةِ ١٢: أنَّ ما جمَعه في رسالته فهو مما تَركه العلماءُ الأعلام والخلفاءُ العِظام.

فأما علماؤه الذين أشار إليهم فهُم أهل الهَيْئة الجَدِيدة مِن فَلاسِفَة الإفرنج، وقد ذكرتُ قريبًا أسماءَ جُملَةٍ منهم، وذكرتُ في أوَّل الكِتاب جُملةً

ممَّن نَقل عنهم واعتمد علىٰ جَهالاتهم وتَخَرُّصاتهم وظُنونِهم الكاذبة، وهم: جِيمْس أوثر، ولابلاس، وسيمون، وتُوماس جُولد، ودونالد مينزل، واللورد افبري، وسبريل هازارد، والبروفيسور شميدت، وأرثر فندلاي، وسيمون نيوك، وأصحاب المرصد الأمريكي، والمراصد في ليك، ومونت، ويلسون، وبالومار.

فهؤلاء كلُّهم مِن الإفْرنج، وهم علماء الصَّوَّاف الذين زَعَم أنهم أعلامٌ.

ومِن علمائه -أَيْضًا- وأعلامه الذين اعتمد علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة: جَميل صدقي الزهاوي، وهو مِن الجَهميَّة، كما تقدَّم إيضاحُ ذلك في أوَّل الكتاب.

والجَهميَّة كُفَّار، كما قد نَصَّ علىٰ ذلك أئمَّة السَّلف. قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-(١): «المشهور مِن مذهب أحمدَ وعامَّة أئمة السُّنَّة تَكفيرُ الجهميَّة، وهم المُعطِّلة لصِفات الرَّحمن، فإنَّ قولَهم صَريحٌ في مُناقضة ما جاءت به الرُّسلُ من الكتاب. وحقيقة قولِهم جُحود الصَّانع، وجُحودُ ما أخبر به عن نفسِه علىٰ لسان رسولِه صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل وجميع الرُّسل. وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفَرُ مِن اليهود والنصارىٰ. وبهذا كفَّروا مَن يقول: إن القرآنَ مخلوق، وأن الله لا يُرىٰ في الآخرة، وأن اللهَ ليس علىٰ العرش، وأنه ليس

---

(١) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٣/ ١٢).

له عِلْمُ ولا قُدرة ولا رَحمة ولا غضبٌ، ونحو ذلك من صفاته.

وقال -أَيْضًا-: نَفْي الصِّفات كُفْرٌ، والتَّكذيب بأن الله لا يُرىٰ في الآخرة كُفْر، وكذلك ما كان في مَعنىٰ ذلك؛ كإنكار تكليم الله لمُوسىٰ، واتِّخاذ الله إبراهيمَ خَليلًا»(١). انْتَهىٰ.

وقال العلَّامة ابن القيِّم -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «الكَافِيَة الشَّافِيَة»(٢):

ولقَد تَقلَّدَ كُفرَهُم خمسُون فِي ... عَشْرٍ مِنَ العُلماءِ في البُلْدَانِ

واللَّالكَائِيُّ الإِمَامُ حَكَاه عَنْـ ... ـهُمْ بَل حَكَاهُ قَبلَهُ الطَّبَرَانِي

فذكر -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- أنَّ خَمسَمِائة عَالِم كفَّروا الجَهميَّة، وقد ذَكَر عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ في كتاب «السُّنَّة» جُملةً مِنهم. وكان بعضُ الأئمة يُسمِّيهم الزَّنادقةَ. ورُوي عن عبد الله بنِ المُبارك ويوسفَ بنِ أسباطَ وغيرهما مِن أهل العِلم والحَديث: أنَّهم قالوا: أصُول اثْنَتين وسَبعين فِرْقَة هي أرْبَع: الخَوارج، والرَّوافض، والمُرجئة، والقَدريَّة. قيل لابنِ المُبارك: فالجَهميَّة؟ قال: لَيسَت الجَهميَّةُ مِن أُمَّة مُحمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وكلامُ أئمَّة السَّلف في ذَمِّ الجَهميَّة وتَكفيرهم كثيرٌ جِدًّا.

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٦).

(٢) (ص٤٢).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ١٩٣- ١٩٤).

وعن أحمد -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في تكفيرِ مَن لم يُكفِّر الجهميَّةَ رِوايتان[١].

وبالتَّكفير يقولُ أبو بكر بنُ عيَّاش، وسُفيانُ بنُ عُيينَةَ، وأبو زُرْعَة، وأبو حاتِم الرَّازيان، وحكىٰ أبو زُرعة وأبو حاتم ذلك عمَّن أدركاه مِن العلماء في جميع الأمصار.

ومِن علماء الصَّوَّاف وأعلامُه -أَيْضًا-: نَصيرُ الشِّرْك الطُّوسِي، وقد تقدَّم الكلامُ فيه قريبًا.

ومِن علمائه وأعلامه -أَيْضًا-: أبو عَلِي ابن الهَيْثم. وسيأتي الكَلام فيه قريبًا، ومِن علمائه وأعلامِه -أَيْضًا-: عليُّ بن عبد الرَّحمن بن يُونس المُنجم صاحب الزّيج الحَاكمي[٢]، وقد ذكر ابن خلكان عنه أنه كان قد أفنىٰ عُمره في الرَّصْد والتَّسيير للمَواليد، وأنه كان يَقِف للكَواكب. ثمَّ نَقل عن الأميرِ المسبحي قال: أخبرني أبو الحسَن المُنجِّم الطَّبراني أنه طَلع معه إلىٰ جَبَل المُقطَّم وقد وقَف للزُّهرة، فنَزع ثوبَه وعمامته، ولبس ثَوبًا نساويًا أحمَر، ومقْنَعة حمراء تَقنَّع

---

(١) المصدر السابق (٣/ ١٣).

(٢) هو علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلىٰ الصدفي المصري، أبو الحسن. روىٰ عن: محمد بن علي بن أبي الحديد. روىٰ عنه: الفضل الروذباري. قال الذهبي: «ولا تحل الرواية عنه؛ فإنه منجم، وهو صاحب «الزيج الحاكمي»، صنفه في أربع مجلدات؛ مات سنة (٣٩٩)، انظر: «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٢٩)، و«تاريخ الإسلام» (٨/ ٨٠٤).

بها، وأَخْرج عُودًا فضرب به والبُخور بين يَديه.

قلت: وهذه الأفعال كلُّها مِن أفعال فَلاسِفَة اليُونَان وأتباعهم مِن الكَفَرة الذين يَعبُدون الكواكِبَ، ويتقرَّبون إليها بما يَرون أنه يُناسبها من اللِّباس والبَخور والضَّرب بآلاتِ اللَّهو.

ومِن عُلمائه وأعلامه -أَيْضًا-: طَنطاوي جَوهري، وموسىٰ جار الله. وسيأتي ذكرُ ما نقله عنهما من الهَوس والهَذيانِ في آخر الكتابِ إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما خلفاؤه الذين زعَم أنهم عِظام فهم المُلوك المُنحرِفون، ومنهم المأمُون، والحَاكم العُبيدي، وبعضُ بني بُوَيه، والسَّلاجِقَة، وهُولاكو، وتَيمُورلنك، وحَفيده أولغ بيك، وأشباههم مِن المُلوك المَفتُونِين بالنُّجُوم وعَمل الأرْصَاد. فهؤلاء مع مَن ذكرنا مِن فَلاسِفَة الإفْرنج وأتباعهم هم السَّلف الطَّالح للصَّوَّاف الذين يَترَحَّم عليهم ويَسأَلُ اللهَ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضيهم ويَحشُرَه وإيَّاهم مع المتقين الأبرار.

هذا مَبْلَغُ عِلْم الصَّوَّاف وحاصِل عَقْلِه. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. ومِن أعظم عَمىٰ القلب أن يعتقدَ الشخصُ في أعداء الله مِن الكفرة والفجرة الطَّالحين أنهم مِن السَّلف الصَّالحين، ويَترَحَّم عليهم، ويَسأل اللهَ تَعالىٰ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضِيَهم،

ويَحشُرَه وإيَّاهم مع المُتَّقين الأبرار. نعوذ باللهِ مِن عَمىٰ البَصيرة.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨]. اللَّهُمَّ أَرِنَا الحَقَّ حَقًّا وارْزُقنا اتباعَه، وأَرِنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابَه، ولا تَجعله مُلتَبِسًا علينا فنَضِلَّ.

ولقَد أحسنَ الشاعرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرْءِ في أيَّامِ مِحنَتِه ... حتىٰ يَرىٰ حَسَنًا مَا لَيسَ بالحَسَنِ

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧١ ما نَصُّه:

يقولُ عُلماء الفَلَك: القَمَرُ أَقربُ الأجرام السَّماوية للأرض، وأَقَلُّ حَجمًا منها، يدور حولَ الأرض مرَّة كل شَهر، وجاذبيَّة القَمَر مع جاذبيةِ الشَّمس هي الَّتي تسبِّب بقُدرة اللهِ المَدَّ والجَزْرَ في البَحْر. وقد دَرَس الفَلكيُّون أحوالَ القمر الجُغرافيَّةِ ووَصَفُوها ورَسَمُوا لها الرُّسوماتِ لتَبْيين جِباله وأَوْدِيَته. يقول «اللورد افبري»: إنَّ سَطْح القمَر صَحاري وقِفَار تَتناهضُ فيها البَراكينُ الخامِدة، وجِبَاله ضَخمَة عظيمةٌ يَبلغ ارتفاعُها ٤٢ ألف قَدَم، بزيادة تَقرُب مِن ١٣ ألف قدَم عن أعلىٰ جبَل علىٰ سطح الأرض.

وفُوَّهَاتُ البَراكين هائلةُ العَظَمة، يَبلُغ قُطرُها ٧٨ ميلًا. ويَقولون: إن جبالَ القمر أقدَمُ بكثير مِن سلاسل الجِبال الأرضيَّة بمَلايين السِّنين.

والجَوابُ أنْ يُقالَ: أما قولُ الفَلكيِّين: إن القمرَ أقربُ الأجرام السَّماوية إلىٰ الأرض، فهو تَخرُّصٌ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّة. وما لم يَكن عليه دليلٌ فليس عليه تَعويلٌ.

وَأمَّا قولُهم: إن القمرَ أصغرُ حَجمًا مِن الأجرام السماوية.

فهو -أَيْضًا- مِن التَّخرُّص واتِّباع الظنِّ الكاذِب. وفي القرآنِ والسُّنَّة ما يدلُّ علىٰ أن القمرَ أكبرُ حجمًا من الكواكب. قال الله تَعالىٰ مُخبِرًا عن مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨].

وفي هذه الآيات دليلٌ علىٰ أن القمرَ أكبرُ مِن الكواكب، فإنَّ الله تَعالىٰ بدأ بذِكر الأصغر أوَّلًا، ثمَّ ثنَّىٰ بذِكر ما هو أكبر منه، ثمَّ ذكر ما هو أكبَر منهما.

ويدلُّ علىٰ ذلك -أَيْضًا- ما رواه الإمامُ أحمد وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجَهْ وابن حِبَّان في «صَحِيحه» والبيهقي: عن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «فَضْلُ العَالِم علىٰ العابِدِ كفَضلِ القَمرِ ليلةَ البَدْرِ

علىٰ سَائرِ الكَواكِبِ».

ورواه الدَّارِمي، ولفظه: «وإنَّ فَضْلَ العَالِمِ علىٰ العَابِدِ كفَضْلِ القَمَر علىٰ سائرِ النُّجُوم».

وروىٰ أبو نُعيم في «الحِلْيَة»: عَن مُعاذ بن جبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحوَه.

وفي تَفضيل القَمَر علىٰ سائر الكَواكِب دليلٌ علىٰ أنه أكبَرُ منها حَجمًا وأشدُّ إضاءةً.

وأَيْضًا، فقد قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال:** «إنَّ الشَّمسَ والقَمَر آيتانِ مِن آياتِ اللهِ».

وفي النَّصِّ علىٰ أنَّ الشَّمس والقَمَر آيتان من آيات الله تَنويهٌ بعِظَم شأنهما، وأنهما أكبَرُ مِن سائرِ الكَواكِب.

وَأَمَّا قولُهم: إن جاذبيةَ القَمَر مع جاذبيَّة الشَّمس هي الَّتي تُسبِّب المَدَّ والجَزْرَ في البحر.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما الشَّمسُ فلا تأثيرَ لها في مدِّ البَحر وجَزْرِه.

وأما القَمَر فقد جعَل اللهُ له خاصيَّةً في المَدِّ والجَزْرِ. ولم يَقُم دليلٌ علىٰ أن ذلك بسَبب الجاذبيَّة.

وللمَدِّ والجَزْر حالتان: حالَةٌ يوميَّة، وحالةٌ شَهريَّة، كما قد شاهَدْنا ذلك في الخَليج العَرَبي.

فأما الحالةُ اليوميَّة: فإنه يمدُّ ويجزرُ في اليوم والليلة مرَّتين. إذا طلَع القَمَر في أيَّةِ ساعةٍ مِن ليلٍ أو نهارٍ إذا الماءُ قد انتهت زيادَته، ثمَّ يأخذ في النَّقص إلىٰ أن يتوسَّط القَمَرُ في السماءِ، فحينئذ يَنتهي النُّقصان، فإذا زال القَمَرُ عن وسَطِ السماء إلىٰ جِهة المَغرب أخَذ الماءُ في الزيادة إلىٰ أن يصِلَ القَمَرُ إلىٰ المَغربِ، فحينئذٍ تَنتهي الزيادةُ كما كانت عند طُلوع القمر، فإذا غَرب القَمَرُ أخَذ الماءُ في النُّقصان إلىٰ أن يتوسَّط القَمَرُ فيما بين المَشرق والمَغرب، فحينئذ ينتهي النُّقصانُ، ثمَّ يأخذ الماءُ في الزِّيادة إلىٰ وقتِ طُلوع القَمَر، فحينئذ تنتهي الزِّيادةُ. وهكذا أبَدًا.

وأما الحالة الشَّهريَّةُ: فإنه يمدُّ ويجزر في الشَّهر مرَّتين. إذا كان في أوَّل يوم من الشَّهرِ إذا الماء قد انتهت زيادُته، ثمَّ يأخذ في النَّقصِ إلىٰ اليوم الثَّامِن، فحينئذ ينتهي النُّقصانُ، ثمَّ يأخذُ في الزِّيادة إلىٰ نصف الشهر، فإذا انتصف الشهرُ إذا الزيادةُ قد انتهت كما كانت في أوَّل يوم من الشَّهر، ثمَّ يأخذ في النَّقص إلىٰ اليوم

الثَّاني والعشرين من الشَّهر، فحينئذ يَنتهي النقصانُ، ثمَّ يأخذ في الزِّيادة إلىٰ تمامِ الشَّهر، فحينئذ تَنتهي الزِّيادة. وهكذا أبدًا. حِكمةٌ بالِغَة مِن حَكيم عَلِيم.

وَأَمَّا قولُه: وقد درَس الفلكِيُّون أحوالَ القَمَر الجُغرافيَّة... إلىٰ آخره.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلُّ ما ذكَره الفلكيُّون ههنا عن القَمَر فهي تَخَرُّصات وظُنونٌ كاذبة. ومِن أينَ للفلَكِيِّين أن يَصِلوا إلىٰ القَمَر ويَدرسوا أحوالَه الجغرافية وهو في السماء بنصِّ القرآن، وبين السماءِ والأرض مسيرةُ خَمسمائة عام بنصِّ الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! فوصُول الفلكيِّين إلىٰ القَمَر مُستحيل، وظُنونهم وتَخَرُّصاتهم عما فيه مَردودٌ عليهم.

وَأَمَّا قولُه: **ويقولون**: إنَّ جِبال القَمَر أقدَم بكثير من سلاسِل الجبال الأرضيَّة بملايين السِّنين.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن أبطَل الباطل؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ قد نصَّ علىٰ أنه خَلق الأرضَ قبل خَلْقِ السماء وما فيها، فقال تَعالىٰ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿**قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ**

وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وروى ابنُ جَريرٍ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن اليهودَ أتت النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألته عن خَلْق السموات والأرض، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَلَقَ اللهُ تَعالىٰ الأرْضَ يَومَ الأحَد ويَومَ الإِثْنَين، وخَلَق الجِبالَ يَومَ الثُّلاثاء وما فيهنَّ مِن مَنافع، وخَلق يومَ الأربعاء الشَّجَر والمَاءَ والمَدائن والعُمرانَ والخَرابَ، فهذه أربعة: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ [فصلت: ٩-١٠] لِمَن سَألَه.

قال: وخَلَق يومَ الخَميس السَّماءَ، وخَلَق يومَ الجُمُعَةِ النُّجُومَ والشَّمسَ والقَمَرَ والمَلائكةَ إلىٰ ثلاثِ سَاعات بَقِيت منه، وفي الثَّانية أَلْقىٰ الآفةَ علىٰ كل شيءٍ مما ينتفع به الناسُ، وفي الثَّالثة آدَم وأَسكنه الجنةَ، وأمَر إبليسَ بالسُّجود له، وأخرجه منها في آخِر سَاعَة».

وفي الآيات الَّتي ذَكرنا مع حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا دليلٌ علىٰ أن الأرْضَ خُلقت قبل السماء وما فيها من الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. بل في حديث ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النَّصُّ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم خُلقت يومَ الجُمعة، وهو آخرُ الأيَّام السِّتة الَّتي خَلقَ الله فيها الخَليقةَ. وفي هذا أبلغُ رَدٍّ علىٰ

ما يَهذُو به طواغيتُ الإفرنج من تَخَرُّصاتهم وظنُونِهم الكاذبةِ أنَّ في القَمَر جبالًا أقدَمُ مِن الجبال الأرضيَّة بملايين السِّنين.

وروىٰ ابنُ جَرير -أَيْضًا- عَن عبدِ الله بن سَلَام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إنَّ الله بَدأ الخلقَ يومَ الأحَد، فخَلَق الأرضين في الأَحَد والإثنين، وخلَق الأقواتَ والرَّواسِيَ في الثلاثاءِ والأرْبعاء، وخلق السمواتِ في الخميسِ والجمُعة، وفرغ في آخِر ساعةٍ مِن يوم الجُمعةِ فخَلق فيها آدمَ علىٰ عَجَل، فتلك السَّاعة الَّتي تقومُ فيها السَّاعةُ).

وروىٰ ابن جَرير -أَيْضًا- من طريق السُّدِّي عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وعن مُرَّة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن ناسٍ مِن أصحاب النَّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ**﴾ [البقرة: ٢٩].

قال: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كان عرشُه علىٰ الماء، ولم يَخلُقْ شَيئًا غيرَ ما خلق قبل الماءِ، فلما أراد أن يَخلُق الخلقَ أَخرَج مِن الماء دُخَانًا، فارْتَفع فسَمَا عليه فَسَمَاه سَماء، ثمَّ أَيبَس الماء فجَعله أرضًا واحدة، ثمَّ فتَقها فجعلها سبعَ أرضين في يَومين في الأحد والإثنين، وخلق الجبالَ فيها وأقوات أهلِها وشجرَها وما ينبغي لها في يومين في الثلاثاء والأربعاء، وذلك حين يقولُ: ﴿۞ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ**

فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ٩-١٠].

يقولُ: أنبَت شَجرَها: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]، يقولُ: أقواتها لأهلها: ﴿فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠] يقول: قُل لمَن يسألك هكذا الأمْر: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١]، وكان ذلك الدُّخَان مِن تَنفُّسِ الماء حين تنَفَّس فجَعلها سماء واحدة، ثمَّ فتقَها فجعلها سبعَ سَموات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سُمِّي يوم الجَمعة لأنه جمع فيه خَلْق السَّموات والأرض: ﴿وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢] قال: خَلق في كل سماء خَلقَها من الملائكة والخَلق الذي فيها من البِحار وجبال البَرد، وما لا يَعلمه غيرُه، ثمَّ زيَّن السماءَ بالكَواكِب فجعلَها زِينةً وحِفظًا تَحفَظُ من الشياطين، فلما فرغ من خَلقِ ما أحب استوىٰ علىٰ العرش، فذلك حين يقول: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ويقول: ﴿كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وروىٰ عبدُ الرَّزَّاق وعَبدُ بنُ حُمَيد وابنُ جَرير وابنُ أبي حاتم وأبو الشَّيخ: عن مُجاهد قال: خَلَق الله الأرضَ قبل السماء، فلما خُلقت ثَار منها دُخَانٌ، فذلك قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ﴾ [فصلت: ١١] فسواهن سبعَ سموات بعضهن فوق بعض، وسبعَ أرضين بعضهن فوق بعض.

وقال البَغوي في «تفسيره» عند قولِه تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادة: يعني خَلق فيها شَمسَها وقمَرها ونُجومَها.

وقال مُقاتل: وأوْحَىٰ إلىٰ كلِّ سماء ما أراد مِن الأمْرِ والنَّهي، وذلك يوم الخَميس والجُمعة». انْتَهىٰ.

وهذه الآثارُ تُعضِّدُ حديثَ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا المَذكورَ قبلها، وتَدلُّ علىٰ ما دلَّ عليه مِن تَقدُّم خَلْق الأرض وما فيها من الجبالِ علىٰ خَلْق السماء، وما فيها من الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم. وفي ذلك ردٌّ علىٰ مَن زَعَم أن في القَمَر جِبالًا أقدم مِن جِبال الأرض بمَلَايين السِّنين.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧١: ولقَد رَصَد أسلافُنا القَمَر قبل أهلِ الشَّرق والغرب... إلىٰ آخر ما نقله من كلامِ ابن الهَيْثم **فِي صَفْحَةِ ٧٣**.

قلت: وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ هذه المَواضع في آخر «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وقد زعم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٣ أنَّ ابنَ الهَيثَم عالِمٌ مُسلم، وهذا خطأ

ظاهرٌ، فإن ابنَ الهَيثم[١] فيْلَسُوف جاهل بالعُلوم الشَّرعية النافعة الَّتي هي العِلم علىٰ الحقيقة، وأهلُها هم العُلماء علىٰ الحقيقة، وهم الذين عناهم الله تَعالىٰ بقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

والفَلاسِفَة ليسوا من المُسلِمين؛ فضلًا عن أن يكونوا مِن العُلماء. قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «ليس الفَلاسِفَة من المسلمين». ونقل عن بعض أعيانِ القُضاة في زمانه أنه قيل له: ابن سِينا مِن فَلاسِفَة الإسلام، فقال: ليس للإسلامِ فَلاسِفَة.

وقد كان ابنُ الهَيثم من أصحاب الحاكِم العُبيدي، وقد ولَّاه الحاكمُ بعضَ الدَّواوين. وقد تقدم كلامُ العُلماء في تكفير العُبيديين وأنهم أكفَرُ مِن المشركين المُحارِبين من الإفرنج وغيرهم، وأعظمُ كُفرًا ورِدَّةً مِن كُفر أتباع مُسيلِمة الكذَّاب ونحوه مِن الكذابين. ومَن تولىٰ شيئًا من أعمالهم فهو منهم.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ[٢] -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في

---

(١) هو محمد بن الحسن بن الهيثم، أبو علي الفيلسوف صاحب المصنفات في الفلسفة. أصله بصري، سكن الديار المصرية إلىٰ أن مات سنة (٤٣٠). انظر: «تاريخ الإسلام» (٩/ ٤٨٨)، «الأعلام» (٦/ ٨٣).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٣٥).

جوابٍ له وقد سُئل عن المُعزِّ بنِ تَمِيم الذي بنىٰ القاهرة. قال: «ومما يُبيِّن هذا أن المُتفلْسِفة الذين يُعلم خروجُهم من دين الإسلامِ كانوا من أتباع مُبَشِّرِ بْنِ فَاتِكٍ(١) -أحدِ أمرائهم-، وأبي علي بن الهَيثم اللَّذَين كانا في دولة الحاكِم نازلين قريبًا من الجامع الأزهر. وابن سينا وأبوه وأخوه كانوا من أتباعهم». انْتَهىٰ.

وفي كلام شيخ الإسلام -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- كفايةٌ في ردِّ ما زعمه الصَّوَّاف من إسلام ابنِ الهيثم، وَاللهُ أَعْلَمُ.

* * *

فصل

ونقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٤ عن ابنِ باديس أنه قال في الشَّمس: إنها هي الَّتي أبْصَرَت القمرَ.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: بل اللهُ وحده لا شريك له هو الذي جعل الضِّياءَ في الشَّمس، والنُّورَ في القَمَر، قال تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ

(١) مبشر بن فاتك، أبو الوفاء، المدعو بالأمير: حكيم، أديب: أصله من دمشق، وموطنه مصر، توفي نحو (٥٠٠هـ). «الأعلام» (٥/ ٢٢٧١).

﴿ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، وقال تعالىٰ مُخبرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

فإن قيل: إنَّ نُورَ القَمَر مُستفادٌ مِن نور الشَّمس، فما وَجْهُ الاعتراضِ علىٰ ابن باديس(١)؟

فالجَوابُ أنْ يُقالَ: إن إسنادَ الإبصار إلىٰ الشَّمس شِرْكٌ بالله تَعالىٰ، لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي جَعل الضياءَ في الشَّمس وجعلَه يَمتدُّ منها إلىٰ القَمَر، ويَنعكِس منه إلىٰ الأرض. فهذا كلُّه خَلْق الله وفِعْلُه. والواجب في مثل هذا أن يُسند الفعلُ إلىٰ الفاعل المُختار، لا إلىٰ المَخلوق المَربُوب المدَبَّر. ومَن أسند شيئًا مِن أفعال الله تَعالىٰ إلىٰ غيره فقد أشرَك به.

* * *

---

(١) هو عبد الحميد بن محمد المصطفىٰ بن مكي بن باديس أبو الفتوح، صاحب تصانيف، منها «العقائد الإسلامية»، و«مجالس التذكير». توفي سنة (١٣٥٩). انظر: «الأعلام» (٣/ ٢٨٩)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ١٠٥).

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٤ ما نقله الألوسي عن ابن قُتيبة في ذِكْر مَنازل القَمَر الثَّماني والعشرين، وعَدَّ منها السماك الرَّامح، وليس هو مِن المنازل، وأسقط سعود السعود، وهو مِن المنازل.

وهذا غلَط إما مِن الألوسي أو ممن قبله من النُّسَّاخ، ويَبعد أن يكون ذلك عن ابن قُتيبة. وقد نبَّهتُ علىٰ هذا الغلط في آخر «الصَّواعِق الشَّديدَة».

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٧٨ ما نَصُّه:

واتَّفق علماءُ الفلَك في العصر الحديث بعد الاكتشافاتِ والبحوث العِلميَّة أن جرْمَ القَمر -كالأرض- كان مُنذ أحقابٍ[١] طَويلة وملايين السِّنين شَديد الحمو والحرارة، ثمَّ بَردَ فكانت إضاءته في أزمان حموه وزالت لما بَرد.

لنَقِف خاشعين متذكِّرين أمامَ مُعجزة القرآن العلمية. ذلك الكتاب الذي

(١) الأحقاب: السُّنون، والدهر، والمدة الطويلة. انظر: «مختار الصحاح» (ص٧٧)، و«لسان العرب» (١/ ٣٢٦).

جعله اللهُ حُجَّةً لنبيِّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبُرهانًا لِدِينه علىٰ البشر مهما تَرقَّوا في العِلم وتقدَّموا في العِرفان. فإن ظلامَ جَرم القَمَر لم يكن مَعروفًا أيام نزول الآية عند الأمم إِلَّا أفرادًا قليلين من علماء الفلَك. وأن حمو جَرمه أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عُرف إِلَّا في هذا العهد أبعَد الأمَم من العِلم. فلم يكن ليعلم هذا ويقوله إِلَّا بوَحْي من الله الذي خلق الخلائقَ وهو العليمُ بها وبحقائقها.

والجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: أما ما ذَكره عن علماء الفلَك أن جرمَ القمر -كالأرض- كان منذ أحقاب طويلَة وملايين السنين شَديد الحمو والحرارة، ثمَّ برد، فكانت إضاءته في أزمانِ حموه وزالت لما برد.

فهو تخرُّصٌ لا دليلَ عليه من كتابٍ ولا سُنَّة ولا مَعقُول صحيح. وقد انقطع الوحيُ عن الأرض بموتِ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يبقَ إِلَّا وحيُ الشياطين إلىٰ أوليائهم بالأكاذيب والظُّنُون الَّتي لا تُغني من الحق شيئًا. بل تضل مَن اتبعها عن سبيل الله وتَهديه إلىٰ صراط الجحيم.

وهذا الوحي الشيطاني هو الذي يعتمدُ عليه طواغيتُ الإفرنج فيما يزعمونه عن المَاضي والمستقبل.

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحدِّثُونكم ما لم تَسمَعوا أنتم ولا آباؤكُم، فإيَّاكُم وإيَّاهُم» رواه الإمام أحمدُ ومُسلمٌ في مقدمة «صحيحه» والبخاري في «تاريخه» والحاكمُ في «مستدركه» من

حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقال الحاكم: صحيح علىٰ شرطهما، وأقره الذَّهبيُّ في «تلخيصه».

وفي رواية لمسلم: «يكونُ في آخِرِ الزمانِ دجَّالون كذَّابون يأتونكم مِن الأحاديث بما لم تَسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإيَّاكم وإياهم يُضلونكم ولا يَفتِنُونكم»(١).

وهذا الحديثُ يَنطبق علىٰ طواغيتِ الإفرنج الذين يتخرَّصون عن الماضي والمستقبل وعن الأرضِ والشَّمس والقَمَر وغيرهما من الأجرامِ العُلويَّة بما لا عِلمَ لهم به، ولا مُستَنَدَ لهم فيه سوىٰ ظنُونِهم الكاذبة.

ومِن أين لأعداء اللهِ العِلمُ بأنه كان للأرض والقَمَر منذ خُلِقَا أحقاب طَويلة وملايين من السِّنين، وهم لم يَشهدوا خَلقَهُما، ولم يأتِهم بما زعموه من الأحقاب والمَلايين خبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!

ومِن أين لهم العِلمُ بأنهما كانَا شَديدي الحمو والحرارة ثمَّ بَردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت إضاءته لمَّا بَردَ، وهم لم يشهدوا ذلك، ولم يأتهم بذلك خبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؟!

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٢١)، ومسلم في مقدمة «صحيحه» (٦، ٧)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٧٥- ٢٧٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨٤) (٣٥١)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٦٦٧).

وقد قال اللهُ تَعالىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وفي هذه الآياتِ أبلَغُ تَحذير مِن القول بغير عِلم، واتِّباع ما لم يَكن في كتاب اللهِ تَعالىٰ ولا في سُنَّة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإصْغاءِ إلىٰ تَخرُّصات المُتخرِّصين.

وَأمَّا قولُه: لنَقِف خاشعين مُتذكِّرين أمامَ مُعجزة القرآن العِلميَّة.

فَجَوابُه منْ وجهَيْنِ:

أحدُهُمَا: أنْ يُقالَ: لم يأتِ في كتاب الله تَعالىٰ أنه كان للقَمر والأرض منذ خُلِقَا أحقابٌ طويلة وملايين من السنين. ولم يأت في كتاب الله تعالىٰ أن القَمَر والأرض كانَا شديدي الحمو والحرارة ثمَّ بَردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت إضاءته لما برد.

كل هذا لم يُخبِر اللهُ به في كتابه ولا علىٰ لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ومَن زعم أن ذلك في كتاب الله وأنه مِن معجزات القرآن العِلميَّة فقد أعظمَ الفِريةَ علىٰ الله وعلىٰ كتابه.

وقد توعَّد اللهُ المُفترين عليه بأعظم الوعيدِ، فقال تَعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [هود: ١٨، ١٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

قال أبو قِلابَة: «هي واللهِ لكُلِّ مُفترٍ إلىٰ يوم القيامة».

وقال تَعالىٰ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧]، والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرة جِدًّا.

ورویٰ الإمامُ أحمد والتِّرمذي وابن جَرير والبغوي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن قال في القُرآن برأْيه أو بِمَا لا يَعلَمُ فلْيَتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِن النَّار**» قال الترمذي: هذا حديثٌ حَسَن صحيح(١).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير»

الوجْهُ الثَّاني: أن الصَّوَّاف لم يقف خاشِعًا مُتذكِّرًا أمامَ مُعجزة القرآن العِلمية كما زعم ذلك، وإنما وقف خاشعًا متذكِّرًا أمامَ هَذَيان الفلكيِّين وتَخَرُّصاتهم الوهميَّة، وبُحوثهم الجهليَّة عن جَرم القَمَر والأرض. وكلامه الذي ذكرنا في أول الفصل أعظمُ شاهد عليه بذلك.

وَأمَّا قولُه: فإن ظلامَ جَرم القَمَر لم يكن معروفًا أيام نزولِ الآية عند الأمم إِلَّا أفرادًا قليلين من علماء الفلَك. وأن حمو جرمه أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عرف إِلَّا في هذا العهد الأخير.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: أنْ يُقالَ: أما السَّواد الذي في القَمَر فقد جاء فيه أقوال عن بعض الصحابة والتابعين.

قال ابن الجوزي في «تفسيره»[1] عند قوله تَعالىٰ: ﴿فَمَحَوۡنَآ ءَايَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ١٢]: فيه قولان:

أحدُهما: أن آيةَ اللَّيل القَمَر ومَحْوها ما في بعض القَمَر من الاسوداد. وإلىٰ هذا المعنىٰ ذهب علي وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في آخرين.

=

(١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

(١) انظر: «زاد المسير» (٣/ ١٣).

والثَّاني: آية اللَّيل مُحيت بالظلمة الَّتي جُعلت ملازمَة للَّيل، فنُسب المَحو إلىٰ الظُّلمة إذ كانت تَمحو الأنوار وتُبطلها، ذكره ابن الأنباري.

وقال ابن كثير في «تفسيره»(١): قال ابن جُريج عن عبد الله بن كثير في قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] قال: ظُلمة الليل وسَدف(٢) النهار. وقال ابن جُريج عن مُجاهد: الشَّمس آية النَّهار، والقَمَر آية الليل: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: السَّواد الذي في وَجْه القَمَر، وكذلك خَلقه الله تَعالىٰ.

قلت: هذا الأثَر والذي قبلَه قد رواهما ابنُ جَرير في «تفسيره»(٣) بإسناده عن ابن جُريج.

وقال ابن جُريج: قال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان القَمَر يُضيء كما تُضيءُ الشَّمسُ، والقمَر آيَة اللَّيل والشَّمس آيَة النَّهار: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ السَّواد الذي في القَمر(٤).

---

(١) (٥/ ٥٠).

(٢) السدف والسدفة من الأضداد، تقع علىٰ الضياء والظلمة. وبعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معًا، كوقت ما بين طلوع الفجر إلىٰ الإسفار. انظر: «الصحاح» (٤/ ١٣٧١- ١٣٧٢)، و«النهاية» (٢/ ٣٥٤- ٣٥٥)، و«اللسان» (٩/ ١٤٦).

(٣) (١٤/ ٥١٧).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٦)، وإسناده ضعيف، فيه سنيد بن داود =

وقد روىٰ أبو جَعفر بن جَرير مِن طُرق متعدِّدة جيِّدة أن ابنَ الكَوَّاء سأل أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما هذه اللَّطخة الَّتي في القَمَر؟ فقال: ويْحَكَ! أما تَقرأ القرآنَ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾؟ فهذه مَحوُه[1].

وقال قَتادة في قوله: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾: كنا نُحدَّث أن مَحو آيةَ اللَّيل سَوادُ القَمَر الذي فيه: ﴿وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ أي: مُنيرة، وخَلق الشَّمس أنورَ مِن القَمَر وأعظم.

قلت: قد رواه ابنُ جَرير في «تفسيره» بإسناده نحوه[2].

وقال ابن أبي نَجيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[3]: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ [الإسراء: ١٢] قال: «ليلًا ونَهارًا، كذلك خلقهما اللهُ عَزَّوَجَلَّ». انْتَهىٰ.

=

المصيصي، أبو علي المحتسب، واسمه حسين (وسنيد لقب غلب عليه) «ضعف مع إمامته ومعرفته»، قاله في «التقريب».

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٥)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٧٢٦)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٤١٨) (٣٣٤)، وغيرهم عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، وإسناده حسن.

(٣) كذا أورده ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٥٠)، بغير إسناد. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٥١٧)، من طرق عن مجاهد به.

فهذه أقوالُ المُفسِّرين في تفسير الآية الكَريمة. وحسْبُ المُسلم أن يَقتصِرَ في تفسير آيات القُرآن علىٰ ما نُقل عن المفسِّرين من سلفِ الأمَّة، ولا يتكلَّف ما لا عِلمَ له به.

وأما تفسيرُ الآية الكريمة بما تَخرَّصَه الفلكيُّون وتَوهَّمُوه بعُقولهم الفاسدةِ مِن حمو جَرم القَمَر أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا، فهذا مِن الافتراء علىٰ الله والإلحادِ في آياته.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحابة والتَّابعين فهو مُفْتَرٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِمِ عن مواضِعه». انْتَهىٰ[1].

ورواية ابنِ جُريج عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن القَمَر كان يُضيء كما تضيء الشَّمس لا يُعتمَد عليها؛ لأنها مُنقطِعَة.

وأَيْضًا، فرِواية ابنِ أبي نَجيح عنه تعارضها. وقد صرَّح فيها أن اللَّيل والنهارَ كذلك خلقهما الله. فهذه الرِّواية تفيدُ أن السَّوادَ الذي في القَمَر كان فيه من أصلِ الخِلقة، وأن قوله تَعالىٰ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ معناه: جَعل السَّواد في القَمَر من أوَّل خلْقِه. ويدل علىٰ ذلك قول مجاهدٍ: وكذلك خلقهما اللهُ تَعالىٰ.

ومجاهد إنَّما تلقَّىٰ التَّفسيرَ عن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كما قال مُحمَّد بن

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

إسحاقَ: حدثنا أبانُ بن صالح عن مجاهد قال: عَرضتُ المُصحفَ علىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ثلاثَ عَرضات مِن فاتحته إلىٰ خاتمَتِه أُوقِفُه عند كلِّ آية منه، وأسألُه عنها[١].

ورویٰ ابن جَرير[٢] عن ابن أبي مُلَيكة قال: رأيتُ مجاهدًا سأل ابنَ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن تفسير القرآن ومعه ألْواحُه، قال: فيقول له ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: اكتُب، حتىٰ سأله عن التَّفسير كله. ولهذا كان سفيانُ الثَّوري يقول: إذا جاءك التفسيرُ عن مجاهد فحَسْبُك به[٣].

ولو صحَّت رواية ابن جُريج فليس فيها أن جَرمَ القَمَر كان في أوَّل الأمر شديدَ الحمو والحرارة ثمَّ بَرد بعد ذلك، وإنما فيها أنه كان يُضيء كما تضيءُ الشَّمس. والإضاءةُ لا يَلزم منها وجودُ الحمو والحرارة. وأَيْضًا فالأمورُ الغيبية إنما تُعلم من طريق الوحي، ولا وَحيَ علىٰ ما زعموه من حموِ جرم القَمَر في أول الأمرِ البتَّةَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: لو كان ما ذكَره في معنىٰ الآية صحيحًا لكان معروفًا

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥) (٣/ ٧٥٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٥٤) (٣٠٢٨٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٧٩)، وغيرهم من طرق عن مجاهد به.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥) عن ابن أبي مُليكة به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٨٥)، وانظر: «مجموع الفتاویٰ» (١/ ١٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٥).

عند الصحابة والتَّابعين، فإنهم أعلمُ بمعاني القُرآن ومعجزاته وما أُريد به ممن كان بعدَهم، ولاسيما علماء الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنهم قد امتازوا علىٰ غيرِهم بالفَهْم التَّام والأَخْذِ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كان الرَّجُلُ مِنَّا إذا تعلَّم عشرَ آياتٍ لم يُجاوِزهنَّ حتىٰ يَعرِفَ مَعانِيهن والعمَل بهن». رواه ابنُ جَرير بإسنادٍ صَحيح[١].

وفي «الصحيحين» عن مسروق قال: قال عبدُ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «والذي لا إلهَ غَيرُه، ما مِن كتاب الله سُورة إِلَّا أنا أعلَمُ حيث نزلَت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيمَ أُنزلت»[٢].

ورواه ابنُ جَرير ولفظه: «قال عبد الله: والذي لا إلهَ غَيره، ما نَزلت آيةٌ في كتاب الله إِلَّا وأنا أعلمُ فِيمَ نَزلت، وأين أُنزلت»[٣].

فأمَّا ما تُوحِيه الشَّياطين من التَّخَرُّصاتِ والظُّنُون الكاذِبَةِ فالصَّحابةُ أَجَلُّ قَدرًا مِن أن يتعلَّقوا بها أو تَروجُ عندهم. وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهدىٰ من بعدهم. وإنما تَروجُ عند العَصرِيِّين المَفتونين بخُرافات الإفرنج وأكاذيبهم ورَجْمهم بالغيب.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٤٣) (٢٠٤٧)، وغيرهما من طرق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٧٥)، عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: مِن أعظم الإزراءِ بالصحابة والتَّابعين وتابعيهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهدىٰ مِن بعدهم أنْ يُقالَ: إنَّهم جَهِلوا معنىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾، وأن أهل هذا العهدِ الأخير من الفلكيِّين وأتباعهم من العصرِيِّين الذين هُم أبعَدُ الناس عن معرفةِ معاني القرآن والعَمل به هم الذين عرفوه. وهذا ظَنُّ سَوءٍ بخِيار هذه الأمَّة، لا يَصدُر مِن رجلٍ له أدنىٰ مُسكَةٍ من عقل.

وَأَمَّا قولُه: والذي تلَا هذه الآية وأعْلَن هذه الحقائق العلميةَ الخطيرة منذ أربعة عشر قرنًا من الزمن إنما هو نَبي أُمِّي من أمَّة أمِّيَّة كانت في ذلك العَهد أبعَدَ الأمَم عن العِلم. فلم يكن ليعلم هذا ويَقوله إلَّا بوحي من اللهِ الذي خلق الخلائقَ وهو العليمُ بها وبحقائقها.

فجوابه مِنْ وُجوه:

أحدُها: أنْ يُقالَ: إنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تلا الآيةَ الكريمة -أعني قولَ الله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] الآيةَ- وتلقَّاها عنه أصحابُه رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يُنقَل عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإسنادٍ صحيح ولا ضعيفٍ أنه قال: كان للأرض والقَمَر منذ خُلقَا أحقابٌ طويلة وملايين من السنين، وأنهما كانا شَديدي الحمو والحرارة في أول الأمر ثمَّ بردَا بعد ذلك، وأن القَمَر كان يُضيء في زمان حموه ثمَّ زالت

إضاءته لما برد.

ومَن زعمَ أن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلن هذه الخُرافات الجهليَّة الحقيرة فقد افترىٰ عليه.

وقد تواتَر عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال:** «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

وفي روايةٍ للبُخاري وغيره: «مَنْ يَقُلْ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(٢).

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما ذكَره ههنا عن الأرضِ والقَمَر ليس مِن الحقائق العِلميَّة الخطيرةِ في شيءٍ، ولا يَمُتُّ إليها بصِلَةٍ، وإنما هو مِن الخُرافات الجهليَّة الحَقيرة الَّتي أَوحَتْها الشَّياطينُ إلىٰ أوليائهم مِن طَواغيت الإفرنج، وأَلْقَتْها طواغيتُ الإفرنج إلىٰ أتباعِهم ومُقلِّديهم من العَصرِيِّين، فتداوَلُوها بينهم حتىٰ وصَلَت إلىٰ الصَّوَّاف، فنَشرها مع ما جَمَعه من هذَيانِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وتَخَرُّصاتهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم في مقدمة «صحيحه» (٤)، وغيرهما من حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. وفي الباب عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي عبيدة، وأنس، وجابر، وزيد بن أرقم، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين. وانظر: «طرق حديث: من كذب علي متعمدًا» للطبراني.

(٢) أخرجه البخاري (١٠٩)، وغيره من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به

وظُنونِهم الكاذبة عن الأرضِ والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، ثمَّ زعم أن ذلك من عُلومِ المسلمين في الفلَك، وذلك كَذِب علىٰ المسلمين. فقد جمَع ههنا بين الكَذِب علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله وعلىٰ المسلمين. ثمَّ زعم أن ذلك من الحقائق العِلمية الخطيرة. وهذا مِن قَلْب الحقائق، كما لا يخفىٰ علىٰ مَنْ نوَّر اللهُ قَلبَه بنُور العِلم والإيمان.

الوجه الثَّالث: أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضه بعضًا، فقد زعم أن حمو جرم القَمَر أوَّلًا وزواله بالبرودة ثانيًا ما عُرف إلَّا في هذا العهد الأخير. ثمَّ زعم أن النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعلن هذه الخُرافات منذ أربعة عشر قرنًا. وهذا تناقضٌ لا يصدر من رجُلٍ يَعلَم ما يقول.

الوجه الرَّابع: أنْ يُقالَ: مِن أعظم الإزراء بالصَّحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- أنْ يُقالَ: إن النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلن بينهم شيئًا مِن الحقائق العِلميَّة الخَطيرة فلم يَعرفوها، وعَرَفَها أفرادٌ غَيرُهم من أعداء الله مِن الفلكيِّين، وعَرَفها -أَيْضًا- أهلُ هذا العهد الأخير من أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن العَصرِيِّين الذين هم مِن أضلِّ الناس وأبعدِهم عن العلوم النَّافعة.

والصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجَلُّ قَدْرًا مِن أن يَجهَلُوا شَيئًا مما يُعلِنُه رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بينهم من أنواع العُلوم. وقد تلقَّوا القرآنَ والسُّنَّةَ من النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبلَّغوهما عنه، وكانوا أعلَمَ الأُمَّةِ بكتاب الله تَعالىٰ

وأقوالِ النَّبيِّ ﷺ وأفعاله.

وقد قال عبدُ الله بن عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «مَن كانَ مُستَنًّا فلْيَسْتَنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحابُ مُحمَّد ﷺ، كانوا خيرَ هذه الأمَّة؛ أبَرَّهَا قُلوبًا، وأَعمَقَها عِلمًا، وأقَلَّها تكَلُّفًا، قومٌ اختارهم اللهُ لصُحبة نبيِّه ﷺ، ونَقْلِ دِينِه، فتَشَبَّهوا بأخلاقِهم وطَرائقهم، فَهُم أصحابُ مُحمَّد ﷺ، كانوا علىٰ الهُدىٰ المُستقيم واللهِ رَبِّ الكَعْبَة) رواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة»[١].

وروىٰ رَزينٌ عن عبدِ الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوَه[٢].

وإذا كان الصَّحابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعمَقَ هذه الأمَّة عِلمًا فمُحالٌ أن يُعلِنَ النَّبيُّ ﷺ شيئًا من الحَقائق العلمية الخطيرة عن الأرض والقَمَر، ولا يَعرفها أحدٌ مِنهم.

ومُحالٌ -أَيْضًا- أن يَعرِفَ الفلكِيُّون في العهدِ الأخير وأتباعُهم من العصريين من حقائقِ القرآن العِلميَّة ما يَعرِفه الصَّحابَة والتَّابعون وتابعوهم بإحسانٍ وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدِهم.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠٥)، وفي إسناده عمر بن نبهان أبو حفص البصري، ضعيف، كما في «التقريب».

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١٨١٠)، والهروي في «ذم الهروي» (٧٤٦) من طرق عن قتادة عن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وهذا إسناد منقطع. وقد ضعفه الألباني في «المشكاة» (١٩٣).

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٨٣ ما نَصُّه:

(حَقائق عَجيبة ومُذهِلَة عن الكَون)

لا تَظن أن الخيالَ هو صاحبُ هذه الحوادثِ المُثِيرة. إن الخيالَ لا يُمكن أن يصلَ إلىٰ هذه الحقائق العَجيبة المُذهلة الَّتي تَوصَّل إليها علمُ الفلك الحديث. إن الخيالَ مَثلًا لا يمكن أن يتصوَّر أن مرصدَ كاليفورنيا التقَط أخيرًا صورةً عمرها ستَّة آلاف مليون سنة. إن علماءَ الفلَك أعلنوا حديثًا أن هذه الصورة العجيبةَ أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم واستمرَّت رحلتُها ستة آلاف مليون سنة لتَصل إلىٰ الأرض. وحقائق أخرىٰ غَريبة اكتشفها الإنسانُ تؤكِّد كلُّها أن الأرضَ ما هي إِلَّا فُقاعة في مُحيط. حقائق أَقَلُّ ما تُوصَف به أنها مُذهلة مذهلة!!

ثم ذكَر في آخر صفحة ٨٣ وما بعدها إلىٰ آخر صفحة ٨٧ هَذيانًا كثيرًا لبعض الفلكيِّين من الإفرنج. حاصِلُه: أن بعضَهم قال: إن الشَّمس تُرسِل مَوجات راديو. وأنهم اكتشفوا نِجمَة جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافةِ ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأنهم في عام واحدٍ اكتشفوا ٣٥ منها، أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم. وأن الضَّوء في انتقاله إلينا من أشباهِ النُّجُوم يَستغرق في الرِّحلة ستة آلاف مليون سنة. ولذلك فالمَنظَر الذي نراه اليوم لهذه الأجرامِ

السَّماوية النائيَة هو المَنظر الذي كانت عليه منذ ستة آلافِ مليون سنة، وفي ذلك الوقت لم تكن الشَّمسُ ولا المجموعةُ الشَّمسية موجودةً بَعْدُ؛ إذ إنَّ عُمر الشَّمس هو خمسَة آلاف مليون سنة فقط كما يقولون...

إلىٰ أن قال: وقد خرَج العلماءُ بعد هذا بثلاثِ نَظريات علميَّة مُثيرة، إن هذه النظريات تقول: إنَّ الكَواكِب الأخرىٰ مَسكُونة، وأن سُكَّانَها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفُن الفضاء وتَفجير القنابل الذَّرِّيَّة. إن هذه النَّظرية أشبه بالخيال.

الشَّمسُ ليست إلَّا نجْمَة من النُّجُوم المُتوسِّطة. والمَجموعة الَّتي تنتمي إليها الشَّمسُ فيها (١٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) أي: مائة ألف مليون نجمة. وبالكَون آلاف الملايين مِن مثل هذه المجموعات. وحوْلَ الشَّمس أُسرة من عشرة كواكب. والأرض كما هو معروفٌ أحدُ هذه الكَواكِب. وبين الرَّقم المجهول الذي ذكرناه للنُّجوم تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة، تُؤلِّف حولها أُسرًا كأسرة الشَّمس، أي: تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدور حَولها الكَواكِب، وَاللهُ أَعْلَمُ.

ثمَّ ذكر الصَّوَّاف أنه نقَل هذا الهَذَيان من جريدة المَدينة عدد ٦٤٨-٦٠٤.

والجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: ليس فيما ذكره الصَّوَّاف في هذا الموضع شيءٌ من الحقائق البتَّة، وإنما هي تَخَرُّصات وضلَالات سَخيفة مُضحكة تُشبه هذيان المَجانين. وسيأتي ذِكر الأدلة علىٰ بطلانها إن شاء اللهُ تَعالىٰ. ولا يَنشُر هذه

الجهَالاتِ أو يُصدِّقُ بها مَن له أدنىٰ مُسكَة مِن عقل.

وَأَمَّا قولُه: لا تَظن أن الخيالَ هو صاحب هذه الحوادث المُثيرة.

فَجَوابُه أَنْ يُقالَ: ليس ذلك بالظَّن، وإنما هو اليقينُ الجازمُ أنها تَخَرُّصات وظنون كاذبة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧].

وَأَمَّا قولُه: إنَّ الخيالَ لا يُمكن أن يصل إلىٰ هذه الحقائق العَجيبة المُذهلة الَّتي توصَّل إليها علمُ الفلَك الحديث.

فَجَوابُه أَنْ يُقالَ: إن الحقائقَ العجيبة فيما يتعلَّق بالمُغيبات إنما تُؤخذ من نصوص الكتاب والسُّنَّة، لا من غيرهما. قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تَعالىٰ مُخبِرًا عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

ومن ادعىٰ شيئًا مِن عِلم الغيب مما ليس في كتاب الله تَعالىٰ ولا في سُنَّةِ رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقه فهو ممن آمنَ بالطَّاغوت شاء أم أبىٰ.

وليس شيء مما ذكر في هذا الفصل مَنصوصًا عليه في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة حتىٰ يكون من الحقائقِ العَجيبة المُذهلة، وإذا لم يكن ذلك في القرآنِ ولا في الأحاديث الصحيحة فهو من الظَّنِّ ونَسجِ الخيال ولابُدَّ.

وَأَمَّا قولُه: إن الخيالَ مَثلًا لا يمكن أن يتصور أن مرصد كاليفورنيا التقط أخيرًا صورةً عُمرها ستة آلاف مليون سنة، إن علماء الفلك أعلنوا حَديثًا أن هذه الصورة العجيبة أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم واستمرت رحلتُها ستة آلاف مليون سنة لتصل إلىٰ الأرض.

فجوابه من وجوه:

إحداها أنْ يُقالَ: وهل ظننتَ أيها الصَّوَّاف أن مرصد كاليفورنيا يَنزل عليه الوحيُ من السماء حتىٰ تَزعُم أن ما يُلتقط فيه فهو من الحقائق العجيبة؟!

إن المَراصد كلها أضعَفُ وأعجز مِن أن يُتوَصَّل بها إلىٰ اكتشاف ما في السماء الدنيا، وهي مَسيرة خمسمائة عام، وهي عن اكتشاف ما فوق السماء أضعفُ وأعجَز، فضلًا عن التوصُّل بها إلىٰ اكتشاف ما يَهذو به أعداءُ الله من

المسافات الَّتي تَبلغ ملايين من السنين. فهذه الدَّعوىٰ من أسخف الخيال وأسمَجِ الهَذيان.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما زعموه من التقاط الصُّورة الَّتي أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم فهي أُكذوبة نَسجَها خيالُ أهل المرصد وظنونهم الكاذبة، وليست من الحقائق، ولا تَمُتُّ إليها بصِلة.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: لو كان ما زَعموه من التقاط الصُّورة حقًّا لكان تحديدُهم لعمرها بستة آلاف مليون سنة من الرَّجم بالغيب، وذلك حرام. فكيف وكلامُ أعداء الله كله كذِب من أوله إلىٰ آخره؟!

الوجه الرَّابع: أن النُّجُوم كلها في السماء الدنيا بنَصِّ القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الحجر: ١٦-١٧].

قال مجاهدٌ وسعيدُ بن جُبير وأبو صالح والحسن وقتادة: البُرُوج: هي الكَواكِب العِظام. وقال البغوي: هي النُّجُوم الكبار، مأخوذٌ مِن الظهور، يقال: تَبَرَّجَت المرأةُ، أي: ظَهَرت. وقال -أَيْضًا-: وسُمِّيت بُروجًا لظُهورها.

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا

﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ١٢].

ففي هذه الآيات كلِّها النَّصُّ علىٰ أن الكَواكِب في السماء. وفي الآية من سورة الصَّافات وما بعدها النَّصُّ علىٰ أنَّها في السماء الدنيا.

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال:** «بين السَّماءِ والأرْضِ مَسيرةُ خَمسمِائة سَنَة» رواه عن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعةٌ مِن الصَّحابَة، وهم: عبدُ الله بن عَمرو، وأبو هُريرة، والعبَّاس، وأبو سعيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

ورُوي -أَيْضًا- عن ابن مَسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا، وله حكم الرفع.

وقد ذكرتُ هذه الأحاديث في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ سكون الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وفي الآيات الَّتي ذَكرنا مع هذه الأحاديث أبْلَغُ رَدٍّ علىٰ ما هَذىٰ به أهلُ مَرصد كاليفورنيا من التقاط صورةٍ مِن نجمة تبعُد عن الأرض بملايين الملايين من السنين.

الوجه الخامس: قال بعضُ السلف: إنَّ ارتفاع العرشِ عن الأرض السَّابعة خمسون ألف سنة. ورواه ابنُ أبي حاتم عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. ولو كان الأمرُ علىٰ ما هذىٰ به أهلُ مَرصد كاليفورنيا في بُعْدِ النِّجمة الَّتي زعموا أنهم التقطوا الصورةَ منها لكان مَحلها فوق العرش. وهذا مِن أبطل الباطل، فإنه ليس فوق

العرش شيءٌ سِوىٰ الله تَعالىٰ.

وَأمَّا قولُه: وحقائق أُخرىٰ غريبة اكتشفها الإنسانُ تؤكِّد كلها أن الأرض ما هي إلَّا فقاعة في محيط.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما ما زعمه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم عن الأجرام العلوية فكلُّه هذَيان وظنونٌ كاذبَةٌ، ليست من الحقائق، ولا تمُتُّ إليها بصِلة. وقد نبَّهت علىٰ كثيرٍ من مزاعمهم الباطلة في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

ونبَّهتُ -أَيْضًا- علىٰ مواضع منها أثناء هذا الكتاب. وسيأتي التنبيهُ علىٰ مواضع أخر فيما بعدُ إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما تَصغيرُه وتَحقيره للأرض فقد تقدَّم الكلامُ عليه في أوَّل الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأمَّا قولُه: حقائق أقلُّ ما تُوصف به أنها مُذهلة مذهلة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس فيما تخَرَّصَهُ فَلاسِفَةُ الإفرنج عن الأجْرام العلوية شيءٌ من الحقائق البتَّة، وإنما هي توهُّمات وخُرافات ورَجْمٌ بالغيب، أقلُّ ما تُوصف به أنها مُضحكة مضحكة.

وَأمَّا قولُهم: إن الشَّمس تُرسل مَوجات راديو، وأنهم اكتشفوا نِجمة جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية، وأنهم في عام

واحدٍ اكتشفوا ٣٥ منها، أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم، وأن الضَّوءَ في انتقاله إلينا من أشباه النُّجُوم يَستغرق في الرِّحلة ستة آلاف مليون سنة، وأن المَنظر الذي نراه اليومَ لهذه الأجرام السماوية النائيَة هو المَنظر الذي كانت عليه مُنذ ستة آلاف مليون سنة، وفي ذاك الوَقت لم تَكن الشَّمس ولا المَجموعة الشَّمسية مَوجُودةً بَعْدُ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا كلُّه تَخرُّصٌ وهذيان لا يَصدُر ممن له أدنىٰ مُسكة عقل، ولا يَنشُره أو يُصدِّق به له أدنىٰ مُسكة من عقل.

وتسميتُهم لبعض النُّجُوم بأشباه النُّجُوم مُخالِف لما سمَّاها اللهُ به في كتابه، فإن الله تَعالىٰ سمَّاها بُروجًا ونُجومًا وكواكبَ ومصابيح، ولم يُسمِّ شيئًا منها بأشباه النُّجُوم، ولم يُخبرنا أن في السماء أجرامًا تُشبه النُّجُوم، وليست من النُّجُوم، فهذه التَّسمية الَّتي اخترعوها لبعض النُّجُوم مع ما زعَموه مِن بُعدِها الشاسع جِدًّا عن الأرض، وتَحديدهم لمُدَّة انتقال الضوء منها إلىٰ الأرض، وزعمهم أنها خُلقت قبل الشَّمس بألف مليون سنة. كلُّ ذلك باطلٌ وضلال وهذيانٌ يُشبه هذيانَ المجانين.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ

مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] إلىٰ قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وكل ما في هذا الفَصل من أوله إلىٰ آخره، بل كلُّ ما نقله الصَّوَّاف في رسالته من توهُّمات فَلاسِفَة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم فهو مِن زُخرف القول الذي أوحَتْه شياطينُ الجنِّ إلىٰ شياطين الإنس، ونَشرته شياطينُ الإنس لأوليائهم وأتباعهم من العصريِّين، فصَغَت إليه أفئدتُهم، ورَضوه وتمسَّكوا به أعظمَ مما يتمسكون بنصوصِ الكتاب والسنة، واشتدَّ إنكارُهم علىٰ من ردَّ ذلك من المسلمين، وهذا مِن زَيغ القُلوب وانتكاسها، فلا حولَ ولا قوة إِلَّا بالله العليِّ العظيم.

وَأَمَّا قولُهم: إنَّ عُمرَ الشَّمس هو خَمسَة آلاف مليون سنة.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: هذا مِن الرَّجْم بالغيب، والقولِ بغير عِلم، وذلك مِن أعظم المحرَّمات. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

فهؤلاء الكذَّابون المُتعاطون لما استأثَر الله به من عِلم الغيب لم يشهدوا

خلقَ السموات والأرض وما فيهما، ولم يأتهم خَبرٌ عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بما زعموه مِن تحديد عُمر الشَّمس وغيرها من الأجرام العلويَّة. فمن أين لهم العِلمُ بذلك وهو من أمورِ الغيب الَّتي لا يَعلمها إِلَّا الله تَعالىٰ؟!

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وقد أخبر الله تَعالىٰ في عدَّة مواضع من كتابه أنه خَلق السمواتِ والأرض في ستَّة أيام. وقال تعالىٰ في سورة (حم السجدة): ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ٩-١٢].

فأخبر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه خلَق الأرضَ وما فيها في أربعة أيام، وخلَق السمواتِ وما فيهن في يومين. والشَّمسُ والقَمَر والنُّجُوم مِن جُملة ما خلقه الله في اليومين.

قال البَغوي في «تفسيره» عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]: «قال قتادَةَ والسُّدِّيُّ: يعني خلَق فيها شمسَها وقمَرَها ونُجومَها. وقال مقاتِل: وأوحىٰ إلىٰ كل سماءٍ ما أراد من الأمر والنَّهي، وذلك يوم الخميس والجمعة». انْتَهىٰ.

وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦﴾ [يونس: ٥-٦]، وقال تعالىٰ مُخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣﴾ [النبأ: ١٢-١٣].

وقد تقدَّم حديثُ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا المرفوعُ، وفيه: أن الله خلَق الأرضَ يومَ الأحدِ ويومَ الإثْنَين، وخلق الجبالَ يوم الثُّلاثاء، وخلَق الشَّجرَ والماءَ يوم الأربعاء، وخلق السماءَ يومَ الخميس، وخلَق النُّجُوم والشَّمسَ والقَمَر والملائكةَ وآدمَ يومَ الجُمُعَة. رواه ابنُ جَرير.

وقد اختلَف المفسِّرون في مِقدار السِّتَّة الأيام الَّتي خُلقت فيها السمواتُ والأرض علىٰ قولين:

قال ابنُ كَثير: «والجمهور علىٰ أنَّها كأيامنا هذه.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومُجاهد والضَّحَّاك وكعب الأحبار: أن كلَّ يوم منها كألف سَنةٍ مما تعدون. رواه ابنُ جَرير، وابنُ أبي حاتمٍ، واختار هذا القولَ

الإمامُ أحمدُ بن حنبل في كتابه الذي ردَّ فيه علىٰ الجهميَّة، وابن جَرير وطائفة مِن المتأخِّرين»(١). انْتَهىٰ.

وفي الآياتِ الَّتي ذكرنا مع حديثِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا دليلٌ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُومَ خُلِقت مع السَّموات. بل في حديثِ ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا النَّصُّ علىٰ أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم خُلقت يوم الجمعة، وهو آخر الأيام الستة الَّتي خَلق الله فيها الخليقة. وفي هذا أبلغ ردٍّ علىٰ ما يَهذو به طواغيتُ الإفرنج في بعض النُّجُوم -وهي الَّتي يسمُّونها أشباه النُّجُوم- أنها خُلقت قبل الشَّمس بألف مليون سنة.

وقد تقدم ما ذكَره ابنُ قُتيبة في «المعارف» عن المُدَّة الَّتي كانت منذ خُلق آدم إلىٰ أن وُلد النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأنها كانت سبعةَ آلاف وثمانمائة واثنتين وخمسين سنة. وقد مضىٰ منذ وُلد النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلىٰ سَنَتِنَا هذه -وهي سنة ١٣٨٨هـ- ألفٌ وأربعمائة وإحدىٰ وأربعون سنَة، فيكون مُنذ خُلق آدمُ إلىٰ هذه السَّنَة تِسعة آلاف ومائتان وثلاث وتِسعون سنة، وهذا يُعارض ما تخرَّص به طواغيتُ الإفرنج في عُمر الأرض والشَّمس والنُّجُوم وما يسمونها أشباه النُّجُوم، وَٱللَّهُ أَعْلَمُ.

ولما تكلَّم بعضُ الناس في عدَّة أصحابِ الكهف بغيرِ دليلٍ أنكر اللهُ ذلك

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٣٨٦).

عليهم، وأخبر أن ذلك مِن الرَّجمِ بالغيب. قال ابنُ كثير: «في قوله: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢]: إرشادٌ إلىٰ أن الأحسنَ في مثل هذا المقام رَدُّ العِلم إلىٰ الله تَعالىٰ؛ إذ لا احتياجَ إلىٰ الخَوض في مِثل ذلك بلا عِلم، لكن إذا أطْلَعَنا علىٰ أمرٍ قُلنا به، وإلا وَقفْنَا». انْتَهىٰ.

ثم قال تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦] الآية. قال ابن كثير -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «أي: إذا سُئلتَ عَن لبْثِهم وليس عندك عِلمٌ في ذلك وتَوقيفٌ مِن الله تَعالىٰ فلا تتقدَّم فيه بشيء، بل قُلْ في مِثل هذا: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [الكهف: ٢٦]» انْتَهىٰ.

وإذا كان هذا في وَاقِعَةٍ حَدَثَت في الأرض فكيف بالذين يَزعمون أنهم يعلمون ما في السماء وما يَبعُد عن الأرض بآلاف المَلايين من السِّنين علىٰ حدِّ زعمهم الكاذب؟! وكذلك الذين يَزعمون أنهم يعلمون وقتَ ابتداء خلق الأرض ومدَّة عمرها وعُمر الشَّمس وغيرها من الأجرام العلوية؟! فهؤلاء أولىٰ بالإنكار مِن الذين تكلَّموا في عدَّة أصحاب الكهف بلا مُستند، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قولُه: وقد خرَج العُلماءُ بعد هذا بثلاث نظرياتٍ علميَّة مُثيرة... إلىٰ آخر كلامه.

فجوابُه مِن وُجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إنَّ المُغيبات لا تُعلم بالنَّظريات، وإنما تُعلم من طريق

الوحي لا غَير. وكل ما ذَكره في هذا الفصل فهو مِن المغيبات، وكلامهم فيها مَردودٌ؛ إذ لا وَحيَ علىٰ ما زعموه ههنا البتَّة.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما ذكره ههنا عن الفلكيِّين ليست بنظرياتٍ عِلمية، وإنما هي تَخَرُّصات وظنون كاذبة، لا تخفىٰ إلَّا علىٰ جاهلٍ لا يَعرف الحقَّ مِن الباطل.

الوجه الثَّالث: أن الصَّوَّاف كرَّر اسمَ العُلماء في ثلاثة مواضع مِن هذا الفصل، وأراد بهم الفلكيِّين الذين نَقل عنهم من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة ما نقَلَ، وهذا مِن قَلب الحقيقة، فإنهم ليسوا بعُلماء، وإنما هم من أهل الجَهل والغَباوة علىٰ الحقيقة.

واسم العُلماء عند الإطلاق إنما يُراد به علماءُ الشَّريعة دون مَن سواهم، قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

فالمَوصُوفون في هذه الآيات هم العُلماء علىٰ الحقيقة، وأما غيرُهم فلابُدَّ فيهم من التَّقْييدِ، كما يُقال: عُلماء اليهودِ، وعُلماءُ النَّصارىٰ، وعُلماء الفَلَك، وعلماء النَّسَب، وعلماء الطِّبِّ، وعُلماء الهَندسَة، ونحو ذلك.

الوجه الرَّابع: أن نظريَّة الفلكيِّين في الكَواكِب وزَعمَهم أنها مَسكونة وأن سُكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفن الفضاء وتَفجير القنابل الذريَّة - ليس بشِبْه خَيال كما زَعمه الصَّوَّاف، وإنما هي خيالٌ صِرْف ورَجْمٌ بالغَيب. ولم يأت في القرآنِ ولا في السُّنَّة ما يدل علىٰ أن الكَواكِب مَسكونة؛ فضلًا عما تخرَّصُوه وتوهَّموه بعقولهم الفاسدة مِن أن سُكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاقِ سُفن الفضاء، وتَفجير القنابل الذريَّة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

وَأمَّا قولُهم في الشَّمس: إنَّها نجمةٌ مِن النُّجُوم المتوسطة، وأن المجموعةَ الَّتي تَنتمي إليها الشَّمسُ فيها مائةُ ألف مليون نجمة، وأن في الكَون آلاف الملايين من مثل هذه المَجموعات، وأن الأرضَ أحَدُ الكَواكِب الَّتي يزعمون أنها أُسرة الشَّمس، وأنه يُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدورُ حَولها الكَواكِب - فكلُّها خيالَاتٌ سَخيفَة، وظُنونٌ كاذِبَة، لا تَرُوجُ إلَّا علىٰ مَن هو مِن أجهل الناس. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥].

وقد تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ بُطْلان ما زعموه مِن تَعدُّد الشُّموس في أثناء الكتاب،

مع الكلام علىٰ مَزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناكَ.

وأما زعمُهم في الأرض أنها أَحَدُ الكَواكِب الَّتي تدور حولَ الشَّمس، فقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن في الكَون عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولَها الكَواكِب، فقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الثَّامن عشر مِن الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناكَ.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ٩٠ ذكَر الصَّوَّاف طُغاةَ مَكَّة مِن كفَّار قريش، وقال فيهم ما نَصُّه: (الذين أغواهم الشَّيطانُ وخَتَم علىٰ سَمعِهم وأبصارهم وقلوبهم).

والجواب عن هذا من وَجهَين:

أحدهما: أن الختَمَ لا يكون مِن الشيطان، وإنما يكون مِن الله تَعالىٰ، كما قال تَعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ﴾ [البقرة: ٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الجاثية: ٢٣]، والخَتْمُ هو الطَّبْعُ. وقال تَعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ

﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الروم: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ [الأعراف: ١٠٠]، والآيات في هذا المعنىٰ كثيرة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنَّ الأبصارَ لا يُختم عليها كما توهمه الصَّوَّاف، وإنما تُجعل عليها الغِشاوة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ [البقرة: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فخصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القلوبَ والأسماع بالخَتْم، وخصَّ الأبصارَ بجَعل الغِشاوةِ عَليها.

قال ابنُ جَرير: «وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ خبَر مُبتَدأ بعد تمامِ الخَبر عما خَتم الله عليه من جَوارح الكفار الذين مضَت قَصصُهم»(١).

وقال البَغوي: «﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ هذا ابْتداءُ كَلام. غشاوة أي: غِطاء، فلا يَرون الحقَّ»(٢).

وقال ابنُ كَثير: «واعلَمْ أنَّ الوقف التَّام علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ﴾، وقوله: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ﴾ جُملَة تامَّة، فإن الطَّبعَ يكون علىٰ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٢٦٩).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٦٥).

القلب وعلىٰ السَّمع. والغشاوَة -وهي الغطاء- تكون علىٰ البصَر»[(١)].

وروىٰ ابنُ جَرير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «ختم الله علىٰ قلوبهم وعلىٰ سمعهم، والغِشاوة علىٰ أبصارهم»[(٢)].

وروىٰ ابنُ جَرير -أَيْضًا- عن ابن جُريج قال: «الخَتمُ علىٰ القَلبِ والسَّمع. والغِشاوَة علىٰ البَصَر»[(٣)].

قال ابنُ جَرير[(٤)]: «والغِشاوة في كلام العرَب: الغِطاء، ومنه قولُ الحارث بن خالد بن العاص.

تَبعْتُـك إذ عَينـي عَليهـا غِشَـاوَة فلمَّـا انْجَلَـت قَطعـت نَفسـي أَلُومُهـا

* * *

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» أيضًا (١٠٠)، وإسناده مسلسل بالعوفيين.

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٧١)، وفي إسناده سنيد، تقدم بيان حاله.

(٤) المصدر السابق.

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٣ نَقلًا عن «تَفسير طنطاوي جوهري» ما مُلخَّصُه:

إن العَجبَ ليَأخُذُنا كلَّ مَأخَذٍ، ويُدهشُنا أن نكونَ في عالَمٍ بَديعِ الإتقان، عَجِيب البُنيان... إلىٰ أن قال: كيف تجعل الكَواكِب الَّتي عُدَّت بمئات الملايين كأنها دُرَر مُرصَّعة في سَقفنا... إلىٰ أن قال: ولِبَديع وحُسن الإتقان وجَمَال الوَضع تتراءىٰ لنا أنها إنَّما وُضعت لأجلنا، وليزين بها سقفنا... إلىٰ أن قال: فالشَّمس من تلك الشُّموس تُشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها. ثمَّ هي من جهةٍ تُجعل زينة في سماء كلِّ شَمس وكل أرض وكل سيارة، ويكون قدرها في تلك الزِّينة مُختلِفًا باختلاف الآفاق الَّتي تتراءىٰ لها. وكما أن الكَواكِب مُرَصَّعة في سمائنا، فإن شمْسَنا مرصعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكُرات.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: هذا كله هَذيان لا حاصلَ تَحته، و«تفسير طنطاوي جوهري» مملوء مِن الهذيان وتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فلا يُغتَر به.

وما زعمه مِن تَعدُّد الشموس فقد تقدم ردُّه في أثناء الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك. وكذلك قد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة

الجَدِيدة، فليُراجع -أَيْضًا-.

وَأَمَّا قولُه: ولبديع وحُسن الإتقان وجمال الوضع تتراءىٰ لنا أنها وضعت لأجلنا، وليزين بها سقفنا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: وما تُنكر مِن ذلك والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢] الآيات إلىٰ قوله: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [النحل: ١٥-١٨].

ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ﴾ [لقمان: ٢٠]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

ويقول -أَيْضًا-: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، ويقول -أَيْضًا-: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥].

ففي هذه الآيات النَّصُّ علىٰ أن الله تَعالىٰ قد جعل الكَواكِب زِينةً للسماء الدنيا الَّتي هي سَقفُ ما تحتها مِن المخلوقات، وجعلها -أَيْضًا- للناس ليَهتدوا بها في ظُلمات البر والبحر، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ مَن تأوَّل في النُّجُوم خلاف ما أخبر اللهُ به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد قال قتادةُ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «خَلق اللهُ هذه النُّجُومَ لثَلاثٍ: جَعَلَها زينةً للسماء، ورُجومًا للشَّياطين، وعلاماتٍ يُهتَدىٰ بها، فمَن تأوَّل فيها بغير ذلك أخطأ وأضَاع نصيبَه وتَكلَّف ما لا عِلمَ له به». ذكره البُخاري في «صَحِيحه» تعليقًا مَجزومًا به، ووَصَله عبدُ بنُ حُميد، وابنُ أبي حاتم وغيرُهما.

وَأَمَّا قولُه: فالشَّمس مِن تلك الشُّموس تُشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها، ثمَّ هي مِن جهةٍ تُجعل زينةً في سماء كلِّ شمس وكل أرض وكل سيَّارة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مرادُه بالشُّموس الكَواكِب الثَّوابت الَّتي زَعم أنها

عُدَّت بمئات المَلايين. وزعم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٨٧ أنه يُوجد عشرة آلاف مِليون نِجمة نؤلف حولَها أُسرًا كأسرة الشَّمس، أي: تدور حَولها الكَواكِب. وإذا كان لكلِّ شَمس من هذه الشُّموس المَزعومة سماء وأرضون ونُجوم سيَّارات كما تَخيَّلوه بعقُولهم الفاسدةِ، فإن السمواتِ تكون عشرة آلاف مِليون سماء، وتكون الأرضون كذلك أو أكثر، وتكون النُّجُوم السَّيارات أكثَر من ذلك بأضعاف مُضاعَفة.

وهذا هو هذَيان المجانين بعَيْنه، وهو مَردودٌ بنُصوص القرآن والسُّنَّة وإجماع أهل السُّنَّة والحَديث علىٰ أن السَّموات سبع فَقط، وأن الأرضين سبعٌ فقط.

أما نصوصُ القرآن: فقولُ الله تَعالىٰ مُخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦]، وقوله تَعالىٰ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾﴾ [الملك: ٣-٤]، وقولُه تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلۡخَلۡقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١١-١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [الإسراء: ٤٤] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [المؤمنون: ٨٦-٨٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] الآية. وقوله تعالىٰ: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ [النبأ: ١٢].

ففي هذه الآيات كلِّها النَّصُّ علىٰ أن السَّمواتِ سبْعٌ، ففيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعم أن السمواتِ أكثرُ مِن سَبع، وفيها -أَيْضًا- الرَّدُّ علىٰ أهل الهَيْئة الجَدِيدة الذين يُنكرون وجودَ السمواتِ، ويَزعمون أن سَعةَ الجوِّ غيرُ مُتناهية.

وفي الآية مِن سورة الطلاق دليلٌ علىٰ أن الأرضين سبعٌ كالسموات، ففيها الردُّ علىٰ مَن زعَم أن الأرضين أكثرُ مِن سبع.

وأما نصوصُ السُّنَّةِ علىٰ أن السَّموات سبعٌ، وأن الأرضين سبع فكثيرة جدًّا. وقد ذكرتُ طَرفًا منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الثَّالث من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْتُراجَعْ هُناكَ، ففيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعَم أن السمواتِ أكثرُ مِن سبع، وأن الأراضين أكثرُ مِن سبع.

وأما الإجماعُ: فقد ذكَر الشيخُ عبد القاهر بنُ طاهر البغدادي في آخر كتابه «الفَرْق بين الفِرَق»[(١)] عن أهل السُّنَّة أنهم أجمَعوا علىٰ أن السموات سبعُ طِباق، خلاف قولِ مَن زعم من الفَلاسِفَة والمُنجِّمين أنها تِسعٌ.

وذكَر شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي بَكر الأنباري أنه ذَكر إجماعَ أهلِ الحديثِ والسُّنَّة علىٰ أن الأراضين سبْعٌ بَعضُهنَّ فوق بعض[(٢)]. وفي هذا ردٌّ علىٰ مَن زعم أن السمواتِ أكثَرُ مِن سبع، وأن الأراضين أكثرُ مِن سبع.

وَأَمَّا قولُه: وكما أن الكَواكِب مُرصَّعة في سمائنا، فإن شَمسَنا مُرصَّعَة في ملايين الآفاقِ المُحيطة بالكُرات.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لم يأتِ في القرآن ولا في السُّنَّةِ ما يدل علىٰ أن الكَواكِب مُرصَّعة في السماء كالمَسامير في الباب، بل فيهما ما يدل علىٰ أنها تَجري كما تجري الشَّمسُ والقَمَر، قال الله تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ

---

(١) (ص٣١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٦/ ٥٩٥).

بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال ابنُ كثير في الكلام علىٰ الآية الأولىٰ: «يُنبِّهُ -تَعالىٰ- عبادَه علىٰ آياته العِظام، ومِنَنِه الجِسام في تَسخيره اللَّيلَ والنهار يتعاقبان، والشَّمس والقَمَر يَدوران، والنُّجُوم الثَّوابت والسَّيارات في أرجاء السموات نُورًا وضياءً ليُهتدَىٰ بها في الظُّلمات، وكلٌّ منها يَسيرُ في فَلَكِه الذي جعله اللهُ تَعالىٰ فيه، يَسير بحَركة مُقدَّرة لا يَزيد عليها ولا يَنقص عنها. والجميعُ تَحت قهره وسلطانه وتَسخيره وتقديره وتسهيله»(١). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ [التكوير: ١٥-١٦] قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هي النُّجُوم تَخنَس بالنَّهار وتَظهَر باللَّيل». رواه ابنُ جَرير وابن أبي حاتم(٢). قال ابنُ كثير: وكذا رُوي عن ابن عباس ومجاهد والحَسن وقتادة والسُّدي وغيرهم أنها النُّجُوم. قال: وقال بعضُ الأئمة: إنما قيل للنجوم: الخُنَّس، أي: في حال طُلوعِها، ثمَّ هي جَوَارٍ في فَلَكِها، وفي حال غيبوبتها يقال لها: كُنَّس، مِن قَول العرب: أوىٰ الظَّبي إلىٰ كُناسِه، إذا تغيَّب فيه.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٦١).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٢)، وغيره من طريق أبي إسحاق، عن رجل من مراد، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وإسناده ضعيف، فيه من لم يسم. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٣٦).

وقال ابنُ مَنظور في «لسان العرب»(١): جرَت الشَّمسُ وسائرُ النُّجُوم: سارت مِن المشرق إلىٰ المغرب. قال: وقوله تَعالىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦﴾ يعني النُّجُوم.

وروىٰ ابنُ أبي حاتم من طريق عبدِ الله بن كثير أنه سمع مجاهدًا يقول: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يس: ٤٠] قال: النُّجُوم والشَّمس والقَمَر.

وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] الأُفُول: الغَيبُوبَة.

وروىٰ الإمامُ أحمد والتِّرمذي عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «إنَّ أهلَ الجنَّة ليَتراءون في الغُرفة كما يَتراءون الكَوكب الشَّرقي أو الكوكَب الغَرْبي الغارِب في الأفُقِ، أو الطَّالعِ في تَفاضُل الدَّرجات» الحديثَ. وهذا لفظ الترمذي وقال: هذا حديثٌ حَسن صحيح(٢).

وروىٰ الإمام أحمدُ والترمذي -أَيْضًا- وابن ماجَهْ: عن أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «إنَّ أهلَ الدَّرجات العُلَىٰ ليَراهُم مَن تَحتَهم كما تَرون النَّجم الطَّالعَ في أُفُق السَّماء، وأن أبا بَكْر وعُمرَ منهم

(١) (١٤/ ١٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٩)، والترمذي (٢٥٥٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٠٢٧).

وأَنْعمَا» قال الترمذي: هذا حديث حسن(١).

وفيما ذكرتُه من الآيات والأحاديث دليلٌ علىٰ أن النُّجُوم تَجري وتَسبَح في الفَلَك كما تَجري الشَّمس فيه والقمرُ.

وفيها الرَّدُّ علىٰ مَن زعم أنها مُرصَّعة في السماء.

وَأَمَّا قولُه: فإن شَمسَنا مُرصَّعة في ملايين الآفاق المُحيطة بالكُرَات.

فجوابُه مِن وَجهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن الشَّمس تَجري وتَسْبَح في الفلَكِ وتَدورُ علىٰ الأرض كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلَّةُ الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكرتُها في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة» فَلْتُراجَعْ هُناكَ. وما كان جاريًا علىٰ الدوام فليس مرصَّعًا في شيء من الآفاق؛ فضلًا عما هذَىٰ به طنطاوي جوهري من كونها مُرصَّعة في مئات الملايين من السَّموات.

الوَجْهُ الثَّاني: أن مُرادَه بملايين الآفاق المُحيطة بالكُرات، أنَّ كلَّ كَوكب من الكَواكِب الَّتي تُعدُّ عنده بمئات المَلايين له سماء تَخصُّه. وأن كلَّ أرض من الأراضين الَّتي تُعدُّ عنده بمئات الملايين لها سماءٌ تَخصُّها. وأن كلَّ سيارة من السيارات الَّتي تعدُّ عنده بمئات المَلايين لها سماء تَخصُّها. وقد صرَّح بذلك في

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٧)، والترمذي (٣٦٥٨)، وابن ماجه (٩٦)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وأصل الحديث عند البخاري (٣٢٥٦)، وغيره.

قوله: ثمَّ هي من جِهةٍ تُجعل زينةً في سماء كلِّ شَمس وكل أرض وكل سيارة.
وقد تقدم ردُّ هذا الهذيان قريبًا، فليُراجَع.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٧-٩٨ ما نَصُّه:

البُروج الَّتي في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] هي النُّجُوم العِظامُ في هذا الفَلَك العظيم، منها ما نراه بأعيُنِنا المُجرَّدة، ومنها ما لم يَصِل نُورُه إلينا حتىٰ الآن. لذا فهي لا تُرىٰ حتىٰ بالمُكبِّرات والمَراصِد الكبيرة الحساسة.

وقول علماءِ الفلَك: إن مِن النُّجُوم نُجومًا سوف لا يصل نورها إلىٰ كرتِنا الأرضية في أقلِّ مِن ألف وخمسمائة مليون سنة ضوئيَّة. مع العلم بأن الضَّوء يسيرُ في الثَّانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر. ويَصل في سيره إلىٰ القَمَر في قَدر ثانية وثُلث الثَّانية. ولو جرىٰ حولَ الكُرة الأرضية لدار حولَها في الثَّانية الواحدة ثماني مرات. ولو أُطلق مَدفع فإن قُنبلةً تَجري وتسير نحوَ سنةٍ ونصف السَّنَة حتىٰ تَقطع المسافةَ الَّتي يقطعها الضوءُ في ثانية واحدة. فما أبعدَ الكَواكِب عنَّا! وما أعظمَ خالِقَ هذه الكَواكِب ومُسيِّرَها ومُدبِّرَها ومُضيئها الجليلَ القديرَ علىٰ كل شيء!

وقد قلنا: إن اللهَ -تَباركت أسماؤه- أقسم بهذه الكَواكِب لِمَا فيها من عجيبِ الصَّنعة وباهرش الحكمة. وهو عَزَّوَجَلَّ يحُثُّنا علىٰ البحثِ عن هذه الكَواكِب، وما فيها مِن عَوالم، لنَستدلَّ بذلك علىٰ عظيمِ قُدرته، وجليلِ حِكمته، وبالغ عظمته. وصدق اللهُ العظيم إذ يقول: ﴿ ۞ **فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦** ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]، ولله العظمةُ والجلال إذ يُنبِّه إلىٰ عظمةِ الكون ليهيجَ الناسَ ويُشوِّقهم ويَدعوهم إلىٰ الاطلاعِ علىٰ تلك العوالِم الجبَّارة في الحياة، وهي فوقهم في السماء الَّتي يُشاهدونها ويَرون النُّجُومَ فيها مُبعثَرَةً هنا وهناك، ولا نَرىٰ مِن نُورها إلَّا واحدًا مِن آلاف المَلايين من حقائقِ أنوارها وأقدارها، وأكبرها تُرىٰ صغيرةً دَقيقة الجَرم، وهي قد تفوق أرضَنا سَعةً وحَجمًا.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يُقالَ: مِن أين للصَّوافِ العِلمُ بأن في السماء نجومًا لم يصل نورُها إلىٰ أهل الأرض حتىٰ الآنَ: ﴿**أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ**﴾ [النجم: ٣٥]؟!

والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يُخبِرْنا في كتابه ولا علىٰ لسانِ رسُولِه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن في السماء نُجومًا لم يصل نورُها إلىٰ أهل الأرض حتىٰ الآن. وقد انقطع الوحيُ بموت النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلم يَبْقَ للصَّوَّافِ وأشباهِه وسَلَفِهم من فَلاسِفَة الإفرنج مُستَنَدٌ سوىٰ وحيِ الشَّياطين إليهم بالتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة. فهذا

الوحي الشيطاني هو عُمدَتُهم فيما يزعمونه عن المغيباتِ والأجرام العُلوية.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الكَواكِب كلَّها في السماء الدُّنيا بنصِّ القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧﴾ [الحجر: ١٦-١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أنه قال:** «بين السَّماءِ والأرضِ مَسيرَةُ خَمسِمِائةِ سَنَة» رواه عن النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربعةٌ من الصَّحابَة، وهم: عبدُ الله بنُ عَمرو، وأبو هُريرَةَ، والعبَّاسُ، وأبو سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ورُوي -أَيْضًا- عن ابن مَسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ موقوفًا وله حُكم الرَّفع، وقد ذكرتُ هذه الأحاديثَ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ ثباتِ الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإذا كانت الكَواكِب زِينةً للسَّماء الدنيا فبُعدها عن الأرض لا يَزيد علىٰ خمسمائة سَنَة. فما زعموه مِن البُعد المُفرِط في بعض الكَواكِب مَردودٌ بالآيات الَّتي ذكرنا.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: لو كان ما زعمَه الفلكِيُّون صحيحًا لكان يَتجدَّد

في كلِّ زمان نُجومٌ لم يكن أهلُ الأرض يعرفونها مِن قَبلُ. ولو وقع ذلك لذكَرَه الناسُ فيما يذكرونه من الحوادثِ، وتَناقلوه قَرنًا بعد قرن، ولكن لا وجودَ لذلك أبدًا. والنُّجُومُ لم تزل ولا تَزالُ علىٰ الحال الَّتي خلقها اللهُ عليها. فما كان منها يُرىٰ بالعين المُجرَّدة أو بالمُكبِّرات مِن أوَّل الأمر فهو لا يَزال علىٰ حاله. وما كان ضعيفَ الضَّوء لا يُرىٰ بالعين المُجرَّدة ولا بالمُكبِّرات فهو لا يَزالُ علىٰ حاله.

الوجه الرَّابع: أن الفَلكِيِّين زعموا أن النُّورَ يَصل إلىٰ القَمَر في ثانيةٍ وثُلث، ثمَّ زعموا في النُّجُوم ما زعموه من الأبعادِ المُتفاوتة، وأن منها ما لا يصِلُ النور منه في أقلِّ مِن ألف وخمسمائة مليون سنَة. وهذا تفريقٌ بين ما جَمع اللهُ بَيْنَه، فإن القَمَر في السماءِ بنَصِّ القرآن، والكَواكِب قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا بنصِّ القرآن، فما وصل مِن القَمَر في ثانيَة وثُلث وصل من الكَواكِب في مثل ذلك، ومَن فرَّق بين ما جَمع اللهُ بَينَه فقَولُه مَردودٌ عليه.

وَأمَّا قولُه: فمَا أبعدَ الكَواكِبَ عنَّا!

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن بُعدَها لا يَزيد علىٰ خمسمائة سَنَة، لِأَنَّ الله تَعالىٰ قد جعلها زينةً للسماء الدنيا، كما قد نصَّ علىٰ ذلك في عدَّة آيات من القرآن، وبَيْن السَّماء والأرض مَسيرَةُ خَمسمائة سَنَة، كما هو ثابت بالنصوص عن النَّبيِّ ﷺ. فمَن زعم أن مِن الكَواكِب ما يَبعُد عن الأرض أكثرَ من

خمسمائة سَنَة فقوله مردودٌ بنصوص الكتاب والسُّنَّة.

وأما ما يَزعُمه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم في بُعدِ بعضها عن الأرض بآلاف المَلايين من السنين فهو تَخرُّصٌ وهذيانٌ لا حقيقةَ له.

وأما زعمُه أن الله تَعالىٰ حثَّ علىٰ البَحث عن الكَواكِب وما فيها من العوالِم.

فهو من الكَذِب علىٰ الله تَعالىٰ، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۝٦٩ مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١٧﴾ [يونس: ٦٩-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [يونس: ٦٠].

وليس في القرآن ما يدل علىٰ أن في الكَواكِب عوالِمَ فَضلًا عن أن يكون فيه الحثُّ علىٰ البَحث عنها وعما فيها.

والبحث إنما يكون عن الأشياءِ الخَفيَّة، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لم يأمر الناسَ بالبحث عن الأشياء الخفيَّة والرَّجْم عنها بالغيب، وإنما أمرهم بالنَّظر والتَّفكُّر فيما يشاهدونه مِن آياته الظاهرة الَّتي يَراها كلُّ بَصير، ويَعرِفُها كلُّ عاقل، فقال تَعالىٰ: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قال البَغوي: «أي: قل للمُشركين الذين يسألونك الآياتِ: انظروا ماذا

في السَّموات والأرض مِن الآيات والدَّلائل والعِبَر، ففي السموات الشَّمسُ والقَمَر والنُّجُوم وغيرها، وفي الأرض الجبالُ والبِحارُ والأنهار والأشجار وغيرُها»(١). انْتَهىٰ.

ونَظير هذه الآية قولُه تَعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] الآية. وقَولُه تعالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، وقوله تَعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٢].

قال القُرطُبي: «﴿وَهُمْ﴾ يعني الكُفَّار: ﴿عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ بيَّن أن المُشركين غفَلوا عن النَّظر في السموات وآياتها من لَيلِها ونهارها وشمسِها وقمرها وأفلاكِها ورياحها وسحابها، وما فيها من قُدرةِ الله تَعالىٰ، إذ لو نظروا واعتبَروا لعَلِموا أن لها صانعًا قادِرًا واحدًا، فيستحيل أن يكونَ له شريكٌ»(٢). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٥٣).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٨٥).

بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة: ١٦٤].

والآيات في الحثِّ علىٰ التفكر والاعتبار بالآيات الكونيَّة كثيرة جدًّا، وليس في شيء منها ما يدل علىٰ البَحث عن المغيباتِ كما توهَّمَه الصَّوَّافُ، بل ذلك مما نهىٰ الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وأما كلام الصَّوَّاف علىٰ الآية من سورةِ الواقعة فهو من تحريفُ الكَلِم عن مواضعه، والله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ إنما أقسم بمَواقع النُّجُوم ليُنبِّه عبادَه علىٰ عظمة القرآن، لا ليُهيِّجَهم ويُشوِّقَهم ويدعوهم إلىٰ الاطِّلاع علىٰ العوالِم الجبَّارة كما زعمه الصَّوَّاف. ومِن أين لبني آدمَ الوصولُ إلىٰ السماء والاطِّلاعُ علىٰ ما فيها لو كان الصَّوَّاف يَعقِلُ؟!

وأما زعَمَه أن بعض النُّجُوم قد تَفوقُ الأرضَ سَعةً وحَجمًا فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة ولا معقول صحيح، وإنما هو من التَّخرُّص واتباع الظَّنِّ. وقد تقدَّم التنبيهُ علىٰ بطلانه في أول الكتاب عند كلام الزهاوي في تصغير الأرض وتحقيرها، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٨-٩٩ ما نَصُّه:

يقولُ علماءُ الفلَك: إنَّ الشِّعرَىٰ اليَمانية أثقَلُ مِن الشَّمس جرمًا بعشرين مرَّة، ونُورُها خَمسون ضِعف نور الشَّمس، وهي أبعَدُ منها مليون ضعف بُعدها عنَّا. وأن الشِّعرَىٰ اليمانية تجري بسرعة ألف مِيل في الدَّقيقة؛ لذا خصَّها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز إذ قال: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [النجم: ٤٩]، وهناك الشِّعْرىٰ الشامية لها خصائصُ ومُميِّزات أخرىٰ. والشِّعرىٰ اليمانية هذه الَّتي نراها قِبَل اليَمن، وهي في النَّظر بقَدْر الجوزَةِ أو البَيضة، وهي أسطعُ مِن خَمسين شمسًا إِلَّا واحد من ألفي مليون منه. وثلاث مِن بَنات نعش يَفُقْنَ الشَّمس نُورًا، واحدة منهن أربعمائة ضِعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وسُهيل أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، والسماك الرَّامح حَجمُه ثمانون ضِعف حَجم الشَّمس، ولا يصل إلينا ضوؤه إِلَّا في مائتي سنة.

هذه كلُّها تَقديرات علماء الفلك، وَاللهُ أَعْلَمُ بصحتها. ولكنها تدلُّ بوُضوح علىٰ عظمة الخالقِ جَلَّوَعَلَا، وكمالِ قُدرته وفائقِ صَنعَتِه.

والجَوَابُ أنْ يُقالَ: ما ذكَره الصَّوَّافُ ههنا عن الفلكيِّين فكلُّه هَوَس وهذيان لا يصدرُ من عاقل، وهو مما يَضحك منه السُّفهاءُ؛ فضلًا عن العُقلاء،

ولا يَروج إِلَّا علىٰ مَن أضلَّه اللهُ وخَتم علىٰ سمعه وقلبه وجعل علىٰ بصره غشاوة.

فأما زَعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية أثقل من الشَّمس جرمًا بعشرين مرة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لو اجتمع الأوَّلون والآخرون من الإنس والجنِّ لَمَا قَدرُوا علىٰ وزْنِ جَبل من الجبال، وهم عن الارتقاء إلىٰ السَّماء ووزن ما فيها من الشَّمس والنُّجُوم أعجَز وأعْجَز.

ولم يأت عن الله تَعالىٰ ولا عن رسوله ﷺ نصٌّ بقدر وزن الشَّمس والنُّجُوم، وما ليس عليه دليلٌ فليس عليه تَعويل. ومن زعم معرفةَ وزنها وما بين بعضِها والبعض الآخر من التَّفاوت في الثِّقَلِ فليس له مستندٌ سوىٰ التَّخرُّص والرَّجم بالغيب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

وأما زعمهم أن الشِّعرىٰ اليمانية أبعد من الشَّمس مليون ضعف بعدها عنا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد زعَم أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة أن الشَّمس تَبعُد عن الأرض أربعةً وثلاثين ألف ألف فرسَخ وخمسمائة ألف فرسخ. ذكره الألوسي عنهم فِي صَفْحَةِ ٣٤ من كتابه الذي سماه «مَا دَلَّ عَليه القُرآنُ ممَّا يُعضِّدُ الهَيئَةَ الجَديدَة»،

وهذه المسافة تطابق اثني عشرَ ألف سنةٍ أو قَريبًا من ذلك. فعلىٰ هذا يكون بُعْدُ الشِّعرىٰ عن الأرض اثني عشر ألف مليون سنَة علىٰ حدِّ زعمهم. وهذا مِن أقبح الهَوَس والهذيان. وهو مردود بنصوصِ القرآن علىٰ أن الكَواكِب قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا.

وقد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «بيْنَ السَّماء والأرضِ مَسيرَةُ خَمسمائة سَنَة»، وعلىٰ هذا فالمسافةُ بين الأرض وبين الشِّعرىٰ خمسمائة سنة فقط.

وعلىٰ قولِ الفَلكيِّين تكون الشِّعرىٰ فوق العرش، وهذا مِن أبطلِ الباطلِ، فإنه ليس فوق العرشِ شيء سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وأما زعمُهم أن الشعرىٰ اليمانية تَجري بسرعة ألف ميل في الدقيقة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشِّعْرىٰ اليمانية كسائر النُّجُوم الثَّوابت، فكلها في فلَكٍ واحد تَجري فيه علىٰ نَسق مضبوط، لا يتقدم شيء منها علىٰ غَيره ولا يتأخر عنه، كما هو معلوم بالمشاهدة.

وَأَمَّا قولُه: لِذَا خصَّها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه العزيز إذ قال: ﴿**وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ**﴾ [النجم: ٤٩].

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إنما خصَّها اللهُ بالذِّكْر دونَ غيرها من النُّجُوم، لِأَنَّ طائفةً من العرب كانوا يَعبدونها، فأخبر الله تَعالىٰ أنها مخلوقةٌ مَربوبة، والعبادَة لا

تَصلح لشيء من المَخلوقات، وإنما هي مِن خَصائص الرَّبِّ جَلَّجَلَالُهُ.

ونظير هذه الآية قولُه تَعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

فأما زعم الصَّوَّاف أن الله تَعالىٰ خصَّ الشِّعرىٰ بالذِّكْر من أجلِ ما زعمه الفلكيُّون من سرعة جريانها، فذلك من الإلحادِ في آيات الله، وتحريف الكَلِم عن مواضعه.

وَأَمَّا قولُه: وهناك الشِّعرىٰ الشامية لها خصائصُ ومُميِّزات أخرىٰ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشِّعرىٰ الشامية كغيرها من النُّجُوم الَّتي قد جعلها الله زينةً للسماء الدنيا. وما كان في السماء فالقُدرة البشرية عاجزةٌ عن الوصول إليه والعِلمِ بخصائصه ومميزاته، ولم يُخبر الله تَعالىٰ في كتابه ولا رسولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أن الشِّعرىٰ الشامية لها خصائصُ ومميزات. فمن زعم أن لها خصائصَ ومميزات سوىٰ ما يشاهده الناسُ من ضعف ضوئها عن ضَوء الشِّعرىٰ اليمانية فقولُه مردود عليه، إذ لا مُستَنَدَ له سوىٰ التَّخرُّص والرَّجم بالغيب.

وأما زعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية نورُها خمسون ضعف نُور الشَّمس، وأنها أَسطَع من خمسين شمسًا كشمسنا، وأن ثلاثًا من بنات نعش يفقن الشَّمس نورًا.

واحدة منهن أربعمائة ضعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وأن سهيلًا أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشَّمس في السماء بنص القرآن، والنُّجُوم قد جُعلت زينةً للسماء الدنيا بنص القرآن. فلو كان الأمرُ في هذه النُّجُوم علىٰ ما زعمه الفلكيون لَما كان عند أهل الأرض ليلٌ أبدًا، ولطَمس ضَوءُ هذه النُّجُوم ضوءَ الشَّمس ونُورَ القَمر. بل لو كان الأمرُ علىٰ ما زعموه فيها لاحترق ما بين الخَافِقَين، ولم يُمكن أن يعيشَ علىٰ الأرض شيءٌ من شِدَّة حرارة الشموس المزعومة.

وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعموه من تعدُّد الشموس في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وذكرتُ طَرَفًا من ذلك في أثناء هذا الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فليُراجع -أَيْضًا-.

وأما زعمُهم أن السماك الرَّامح حجمُه ثمانون ضعف حجم الشَّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا تَخرُّص وهذيان مردودٌ بنص القرآن. قال الله تَعالىٰ مخبرًا عن مناظرة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي

﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾

[الأنعام: ٧٦-٧٨].

وفي هذه الآيات دليل علىٰ أن الشَّمسَ أكبر من الكَواكِب.

وأَيْضًا، فإن السماك الرَّامح من جُملة المصابيح الَّتي قد جعلها اللهُ زينةً للسماء الدنيا. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ [الصافات: ٦-٧]، والشَّمس في السماء بنص القرآن قال الله تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾

[نوح: ١٥-١٦].

قال الحسَن في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ الآية. قال: «يعني في السماء الدنيا». ذكره البغويُّ في «تفسيره»(١).

---

(١) (٨/ ٢٣١).

وروىٰ ابنُ مَردويه عن ابن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أمَّا السَّماءُ الدُّنيا فإنَّ الله خلقَها مِن دُخَان، وجَعل فيها سِراجًا وقَمرًا مُنيرًا، وزَيَّنَها بمصابيحَ وجَعَلها رُجومًا للشَّياطين، وحِفظًا مِن كلِّ شَيطانٍ رَجِيم»(١).

وروىٰ البَيهقيُّ في كتاب «الأسماء والصِّفات» بإسنادٍ صَحيح عن عبدِ الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: «خَلق اللهُ سَبعَ سَمواتٍ، وخلَق فوق السَّابعة الماءَ، وجعل فوق الماءِ العرشَ، وجَعل في السَّماء الدنيا الشَّمسَ والقَمَر والنُّجُوم والرُّجُومَ»(٢).

وإذا كان كلُّ مَن الشَّمس والنُّجُوم في السَّمَاء الدُّنْيا فلا شكَّ أن حَجمَ الشَّمس يَزيدُ علىٰ حَجْم السماك الرَّامح وغيره من النُّجُوم الكِبار عِدَّة آلاف. وكيف يظنُّ أن السماك الرَّامح يَزيد حجمُه علىٰ حَجم الشَّمس ثمانين ضِعفًا مع أنه لا يَزيد في رأي العَين علىٰ حَجم التَّمرة، والشَّمسُ تُرىٰ في الأفُق عند طلوعها وعند غُروبها بقدر ذراعَين طُولًا في ذِراعَين عَرضًا؟!

---

(١) كذا عزاه في «الدر المنثور» (٥/ ٦٩)، وأخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢/ ٥٦٧) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بنحوه، وفي إسناده عمر بن موسىٰ وهو الوجيهي «ممن يضع الحديث».

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ ٢٩٢) (٨٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قوله.

فمَن قال: إنَّ حَجمَها دون حَجم السماك الرَّامح أو غيره من النُّجُوم فقولُه باطلٌ مَردود بما ذكرنا من الآيات والأحاديث، وَاللهُ أَعْلَمُ.

وتمام الرَّدِّ علىٰ هذا الزَّعم الكاذبِ قد تقدَّم مَبسوطًا مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن الشِّعرىٰ اليمانية لا يصل إلينا نورُها إِلَّا في ستة عشر سَنة. وأنه لا يصل إلينا من نُورِها إِلَّا واحد من ألفي مليون منه. وأن السماكَ الرَّامح لا يصل إلينا ضوؤه إِلَّا في مائتي سنة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد ذكر مُحمَّد رشيد رضا فِي صَفْحَةِ ٦٣٧ من الجزء السَّابع من «تَفسيره» أنه قد وجد بالرصدان السماكَ الرَّامح يَصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة.

وهذا ما ذكره الصَّوَّاف ههنا كلُّه هَذيان لا مُستنَدَ له سوىٰ التَّخرُّص والرَّجْم بالغيب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣] إلىٰ قوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

والشِّعرىٰ اليمانية والسماك الرَّامح وغيرهما من الكَواكِب النَّيِّرة يُرىٰ نورُها من حين تَبدو مِن الأفق، إذا لم يكن هناك حائلٌ يَمنع من رؤيتها. وكلُّها مِن زينة السَّمَاء الدُّنْيا كما نصَّ الله علىٰ ذلك في كتابه العزيز. فالتَّفريقُ بين أبعادها ووصول نُورها إلىٰ الأرض تفريقٌ بين أشياء متماثلة، وذلك باطلٌ مَردود، وفيما ذكره الصَّوَّاف عن الفلكيين أنهم قالوا: إن السماك الرَّامح لا يصل ضوؤه إلينا إِلَّا في مائتي سنة، مع ما ذكره مُحمَّد رشيد عنهم أنهم قالوا: إن السماك الرَّامح يصل النور منه إلينا في نحو خمسين سنة، وما بين هذين القولين من التفاوتِ العظيم في بُعد نجم واحد أوضحُ دليلٍ علىٰ تناقض الفلكيين وكَذِبهم في جميع مزاعمهم عن أبعاد النُّجُوم، ومقاديرِ أحجامها وأضوائها وثِقَلها، وأنهم أنا يَعتمدون في ذلك علىٰ مجرد التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: هذه كلُّها تقديرات علماء الفلك، وَاللهُ أَعْلَمُ بصحتها، ولكنها تدل بوضوح علىٰ عظمةِ الخالق جَلَّوَعَلَا وكمالِ قدرته وفائق صنعته.

فالجواب عنه من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن ما في السَّمَاء فهو من أمور الغيب الَّتي لا تُعلم إِلَّا من طريق الوحي، ولا سبيل إِلىٰ عِلْمها بالتَّقديرات الَّتي هي التَّخرُّص واتباع الظن، ولا وهي علىٰ شيء مما زعمه الفلكيون في تقديراتهم عن النُّجُوم البتة؛ وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ

ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: ٣٦].

الوَجْهُ الثَّاني: أن تقديرات الفَلكيِّين عن النُّجُوم مخالِفةٌ لنُصوص القرآن، كما تقدَّم إيضاحُه. وما خالَف النصوصَ فهو باطلٌ مَردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعظَمُ وأجَلُّ مِن أن يُستدلَّ علىٰ عظمتِه وكمالِ قُدرته وفائقِ صَنعته بتَخَرُّصات الفلكيين وظنونهم الكاذبة، وإنما يُستدل علىٰ ذلك بما أخبر اللهُ به في كتابه وعلىٰ لسان رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذلك هو العِلم الصَّحيح النافع، والشفاء كل الشِّفاء لمَن آمن به واتَّبعه؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[العنكبوت: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥] إلىٰ قوله: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]، والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرة جدًّا.

ومَن لم يَكتَفِ بما أخبر اللهُ به في كتابه وما أخبر به رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عظمةِ ربِّه وكمال قُدرته، فلا كفاه اللهُ ما أهمَّه.

ومَن اعتمدَ علىٰ تَخَرُّصات الفلكيين وظُنونهم الكاذبة واستدلَّ علىٰ عظمة الخالِق وكمالِ قُدرته وفائق صَنعته، فهو من أجهلِ الناس بالله تَعالىٰ، وأبعده عن مَعرفة ما يَجبُ له من الإجلالِ والتعظيم.

* * *

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٩٩ أن البُروجَ تُطلق علىٰ بُروج السَّمَاء الاثني عشر. قال: وهي منازِلُ الكَواكِب والشَّمس والقَمَر، يسير القَمَر في كل بُرج منها يومين وثلث يوم، وتسير الشَّمس في كل بُرج منها شهرًا - إلىٰ أن قال فِي صَفْحَةِ ١٠٠: فتكون السَّنَة الشَّمسية ثلاثمائة وخَمسة وستين يومًا وربع يوم، وهي مدة دخول الشَّمس إلىٰ النُّقطة الَّتي فارقتها من تلك البروج، والشَّمس -كما قلنا- تقطع هذه البُروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَة؛ كل بُرج في شهر، وبها تتم دَورة الفَلك، ويقطعها القَمَر في ثمانية وعشرين يومًا وكسور.

والجواب عن هذا من وجْهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن المنازِلَ ليست منازِلَ لِجميع الكَواكِب، كما يوهمه

كلام الصَّوَّاف، وإنما هي منازِل للسَّيارات منها فقط. وأما الثوابت فليست لها منازِل. وكان ينبغي للصَّواف أن يُقيِّدَ الكَواكِب بالسيارات ليزولَ الإيهام.

الوَجْهُ الثَّاني: أن ما قرَّره الصَّوَّاف ههنا مِن كون الشَّمس تَسيرُ في كل برجٍ شَهرًا، وأنها تَقطع البروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَة، يُناقِض ما قرره فِي صَفْحَةِ ٦١ من كون الشَّمس ثابتةً علىٰ محورها، ومُتحَرِّكة حول هذا المِحور، أي: هي دائرة حول نفسِها، ومثلها مَثَل المَروحة السَّقفية الكهربائية؛ فهي ثابتة في سَقفها وهي متحركة حول نفسها.

وما قرَّره الصَّوَّاف ههنا من كون الشَّمس تَسير في كل برج شهرًا وتقطع البروج كلها مرة في السَّنة هو الحقُّ الثَّابت بالأدلة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وقد ذكرتُها مستوفاة في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وما قرَّره ههنا فهو من الأدلَّة الحِسيَّة علىٰ جريان الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض، وقد أوضحتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في آخر الأدلة علىٰ جريان الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما ما قرَّره فِي صَفْحَةِ ٦١ فهو باطلٌ مَردود من وجوهٍ كَثيرة، وقد تقدَّم ذِكرُها عند تشبيه الصَّوَّاف للشَّمس بالمروحَة السَّقفيَّة الكهربائية، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

فصل

ونقَل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠١ عن موسىٰ جار الله أنه قال في كتابه (تَرتيب السُّور الكريمة): فإن كان البُروج في قول الله: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾ [الفرقان: ٦١] هي بُروجَ الهيئة القديمَة كما اتَّفقت عليه التفاسيرُ، فإن تلك الشَّمسَ الظاهرة وهو المَدار السنوي للأرض في الواقع؛ واقع في هذه البروج. والأرض في مدارها السَّنوي تقطع كل هذه البروج. هذا وَجْهٌ وَجيه، لنا أن نَقتَنِعَ به في بيان نزولِ سُورة البروج بعد سورة الشَّمس، وقد جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ، إن الباطل كان زهُوقًا.

زَهَقَت الهيئةُ القديمةُ وجاء النِّظامُ الحقُّ نظامُ السموات الَّتي رفعَها اللهُ بغير عَمَد ترونها، وهذه السموات لها مَنظومات، منها منظومة شَمسنا هذه بسياراتها التِّسع. وشمسُنا هذه ليست مِن كبار الشموس، ومَنظومَتُنا هذه ليست من كبار المنظُومات، وكلُّ منظومة من هذه المَنظومات يسميها القرآن بُرجًا. والسَّمَاء الَّتي تَحوي كل هذه المنظومات يسمِّيها القرآنُ الكريم السَّمَاء ذات البروج. بها أقسمَ اللهُ في كتابه الكريم في سورة البروج. وهذه السَّمَاء ذات البُروج الَّتي تَحوي كلَّ هذه المَنظومات يَحدُث خلال مَنظوماتها كلَّ يَوم -شأن الله- انشقاقَات، وبتِلك الانشقاقات يَحدث في المَجرَّة وخارجها سَموات، وللإشارة

وللإرشاد وإلىٰ مثل هذه الحَوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

والجواب عن هذا الهذيان والقَرمَطَة من وُجُوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إنَّ الأرض ثابتةٌ ومُرسَاةٌ بالجبال، كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب والسُّنة والإجماع، وما كان ثابتًا فليس له مَدار يَدور عليه.

وما زَعمه موسىٰ جار الله تقليدًا لأهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العصْرِيِّين من أن للأرضِ مَدارًا سَنوِيًّا، فهو قولٌ باطل مردودٌ بالأدلة الَّتي أشرْتُ إليها، وقد ذكرتُها مستوفاةً في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْهُ الثَّاني: أن البُروجَ في السَّمَاء، كما هو مَنصوص عليه في مواضع من القرآن؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴾ [الحجر: ١٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].

وإذا كانت البُروج في السَّمَاء، فمِن أبطل الباطِل أنْ يُقالَ: إن للأرض مدَارًا وَاقعًا في تلك البُروج، وأن الأرض تقطعها كلها في السَّنَة.

الوجه الثَّالث: أنه قد ثبَت عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «بَيْن السَّمَاء والأَرْضِ مَسيرة خَمسمائة عَام»، رواه عن النَّبيِّ ﷺ أربعة

من الصَّحَابَة، وهم: عبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، والعبَّاس، وأبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. ورُوي -أَيْضًا- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ موقوفًا وله حُكم المرفوع.

وإذا كان بين السَّمَاء والأرض هذا البُعد الشاسع، فلا يقول: إن للأرض مدارًا في بروج السَّمَاء، وأنها تقطعها كلها في السَّنة إِلَّا مَن هو مِن أجهل الناس وأقلِّهم عقلًا.

الوجه الرَّابع: أن المُفسِّرين اختلفوا في تفسير البُروج الَّتي ذكرها الله تَعالىٰ في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الحجر: ١٦]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقولِه تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] فقال مجاهدٌ وسعيد بن جبير وأبو صالح والحسن وقتادة: هي الكَواكِب العظام. قال البغوي: «مأخوذ من الظُّهور؛ يقال: تَبرَّجَتِ المرأةُ، أي: ظهَرَت. وقال -أَيْضًا-: سمِّيت برُوجًا لظُهورها». انْتهىٰ.

وقيل: هي قُصور في السَّمَاء للحَرَس، يُروىٰ هذا عن علي وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومُحمَّد بن كعب وإبراهيم النخعي وسليمان بن مِهران الأعمش. قال ابنُ كثير: «والقولُ الأول أظهَرُ، اللَّهمَّ إِلَّا تكون الكَواكِب العِظام هي قصورٌ للحَرس، فيَجتمع القولان»(١). انْتهىٰ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ١٢٠).

وقيل: هي البُروج الاثْنا عشر الَّتي هو منازل الشَّمس والقَمَر والكَواكِب السيارة، ورُوي ذلك عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا -أَيْضًا-. وهذا القولُ الأخير هو الذي زعم موسىٰ جار الله أن التَّفاسير اتَّفقت عليه. وذلك وَهم منه وغلَط.

الوجه الخامس: أن أهلَ الهيئة القديمة لم ينفردوا بإثبات البُروج الاثني عشر الَّتي تَنزلها الشَّمس والقَمَرُ والكَواكِب السيارة حتىٰ يقال: إنها بروجُ الهيئة القديمة. بل إثباتُ هذه البروج الاثني عشر والمنازل الثَّمانية والعشرين للشمس والقَمَر والكَواكِب السَّيارة، هو المعروف عند علماء المسلمين سوىٰ بعضِ العصريين المَفتونين بتقليد أهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج. وهؤلاء لا عِبرةَ بهم، كما لا عِبرةَ بسلفهم من فَلاسِفَة الإفرنج.

الوجه السَّادس: أنْ يُقالَ: ليس للسَّموات نِظام ولا مَنظومات، وليس فيها شُموسٌ مُتعدِّدة، كما زعمه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن العصريِّين؛ اعتمادًا منهم علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة. وإنما فيها شمسٌ واحدة، وقَمرٌ واحد، وما سوىٰ ذلك فهي نجومٌ قد جَعلها الله تَعالىٰ زينةً للسماء الدُّنْيا، ورُجومًا للشياطين، وعلاماتٍ يُهتَدىٰ بها.

قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ [الصافات: ٦-٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا﴾ [فصلت: ١٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا

رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [الملك: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا﴾ [ق: ٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ١٦ وَحَفِظۡنَٰهَا مِن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٍ ١٧﴾ [الحجر: ١٦-١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ﴾ [الأنعام: ٩٧] الآية، وقال تَعالىٰ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

فما ذكَرَه الله في هذه الآيات هو الحقُّ الذي لا رَيْبَ فيه، وأما ما زعَمَه أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعُهم من وجودِ النظام والمنظوماتِ والشُّموس المتعددة، فهو هذيان وباطلٌ مَردود.

وَأَمَّا قولُه: وقد جاء الحقُّ وزهق الباطل، وجاء النظام الحق... إلىٰ آخره.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن قَلب الحقيقة؛ فإن ما ذكره ههنا باطلٌ وَضَلال، وليس من الحقِّ في شيء كما تقدم إيضاحُ ذلك في الأوْجُه السِّتَّة. وليس ما ذكره ههنا مِن نظام السموات، وإنما هو في الحقيقة نظامُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة الذي تلقَّوه من تَخَرُّصاتهم وظنُونهم الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: وشَمسنا هذه ليست مِن كبار الشموس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: تَخرُّص لا أساس له مِن الصِّحة، وليس في الوُجود سوىٰ شمس واحدة، كما قد دل علىٰ ذلك الكتاب والسُّنَّة مع المشاهدة. وقد استوفيتُ الرَّدَّ علىٰ ما زعموه مِن تَعدُّدِ الشُّموس في «الصَّواعِق الشَّديدَة» في

المِثَال الحادي عشر من الأمثلة علىٰ بُطْلان الهَيْئة الجَدِيدة، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعمُهم أن في النُّجُوم ما هو أكبر من الشَّمس، فقد تقدم ردُّه في أثناء هذا الكتاب مع الكلام علىٰ مزاعم الصَّوَّاف في الشَّمس، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: وكل منظومةٍ من هذه المنظومات يسميها القرآنُ بُرجًا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن القول في القرآن بغير علم. وليس في القرآن ما يدل علىٰ أن في السَّمَاء مَنظومات، فضلًا عن أن يكون فيه تسمية تلك المنظومات المتوهمة بروجًا.

وقد روىٰ الإمام أحمدُ والترمذي وابن جرير والبغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قال في القُرآنِ بِرَأْيِه أو بِما لا يَعلَمُ فلْيَتَبوَّأ مَقعَدَه مِن النَّار**» هذا لفظُ ابن جَرير، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حَسن صحيح(١).

قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

الله، مُلحدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مَواضِعه». انْتَهىٰ[1].

وقد تقدَّم كلامُ المُفسِّرين في البُروج الَّتي ذكرها الله في القرآن قريبًا.

وَأَمَّا قولُه: وهذه السَّمَاء ذات البُروج يَحدث خلال منظوماتها كلَّ يوم انشقاقات، وبتلك الانشقاقات يحدُث في المجرَّة وخارجها سموات.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: هذا كلُّه هَوَس وهذيان يُشبه هذيان المجانين؛ ولو كان يحدث في المَجرَّة وخارجها كلَّ يوم سمواتٌ لكانت السَّموات لا تُحصىٰ من كثرتها، ولكن هذا من أبطل الباطل؛ فإن السَّموات سبع بالنَّص والإجماع.

والسَّمَاء إنما تَنشق يوم القيامةِ لا في الدُّنْيا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الانشقاق: ١-٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾ [الحاقة: ١٥-١٦] الآيات، وقال تَعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] الآيات، وقال تَعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝٢٥ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

وقال تَعالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ [الانفطار: ١] أي: انشقت: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار: ٢-٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾﴾ [المزمل: ١٧-١٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات: ٨-١٥].

قوله: ﴿فُرِّجَتْ﴾، أي: شُقَّت. فهذا الانشقاق إنما يكون يوم القيامة. ومَن زعم أن السَّمَاء تشقق في الدُّنْيا فقد كَذَب.

وَأَمَّا قولُه: وللإشارة وللإرشادِ وإلىٰ مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: هذا من القَرمَطة والإلحاد في القرآن، وليس في القرآن ما يُشير إلىٰ الانشقاقات الَّتي زَعم أنها تَحدث كلَّ يوم، ولا إلىٰ حدوث السموات الَّتي توهمها أعداءُ الله بعقولهم الفاسدة.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٣ ما نَصُّه:

يتضمَّن هذا الكون خمسمائة مليون من المجرَّات كما يقدِّر علماء الفلك. وفي كل مجَرَّة مائة ألف مليون نجم. وأن أقرب مجرة إلىٰ الأرض تلك الَّتي

نشاهد جزءًا منها كخَط أبيض في الليل، تمتدُّ مساحتها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء، ونحن سكَّان الأرض نبتعد عن هذه المَجرَّة مقدارَ ثلاثين ألف عام من الضوء، ثمَّ إن هذه جُزء لمجرَّةٍ كبيرة تَتضمن سبع عشرة مجرَّة، وتمتد أبعاد هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء، ثمَّ إن هناك حركة أُخرىٰ غير هذه الدَّورات، وهي أن الكون كلَّه يتوسَّع ويتَضخَّم مثل الكُرة في الجوانب الأربعة. والشَّمس تَجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلًا في ثانية نحو الجانب الخارجي لمجرَّته، وتَقود كل ما يتبع النِّظام الشَّمسي، وكذلك النُّجُوم كلها تَتوجَّه إلىٰ أيِّ جانب بسرعة متزايدة مع مُتابعة دورانها، فمنها ما يَبلغ سيره ثمانية أميال في كلِّ ثانية، وما يبلغ سيره ثلاثةً وثلاثين ميلًا في ثانية وأربعة وثمانين ميلًا في ثانية. وهكذا نجد النُّجُوم كلها متَّجهة نحوَ الأمام.

والجواب أنْ يُقالَ: كلُّ ما ذكره في هذا الفَصل فهو تخَرُّص وهَذيانٌ، لا مُستنَدَ له سوىٰ وحْيِ الشياطين بعضهم إلىٰ بعض، ولا يَعتَمِد عليه أو يُصغي إليه إلَّا مَنْ هو جاهلٌ مَغرور.

فأما زعمُه أن هذا الكون يتضمن خمسمائة مليون مليون من المجرَّات، وأن كل مجرة فيها مائة ألف مليون نجم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: مثل هذا لا يُعلم إلَّا من طريق الوحي، ولا وحيَ علىٰ ذلك البتة، وحينئذ فليس مع مَن يدَّعي إحصاء المجرات والنُّجُوم سوىٰ اتباع

الظَّن الكاذب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وليس في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة، كما هو معلوم بالمشاهدة، ومَن زعم وجودَ غيرها فعليه الدليل من الكتاب أو السُّنَّة، ولن يجد إلىٰ ذلك سبيلًا.

وأما زعمُه أن المجرة تمتد مساحتها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا من جِنس ما قبله من التَّخرُّص واتباع الظن الكاذب.

وأما زعمه أن المجرَّة تبعُد عن سكَّان الأرض مقدارَ ثلاثين ألف عام من الضوء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن أبطل الباطل؛ لِأَنَّ المجرة علىٰ هذا التَّقدير تكون فوق العرش، وليس فوق العرش شيء سوىٰ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وقد عُلم بالمشاهدة أن المجرَّة تسير سيرَ الكَواكِب الثوابت، لا تتقدَّم علىٰ شيء منها ولا تتأخر عنه. والنُّجُوم قد جُعلت زينةً للسماء الدُّنْيا بنص القرآن، وبين السَّمَاء الدُّنْيا وبين الأرض خمسمائة سنة بنص الأحاديث الثَّابتة عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وعلىٰ هذا فليس بين المجرَّة وبين سكَّان الأرض سوىٰ خمسمائة سنة.

ويَشهد لهذا ما رواه الطبراني من حديث سعيدِ بن جُبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن هِرَقْلَ كتب إلىٰ معاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: إنْ كان بَقي فيهم شيء من النُّبوة فسيُخبرني عما أسألُهم عنه، قال: فكتَب إليه يسأله عن المجرَّة، وعن القَوس، وعن بُقعة لم تُصبها الشَّمس إلَّا ساعة واحدةً، قال: فلما أتىٰ معاويةَ الكتابُ والرسولُ قال: إن هذا لشيء ما كنتُ آبَه له أن أسأل عنه إلىٰ يومي هذا. مَن لهذا؟ قيل: ابنُ عباس، فطوىٰ معاويةُ كتابَ هِرقلَ، فبعث به إلىٰ ابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فكتب إليه: (إنَّ القوس أمانٌ لأهل الأرض من الغَرق، والمجرَّة باب السَّمَاء الذي تَنشق منه، وأما البقعة الَّتي لم تُصبْها الشَّمس إلَّا ساعة من النهار فالبَحر الذي أفرج عن بني إسرائيل). قال ابنُ كثير: إسناده صحيح إلىٰ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

قلتُ: وقد رواه سعيدُ بن منصور في «سُنَنِه»، والبخاري في «الأَدَب المُفْرَد» مختصرًا، وإسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين، ولفظ البخاري: عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (القَوس أمانٌ لأهل الأرض مِن الغَرق، والمجرَّة باب السَّمَاء الذي تَنشق منه)، ورواه البخاري -أَيْضًا- من حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (أبوابُ السَّمَاء، وأما قَوس قزح فأمانٌ من الغرق بعد قَوم نوح)، في إسناده علي بن زيد، وهو حسن الحديث وفيه كلام،

وبقية رجاله ثقات(١).

وروىٰ البخاري -أَيْضًا- في «الأدب المفرد» وابن أبي حاتم: أن ابن الكواء سأل عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن المجرَّة، فقال: (هي شَرج السَّمَاء، ومنها فُتحت السَّمَاء بماء مُنهَمِر)(٢).

وأما زعمُه أن هذه المجرة جزءٌ لمجرَّة كبيرة تتضمن سبع عشرة مجرَّة، وتمتد أبعادُ هذه المجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا مِن جنس ما قبله من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب. وليس يُرىٰ في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة، وما لم يُشاهد بالأبصار، فهو من المغيباتِ الَّتي لا تُعلم إِلَّا من طريق الوحي، ولا وحيَ علىٰ شيء مما زعموه البتة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

ومن ادعىٰ علمَ المغيبات، فهو طاغوتٌ، ومَن صدَّقه فهو ممن آمن بالطَّاغوت.

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٢٤٣) (١٠٥٩١)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٧)، وانظر: «البداية والنهاية» (١/ ٨٥)، و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٨)، وانظر: أيضًا «الضعيفة» (٢/ ١٢٨، ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٢٩٧)، وغيرهم، وصحح الألباني إسناده في «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٨٥).

وأما زعمُه أن الكون يتوسَّع ويتضخَّم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا -أَيْضًا- من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب.

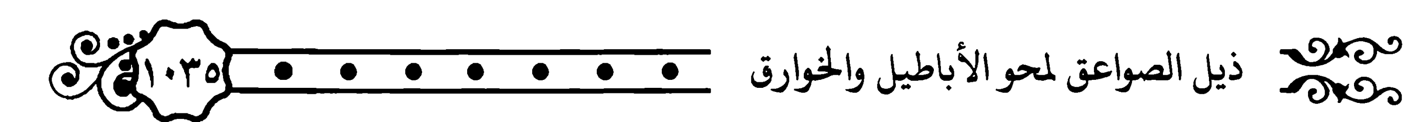
وأما زعمه أن الشَّمس تجري بسرعة هائلة نحو الجانب الخارجي... إلىٰ قوله: وهكذا نجد النُّجُوم كلها متجهة نحو الأمام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا -أَيْضًا- من التَّخَرُّص واتباع الظن الكاذب، وقد ذكر نحو هذا الهذيان فِي صَفْحَةِ ٣٨ حيث قال: والنظام الشَّمسي كله بما فيه الأرض يَنهب الفضاء نَهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة متجهةً نحو برج هركيوليس. وقال -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٣٨: وقد دلَّت الدراسةُ الَّتي استمرت ٢٠ عامًا للضوء المنبعث من الكَواكِب البعيدة عن أن هذه الكَواكِب لا تزال ممعِنَةً في الابتعاد في الفضاء، وأن سُرعتها تزداد كلَّما زاد ابتعادها... إلىٰ آخر كلامه.

وقال -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣: وليس هناك أبلغ ولا أدقُّ مما يقوله حجَّةُ عِلمِ الفلَك العالم (سيمون): من أعظمِ الحقائق الَّتي اكتشفها العقلُ البشري في كافة العصور هي حقيقة أن الشَّمس والكَواكِب السَّيارة وأقمارها تجري في الفضاء نحو بُرج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض... إلىٰ آخر كلامه.

وقد تقدم الكلامُ علىٰ هذه المواضع مستوفًىٰ في أول الكتاب، فليراجع؛ ففيه الردُّ لما زعمه الصَّوَّاف ههنا.

* * *



فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أنَّ حركة الأرض حول الشَّمس منظمة تمامًا؛ قال: وكذلك دوران الأرض حول محوَرِها يبلغ من الانتظام والدِّقة بحيث لا يلحقه خلَل، ولا تقديم أو تأخير ثانية واحدة في موعدها ولو بعد قرون.

والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: ليس للأرض حركةٌ حول الشَّمس ولا دورانٌ حول محورها كما زعمه الصَّوَّاف تقليدًا لفَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العصريين. وإنما هي ساكنة ومُرساةٌ بالجبال، كما دلَّت علىٰ ذلك الأدلةُ الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة، وأجمع عليه المسلمون وأهلُ الكتاب، وقد ذكرتُ ذلك مستوفىً في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك؛ ففيه أبلغ ردٍّ لما زعمه الصَّوَّاف ههنا.

الوَجْهُ الثَّانِي: أن ما قرَّره ههنا يناقض ما قرره فِي صَفْحَةِ ٥٥ من أن الأرض بعد انفصالها عن الشَّمس كانت تَدور حول نفسها بسرعةٍ أكبر مما هي عليه الآنَ، إذ كانت تتم دورانها حول نفسها مرة كل أربع ساعات، وأن الليل والنهار كانا أربعَ ساعات فقط. وبتوالي النقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدةُ الَّتي تتم فيها دورانُها، فزادت مدةُ الليل والنهار إلىٰ خمس ساعات ثمَّ إلىٰ

ستٍّ حتىٰ وصلت إلىٰ أربع وعشرين ساعة، وأن النقص في سرعة دوران الأرض يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين ألف سَنَة، وأنه بعد ٤٣٢ مليون سنة يصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة، قال: وهكذا يتوالىٰ النقص ويطرد طول اللَّيل والنهار.

وإذ عُلم أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضُه بعضًا، فليُعلم أن الأرض ساكنةٌ ثابتة كما تقدم إيضاحُه، وأن الجريان والدَّوران حول الأرض إنما هو للشَّمس والقَمَر والكَواكِب، وأن جريانها ودورانها حول الأرض يَبلغ من الانتظام والدِّقة بحيث لا يَلحقه خلَل إلىٰ يوم القيامة: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨].

* *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أما كَوكب الأرض الذي نُسميه بالقَمَر فدورانه معلومٌ مقرَّر.

والجواب عن هذا من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: ليس القَمَر بكوكب كما سمَّاه بذلك أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من العصريين، وإنما هو قمَرٌ كما سماه اللهُ بذلك في عدة مواضع من

كتابه، وسماه بذلك رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من الأحاديث الصحيحة.

ولم يَجِئْ في كتاب الله ولا عن رسولِ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسميةُ القَمَر كوكبًا، فمن سماه بذلك فقد خالف الكتاب والسُّنَّة، وكلُّ قَول خالف الكتابَ أو السُّنَّةَ فهو مردودٌ على قائله.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الله تَعالىٰ غايَرَ بين القَمَر وبين الكَواكِب في مواضع من كتابه؛ كقوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [النحل: ١٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾ [الحج: ١٨] الآية وقوله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾﴾ [الرحمن: ٥-٦]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٦-٩٧] الآية.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام: ٧٦-٧٨] الآية.

وعلىٰ هذا فمَن جَمَع بين القَمَر والكَواكِب وقال: إنه كَوكب مِن جنسها، فقد جمع بين ما فرَّق اللهُ بينه، وخالَف نُصوصَ القرآن.

الوجه الثَّالث: أن الأرض ليس لها كواكِب، وإنما الكَواكِب في السَّمَاء، وكذلك الشَّمس والقَمَر، قال الله تَعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا﴾ [الفرقان: ٦١]، وقال تَعالىٰ مخبِرًا عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ كَيۡفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٥-١٦].

ومَن زعم أن القَمَر كوكب للأرض فقوله مَردودٌ؛ لمُخالفته لنصوص القرآن.

الوجه الرَّابع: أن القَمَر قَرينُ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ، فهو قرينُها في الحُسبان والجريان والسَّبْح في الفلك، والدُّؤُوب في السَّير، والبُزوغ والأُفول، قال الله تَعالىٰ: ﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ [الرحمن: ٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦]، وقال تَعالىٰ في أربعة مواضع من القرآن: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الرعد: ٢].

وقال تَعالىٰ في موضعين من كتابه: ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]،

وقال تَعالىٰ: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام: ٧٧-٧٨].

وإذا كان القَمَرُ قرينَ الشَّمس في كتاب الله تَعالىٰ فإنه يلزم أنْ يُقالَ في الشَّمس مِثلُ ما قيل في القَمر، فمن قال: إن دورانَ القَمَر حول الأرض معلومٌ مُقرَّر؛ لَزِمَه أن يقول مثلَ ذلك في الشَّمس، وإنْ لَم يَفعل فقد فرَّق بين متماثلَين، وآمَن ببعض الكتاب وردَّ بعضَه، فليختَرِ الصَّوَّاف وأشباهُه من العصريين أيَّ الخُطَّتين شاءوا، فلا مَحيدَ لهم عن إحداهما.

* * *

فصل

وذكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٤ أن خُبَراء الفلَك يُقدِّرون أن نظامَ مَجرَّة بأسره ذلك الذي يَحتوي علىٰ ملايين من النُّجُوم يَدخل في نظام مجرَّة أخرىٰ خِلال الدَّورات الفضائيَّة، ويَخرج منه دون أن يَنشأ هناك صِدام أو خَلَل في نُظُم الدَّورات.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقالَ: ليس في السَّمَاء سوىٰ مجرَّة واحدة كما هو معلومٌ بالمشاهدة، ومَن زعم وجودَ غيرها فليس له مستندٌ سوىٰ التَّخرُّص واتِّباع الظنِّ الكاذب، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

الوَجْهُ الثَّاني: أن المجرَّة في السَّمَاء، وكذلك الكَواكِب كلها في السَّمَاء الدُّنْيا، فلو كان للمجرَّة أو لشيء من النُّجُوم نظام يدورُ عليه لكانت توابِعُها تَخترق السَّمَاءَ في حال دورانها عليها، وهذا لا يقوله عاقلٌ.

الوجه الثَّالث: أن عدَّة النُّجُوم لا يعلمها إِلَّا اللهُ تَعالىٰ، ومَن زعم أنه يعلم عدَّتها فقد كذَب، والذين زعموا أن نظامَ مَجرَّة بأسره يحتوي علىٰ ملايين الملايين من النُّجُوم ليس لهم مستندٌ سوىٰ التَّخرُّص والرَّجمِ بالغيب.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٧ وصفحة ١٠٨:

(اتساع الكون)

قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]،

يقول اللهُ سبحانه عن السَّموات: إنها سبْع، وزيادة عليها يُوجد العرش الذي وصفه بأنه عظيم، ويصف جل شأنه هذه السَّموات أنها طِباق؛ ففي سورة المُلْك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك: ٣]، وأن هذه السَّموات تتَّسِع.

هذه الآية جَمَعت عِلمًا لم يُمكن معرفتُه إِلَّا في الأعوام القليلة الماضية، وما زال العلماءُ في دراسة مُتواصلة فيه رغم أن القرآنَ قد أوضحه منذ عَشرات المئات من السنين.

إن التقدُّم الذي أحرَزه العِلمُ الفزيقي، وظهور الكُشوف العلمية الحديثة في الفَلَك قد مكَّنت العلماءَ مِن فَهم هذه السَّموات السبع والأراضي السبع.

فقد أثبت العِلمُ بأن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمُذنباتِ والنَّيازك والشُّهُب والسدم، إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالِمُ الكون.

يقول العالِم الفلَكي (أرثر فندلاي) في كتابه «علىٰ حافَّة العلم الأثيري»: إن العِلمَ أثبت أن السموات السبعَ هي أفضية مُنسابة يَتبعثر خلالها ويَرتد ضوء الشموس السَّبع الأثيرية الَّتي تُحيط بالشَّمس الفزيقية مِن كل جانب، وأكَّد أن الأراضي السبع هي كُرات أثيرية تُحيط بالكُرة الأرضية وتتخلَّلُها.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنَّ ما زَعَمه مِن اتساع الكَون وأن السموات تتَّسع، فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة، وإنما يَعتمد أهلُه علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون

الكاذبة، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم: ٢٨].

الوَجْهُ الثَّاني: أن الآية مِن سورة الذاريات ليس فيها دليلٌ علىٰ ما زعمه مِن كون السموات تتَّسع إلىٰ الآن، وإنما دلَّت علىٰ أن الله تَعالىٰ حين خَلق السمواتِ جَعلها واسعةً.

قال ابنُ كثير علىٰ قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]: «أي: قد وَسَّعنا أرجاءها ورفَعْناها بغير عَمَد حتىٰ استقلَّت كما هي»[(١)].

وقال ابنُ جَرير[(٢)]: **يقول**: لَذُو سَعَةٍ بخَلْقِها وخَلْق ما شِئْنا أنْ نَخلُقَه وقُدرةٍ عليه، ومنه قوله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يُراد به القَوي. ثمَّ روىٰ عن ابن زَيد[(٣)] أنه قال في قوله: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال: أَوسعها جَلَّ جَلَالُهُ[(٤)].

وذكر البَغوي عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في قولِه تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادرون.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧/ ٤٢٤).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ٥٤٦).

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم القرشي العدوي مولاهم، المدني، روىٰ عن أبيه، وغيره، وروىٰ عنه وكيع، وجماعة. ضعيف، من الثامنة، مات سنة (١٨٢)، انظر: «تهذيب الكمال» (١٧/ ١١٤)، و«التقريب» (٣٨٦٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢١/ ٥٤٦) عن ابن زيد به.

وعنه -**أَيْضًا**-: لمُوسِعون الرِّزق علىٰ خلقنا. وقيل: ذُو سَعَةٍ. وقال الضَّحَّاك: أَغْنياء. دليله قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦]، وقال الحسن: لمُطيقُون(١).

وقال القُرطبي: «**قال ابنُ عبَّاس** رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لقَادِرون، وقيل: وإنا لَذُو سَعةٍ بخَلقها وخلْقِ غيرها، لا يَضيع علينا شيء نُريده، وقيل: وإنا لمُوسعون الرِّزق علىٰ خَلْقنا. عن ابن عباس. الحَسن: وإنا لمُطيقون. وعنه -أَيْضًا-: وإنا لمُوسعون الرِّزق بالمطر. وقال الضحاك: أغنيْناهم. دليله: ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ .

وقال القُتبي: ذو سَعة علىٰ خلقنا. والمعنىٰ متقارب. وقيل: جَعلنا بينها وبين الأرض سعة. الجوهري: وأَوسع الرجل، أي: صار ذا سَعةٍ وغِنًىٰ، ومنه قوله تَعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] أي: أغنياء قادرون، فشَمل جميع الأقوال»(٢). انْتهىٰ كلام القرطبي.

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»(٣) عند قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: «أي: بِنَاءها؛ فالجُملة حالية، أي: بنَيناها موسعوها، كقوله: جاء زَيد وأنه لمُسرع، أي: مُسرِعًا، فهي بحيث أن الأرض وما يُحيط بها من الماء والهواء كالنقطة وسَط الدائرة، وقال ابنُ زيد قريبًا مِن هذا، وهو أن الوسع راجع إلىٰ السَّمَاء، وقيل:

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٧/ ٥٢).

(٣) (٩/ ٥٦٠).

لمُوسعون قوَّة وقدرة، أي: لقادرون، مِن الوُسع وهو الطَّاقة. وقال الحسَن: أوسع الرِّزق بالمطر والماء». انْتَهىٰ.

فهذه أقوالُ السلف في تفسير الآيَة، وهم أعلمُ بكتاب الله مِن جَهَلة العصريِّين الذين يتأوَّلون القرآنَ علىٰ غير تأويلِهِ، ويَحملونه علىٰ ما يُوافِق آراءَ الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ أخبر في عدَّة آيات من القرآن أنه خَلق السموات والأرض في ستَّة أيام، وفيها أوضَحُ دليلٍ علىٰ أن الله تَعالىٰ أتمَّ خلق السموات وفرَغ منهن في تلك الأيام السِّتة، وفي ذلك ردٌّ علىٰ مَن زَعم أن السموات لا تَزال تتَّسِع.

ويزيد ذلك إيضاحًا قولُ الله تَعالىٰ في سورة (حم السجدة): ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢].

قال الإمامُ أبو جعفر ابنُ جرير -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في «تفسيره»(١): «يقول تَعالىٰ ذِكرُه: ففَرغ مِن خَلقهن سبعَ سموات في يومين، وذلك يوم الخَميس ويوم الجمعة». ثمَّ روىٰ بإسناده عن السُّدِّي قال: استوىٰ إلىٰ الماء وهي دخان مِن تَنفُّس الماء حين تنفَّس، فجَعَلها سماءً واحدة، ثمَّ فتقَها فجعلها سبعَ سمَوات في يومين في الخميس والجمعة، وإنما سمِّي يوم الجمعة؛ لأنه جمَع فيه خلق

---

(١) (٢٠/ ٣٩٢).

السموات والأرض[١].

قال ابنُ جرير: وبنحو الذي قُلنا في ذلك قال أهل التأويل. ثمَّ ذكر في ذلك آثارًا كثيرة، فمن أراد الوقوفَ عليها فليراجعها في «تفسيره»[٢].

وقال البغوي[٣] **في قوله تَعالىٰ**: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي﴾ أي: أتمَّهن، وفرغ من خلقهن.

وقال القُرطبي في «تفسيره»[٤]: قوله تَعالىٰ: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ أي: أكمَلَهن وفرَغ منهن. وقيل: أَحْكَمَهُنَّ.

قلت: ولا مُنافاةَ بين القولين؛ فإنه تَعالىٰ أحكمَهن وفرَغ منهن.

ومَن زعم أن السموات لا تَزال تتَّسع، فقد زعم أن خلق السَّموات لم يَكمُل إلىٰ الآنَ، وذلك تكذيبٌ لِمَا أخبر اللهُ به في هذه الآية الكريمة وفي غيرها من الآيات الَّتي أشرتُ إليها آنِفًا.

الوجه الرَّابع: أنه قد ثبت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من عدَّة أوجُه أنه قال: «بينَ السَّمَاء والأرضِ مَسيرَةُ خَمسِمائةِ سَنَة» وزاد في بعض الروايات: «ومِن كلِّ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٠/ ٣٩٣).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ١٦٦).

(٤) (١٥/ ٣٤٥).

سماء إلىٰ سَماء مَسيرةُ خَمسمائة سنَة، وكِثَفُ كلِّ سَماء مَسيرَةُ خَمسمِائة سَنَة»، وقد ذكرتُ هذه الأحاديثَ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة» مع الأدلة علىٰ ثبات الأرض، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وتحديدُ المَسافة الَّتي بين السَّمَاء والأرض، ومِن كل سماءٍ إلىٰ سماء بخمسمائة، وتَحدِيد كِثَف كل سماء بمِثل ذلك -أَيْضًا- يدلُّ علىٰ أن السمواتِ لا تَزال علىٰ ما كانت عليه مُنذ خلقها الله تَعالىٰ إلىٰ أن تَقومَ السَّاعة، وأن ما بين كلِّ سماء إلىٰ سماء وما بين السَّمَاء والأرض لا يَزالُ علىٰ ما كان عليه منذ خَلقه اللهُ إلىٰ أن تَقومَ السَّاعة، ولو كانت السَّموات تتَّسع -كما زعمه فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْريين- لكانت المسافةُ الَّتي بين السَّمَاء والأرض ومِن كل سماء إلىٰ سماء تتغيَّر علىٰ ممَرِّ الأزمان، وكان كِثَفُ كل سماء يَزيد إلىٰ يوم القيامة. وهذا ظاهرٌ علىٰ ممَرِّ الأزمان لمُعارضته لمَدلول الأحاديث الَّتي ذكرنا، وَاللهُ أَعْلَمُ.

الوجه الخامِسُ: أن القولَ في القرآنِ بمُجرَّد الرأي حرامٌ شَديدُ التَّحريم. وقد ورد الوعيدُ الشَّديد علىٰ ذلك، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمدُ والترمذي وابن جرير والبَغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ في القُرآنِ بِرَأْيِهِ أَو بِمَا لا يَعلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعدَه مِن**

النَّار» هذا لفظ ابنِ جَرير، وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسن صحيح[(١)].

وإذا كان هذا الوعيدُ الشَّديدُ لمَن قال في القرآن برأْيِه فكيف بمَن قال فيه بآراء فَلاسِفَة الإفرنج وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، كما فعلَه الصَّوَّاف في هذا المَوضع وفي عدة مواضع من رسالته؟!

الوجه السَّادس: أن القرآن مُنَزَّهٌ عما حَمله الصَّوَّاف عليه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنوهم الكاذبة، وما قَدَر اللهَ حقَّ قَدره مَن جعل كلامَ الله مَلعبَةً له يتأوَّله علىٰ غير تأويله، ويحمله علىٰ تَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة.

الوجه السَّابع: أنْ يُقالَ: مِن أعظم الإزراءِ بالسَّلف الصَّالح من الصَّحَابَة والتَّابعين وأئمَّة العِلْم والهُدىٰ مِن بعدهم ما زَعمه الصَّوَّاف في الآيات الَّتي تقدَّم ذِكرُها في أول الفصل، أنها جَمعَت عِلمًا لم يكن معرفته إلَّا في الأعوام القليلة الماضية، رغم أن القرآنَ قد أوضحه منذ عَشرات المئات من السنين.

وهذا العِلمُ الذي أشار إليه هو ما ذَكره عن الجهل الفِزيقي والكُشوف الجهلية الحديثة في الفلَك، وما قاله الجاهل (أرثر فندلاي). وقد جمَع الصَّوَّاف في هذا الموضع بين أَمرين عظيمين:

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

أحدُهما: القولُ في القرآن بغير علم.

والثَّاني: الغَضُّ مِن الصَّحَابَة والتَّابعين وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، حيث زعم أن القرآنَ قد أوضح شيئًا مِن العِلم ولم يُمكِنهم أن يَعرفوه، وعَرَفه فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعُهم من العصْرِيِّين.

والصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجَلُّ قَدرًا مِن أن يَجهَلوا شيئًا مما أوضحه القرآن. وكذلك التَّابعون وأئمة العِلم والهدىٰ من بعدهم.

وقد قال عبدُ الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: (مَن كان مُستَنًّا فليستَنَّ بمَن قد مات، أولئك أصحابُ مُحمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا خيرَ هذه الأمة، أبرَّهَا قُلوبًا، وأَعمقَها عِلمًا، وأقلَّها تكَلُّفًا، قوم اختارهم اللهُ لصُحبة نبيِّه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ونَقْلِ دِينه، فتَشبَّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم أصحابُ مُحمَّد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، كانوا علىٰ الهُدىٰ المُستقيم واللهِ رَبِّ الكعبة)، رواه أبو نُعيم في «الحِلْيَة».

وروىٰ رَزين عن عبدِ الله بن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحوَه.

وإذا كان الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أعمقَ هذه الأمة عِلمًا فمُحالٌ أن يُوضِّح القرآنُ شَيئًا ولا تُمكِنُهم مَعرِفتُه.

وقد قال ابنُ مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (كان الرَّجلُ مِنَّا إذا تعلَّم عَشرَ آيات لم يُجاوزهنَّ حتىٰ يَعرِف معانيهن والعَمل بهن)، رواه ابنُ جرير بإسناد صحيح.

وفي «الصحيحين» عن مَسروق قال: قال عبدُ الله -يعني ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-: (واللهِ الذي لا إلهَ غيرُه، ما مِن كتاب الله سورة إِلَّا أنا أعلَمُ حيث نزلت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيما نزلت).

ورواه ابنُ جَرير ولفظه: قال عبدُ الله: (والذي لا إلهَ غيره، ما نَزلت آية في كتاب الله إِلَّا وأنا أعلمُ فِيمَ نزلت، وأين أُنزلت).

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال تَعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وأوَّل المَعنيِّين بهذه الآيات هم الصَّحابَة رضوان الله عليهم أجمعين؛ فقد علَّمهم النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الكتابَ والحِكمة، وبيَّن لهم ما نزَل إليهم، حتىٰ تَركهم علىٰ المَحجَّة البيضاء ليلها كنهارها، كما في الحديث الذي رواه ابنُ ماجَهْ: عن أبي الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وايْمُ اللهِ، لقد تَركْتُكُم علىٰ مثْلِ البيضَاء، لَيلُها ونَهارُها سَواء» قال أبو الدرداء: صدَق والله رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، تَركنا والله علىٰ مِثل البيضاء ليلها ونهارُها سواء.

وروىٰ الإمام أحمدُ وابن ماجَهْ والحاكم في «مستدركه» عن العِرباض بن

سارية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «قد تَركْتُكُم علىٰ البَيضاءِ، لَيلُها كَنهارِها، لا يَزيغُ عنها بَعْدي إلَّا هالِكٌ». ورواه ابنُ أبي عاصم في كتاب «السُّنَّة» بنحوه. قال المُنذري: وإسنادُه حَسَن.

وروىٰ الإمامُ أحمد -أَيْضًا- والطبراني عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لقد تَركَنا رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وما يُحرِّك طائرٌ جناحَيه في السَّمَاء إلَّا ذَكر لنا منه عِلمًا». قال الهيثمي: رجالُ الطبراني رجال الصحيح غير مُحمَّد بن عبد الله بن يزيد المقري وهو ثقة(١).

وإذا عُلم ما ذكَرنا فمُحال أن يوضِّح القرآنُ شيئًا ولا يَعرِفُه الصَّحَابَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

فأما الجَهالات والضَّلالات الَّتي أحرَزَها الجهلُ الفِزيقي والكُشوف الجهليَّة في الفلَك وما أشبه ذلك مِن زُخرف القول الذي تُوحيه الشياطينُ إلىٰ أوليائهم من الإنس، فالصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أجلُّ قَدرًا من أن يتعلَّقوا بشيء من ذلك، أو يَرُوج عندهم، وإنما يَرُوجُ ذلك عند جُهَّال العَصْرِيِّين الذين اسْتَزَلَّهُم الشَّيطانُ وأغواهم وفَتَنهم بتقليد أعداء اللهِ، وقَبولِ آرائهم الفاسدة وظنونهم الكاذبة.

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٥٥) (١٦٤٧)، وغيرهما من طرق عن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٦٤)، وقال الأرنؤوط: «حديث حسن».

وقد قال شيخ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّة -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في كتابه «نقض المنطق»: «مِن المَعلوم مِن حيث الجُملةُ أن الفَلاسِفَة والمتكلِّمين من أعظم بني آدم حشْوًا وقولًا للباطل وتكذيبًا للحق في مسائلهم ودلائلهم، لا يكاد -وَاللهُ أَعْلَمُ- تَخلو لهم مسألةٌ واحدة عن ذلك»[(١)].

وقال[(٢)] **-أَيْضًا- في الكتاب المذكور:** «إذا تدبَّر المؤمِنُ العليمُ سائرَ مَقالات الفَلاسِفَة وغيرهم مِن الأُمَم الَّتي فيها ضَلالٌ وكُفر وَجَد القُرْآن والسُّنَّة كاشِفَين لأحوالِهم، مُبَيِّنَين لِحَقِّهم، مُمَيِّزَيْن بين حقِّ ذلك وباطِلِه.

والصَّحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا أعلمَ الخلق بذلك، كما كانوا أقومَ الخلق بجهاد الكفار والمنافقين، كما قال فيهم عبد الله بنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (مَن كان منكم مُستَنًّا فليسْتَنَّ بمن قد مات؛ فإن الحيَّ لا تُؤمَن عليه الفتنة، أولئك أصحابُ مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا أبرَّ هذه الأمَّة قُلوبًا، وأَعمَقَها عِلمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قوم اختارهم الله لصُحبة نبيه، وإقامةِ دِينه، فاعرفوا لهم حقَّهم، وتمسَّكوا بهدْيِهم، فإنهم كانوا علىٰ الهُدىٰ المستقيم).

فأخبَر عنهم بكَمال برِّ القُلوب مع كمال عُمْق العِلْم، وهذا قليلٌ في المتأخرين - إلىٰ أن قال: وأهلُ التَّعمُّق في العِلم قد يُدركون من معرفة الشُّرور

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٢٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٧).

والشُّبهات ما يُوقعهم في أنواع الغَيِّ والضلالات، وأصحاب مُحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا أبرَّ الخلق قلوبًا، وأعمقَهم عِلمًا.

ثم أكثر المُتعمِّقين في العِلم من المتأخرين يَقترن بتعمقهم التَّكلُّف المذموم، وهو القولُ والعمل بلا عِلم، وطلب ما لا يُدرَك. وأصحاب مُحمَّد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا -مع أنهم أكمل الناس عِلمًا نافعًا وعملًا صالحًا- أقلَّ الناس تَكلُّفًا؛ يَصدر عن أحدهم الكلمةُ والكلمتان من الحِكمة أو مِن المَعارف ما يهدي اللهُ بها أُمَّة. وتجد غيرَهم يَحشون الأوراق مِن التكلُّفات والشَّطحات ما هو من أعظم الفُضول المبتدَعَة والآراء المُختَرَعة، لم يكن لهم في ذلك سلف إلَّا رُعونات النفوس المتلقاة ممن ساء قصدُه في الدين.

ويُروىٰ أن الله سبحانه قال للمَسيح: إني سَأخلُق أُمَّةً أُفضِّلُها علىٰ كلِّ أُمَّة، وليس لها عِلمٌ ولا حِلْم، فقال المَسيح: أيْ ربِّ، كيف تُفضِّلُهم علىٰ جميع الأُمَم وليس لهم عِلم ولا حِلم؟ قال: أَهَبُهم مِن عِلمي وحِلْمي.

وهذا مِن خَواصِّ مُتابعة الرسول، فأيهم كان له أتْبَعَ كان في ذلك أكْمَل، كما قال تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢٨ لِّئَلَّا يَعۡلَمَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَلَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

وكذلك في «الصحيحين» مِن حديث أبي موسىٰ وعبدِ الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: «مَثلُنا ومَثَلُ الأُمَم قَبلَنا كالذي استَأْجَرَ أُجرَاء فقال: مَن يَعمَل إلىٰ نِصف النَّهار علىٰ قِيراطٍ قِيراط؟ فعَمِلت اليهودُ، ثمَّ قال: مَن يَعمل لي إلىٰ صلاةِ العَصر علىٰ قيراطٍ قيراط؟ فعَملت النَّصارىٰ، ثمَّ قال: مَن يَعمل لي إلىٰ غُروب الشَّمس علىٰ قيراطين قيراطين؟ فعَمِل المسلمون، فغَضِبت اليهودُ والنصارىٰ وقالوا: نحن أكثَرُ عَملًا وأقلُّ أجْرًا، قال: فهَل ظَلَمتُكُم مِن حَقِّكم شَيئًا؟ قالوا: لا، قال: فهو فَضْلي أُوتِيه مَن أشَاء»(١).

فدل الكتاب والسُّنَّة علىٰ أن الله يُؤتي أتباع هذا الرَّسول مِن فَضْله ما لم يُؤته لأهل الكتابَين قبلهم، فكيف بمَن هو دُونهم من الصَّائبة، دَعْ مُبتَدِعَةَ الصَّائبة من المُتفلسفة ونحوهم؟!

ومِن المَعلوم أن أهل الحَديث والسُّنَّة أخَصُّ بالرَّسول وأتباعه، فلهم مِن فَضْل الله وتَخصيصه إيَّاهم بالعِلم والحِلْم وتَضعيف الأجر ما ليس لغيرهم، كما قال بعضُ السَّلف: أهلُ السُّنَّة في الإسلام كأهل الإسلام في المِلَل.

فهذا الكلامُ تَنبيهٌ علىٰ ما يظنُّه أهلُ الجهالة والضلالة مِن نَقص الصَّحابَة في العِلم والبَيان أو اليد والسِّنان.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥٨)، وغيره من حديث أبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وأخرجه أيضًا (٢٢٦٨)، وغيره من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. ولم أقف عليه عند مسلم.

والمَقصودُ التَّنبيهُ علىٰ أن كلَّ مَن زعم بلسانِ حالِه أو مَقاله، أن طائفَة غير أهل الحديث أَدركوا مِن حقائق الأمور الباطنة الغَيبية في أمرِ الخلق والبَعث والمَبدأ والمَعاد، وأمرِ الإيمان بالله واليوم الآخِر، وتَعرف واجِب الوجُود، والنَّفس الناطقة والعلوم والأخلاق الَّتي تَزكو بها النفوس وتَصلح وتَكمُل دون أهلِ الحديث - فهو إن كان منَ المؤمنين بالرُّسل فهو جاهلٌ، فيه شُعبةٌ قويَّة من شُعَب النِّفاق، وإلا فهو مُنافِقٌ خالِصٌ مِن الذين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة: ١٣]، وقد يكون من: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورىٰ: ١٦].

وقد يُبين ذلك بالقياس العَقلي الصحيح الذي لا رَيب فيه، وإن كان ذلك ظاهرًا بالفِطرة لكل سليم الفطرة، فإنه متىٰ كان الرسولُ أكملَ الخلق وأعلمَهم بالحقائق وأقومَهم قولًا وحالًا لَزِم أن يكون أعلمُ الناس به أعلمَ الخلق بذلك، وأن يكونَ أعظمهم موافقةً له واقتداءً به أفضل الخلق.

إلىٰ أن قال: فإذا كان الرسولُ أعلمَ الخلق بالحقائق الخَبريَّة والطَّلبيَّة، وأحبَّ الخَلقِ للتَّعليم والهداية والإفادَة، وأقدَرَ الخلقِ علىٰ البيان والعبارة، امتنع أن يكونَ مَن هو دونه أفادَ خواصَّه معرفةَ الحقائق أعظمَ مما أفادها الرسولُ لخواصِّه، فامتنع أن يكون عند أحدٍ مِن الطوائف من معرفةِ الحقائق ما ليس عند علماء الحَديث». انْتَهىٰ المقصود من كلامه ملخَّصًا.

الوجه الثَّامن: أن الصَّوَّاف صدَّر كلامَه في هذا الموضع بعنوان (اتِّساع الكون)، ثمَّ أورد الآياتِ الثلاث من سورة المؤمنين وسورة الذاريات وسورة المُلك، ثمَّ عقَّبَ ذلك بما أحرَزَه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثَة في الفَلَك من أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنباتِ والنيازكَ والشُّهب والسدم إنما هي سمواتٌ فوق سموات تتألَّف منها عوالِمُ الكون، وما قاله الجاهلُ الفلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات السبع أفضِية مُناسبة، وأن الأرضين السبع كُرات أثيرية تُحيط بالكرة الأرضية وتتخلَّلُها.

وهذا ظاهرٌ في حَمله الآيات الثلاث علىٰ ما ذكره بعدها، وجَعله كالتفسير لها، وذلك مِن تأويل الآيات علىٰ غير تأويلها.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين فهو مُفْتَرٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مواضِعه». انْتَهىٰ[1].

الوجه التَّاسع: أن الله تَعالىٰ نصَّ في تِسعةِ مَواضعَ مِن القرآن علىٰ أن السموات سَبع فقط. وأخبر في سورة المُلك وسورة نوح أنها طِباق، أي: بعضها فوق بعض. وقال في سورة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون: ١٧] أي: بعضها فوق بعض، كما قاله غيرُ واحد من

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

المفسرين وأئمة اللغة.

وأخبر تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه جَعل في السَّمَاء سِراجًا -وهي الشَّمس- وقَمرًا مُنيرًا. وأخبر -أَيْضًا- أنه زيَّن السَّمَاء الدُّنْيا بالكَواكِب. وأخبر -أَيْضًا- أن السَّماء مُلِئت حرَسًا شَديدًا وشُهُبًا. وفي هذه النصوص وما فيه من التَّفريق بين السموات وبين ما جعله الله فيها من السِّراج والقَمَر والزِّينة الَّتي هي النُّجُوم، وما مُلئت به من الحرس والشُّهب أعظمُ رَدٍّ علىٰ ما فهِمَه أهل الجهلِ الفزيقي والكشوف الجهلية مِن أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات، تتألَّف منها عوالِمُ الكون.

الوجه العاشر: أن ما أحرَزَه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية وما أثبته جَهلهم يقتضي أن تكون السموات كثيرة جدًّا، بحيث لا يَحصرها عِلم البَشر، وفي هذا أعظمُ مُعارضة للقرآن والأحاديث الصَّحيحة الدَّالة علىٰ أن السموات سبع فقط. وقد ذكرتُ جُملة منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وفيه -أَيْضًا- مُعارضة لإجماع أهل السُّنَّة علىٰ أن السموات سبع طبقات. وقد ذكرتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك. وما عارَض نُصوصَ القرآن والأحاديث الصحيحة وإجماع أهل السُّنة فمضروبٌ به عرضَ الحائط، ومَردود علىٰ قائله كائنًا مَن كان.

الوجه الحادي عشر: أن كلام الصَّوَّاف يَنقض بعضُه بعضًا؛ فقد قال في

الكلام علىٰ الآية من سورة المؤمنين ما نَصُّه: (يقول الله سبحانه عن السموات: إنها سبع، وزيادة عليها يُوجد العرش الذي وصفه بأنه عظيم، ويصف جل شأنه هذه السَّموات أنها طباق) ثمَّ ذكر بعد ذلك أن العِلم أثبت أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالمُ الكون.

وهذا من أقبح التناقض؛ لأنه قد قرَّر أن السموات سبع كما نطقت به الآية الكريمة. ثمَّ ذكر ما يَقتضي كثرةَ عدد السموات، وأن عدتها لا تَنحصر في سبع، بل ولا سبعين ولا سبعمائة ولا سبعة آلاف، ومثل هذا التَّناقض لا يَصدُر من رجل عاقل أبدًا.

الوجه الثَّاني عشر: أن إيرادَ الصَّوَّاف لِمَا أحرزه الجهلُ الفزيقي والكشوف الجهلية الحديثة في الفلك، وما أثبته جَهلُهم من أن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم إنما هي سموات فوق سموات تتألَّف منها عوالمُ الكون، وإيراده -أَيْضًا- لما قاله الجاهل الفلكي «أرثر فندلاي» مِن أن الجهل أثبت أن السموات السَّبع أفضية مناسبة، وتقريره لهذه الأقوال الباطلة يَقتضي تكذيب ما أخبر اللهُ به في كتابه من كون السموات سبعًا وكونهن شِدادًا.

ويقتضي -أَيْضًا- تكذيبَ ما أخبر به رسولُ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كون السموات سبعًا كِثَفُ كل سماء منهن خمسمائة سَنَة. بل هذا في الحقيقة إنكار

لوجود السموات الَّتي نصَّ اللهُ عليها في مواضع كثيرة من القرآن، ونصَّ عليها رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في كثير من الأحاديث الصحيحة، وأخبر أنه عُرج به إليها، فلم يَدخل سماء منها هو وجبريل إلَّا بعد الاستفتاح وفَتْح الباب لهما.

وإذا كانت السمواتُ السبعُ عند أهل الجهل الفزيقي والكشوف الجهلية ومَن يُقلِّدُهم ويَحذو حَذوَهم من جهَّال العَصْرِيِّين هي الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، فإنه يلزمُ علىٰ قولهم أن يكون النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عُرج به إلىٰ الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، ورأىٰ فيها آدمَ وإبراهيم وموسىٰ وهارون وإدريس ويوسفَ ويحيىٰ وعيسىٰ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. وهذا لا يقولُه مُسلم، ومع هذا فقد أدخله الصَّوَّاف في عِلم الفلك الذي نسبه إلىٰ المسلمين. وهذا مِن أكبر الخطأ وأعظم الفِرية علىٰ المسلمين.

الوجه الثَّالث عشر: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ [النبأ: ١٢].

وروىٰ الإمام أحمدُ وغيره من حديث العبَّاس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «وكِثَفُ كل سماءٍ مَسيرةُ خَمسِمِائةِ سَنَة»(١)،

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٦) (١٧٧٠)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢١٠)، وضعفه الأرناؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

وفي هذا النص مع نصِّ الآية الكريمة أبلغ رَدٍّ علىٰ ما زعمه الجاهل الفلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات أفضية مناسبة... إلىٰ آخر كلامه.

الوجه الرَّابع عشر: أنه ليس في السَّمَاء سوىٰ شَمس واحدة، كما هو معلوم بالمشاهدة ومَنصوصٌ عليه في مواضعَ كثيرة من القرآن والأحاديث الصَّحيحة، وقد ذكرتُ الأدلةَ علىٰ ذلك مستوفاة في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، وذكرتُ جملةً منها في مواضع من هذا الكتاب، فلتُراجَع هنا وهناك، ومَن زعم أن في السَّمَاء شُموسًا متعددة فهو من أكذب الكاذبين.

الوجه الخامس عشر: أن كل ما ذكره الصَّوَّاف عن الجاهل الفَلكي «أرثر فندلاي» من أن السموات أفضية مناسبة، وأن هناك شُموسًا سَبعًا أثيرية، وأن الأرضين السبع كرات أثيرية تُحيط بالكرة الأرضية وتتخلَّلها فكلُّه هَوَس وهذيان مردودٌ بالنصوص الدالَّة علىٰ أن السموات شِدادٌ، وأن كِثَف كل سماء خمسمائة سنة، وأنه ليس في السَّمَاء سوىٰ شَمس واحدة، وأن الأرضين ليست بالأثير، أي: الهواء الذي هو فوق الأرض، أو يتخلَّلها، وإنما هي أجرامٌ صُلبة كما هو مشاهَد مِن أعلاها الذي نحن ساكنون عليه.

وكما يدل عليه قولُ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَن أَخَذ مِن الأَرْضِ شَيئًا بغَيرِ حَقِّه خُسِفَ به يومَ القيامة إلىٰ سَبْع أَرضين» رواه الإمامُ أحمد والبخاري من

حديث عبدِ الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(١).

والخَسْف لا يَكون في الهواء ولا إلىٰ الجهة الفوقيَّة، وإنما يكون في المَواضع الصُّلبة، وفيما هو تحت المَخسوف به.

وفي قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خُسِف به إلىٰ سبع أرضِين**» دليلٌ علىٰ أن الأرضين بعضهن فوق بعض، وأعلاهُنَّ ما نحن ساكنون عليه.

* * *

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ١٠٨ ساق الصَّوَّاف كلامًا للفلكي «سيمون نيوك» صوَّر فيه صورة العالَم وحَجم الأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم السَّيَّارة وأبعادها، وما بينَها وبين النُّجُوم الثَّوابت مِن البُعد العظيم علىٰ حدِّ زعمه الكاذب، وما بَين النُّجُوم الثَّوابت -أَيْضًا- مِن البُعد الشاسع بالنِّسبة إلىٰ العالَم الذي تصوَّره بعقله الفاسد. وهذا التصوير لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة، وإنما هو مَبنِيٌّ علىٰ التَّخرُّص واتباع الظن الكاذب. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾ [الذاريات: ١٠-١١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٩٩)، والبخاري (٢٤٥٤)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

ولا يَغترُّ بمثل هذا الهذيان ويُصغي إليه إِلَّا جاهلٌ قد أعمىٰ اللهُ بَصيرَته.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٩ ما نَصُّه:

ولعلَّ أدَقَّ وَصْف للأرض بالنسبة للكَون هو أنها هَباءة دقيقة لا تُرىٰ إِلَّا بالمِجهر في هذا الفضاء الفلكي الواسع بالنسبة إلىٰ الأجرام السَّماوية المتناثرة في أنحاء الكون.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا قولٌ باطل مَردود، وقد نبَّهتُ علىٰ بطلانه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١٠٩ ما نَصُّه:

هذا وقد أثبَتَت الأبحاثُ الأخيرة أن حَجم الكون أخَذ في الزيادة والاتساع شيئًا فشيئًا، وكلما ازداد حجمُه ازدادت المسافةُ بين أجرامه. فسبحان أعلم العلماء، وما أعظمَ صِدقَ القرآن، وهو يقرِّر هذه الحقيقة العلميةَ قبل أن تُعرف،

وهي أن السَّمَاء في اتساع دائم: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

والجواب أن يقال، أما زَعمُه أن حجم الكون أخذ في الزِّيادة والاتساع شيئًا فشيئًا، وكلما ازداد حجمه ازدادت المسافةُ بين أجرامه فهو قولٌ لا دليلَ عليه من كتاب ولا سُنَّة ولا معقول صحيح، وما ليس عليه دليلٌ فليس عليه تعويل.

وأَيْضًا، فالأمور الغيبيَّة لا يُمكن الوصول إلىٰ عِلمها بالأبحاث الَّتي هي التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة علىٰ الحَقيقة، وإنما تُعلَم من طريق الوحي، وقد انقطع الوحيُ بموت النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦].

وتأويل الصَّوَّاف للآية من سورة الذاريات علىٰ ما زعمه من الاتساع الدائم لم يُؤثَر عن أحدٍ من المفسِّرين، وإنما هو من تحريفِ الكَلِم عن مواضعه، وقد ذكرتُ الرَّدَّ عليه وكلامَ المُفسِّرين علىٰ الآية في أوَّل الفصل الذي قبل هذا الفَصل بفَصْلَين، فليُراجع.

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القُرآنَ والحَديث وتأوَّله علىٰ غير التَّفسير المَعروف عن الصَّحابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مواضعه». انْتَهىٰ(١).

وَأمَّا قولُه: فسبحان أعلم العلماء.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذه العبارة لم يَنطِق بها كتابٌ ولا سُنَّة، ولم تُؤثَر عن أحدٍ مِن السَّلف الصَّالح ولا مَن بَعدَهم من علماء المُسلمين، ولم أَرَهَا لأحدٍ قبل الصَّوَّاف.

والذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة أنهم لا يَصِفون اللهَ إلَّا بما وصَف به نفسَه أو وصفه به رسولُه صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، ولم يكونوا يَبتَدِعون في صفاتِ الرَّبِّ ألفاظًا لم تَرِد في الكتاب ولا في السُّنَّة. فمَن سَلَك سبيلَهم فهو منهم، ومن حادَ عن سبيلهم وسلك سبُلَ أهل البدع فهو منهم. ولقد أحسَن الرَّاجز حيث يقول:

وكُلُّ خَيرٍ في اتِّباع مَن سَلَف ... وكل شَرٍّ في ابتداع مَن خَلَف

* * *

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

فصل

وَفِي صَفْحَةِ ١١١ وصفحة ١١٢ ذكر الصَّوَّاف المُعلِّقين على محاضرته والمَادِحين له، ومنهم مُحمَّد زكي المحاسني، وذكر من قوله:

لا تسألُوا عن صُوفِهِ أو قُطنِه ... فمِن الصَّفاء دَعَوْه بالصَّوَّاف

هُو في الأئمَّة بين سادَةِ مَكَّةَ ... أهل التُّقىٰ والعِلْم والإنْصَاف

ثم قال:

قُطنًا لَبِستَ أو ارْتَديتَ الصُّوفَا ... فلقد وَجدْتُك بالهُدىٰ مَوصُوفَا

وإذا المَنابرُ بالرِّجال تَلألأت ... عرفت لسَانك بالمقال عَفيفَا

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أن إيرادَ الصَّوَّاف لهذه الأبيات في رسالته مِن تَزكية النَّفس، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

قال البَغوي[1] عند قوله تَعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ﴾: «قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا تَمدَحُوها. وقال الحسن: عَلِم اللهُ مِن كل نفسٍ ما هي صانعة،

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٤١٣).

وإلىٰ ما هي صائرةٌ، فلا تُزكُّوا أنفُسَكم، فلا تبرئوها مِن الآثام، ولا تَمدحوها بحُسْن أعمالها».

وفي «صحيح مسلم»[(١)] عن زَينب بنت أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سُمِّيت بَرَّة، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزَكُّوا أَنفُسَكم، اللهُ أَعلَمُ بأَهلِ البِرِّ مِنكُم».

الوَجْهُ الثَّاني: أن النَّبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَرِه المَدحَ وأنكر علىٰ المدَّاحين، وأمَر أن يُحثَىٰ في وجوههم التُّرابُ، كما في الحديث الذي رواه الإمامُ أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجَهْ: عن أبي بَكرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مَدَح رجلٌ رَجلًا عند النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ويْلَكَ! قَطعتَ عُنُقَ صَاحِبك -مِرارًا- إذا كانَ أَحدُكم مادِحًا صَاحِبَه لا مَحالَةَ فلْيَقُل: أَحسبُ فُلانًا واللهُ حَسيبُه، ولا أُزكِّي علىٰ الله أحدًا، أَحسبه كَذا وكذا إن كان يَعلَم ذلك»[(٢)].

وروىٰ مسلم -أَيْضًا- عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمِع النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجُلًا يُثني علىٰ رجُل ويطريه في المدحة، فقال: «لقَد أَهلَكْتُم -أو قَطَعتُم- ظَهرَ الرَّجُلِ»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٤٢)، وغيره من حديث زينب بنت أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤١)، والبخاري (٢٦٦٢)، ومسلم (٣٠٠٠)، وأبو داود (٤٨٠٥)، وابن ماجه (٣٧٤٤)، وغيرهم من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٣٠٠١)، وغيره عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروىٰ الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والتِّرمذي وابن ماجَهْ عن همام بن الحارث قال: جاء رجلٌ إلىٰ عثمان، فأثنىٰ عليه في وَجْهه، قال: فجعل المِقدادَ بن الأسود يَحثُو في وَجْهه التُّراب، ويقول: «أَمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا لقِينا المدَّاحين أن نَحثُو في وجوههم التُّراب». قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وقد رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» مِن حديث همَّام بن الحارث قال: كنَّا جُلوسًا في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فجاء قومٌ يثنون علىٰ عثمان ويَمدحونه، والمِقدادُ في ناحيةِ المسجد، فلمَّا سَمِعَهم يمدحونه قام فتناول الحَصَا، فجعل يَحثو في وجوههم، فقال عثمان: ما هذا؟ قال: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذَا رَأيتُم المَدَّاحِين فاحْثُو في وُجُوهِم -أو قال: في أفواههم- التُّرابَ -أو قال: الحَصَا-»(١).

وقال الإمام أحمد في «مسنده»: حدثنا سفيانُ عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد أن سعيد بن العاص بعَثَ وَفدًا مِن العراق إلىٰ عثمان، فجاءوا يُثنون عليه، فجعل المقدادُ يَحثو في وجوههم التراب، وقال: أَمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نَحثُوَ في وُجوه المدَّاحين التراب. وقال سفيان مرَّة: فقام

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٥)، ومواضع أخر، ومسلم (٣٠٠٢)، وأبو داود (٤٨٠٤)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢)، والطيالسي في «المسند» (٢/ ٤٧٦،٤٧٥) (١٢٥٤، ١٢٥٥) وغيرهم من حديث المقداد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المقدادُ، فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «احْثُوا في وجوه المَدَّاحين التُّرابَ» قال الزُّبير: أما المقدادُ فقد قضىٰ ما عليه.

وقال الإمام أحمد -أَيْضًا-: حدثنا عبدُ الرحمن عن سفيان عن حَبيب عن مجاهد عن أبي مَعمر قال: قام رجلٌ يثني علىٰ أميرٍ مِن الأمراء، فجعل المقدادُ يَحثو في وجهِه، وقال: أَمرنا رسولُ الله ﷺ أن نحثو في وجُوه المدَّاحين التُّرابَ.

وقال الإمامُ أحمد -أَيْضًا-: حدثنا يحيىٰ عن وائل بن داود قال: سمعتُ عبد الله البَهيَّ، أنَّ رَكبًا وقفوا علىٰ عثمان بن عفان فمدَحوه، وأثنوا عليه، وَثَمَّ المِقدادُ بنُ الأَسود، فأَخَذ قبضةً مِن الأرض فحثاها في وُجوه الرَّكْب، فقال: قال نبيُّ الله ﷺ: «إذا سَمِعتُم المَدَّاحِين فاحْثُوا في وُجُوهِهم التُّرابَ».

وإذا كان هذا فِعلُ المقداد رضي الله عنه مع مَن مَدح عثمان -الذي هو أهلٌ للمَدح والثناء- فكيف بمَن مَدح مَن لا يَستحِقُّ المَدحَ والثناء، وإنما يستحقُّ القَدح والذَّم والتَّأنيب وما هو أشدُّ مِن ذلك؟! فاللهُ المُستَعانُ.

وقال الإمامُ أحمد -أَيْضًا-: حدثنا مُحمَّد بن جعفر، حدثنا شعبة عن الحكم عن ميمون بن أبي شَبيب، قال: جعل رجلٌ يَمدح عاملًا لعثمان، فعَمدَ المقدادُ، فجعل يَحثو الترابَ في وجهه، فقال له عثمان: ما هذا؟ قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا رَأيتُم المَدَّاحِين فاحْثُوا في وجُوهِهم التُّرابَ».

وقد رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» من حديث شُعبة به، إِلَّا أنه قال: «جَعل رجُلٌ يَمدح غُلامًا لعثمان».

وروىٰ الترمذي عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** أمَرنا رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نَحثُو في أفْواه المدَّاحين التُّراب. قال الترمذي: هذا حديث غَريب من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

الوجه الثَّالث: أن المحاسِني قد أخطأ في عِدَّة مواضع من كلامه.

أحدها: قوله: فمِن الصَّفاء دَعَوه بالصَّوَّاف.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس الأمْرُ كما زعمه المحاسني، مِن أن الصَّوَّاف مَنسُوب إلىٰ الصفاء؛ وإنما هو مَنسوب إلىٰ بيع الصُّوف، كما يُقالُ لبائع التَّمر: تَمَّار، ولبائع السَّمن: سَمَّان، ولبائع الزَّيت: زيَّات، ولبائع البَقْل: بَقَّال، ولبائع النُّحاس: نَحَّاس، وما أشبه ذلك. ولو كان منسوبًا إلىٰ الصفاء لقيل له: الصَّافي، لا الصَّوَّاف.

الموضع الثَّاني: عدُّه مِن الأئمة أهل التُّقىٰ والعِلم والإنصاف.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا فيه نظرٌ لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة.

الموضع الثَّالث: قولُه: فلقد وجَدْتُك بالهُدىٰ مَوصُوفًا.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٤)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني: «صحيح لغيره».

والجواب أنْ يُقالَ: وهذا -أَيْضًا- فيه نظَر لا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة، ولقد أحسنَ الشاعرُ حيث يقول:

ذهب الرِّجال المُقتدىٰ بفِعالِهم ... والمُنكِرُون لكل أمْرٍ مُنكَرِ
وبقيتُ في خَلْفٍ يُزيِّن بَعضُهم ... بعضًا ليَدفَع مِعورٌ عَن مِعوَرِ
فَطِن لكلِّ مُصيبةٍ في مَالِه ... وإذا أُصيبَ بدِينه لم يَشعُرِ

المَوضع الرَّابع: قولُه: عرفت لسانك بالمَقال عفيفًا.

والجواب أنْ يُقالَ: كيف يكون لسانُه عَفيفًا بالمَقال وهو قد قال علىٰ الله تَعالىٰ وعلىٰ كتابه ورسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير عِلم، وأخطأ علىٰ المسلمين خَطأً كَبيرًا حيث نسب إليهم من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة ما هم بريئون منه؟!

فأما قولُه علىٰ الله تَعالىٰ وعلىٰ كتابه بغير علم، ففي مواضع من رسالته الَّتي قد رَدَدْتُ عليها.

منها: قوله فِي صَفْحَةِ ٤٠: إن القرآن أشار إلىٰ نظرية «لابلاس»، وهي قوله: إن الأرض والشَّمس ومُختلف الكَواكِب والأجرام إنما كانت سديمًا في الفضاء، وأن الأرض انفصلت عن هذا السديم. ثمَّ قال فِي صَفْحَةِ ٤١: وبذلك قرَّر العِلم اليوم ما قرَّره القرآن وأشار إليه قبل ألف وأربعمائة عام من أن الأرض والشَّمس والنُّجُوم، أي: السَّمَاء والأرض وما فيهما، إنما كانت سَديمًا انفصل إلىٰ أجزاء.

وهذا مِن القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغير علم. وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أول هذا الكتاب، فليُراجَع.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٤٢ وصفحة ٤٣ فقد أورَد آيتين من سورة (يس) وآية من سورة النمل، ثمَّ حمل الآيات علىٰ ما يَزعمه فَلاسِفَة الإفرنج من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وزعم أن ذلك مما قَرَّره القرآن الكريم، وهذا مِن الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٥٤-٥٥-٥٦ فقد أَورد آيتين من سورة القصص، وحملهما علىٰ ما يزعمه فَلاسِفَةُ الإفرنج من حركة الأرض ودورانها حول نفسِها وحول الشَّمس، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الردَّ عليه في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: فِي صَفْحَةِ ٦١ فقد زعم أن المُستقرَّ الذي ذكره الله في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] أنه المِحوَر الذي تدور عليه الشَّمسُ حول نفسها، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أثناء الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ٧٦ أورد آيةً مِن سورة الإسراء ثمَّ حملها فِي صَفْحَةِ ٧٨ علىٰ ما يُوافق آراء الإفرنج وتَخَرُّصاتهم، وزَعَم أن ذلك من معجزات

القرآن، وهذا من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد استوفيتُ الرَّدَّ عليه في أثناء الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ٩٧-٩٨ زعم أن اللهَ يَحثُّنا علىٰ البحث عن الكَواكِب، وما فيها من عوالِم، وهذا من الافتراء علىٰ الله تَعالىٰ، وقد تقدم الكلام عليه في موضعه.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ١٠١ نقل كلامًا لموسىٰ جار الله زعم فيه أن السموات لها منظومات، وكل منظومة من هذه المَنظومات يسمِّيها القرآن بُرجًا... إلىٰ آخر هذيانه في السطر الأول من صفحة ١٠٢، وهو من الافتراء علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد تقدم التَّنبيهُ علىٰ ذلك في موضعه.

ومنها: أنه فِي صَفْحَةِ ١٠٧ وصفحة ١٠٩ ذكَر الآيتين من سورة المؤمنين وسورة الذاريات، ثمَّ حملها علىٰ ما يُوافق تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، وهذا من الافتراءِ علىٰ الله وعلىٰ كتابه، وقد تقدَّم التَّنبيهُ علىٰ ذلك قريبًا، فليراجع.

وَأمَّا قولُه علىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بغير عِلم: فِفِي صَفْحَةِ ٧٨.

وأما خطؤه علىٰ المسلمين: ففي عنوان رسالته، حيث زعم أن ما أَودعه فيها من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فهو مِن عُلوم المسلمين في الفَلَك، وقد نبَّهتُ علىٰ ذلك في أول الكتاب، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَفِي صَفْحَةِ ٦٠ زعم أن القولَ بثبات الشَّمس وقرارها قد سبق إليه العلماءُ الأعلامُ مِن المسلمين. وهذا غلط وخطأ عليهم.

وَفِي صَفْحَةِ ٦١ زعم أن للشَّمس مِحورًا تدور عليه، كما تدور المروحةُ السقفية علىٰ محولِها، وفسَّر المستقرَّ المذكور في قول الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨] بما زعمه من المِحور المتوهم. قال: وقد قال بهذا القول رجالٌ مِن سلف هذه الأمَّة الخيار، وذكر منهم مجاهدًا. وهذا غلطٌ وخطأ عليهم. وقد نبَّهتُ علىٰ ذلك في موضعه، فَلْيُراجَعْ هُناك.

ومما ذكرتُه من هذه الأمثلة يُعلم أن لسانَ الصَّوَّاف ليس عَفيفًا بالمقال، وأنَّ مَن وصَفه بالعفاف فقد أخطأ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٣ ما نَصُّه:

وانتهَتِ المُحاضرةُ بعد هذا، وكان مِن نتَاجِها الطَّيِّب هذا الكتاب «المُسلمون وعِلمُ الفلك» الذي بين أيدي القُرَّاء اليوم، والذي نسأل اللهَ أن يَجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يشفع لنا به سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس كتاب الصَّوَّاف مِن النَّتاج الطَّيب كما زعم ذلك؛

وإنما هو من النتاجِ الذي ليس بطَيب، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن نوَّر اللهُ قلبَه بنُور العِلم والإيمان. وذلك لأنه مَحشوٌّ مِن تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة المُخالِفة لما في كتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. مع ما فِيه من القَول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين بغير عِلم.

وما كان كذلك فليس بطَيِّب، وإنما هو بضدِّ ذلك. ولكن القُلوب إذا عَميت وانتكست صارت ترىٰ البَاطِلَ حَقًّا، والمُنكرَ مَعروفًا، والخبيثَ طَيِّبًا.

ولما كان الصَّوَّاف قد عدم التَّمييز بين الطَّيب الذي يُرجىٰ نفعُه وبين ضده الذي هو ضررٌ مَحض، رَأىٰ أن كتابَه من النتَاج الطَّيب، وسأل الشَّفاعة به، ولقد أحسن الشاعر حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّام مِحنَتِه حتىٰ يَرىٰ حَسنًا ما لَيسَ بالحَسَنِ

وَأَمَّا قولُه: وأنْ يشفع لنا به.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ومَن تَرىٰ يَشفع لك به عنده؟! تَعالىٰ اللهُ وتَقدَّس وتَنزَّه عما يقول الجاهلون علوًّا كَبيرًا.

وقد أنكر النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ علىٰ الأعرابي إنكارًا شديدًا لمَّا قال له: إنا لنَستشفع باللهِ عليك. ففي «سنن أبي داود» عن جُبير بن مُطعم رَضِيَاللَّهُعَنۡهُ قال: أتىٰ رسولَ الله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله، جَهدَتِ الأنفُس، وضاعتِ العِيالُ، ونهكت الأموالُ، وهَلكت الأنعامُ، فاستسق اللهَ لنا، فإنا نَستشفع بك علىٰ

الله، ونستشفِعُ بالله عليك. قال رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «وَيحَكَ! أَتدري ما تقُولُ؟!» وسبَّح رسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فما زال يُسبِّح حتىٰ عُرف ذلك في وجوه أصحابه، ثمَّ قال: «وَيحَكَ! إنه لا يُستَشفَع باللهِ علىٰ أحدٍ مِن خَلقه، شَأنُ الله أعظَمُ مِن ذلك» الحديثَ. قال الذهبي: إسناده حسَن. ورَدَّ ابن القيم في «تهذيب السنن» علىٰ مَن تكلَّم في هذا الحديث بغير حُجَّة، فأجاد وأفاد(١).

وإذا عُلم هذا، فلا يَخفىٰ علىٰ مَن له أدنىٰ عِلم ومعرفة ما بين قول الصَّوَّاف وقولِ الأعرابي مِن المشابهة الظاهرة. فالصَّوَّاف قد سأل اللهَ أن يشفع له بكتابه. والأعرابي قال للنبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ونَستشفع بالله عليك. فكلٌّ منهما قد استشفع بالله. والله تَعالىٰ لا يُستشفع به علىٰ أحدٍ مِن خلقه، شَأنُ الله أعظمُ مِن ذلك.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٤: إن الكثير مِن شَبابنا اليوم في حاجَةٍ ماسَّة إلىٰ مثل هذه الكتب -يعني كتابَه وما أشبهه من الكتب المُضِلَّة- لتلقي لهم ضَوءًا علىٰ ماضيهم المُشرق، وتَكشف لهم الحِجابَ عن حضارتهم الرَّائعة الَّتي طَمسها الأعداء أو كادوا.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وغيره من حديث جبير بن مطعم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٢٦٣٩).

والجواب عن هذا وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن الناس في حاجَة شَديدة إلىٰ التَّمسك بكتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، والأخْذِ بما جاء عن الصَّحَابَة والتَّابعين وأئمة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، فهذا هو العِلم النافع الذي يُلقي لهم الضَّوء علىٰ ماضيهم المشرق، ويَكشف لهم الحجابَ عن حضارتهم الرَّائعة.

فأما ما جاء عن فِيثاغورس اليُونَاني وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وهم أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج وجهَّال المسلمين، فهذا ضَرَرٌ محْضٌ، تَجبُ مُحارَبَتُه بكل ما أمكن.

وكتاب الصَّوَّاف مِن هذا القسم الأخير؛ لأنه مَبني علىٰ أقوال «فيثاغورس» وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، ومَحشُوٌّ من تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة مع ما اشتمل عليه من تَحريفِ آيات كثيرة من القرآن، وتَأويلِها علىٰ غير المراد منها. وما اشتمل عليه -أَيْضًا- مِن الافتراء علىٰ رسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين. وما كان بهذه الصِّفة فإنه يجب القضاءُ عليه وعلىٰ أمثاله من الكتب الَّتي تضِلُّ الشيوخَ والشَّباب، وتدعوهم إلىٰ نَبذ الكتاب والسُّنَّة وراء ظهورهم.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: وأيُّ حاجَةٍ بالشَّباب إلىٰ تَخَرُّصات اليُونَان والإفرنج وظنونِهم الَّتي ما أنزل الله بها من سُلطان، وإنما هي مِن وَحْي الشيطان وتضليلِه؟!

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ الهَذيان والسَّخافات الَّتي يَضحك منها الصِّبيانُ الصغار فضلًا عن الرجال العقلاء؟! وسأذكر نماذج منها قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ القَول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله ﷺ وعلىٰ المسلمين بغير عِلم؟! وقد تقدَّمت الإشارةُ إلىٰ مواضع ذلك في رسالة الصَّوَّاف قريبًا عند الكلام علىٰ ما نقله الصَّوَّاف عن المحاسني، فليراجع.

وأيُّ حاجة بالشباب إلىٰ العباراتِ البَشِعة المُنكَرة جدًّا؛ كقول الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٩: وقد تمكَّن بعضُ العلماء من معرفة أشياء مهمَّة عن الأرض ومكوناتها. وقوله -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤١: وبتقدُّم العِلم أمكن إلىٰ حدٍّ ما معرفة العناصِر المكونة للشمس، فوجدانها تتكوَّن من نفس العناصر الَّتي تتكون منها الأرض؟!

فأضاف تكوينَ الأرض والشَّمس إلىٰ العناصر، وهذا مذهب الطَّبيعيين الذين يزعمون أن الإيجادَ والتكوين ناشئٌ عن الطبيعة، وذلك شِرْك بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي خلَق العناصر، وخلق ما تكوَّن منها، فلا يُضاف التَّكوينُ إلىٰ غيره.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٧: هذه الشَّمس الَّتي ليست مَصدَرَ نُورِنا ونارِنا فقط، بل هي مِحور نظامنا السَّيَّاري، ومصدر حياتِنا أَيْضًا.

فجَعل مصدر حياةِ البَشر من الشَّمس، وذلك شِرْكٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الحياة مَصدَرُها من الله وحده؛ فهو الذي أوجدَ الخلقَ من العدم، وهيَّأ الأسبابَ لحياتهم في الدُّنْيا وفي الآخرة.

ومِن ذلك: قوله -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٥٧: إن الشَّمس لم تَزل تجدِّد وزْنُها وحجمها؛ فجعل للشَّمس تَصرُّفًا في نفسها بتَجديد الوزن والحجم، وذلك شِركٌ بالله تَعالىٰ.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٨: وهل تَعلم أن من علماء الهيئةِ المُسلمين الذين رصَدوا وألَّفوا وسَهِروا اللَّيالي الطُّوال في مُناجاة النُّجُوم ورصْد حركاتهم وسكناتِها، والناسُ نِيام، والعالَم في غَفوة وغفلة: الشيخ أبو جَعفر نَصير الدِّين مُحمَّد بن الحسن الطُّوسِي الفَيْلَسُوف.

فجعل نَصيرَ الشِّرْك مُسلِمًا مع تصريحه بأنه كان يَسهر الليالي الطوال في مُناجاة النُّجُوم. ومناجاةُ النُّجُوم شِركٌ بالله تَعالىٰ. وقد تقدَّم إيضاحُ ذلك في موضعه بما أغنىٰ عن إعادته ههنا.

وأَيْضًا، فقد جعل العالَم كلَّه في غَفوة وغَفلة، وجَعل نصيرَ الشِّرْك هو المُتيقِّظَ المُتنبِهَ وَحده؛ لأنه كان يَسهر الليالي الطوال في مناجاة النُّجُوم. وقد تقدم التنبيهُ علىٰ هذا التهوُّر، فليُراجَع في موضعه.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ٧٤ عن ابن باديس أنه قال في الشَّمس: إنها

هي الَّتي أَبصَرَت القمرَ.

فأضاف أبصارَ القَمَر إلىٰ الشَّمس، وذلك شركٌ بالله تَعالىٰ؛ لِأَنَّ الله تَعالىٰ هو الذي جعل الضِّياء في الشَّمس، وجعله يمتدُّ منها إلىٰ القمر، ويَنعكس منه إلىٰ الأرض، وذلك كلُّه خَلْق الله وفِعلُه، فلا يُضاف إلىٰ غيره.

ومن ذلك: ما فِي صَفْحَةِ ١١٣ حيث سأل اللهَ تَعالىٰ أن يشفع له بكتابه، تَعالىٰ الله وتقدَّس عن قوله.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ١١٧-١١٨: عِلم الفلك يَبعث الإيمانَ ويَزيده ويدعو إلىٰ تَعميق جذوره في قلب الإنسان. وأنه قد قيل: إن أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماءُ الفَلَك.

وهذه إحدىٰ الكُبَر من الصَّوَّاف لو كان يَعلَمُ ما يقول.

إلىٰ غير ذلك مِن العبارات المُنكَرَة في كتاب الصَّوَّاف، وقد تقدَّم الرَّدُّ عليها مُفصَّلًا في مواضعه من هذا الكتاب سوىٰ الأخير من أقواله، فسيأتي الرَّدُّ عليه قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وأما الهَذَيان والسَّخافات المُضحِكَة فكثيرة جدًّا في كتابه.

فمن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٣٨: إن الأرض تدور حول الشَّمس في فلَكٍ يَبلغ محيطه ٥٨٠ مليون مِيل، فمُعدَّل سرعتنا في هذه الحركة يبلغ ٦٠ ألف ميل في السَّاعة أو بنحو ألف ميل في الدقيقة. والنظام الشَّمسي كلُّه بما فيه الأرض

يَنهب الفضاءَ نَهبًا بسرعة لا تقل عن ٢٠ ألف ميل في السَّاعة، أي أكثر من ٣٠٠ ميل في الدقيقة، متَّجهةً نحو برج هركيوليس.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٣٨: أما عُمر الأرض فقد بدأ الإنسانُ تَكهُّنَاته عنه من آماد بعيدة؛ ففي القرن السَّابع عشر قال أحد المُفكِّرين واسمه «جيمس أوثر»: إن العالَم بدأ يوم ٢٦ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ قبل الميلاد. وجاء في أحد الكُتب الهندية المقدَّسة أن عمر العالَم هو ١.٩٧٢.٩٤٩.٠٥٦ سنة. وفي العَصر الحديث بدأت الجُهود الَّتي يبذلها الفلكِيُّون في المراصد تَلتقي عند أدَقِّ رقم يُمكن أن يُعتبَر أصحَّ تقدير لعُمر الكرة الأرضية. فقد دلَّت آخرُ التقديرات القائمة علىٰ دراساتِ فَلكية وأبحاث علميَّة في مراصد ليك ومونت ويلسون وبالومار علىٰ أن عُمر الكرة الأرضية حوالي (٥٤٠٠٠٠٠٠٠٠) سنة. ونسبة الخَطأ في تقدير هذا الرقم يقرب من ٢٠٪.

ويعتمد الفلكيُّون في عمر الكرة الأرضية علىٰ النَّظرية القائلة بأن شيئًا حَدَث في الفضاء في قديم الزمان جعل المادةَ تَتناثر من مَركزٍ مُشترك واحد. وقد دلَّت الدراسة الَّتي استمرت ٢٠ عامًا للضوء المنبعث من الكَواكِب البَعيدة علىٰ أن هذه الكَواكِب لا تزالُ مُمعِنَةً في الابتعاد في الفضاء. وأن سرعتها تزداد كلما ازداد ابتعادها. وقد قضىٰ الفلكيون في معرفة ذلك سبعةَ أعوام بالمراصد المذكورة يُراقبون ٨٠٠ كوكبًا و٢٦ مجموعة من الكَواكِب.

ومن ذلك: ما فِي صَفْحَةِ ٣٩ عندما ذكر تَخَرُّصات المُتخرِّصين عن الأرض ومعرفة تاريخها ونشأتها وعُمرها، وكيف تكوَّنت طبقاتُها، وما طرأ علىٰ كل طبقة من تغيير. قال: وكل هذه الدراسات تُضيف في كل لحظة وحين أدلَّةً مُشرِقَةً علىٰ عظمة الخالق ووجود الصَّانع.

فجعل التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة من أعداء الله تَعالىٰ أدلَّة مُشرقة علىٰ عظمة الخالق ووجود الصَّانع. هذا مبلَغ عِلمه وحاصِلُ عَقلِه.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٤٣: وليس هناك أبلغُ ولا أدَقُّ مما يقوله حُجَّة عِلم الفلك العالِمُ «سيمون» مِن أنَّ أعظم الحقائق الَّتي اكتشفها العقلُ البَشري في كافَّة العصور هي حقيقةُ أن الشَّمس والكَواكِب السيَّارة وأقمارها تَجري في الفضاء نحوَ بُرج النسر بسرعة غير معهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتَصويرها أننا لو سِرْنا بسرعة مليون ميل يوميًّا، فلن تصل مجموعتها الشَّمسية إلىٰ هذا البُرج إلَّا بعد مليون ونصف المليون سنة من وقتنا الحاضر. ثمَّ قال: أليست هذه إحدىٰ معجزات القرآن العلمية؟!

فانْظُر إلىٰ هذه الجراءة العظيمة علىٰ القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغَير عِلم.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٥: وقد ذَكر علماءُ الجُيولوجيا أن الأرض بعد انفصالها عن الشَّمس كانت تَدور حول نفسها بسُرعة أكبر مما هي عليه الآنَ، إذ كانت تتم دورتها حول نفسها مرَّة كلَّ أربع ساعات؛ فالليل والنهار كانَا

في مجموعهما أربع ساعات فقط. وبتوالي النَّقص في سرعة دورانها حول نفسها زادت المدة الَّتي تتم فيها دورانها هذا. فزادت مدة اللَّيل والنهار إلىٰ خمس ساعات ثمَّ ستٍّ، حتىٰ وصلت إلىٰ أربع وعشرين ساعة، وهي الَّتي نحن عليها الآن. وقد أظهر بعضُ العلماء أنه تمكَّن من احتساب النَّقص في سرعة دوران الأرض، فوجد أن هذا النقص يبلغ حوالي ثانية واحدة كل مائة وعشرين ألف سنة. وعليه فبَعد ٤٣٢ مليون سنة يَنقص دوران الأرض بمقدار ساعة، وعندئذ يصبح مَجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة. وهكذا يتوالىٰ النقص ويطرد طول الليل والنهار. وعلىٰ هذا الأساس يقول العلماء: إن الأرض لابُدَّ أن تَقِفَ يَومًا، وَاللهُ أَعْلَمُ بذلك اليوم. وعند وُقُوفها يُصبح الوجهُ المُقابل للشمس نهارًا دائمًا، والوَجهُ البَعيدُ عنها ليلًا دائمًا، وهذا ما أشار إليه الرَّبُّ في كتابه العزيز.

فانظر إلىٰ هذه الجراءة العظيمة علىٰ القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه بغَير علم.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٥٧: هذه الشَّمس هي آية من آياتِ الخالق، وإن هي إِلَّا آية صغيرة تَزخر السَّمَاءُ بملايين من النُّجُوم أضخم منها حجمًا وأكبر سرعة وأكثر تألُّقًا. وقد قال علماء الفلك: إنما هي كرة هائلة من الغازات المُلتهبة. قُطرُها يزيد عن مليون وثلث مليون كيلو متر. ومُحيطُها مثل محيطِ الأرض ٣٢٥ مرة، ويبلغ ثِقَلُها ٣٣٢ ألف ضعف ثقل الأرض. وحرارة سطحِها نحو ٦٠٠٠ درجة سنتجراد.

وهذا السطح تَندلع منه ألْسِنةُ اللَّهب إلىٰ ارتفاع نصف مليون كيلو متر. وهي تنثر في الفضاء باستمرار طاقة قدرها ١٦٧٤٠٠ حصان من كل متر مربع. ولا يحصل للأرض منها إِلَّا جزء من مليوني جزء. وهي لا تعتبر إِلَّا نِجمة، ولكنها ليست في عِداد النُّجُوم الكبرىٰ. وسَطحُها به عَواصِفُ وزَوابِعُ كهربائيَّة ومغناطيسية شديدة.

والمشكلة الَّتي حيَّرت العلماءُ هي أن الشَّمس -كما يُؤخذ من عِلم طبقات الأرض- لم تَزل تشعُّ نَفسَ المقدار من الحرارة منذ ملايين السنين. فإن كانت الحرارة الناتجة عنها نَتيجة احتراقها فكيف لم تَفْنَ مادَّتُها علىٰ توالي العصور؟! فلا شكَّ أن طريقةَ الاحتراق الجارية فيها غير ما نَعهد ونأْلَفُ، وإلا لكفاها ستَّة آلاف سنة؛ لتَحترق وتَنفد حرارتها. وقد زعم البعضُ أن النَّيازك والشهب الَّتي تَسقط علىٰ سطحها تُعوِّض الحرارةَ الَّتي تفقدها بطريق الإشعاع.

ومِن ذلك: ما ذكره فِي صَفْحَةِ ٥٨-٥٩-٦٠ من الإعلانات لبَعض الإفرنج المعاصِرين عن انفجارات حدَثت في الشَّمس في سنة ١٩٥٦ و١٩٥٧ ميلادية. منها ما يُعادِلُ القُوَّة الناجمة عن تَفجير مليوني قنبلة هيدروجينية، وأنه حدث في منطقةٍ أكبر بكثير من مساحة الكرة الأرضية. ومنها ما يُعادل انفجارَ مائة مليون قنبلة هيدروجينية دفعة واحدة.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٠: (سكون الشَّمس وجريانها).

فجمع بين النَّقيضين.

ثم قال: والذين قالوا بقرارها قالوا: هي ثابتة ومتحركة في آنٍ واحد. ثابتة علىٰ محورها الذي أرساها اللهُ لها، ومُتحرِّكة حول هذا المحور، أي: هي دائرة حول نفسها، ومَثلها مثَل المروحة السقفية الكهربائية، فهي ثابتة في سَقفها وهي متحركة حول نفسها، وهؤلاء استدلوا بقولهِ تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]، وفسَّروا المُستقِرَّ بالمِحور. وقد قال بهذا القول رجالٌ مِن سلَفِ هذه الأمَّة الخِيار.

فانظروا إلىٰ هذه الجراءة علىٰ كتاب الله وحَملِه علىٰ غير ما يُراد به.

وانظروا -أَيْضًا- إلىٰ الافتراء علىٰ السَّلف الخيار من هذه الأمة، ونِسبَةِ القول الباطل إليهم وهم براءة منه، وإنما هو مِن أقوال المتبعين لأهل الهَيْئة الجَدِيدة المَفتونين بتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة.

وقد نقَض الصَّوَّافُ ما قرَّره في هذا الموضع مِن ثبات الشَّمس وتشبيهها بالمروحة السقفية الكهربائية، بما قرره فِي صَفْحَةِ ٩٩ وصفحة ١٠٠ أن الشَّمس تَسير في كلِّ بُرج شَهرًا، وأنها تقطع البُروجَ كلَّها مرَّةً في السَّنَةِ.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٦٧: أَكْتَفي بهذا المِقدار من النَّقل، ولا أريد أن أَسْتَرْسِل، إِلَّا أني أَوَدُّ أذكر كيف أن العلماء تكلَّموا في الشَّمس والقَمَر، وتكلَّموا

في النُّجُوم الثوابت والسَّيارات، وقدَّروا الأبعاد بين الأرض والشَّمس، وقدَّروا مِقدار ضخامة الشَّمس عن الأرض، وأن الشَّمس أكبَر مِن الأرض بمليون وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة. وأن الشَّمس تَبعُد عن الأرض بأربعة وثلاثين مليون فَرسَخ فرنسي.

والخُلاصة: أنهم لم يَترُكوا بَابًا إِلَّا طرقوه، وسواء كانوا مُخطئين في تقديراتهم أم مصيبين، فإنهم اجتهدوا في علُوم الكون، وتكلَّموا فيها علىٰ حسَب ما وصل إليه عِلمُهم. وما صنعوا ذلك إِلَّا بوحيٍ مِن دينهم، وأمَلًا في خِدمة هذا الدِّين الذي وَهَبُوه كلَّ شَيء: حياتهم وأَموالهم وجُهدهم وعلمهم وجهادهم وسَهرهم وعرقهم في سبيل الوصول إلىٰ الحقائق العلمية الَّتي تدعو إلىٰ الإيمان بالله العظيم. ورَحِم اللهُ علماءنا الأعلامَ، وجزاهم عما قدَّموا خير ما يجزي عامِلًا عن عمله.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٧١ يقول اللورد افبري: إنَّ سَطح القَمَر صَحاري وقِفار، تَتناهض فيها البَراكين الخامدة، وجِبالُه ضَخمة عظيمة، يبلغ ارتفاعُها ٤٢ قَدَم بزيادة تقرُب من ١٣ ألف قدم علىٰ أعلىٰ جبل علىٰ سطح الأرض. وفُوهَّات البراكين هائلة العظَمة، يَبلغ قطرُها ٧٨ ميلًا. ويقولون: إنَّ جبال القَمَر أقدم بكثير مِن سَلاسل الجبال الأرضية بملايين السنين.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ٧٨: واتَّفق علماءُ الفَلَك في العصر الحديث

بعد الاكتشافاتِ والبُحوث العلمية أن جرْمَ القمر -كالأرض- كان منذ أَحقاب طويلة وملايين السنين شَديدَ الحمو والحرارة ثمَّ برد، فكانت إضاءته في زمانِ حموه وزالت لما بَردَ.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٨٣**: إن الخيالَ لا يُمكِن أن يتصوَّر أن مرصد كاليفورنيا التقط أخيرًا صورةً عمرها ستة آلاف مليون سنة. إن علماء الفلك أعلنوا حديثًا أن هذه الصورة العَجيبة أُرسلت من إحدىٰ النُّجُوم، واستمرَّت رحلتُها ستَّة آلاف مليون سنة؛ لتَصل إلىٰ الأرض. وحقائق أُخرىٰ غريبة اكتَشَفها الإنسانُ، تؤكِّدُ كلُّها أن الأرض ما هي إلَّا فقاعَة في مُحيط. حقائق أقلُّ ما تُوصف به أنها مُذهلة مذهلة.

ثمَّ ذكر فِي صَفْحَةِ ٨٣ وما بعدها إلىٰ آخِر صفحة ٨٧ هذيانًا كثيرًا لبعض الفلكيين من الإفرنج. حاصله أن بعضهم قال: إن الشَّمس تُرسل موجات راديو، وأنهم اكتشفوا نِجمةً جديدة قويَّة تَبعُد عن الأرض بمسافة ١٥٠٠ مليون سنة ضوئية. وأنهم في عام واحد اكتشفوا ٣٥ منها أطلقوا عليها اسم أشباه النُّجُوم. وأن الضوء في انتقاله إلينا من أشباهِ النُّجُوم يَستغرق في الرحلة ستة آلاف مليون سنة. ولذلك فالمَنظر الذي نراه اليومَ لهذه الأجرام السَّماوية النائية، هو المَنظر الذي كانت عليه منذ ستَّة آلاف مليون سنة. وفي ذلك الوقت لم تكن الشَّمس ولا المَجموعة الشَّمسية مَوجودة بعدُ، إذ إن عُمرَ الشَّمس هو خمسة آلاف مليون سنة فقط، كما يقولون.

إلىٰ أن قال: وقد خَرَج العلماء بعد هذا بثلاث نظريات علميَّة مثيرة. إن هذه النظريات تقول: إن الكَواكِب الأُخرىٰ مَسكونة، وأن سكَّانها سبقوا أهلَ الأرض في إطلاق سُفن الفضاء وتفجير القنابل الذَّرية. إن هذه النظرية أشبه بالخيال.

الشَّمس ليست إِلَّا نجمة من النُّجُوم المتوسطة. والمجموعة الَّتي تنتمي إليها الشَّمسُ فيها (١٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠) أي: مائة ألف مليون نجمة، وبالكَون آلاف الملايين من مِثل هذه المجموعات. وبين الرَّقم المجهول الذي ذكرناه للنُّجوم توجد عشرةُ آلاف مليون نجمة تؤلِّف حولها أسرًا؛ كأسرة الشَّمس، أي: تُوجد عشرة آلاف مليون نجمة تدور حولها الكَواكِب.

ثمَّ ذكر الصَّوَّاف أنه نَقَل الهذيان من جريدة المَدينة عدد ٦٤٨-٦٠٤.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ٩٣ عن «تفسير طنطاوي جوهري»(١) أنه

---

(١) طنطاوي بن جوهري المصري: فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد سنة (١٨٧٠م)... وتعلم في الأزهر مدة، ثم في المدرسة الحكومية، وعني بدراسة الإنكليزية، ومارس التعليم في بعض المدارس الابتدائية، ثم في مدرسة دار العلوم، وألقىٰ محاضرات في الجامعة المصرية، وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتابًا في (نهضة الأمة وحياتها - ط) نشره تباعًا في جريدة اللواء، وانقطع للتأليف، فصنف كتبًا أشهرها (الجواهر في تفسير القرآن الكريم - ط) في ٢٦ جزءًا، نحا فيه منحىً خاصًّا، ابتعد في أكثره عن معنىٰ التفسير، وأعرق في سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير، توفي سنة (١٩٤٠م). «الأعلام» (٣/ ٢٣٠).

قال: كيف تُجعل الكَواكِب الَّتي عُدَّت بمئات الملايين؛ كأنها دُرَرٌ مُرَصَّعة في سَقفنا... إلىٰ أن قال: فالشَّمس مِن تلك الشُّموس تشرف علىٰ سياراتها وعلىٰ أراضيها، ثمَّ هي من جهة تُجعل زينةً في سماء كل شمس وكل أرض وكل سيارة، وكما أن الكَواكِب مرصَّعة في سمائنا فإن شمسَنَا مُرصَّعة في ملايين الآفاق المحيطة بالكرات.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٩٧**: يقول علماء الفلَك: إن من النُّجُوم نُجومًا سوف لا يَصل نورُها إلىٰ كُرَتِنا الأرضية في أقل من ألف وخمسمائة مليون سنة ضوئية، مع العلم بأن الضَّوء يسير في الثَّانية الواحدة ثلاثمائة ألف كيلو متر. ويَصل في سَيْره إلىٰ القَمَر في قدر ثانية وثلث الثَّانية. ولو جرىٰ حول الكُرة الأرضية لدار حولها في الثَّانية الواحدة ثماني مرات. ولو أُطلق مَدفع فإن قنبلة تَجري وتسير نحوَ سنة ونصف السَّنَة حتىٰ تقطع المسافة الَّتي يقطعها الضوءُ في ثانية واحدة.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ٩٨-٩٩**: يقول علماء الفلك: إن الشِّعرىٰ اليمانية أثقلُ مِن الشَّمس جرمًا بعشرين مرة، ونورُها خمسون ضعف نور الشَّمس، وهي أبعدُ منها مليون ضعف بُعدِها عنَّا، وإن الشِّعرىٰ اليمانية تَجري بسرعة ألف ميل في الدقيقة، والشعرىٰ اليمانية أسطع من خمسين شمسًا كشمسنا، ولا يصل إلينا نورُها إِلَّا في ستة عشر سنة. ولا يصل من نُورِها إلينا إِلَّا واحد مِن ألفي مليون منه، وثلاث من بنات نعش يفقن الشَّمس نورًا، واحدة

منهن أربعمائة ضعف، والثَّانية أربعمائة وثمانين، والثَّالثة ألف ضعف، وسُهيل أضوأ من الشَّمس ألفين وخمسمائة مرة، والسماك الرَّامح حجمه ثمانون ضعف حجم الشَّمس، ولا يصل إلينا ضوؤه إِلَّا في سَنَة.

ومن ذلك: ما نقله فِي صَفْحَةِ ١٠١ عن موسىٰ جار الله أنه قال في كتابه «ترتيب السور الكريمة»: زهَقَت الهيئةُ القديمةُ، وجاء النظامُ الحقِّ، نِظام السموات الَّتي رفعها اللهُ بغَير عَمَد تَرَونها. وهذه السموات لها مَنظومات. منها منظومة شمسنا هذه بسياراتها التسع. وشمسنا هذه ليست مِن كبار الشموس، ومنظومتنا هذه ليست مِن كبار المنظومات، وكل مَنظومة من هذه المنظومات يسميها القرآنُ بُرجًا. والسَّمَاء الَّتي تحوي كلَّ هذه المنظومات يسميها القرآن الكريم السَّمَاء ذات البروج، بها أقسم الله في كتابه الكريم سورة البروج. وهذه السَّمَاء ذات البروج الَّتي تَحوي كل هذه المنظومات يَحدُث خلال منظوماتها كلَّ يوم انشقاقات. وبتلك الانشقاقات يَحدُث في المجرة وخارجها سَموات. وللإشارة وللإرشاد وإلىٰ مثل هذه الحوادث الهائلة العظيمة وُضعت سورة البروج بعد سورة الانشقاق.

ومن ذلك: قوله فِي صَفْحَةِ ١٠٣: يتضمن هذا الكونُ خمسمائة مليون مليون من المجرَّات كما يُقدِّر علماءُ الفَلَك. وفي كل مجرَّة مائة ألف مليون نَجم. وأن أقرب مجرَّة إلىٰ الأرض تلك الَّتي نشاهد جزءًا منها كخطٍّ أبيض في الليل تَمتدُّ مساحتُها مائة ألف عام بالنسبة إلىٰ عام الضوء. ونحن سكَّان الأرض

نبتعد عن هذه المجرَّة مقدار ثلاثين ألف عام من الضوء. ثمَّ إن هذه المجرَّة جزءٌ لمَجرَّة كبيرة تتضمن سبعَ عشرة مجرة، وتمتد أبعاد هذه المَجموعة في مساحة مليوني عام من الضوء.

ثمَّ إن هناك حَركة أخرىٰ غير هذه الدورات، وهي أن الكونَ كلَّه يتوسَّع ويتضخَّم مثل الكرة في الجوانب الأربعة. والشَّمس تجري بسرعة هائلة تبلغ اثني عشر ميلًا في ثانية نحو الجانبِ الخارجي لمجرَّته، وتقود كل ما يتبع النظام الشَّمسي. وكذلك النُّجُوم كلُّها تتوجه إلىٰ أيِّ جانب بسرعة متزايدة مع متابعة دورانها، فمنها ما يبلغ سيره ثمانية أميال في كل ثانية، وما يبلغ سيره ثلاثة وثلاثين ميلًا في ثانية، وأربعة وثمانين ميلًا في ثانية. وهكذا نجد النُّجُوم كلها متَّجِهَةً نحوَ الأمام.

ومن ذلك: أنه ذكر فِي صَفْحَةِ ١٠٧ آيتين في ذكر السَّموات السبع، ثمَّ قال فِي صَفْحَةِ ١٠٨: إن التَّقدُّمَ الذي أحرزه العلمُ الفزيقي، وظهور الكشوف العلمية الحديثة في الفلَك قد مكَّنت العلماء مِن فَهْم هذه السموات السبع والأراضي السبع. فقد أثبت العِلمُ بأن الشَّمس والقَمَر والنُّجُوم والمذنبات والنيازك والشهب والسدم، إنما هي سموات فوق سموات، تتألَّف منها عوالم الكون. يقول العالِم الفَلكي «أرثر فندلاي» في كتابه «علىٰ حافة العلم الأثيري»: إنَّ العِلمَ أثبت أن السموات السَّبع هي أفضية مُناسبة يتبَعْثَر خلالها، ويَرتدُّ ضَوء الشموس السَّبع الأثيرية الَّتي تحيط بالشَّمس الفزيقية من كل جانب. وأكَّد أن

الأراضي السبع هي كُرات أثيرية تحيط بالكرة الأرضية وتتخللها.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ١١٤**: إن الكثير مِن شبابنا اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ مثل هذه الكتب -يعني كتابَه وما أشبه من الكتب المضلة- لتُلقي لهم ضوءًا علىٰ ماضيهم المشرق، وتَكشف لهم الحجابَ عن حضارتهم الرَّائعة الَّتي طمسها الأعداء أو كادوا.

ومن ذلك: **قوله فِي صَفْحَةِ ١١٧**: ومِن هذا المنطلق وَجدتُ نفسي مُضطَرًّا إلىٰ توسيع هذا الكتاب إلىٰ الحد الذي وصل إليه، لعلي أُساهِمُ بجُهدِ المُقلِّ في بَثِّ الوعي الإسلامي بإلقاء شيء من الأضواء علىٰ علم خطيرٍ من العلوم الَّتي اشتغل بها علماؤنا الأعلام -رضي الله عنهم وأرضاهم- حتىٰ كانوا أئمة فيه، ألَا وهو عِلْم الفلك.

فهذه نماذج مما في كتاب الصَّوَّاف مِن الهَذيان والسَّخافات الَّتي يَضحَك منها كلُّ عاقل، وقد تقدَّم الرَّدُّ عليها مُفصَّلًا في مواضعه مِن هذا الكتاب سوىٰ الأخير من أقواله، فسيأتي الرَّدُّ عليه قريبًا إن شاء الله تَعالىٰ.

وإذا عُلم ما ذكرنا من هذه النماذج السَّخيفة، وما قبلها من العبارات البَشِعة المنكرَة جدًّا، فلا يقول: إنَّ الكثير من شبابنا اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ الكتاب الذي قد اشتمل عليها وعلىٰ أضعاف أضعافها من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وإلىٰ أمثاله من الكتب المضلة؛ لتُلقي لهم ضوءًا علىٰ ماضيهم

المشرق، وتكشف لهم الحِجابَ عن حضارتهم الرَّائعة - إلَّا مَن هو في غايةِ الجهل والغباوَة، ومَن لا يَعرف الفَرقَ بين الكتب النافعة والكتب الضَّارَّة.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ ذمَّ التَّخرُّص واتباعَ الظن بأبلغ الذَّمِّ، فقال تَعالىٰ: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم: ٢٨-٣٠].

وفي الحديث الصحيح عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «إيَّاكُم والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحَدِيث» رواه مالك وأحمدُ والشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1].

وقد خالَف الصَّوَّاف ما ذكرنا من الآيات والحَديث الصَّحيح، حيث حَشَا كتابَه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، ولم يَكتفِ بالمخالفةِ لِما جاء عن

(١) أخرجه مالك في (٣٣٦٧)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣)، وأبو داود (٤٩١٧)، والترمذي (١٩٨٨)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الله تَعالىٰ ورسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، بل ضَمَّ إلىٰ ذلك التَّرغيبَ فيما ذمَّه الله ورسولُه صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، حيث زعم أن الكثيرَ مِن الشَّباب اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ كتابه وأمثاله من الكتب المُشتملة علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة، وهذا عَين المحادَّة لله ولرسوله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

الوجه الرَّابع: قد تقدَّم في أول الكتاب أحاديثُ كثيرة في الخَوف من التصديق بالنُّجُوم، والنَّهيِ عن النَّظر فيها، وعَن مُجالسة مَن يَنظُر فيها، والأمْر بالإمساك إذا ذُكِرَت، وأنَّ مَن اقْتَبَس بَابًا مِن علم النُّجُوم لغير ما ذكر الله، فقد اقتبس شُعبةً مِن السِّحرِ. وحديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ مرفوعًا، وفيه: «وتَعلَّموا مِن النُّجُوم ما تَهتَدُون به في ظُلمات البرِّ والبَحر، ثمَّ انْتَهُوا»(١). وحديث عُمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُ بنحوه(٢). وحديث ابن عباس رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا «رُبَّ نَاظِرٍ في النُّجُوم ومُتعَلِّمٍ حُروفَ أبي جاد ليسَ له عند اللهِ خَلاقٌ»(٣).

وقد خالف الصَّوَّاف جَميعَ ما أشرنا إليه من الأحاديث الَّتي سبق ذكرُها في

---

(١) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٢٣٨) (١٥٩٤) من طريق حميد بن زنجويه. قال ابن رجب: «وفي إسناد رواته ابن لهيعة». انظر: «مجموع الرسائل» (٣/ ١١)، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٢٤٠) (٢٥٦٤٩)، ومن طريقه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٧٩١) (١٤٧٤)، وقد سبق تخريجه.

(٣) قال الألباني: «موضوع». انظر: «الضعيفة» (٤١٧)، وقد سبق تخريجه.

أول الكتاب، حيث رغَّب الناسَ في كتابه الذي قد اشتمل علىٰ التَّخرُّص في النُّجُوم، وزعم أن الكثيرَ من الشباب اليوم في حاجة ماسَّةٍ إليه وإلىٰ أمثاله من الكتب المُضِلَّة، ولقد أحسَن الشَّاعِرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّام مِحنَتِه ... حتَّىٰ يَرىٰ حَسنًا مَا ليس بالحَسَن

وأَحسَن مِن ذلك وأَبلَغُ قولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الزخرف: ٣٦-٣٧].

الوَجه الخامس: ذكَر الحافظ ابنُ رَجب -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- في كتابه «بيان فَضل عِلم السَّلف علىٰ عِلْم الخَلف»(١) حديثَ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا: «رُبَّ نَاظِرٍ في النُّجُوم ومُتعَلِّمٍ حُروفَ أبي جاد، لَيس له عند الله خَلاق» ثمَّ قال: وهذا مَحمولٌ علىٰ علم التأثير، لا علم التَّسيير، فإن علم التأثير باطلٌ مُحرَّم، والعمَل بمقتضاه -كالتقرب إلىٰ النُّجُوم وتقريب القَرابين- لها كُفرْ. وأما عِلمُ التَّسيير فإذا تعلَّم ما يحتاج إليه للاهتداء ومعرفة القِبلة والطُّرق كان جائزًا عند الجمهور، وما زاد عليه فلا حاجةَ إليه، وهو يشغلُ عما هو أهمُّ مِنه. وكذلك التَّوسُّع في علم الأنساب، هو مما لا يُحتاج إليه، وقد سبق عن عُمر وغيره النَّهيُّ عنه.

---

(١) (ص٢).

قلتُ: قد تقدَّم حديثُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أول الكتاب، وتقدَّمت الإشارةُ إليه في الوجه الرَّابع.

قال ابنُ رَجَب(١): وكذلك التَّوسُّع في علم العربيَّة لُغةً ونَحوًا، هو مما يشغلُ عن العِلم الأهم، والوُقوف معه يحرِم عِلمًا نافعًا. وقد كَرِه القاسم بن مُخيمرة علمَ النحو وقال: أوله شُغل وآخره بَغي. وأراد به التَّوسُّع فيه. وكذلك كره الإمام أحمدُ التوسع في معرفة اللُّغة وغريبها، وأنكر علىٰ أبي عُبيد توسُّعَه في ذلك، وقال: هو يشغل عما هو أهمُّ منه.

ولهذا يُقال: العَربية في الكلام كالمِلْح في الطَّعام، يَعني أنه يُؤخذ منها ما يُصلِح الكلامَ، كما يُؤخذ من المِلح ما يُصلِح الطَّعامَ، وما زاد علىٰ ذلك فإنه يُفسِدُه. وكذلك عِلم الحساب يحتاج منه إلىٰ ما يُعرف به حسابُ ما ينفع من قَسم الفرائض والوَصايا والأموال الَّتي تُقسم بين المستحقِّين لها، والزوائد علىٰ ذلك مما لا يُنتفع به إلَّا في مجرَّد رياضة الأذهان وصقالها لا حاجة إليه، ويشغل عما هو أهم منه.

وأما ما حدَث بعد الصَّحَابَة مِن العُلوم الَّتي توسَّع فيها أهلها وسموها عُلومًا، وظنوا أنَّ مَن لم يكن عالِمًا بها فهو جاهل أو ضالٌّ، فكلُّها بِدعَة، وهي مِن مُحدَثَات الأمور المَنهِي عنها.

---

(١) (ص٣).

ثمَّ ذكر مِن ذلك ما أحدَث المُعتزلة من الكلام في القدَر وضَرب الأمثالِ للهِ، وما أحدثَه أهلُ الرَّأي من الضَّوابط والقواعد العَقليَّة، والجدال والخِصام والمِراء في مسائل الحلال والحرام. وكذلك ما أحدَثَه غيرُهم مِن الكلام في العُلوم الباطنة مِن المَعارف وأعمال القُلوب بمُجرَّد الرَّأي والذَّوْق والكَشْف.

قلتُ: ومِن ذلك ما أحدثه أهلُ الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم مِن الكلام في الأرْض والسَّموات والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم بمجرَّد التَّخَرُّصات واتباع الظُّنُون الكاذبة والتَّعاطي لِما استأثر اللهُ به مِن علم الغيب. وهذا هو الذي أودَعه الصَّوَّاف في كتابه وزعم أن الكثيرَ من الشباب اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ معرفته، وهذا إن لم يكن شَرًّا مِن علم التأثير -الذي لا خِلاف في تحريمه- فليس بدُونه.

وإذا كان التَّوسُّع في عِلم النَّسب والنَّحو واللُّغة والحِساب مَكرُوهًا عند بعض علماء السَّلف، وكذلك التَّوسُّع في عِلم النُّجُوم، قد ورَد النَّهي عنه، كما تقدَّم في حديث أَبي هُريرَةَ المَرفوع، وحديث عُمر الموقوف، فماذا يُقالُ فيمن يُرغِّب الناسَ فيما نَهىٰ اللهُ ورسولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه مِن التَّخَرُّصات واتباع الظُّنُون الكاذبة، والتعاطي لعِلم الغيب؟

الجواب: أنْ يُقالَ: لا شكَّ أن هذا مِن المُحادَّة لله ولرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتِّباع غَير سَبيل المؤمنين، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا**

تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٥: ووَجَدْنا إلىٰ أبوابِ جَهنَّم هم مِن جلدتنا، ويتكلمون بألسِنتنا، مَن أجابهم في دعوتهم الضَّالَّة، وفِتنَتِهم المُضلِّلة قَذَفوه فيها، وأَلْقوه في الحَميم، وتركوه في الجَحيم.

والجواب أنْ يُقالَ: أما تَخشىٰ -يا صَوَّافُ- أن تكونَ من هؤلاء الدُّعاة إلىٰ أبواب جهنم وأنت لا تَشعُر؟ أما عَلمتَ أن رِسالَتَك في علم الفَلَك قد اشتمل أكثر مباحِثِها علىٰ مُخالفةِ الكتاب والسُّنَّة والإجماع؟ وما كان ذلك فهو مِن أعظم أسباب الضَّلال الذي يدعو إلىٰ جهنم. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[النحل: ٢٥].

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٥: ولا يَصلح آخرُ هذه الأمة إِلَّا بما صَلح به أوَّلُها.

والجواب أنْ يُقالَ: وهل ظَننتَ -أيها الصَّوَّاف- أن صلاحَ أوَّل هذه الأمَّة إنما كان بالاشتغال بعلم الفَلَك، وإنشاء المَراصد الذي أَلَّفْتَ كتابَك لتأييده، وحَشَوْتَهُ مِن تَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة وأقوالهم الباطلة، وزعمتَ في أوله أن علْمَ الفلك كان مِن أول العلوم الَّتي لفَتَت أنظارَ العُلماء المسلمين، وجَلَبَت اهتمامهم وعنايتَهم بها، ثمَّ زعمت في آخره أن الكثيرَ مِن الشباب اليوم في حاجة ماسَّة إلىٰ مثل كتابِكَ؟!

كَلَّا، بل إنما كان صلاحُ أوَّل هذه الأمة بالتَّمسك بكتاب الله تَعالىٰ وسُنَّة رسوله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وبذلك ظَهَروا علىٰ الأمم في مَشارق الأرض ومغاربها، وعلَت كلمةُ الله، وظَهر دينُه علىٰ الدِّين كله. ولم يكن أحدٌ مِنهم يشتغل بعلم الفَلك أو يلتفتُ إليه. وإنما ظهر الاشتغالُ بعِلم الفلك في زمن المأمون حين عُرِّبت كتبُ الأوائل ومَنطق اليُونَان، فظهر الضَّعفُ في المسلمين منذ ذلك الزَّمان، وما زال الضعفُ يَزداد فيهم شيئًا فشيئًا بقَدر إعراضِهم عن الكتاب والسُّنَّة، وإقبالِهم علىٰ العُلوم المُرْدِيَة المُهلِكَة، حتىٰ

آلَ الأمرُ بكثيرٍ منهم إلىٰ الرِّدَّة والانسلاخِ مِن دِين الإسلام بالكُلِّيَّة، كما أخبر بذلك الصَّادق المصدوقُ -صلوات الله وسلامه عليه- في قوله: «إنَّ النَّاسَ دَخلوا في دِينِ الله أفواجًا وسيَخْرُجُون منه أفواجًا» رواه الإمام أحمدُ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١).

وروىٰ الحاكِم في «مستدركه» من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه، وقال الحاكِمُ: صحيح الإسناد، ووافقه الذَّهبيُّ في «تلخيصه»(٢).

وقد تقدَّم في أول الكتاب كلامُ شَيخ الإسلام أبي العبَّاس بن تَيْمِيَّةَ في المأمونِ بسَبب ما أدخله علىٰ هذه الأمة من العُلوم الفلسفيَّة. وكلام الذَّهبي والمَقريزي في ذلك -أَيْضًا-، فليُراجع، فإنه حسَنٌ جِدًّا.

وإذا عُلم أن صلاحَ أول هذه الأمَّة، إنما كان بالتَّمسك بكتاب الله وسُنَّة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليُعلَم أن صلاح آخرِ هذه الأمة إنما يكون بذلك.

واللهُ المَسئول المَرجُو الإجابة أن يُصلحَ أحوالَ المسلمين، وأن يَرزُقَهم

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٤٣)، وغيره من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣١٥٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤١) (٨٥١٨)، والدارمي في «سننه» (٩١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي إسناده من لا يعرف.

الرُّجوعَ إلىٰ ما كان عليه أوَّل هذه الأمة، وأن يَنصُرَ دِينَه، ويُعلِيَ كَلِمَتَه، ويُظهر دينَه علىٰ الدِّين كله ولو كره المشركون.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧ عن القرآن: إنه كتاب أَبَدِيٌّ سَرمَدِي، أُنزِل للخُلود والبقاء، وليكون دِينًا أَبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

والجواب أنْ يُقالَ: أما قوله: إن القرآنَ أُنزل للخلود والبقاء فهو مَردودٌ بما رواه ابن ماجَهْ في «سُنَنِه» بإسناد صحيحٍ، والحاكمُ في «مستدركه» من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُسْرَىٰ علىٰ كتابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ في لَيلَةٍ، فلا يَبقَىٰ في الأرْضِ مِنه آيَةٌ» الحديثَ، قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»[1].

وفي «صحيح ابن حبان» من حديث أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يُسْرَىٰ علىٰ كتابِ اللهِ، فَيُرْفَعُ إلىٰ السَّمَاء، فلَا يَبقَىٰ في الأرْضِ مِنه آيَةٌ»[2] الحديث.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢٠) (٨٤٦٠)، وغيرهما من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٨٧).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٦) (٦٨٥٣)، وغيره من حديث أبي

وروى الحاكمُ -أَيْضًا- عن عبد الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (إن هذا القرآنَ الذي بين أظْهُرِكُم يُوشكُ أنْ يُرفَع. قالوا: وكيف يُرفع وقد أثبَته الله في قلوبِنا، وأثبتناه في مَصاحفنا؟ قال: يُسرىٰ عليه ليلةً، فيَذهَبُ ما في قُلوبكم، وما في مصاحِفكم. ثمَّ قرأ: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء: ٨٦]). قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(١).

وروىٰ الحاكِمُ -أَيْضًا- عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (يُسرَىٰ علىٰ كتابِ الله، فيُرفَعُ إلىٰ السَّمَاء، فلا يُصبِحُ في الأرضِ آيَةٌ مِن القُرآن، ولا مِن التَّوراة والإنجيل ولا الزَّبور، ويُنتزَع مِن قلوب الرِّجال، فيُصبِحون ولا يَدرُون ما هو). قال الحاكم: صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يُخرِّجاه، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وهذا الأَثَر والذي قبله لهما حُكْم المَرفوع.

وَأَمَّا قولُه: وليكون دِينًا أَبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

فجوابه من وجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: ما زعَمَه ههنا فهو تخَرُّصٌ مَردود بما تقدم عن حُذيفة

=

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٤٩) (٨٥٣٨)، وغيره عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٢) (٨٥٤٤)، وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به.

وابن مسعود وأَبي هُريرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، أن القرآنَ يُسرىٰ عليه في آخرِ الزمان، ويُرفَع إلىٰ السَّمَاء، فلا يَبقىٰ في الأرض منه آيةٌ. وإذا رُفع القرآنُ إلىٰ السَّماء، فأيُّ دِينٍ يَبقىٰ في الأرض بعد ذلك؟!

الوَجْهُ الثَّاني: ما ثَبت عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتىٰ لا يُقالَ في الأرضِ: الله الله» رواه الإمام أحمدُ ومسلم والترمذي من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وفي رواية لأحمد: «لا تَقومُ السَّاعةُ حتَّىٰ لا يُقالَ في الأرْضِ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ» ورواه ابن حبان في «صَحِيحه» بنحوه[(١)].

وفي هذا الحديث الصحيح دليلٌ علىٰ أن الإنسانية جمعاء تَعود إلىٰ الكفر في آخر الزمان، حتىٰ إنَّهم لا يَذكرون اسمَ الله بالكُلِّيَّة. وفي هذا أبلغُ رَدٍّ لِمَا زَعمه الصَّوَّاف من كون القرآنِ يَكونُ دِينًا أبدِيًّا للإنسانية جمعاء.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ليست الإنسانيةُ باقيةً علىٰ الأبد، حتىٰ يَكونَ لها دينٌ أبديٌّ يَبقىٰ علىٰ الدَّوام، بل لابُدَّ لها ولجَميع مَن علىٰ وجه الأرض مِن الفَناء؛ قال الله تَعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٧)، ومسلم (١٤٨)، والترمذي (٢٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٢٦٣) (٦٨٤٩)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

ومَن زَعَم أن الإنسانيةَ تَبقىٰ إلىٰ الأبد، فلَيس عنده إيمانٌ بقِيام السَّاعة وإماتَة الخلائق كلهم، وبَعثِهم بعد ذلك ليوم الفصل والقضاء. وليس للإنسانية في ذلك اليوم دِينٌ تَعمل به، وإنما هو الحسابُ والجزاء علىٰ الأعمال؛ إنْ خَيرًا فَخير، وإنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وقد ذَكر الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٥٥ أنه بعد ٤٣٢ مليون سنَة ينقص دوران الأرض بمِقدار ساعة، وعندئذ يُصبح مجموع ساعات الليل والنهار ٢٥ ساعة، قال: «وهكذا يتوالىٰ النقص، ويطَّرد طول الليل والنهار. وعلىٰ هذا الأساس يقول العلماءُ: إن الأرض لابُدَّ أن تقف يومًا. وعند وقوفها يصبح الوجهُ المقابل للشمس نهارًا دائمًا، والوجهُ البَعيدُ عنها ليلًا دائمًا». انْتَهىٰ.

وهذا القولُ الباطِلُ يَقتضي أن الإنسانيَّةَ لا تَزالُ باقيةً إلىٰ الأبَد، وأنه ليس هناك قيامَةٌ ولا بَعثٌ ولا آخِرَةٌ.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧ ما نَصُّه:

ومِن هذا المُنطَلَق وجدتُ نفسي مضطرًّا إلىٰ توسيع هذا الكتاب إلىٰ الحدِّ الذي وصل إليه، لعَلِّي أُساهم بجهد المُقلِّ في بثِّ الوَعي الإسلامي بإلقاء شيء من الأضواء علىٰ عِلمٍ خطير من العلوم الَّتي اشتغل بها علماؤنا الأعلام -رضي الله عنهم وأرضاهم- حتىٰ كانوا أَئِمَّةً فيه، أَلَا وهو علم الفلك.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أَنْ يُقالَ: إنَّ بَثَّ الوعي الإسلامي إنما يكون بنَشر علوم الكتاب والسُّنَّة، لا بنَشر الأباطيل والجهالات والضلالات الَّتي هي مِن وَحْي الشياطين إلىٰ أوليائهم.

وكتاب الصَّوَّاف مِن هذا القسم المذموم؛ لأنه مملوء من تَخَرُّصات الإفرنج، وظنونهم الكاذبة. وما كان كذلك فليس فيه إعانةٌ علىٰ بثِّ الوعي الإسلامي بوجهٍ من الوجوه، وإنما فيه إعانةٌ علىٰ بثِّ الباطل وإظهاره.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الصَّوَّاف ليس عنده تَمييزٌ بين الحقِّ والباطل، فلهذا زعم أنه يُساهم بالأباطيل الَّتي جمَعها في بثِّ الوعي الإسلامي، وهذا مِن عَجيب أمره، حيث قلَب الحقيقةَ وعَكَس القضيَّةَ؛ لأنه علىٰ الحقيقة إنما سَاهَم في بثِّ

الباطل وادْحَاض الحقِّ، كما لا يَخفىٰ علىٰ مَن نَوَّر اللهُ قَلبَه بنُور العِلم والإيمان.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: ليس في كتاب الصَّوَّاف شيء من أضواء العِلم النافع، وإنما هو مملوء من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي هي في الحقيقةِ ظُلماتٌ بَعضُها فوق بعض، وقد ذكرتُ قريبًا نماذج مما فيه من السَّخافات والأقوال البشعة، فلتراجع.

الوجه الرَّابع: أن عِلم الفلك ليس بعلم خَطير، كما زعمه الصَّوَّاف، ولو كان خطيرًا لما أهمله الصَّحَابَةُ رضوان الله عليهم أجمعين، فإنهم كانوا أسبقَ إلىٰ الخير والعُلوم النافعة ممن جاء بعدهم. وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسان، وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، فإنهم كانوا أحرصَ علىٰ تحصيل العلوم النافعة ممَّن كان بعدهم. ولكنه علمٌ لا يخلو في الغالب من تَعاطي علم الغيب، وما كان كذلك، فهو علمٌ مُرْدٍ مُهْلِكٌ. وما سَلِم منه مَن تعاطىٰ علْمَ الغيب؛ فهو علْمٌ كَثيرُ العَناء قليلُ الجَدْوىٰ.

ومَن زعم أن علم الفلك علمٌ خَطير، فهو مِن أجهل الناس وأقلهم تمييزًا بين العلوم النافعة وغير النافعة.

الوجه الخامس: أن العلماء الأعلامَ من المسلمين لم يكونوا يشتغلون بعلم الفلَك كما زعمه الصَّوَّاف، وإنما كان يشتغل به الفَلاسِفَة والمنجِّمون الذين هم من أبْعدِ الناس عن العلوم الشرعية النافعة. وهذا كان في الأزمان

السَّابعة، فأما في الأزمان الأخيرة، فأكثرُ مَن يَعتني به ويشتغل فيه فَلاسِفَة الإفرنج. وأقوالهم فيه وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة هي الَّتي أَودعها الصَّوَّاف في كتابه، وزَعم أنه يُساهم بها في بثِّ الوعي الإسلامي. فهم عُلماء الصَّوَّاف وأعلامه الذين سَأل اللهَ أن يَرضىٰ عنهم ويُرضِيَهم.

* * *

فصل

وقال الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ١١٧-١١٨ ما نَصُّه:

وهذا العِلمُ -يعني عِلمَ الفلك- يَبعَثُ الإيمانَ ويَزيدُه، ويَدعو إلىٰ تَعميقِ جذوره في قلبِ الإنسان. وقديمًا قد قيل: إنَّ أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماء الفلَك، لأنهم يَرون مِن عجائب صُنع الله ما لا يَراه غيرهم.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن علمَ الفلك لا يخلو في الغالب مِن تَعاطي علم الغيب كما يفعله المُنجِّمون في قديم الدَّهر وحديثه، وكما هو شأنُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، فإن غالب أقوالهم في الأجرام العُلوية مِن اتِّباع الظن والرَّجْمِ بالغيب. وما كان كذلك فهو مما يَبعث علىٰ الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت ويَزيده، ويدعو إلىٰ تعميق جُذوره في قلوب المفتونين به.

وكتاب الصَّوَّاف في عِلم الفلك مِن هذا القَبيل؛ لأنه مملوءٌ مِن تعاطي علم الغيب، فهو مما يَبعَثُ علىٰ الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت ويَزيده، ويدعو إلىٰ تعميق جذوره في قلوب الجهال. وما كان مِن علم الفلك خاليًا من تعاطي علم الغيب، فهو قليلُ الجدوىٰ، يَصدُّ المُشتَغِلَ به عما هو أهمُّ مِنه من العلوم النافعة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إن العِلمَ الذي يَبعث علىٰ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما وعَد الله به أولياءه من جَزيل الثواب، وما توعَّد به أعداءه من وَبِيل العذاب هو عِلم الكتاب والسُّنَّة، فهو العِلْم النافع علىٰ الحقيقة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ١٢٥﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [المائدة: ١٥-١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم

مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾﴾ [الحديد: ٨-٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الإسراء: ٩-١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٣-١٢٧].

وفي الحديث الصَّحيح عن زَيدِ بن أَرقَمَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، قال: قام رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ يومًا فِينا خَطيبًا بماءٍ يُدعىٰ خُمًّا، بين مكَّةَ والمدينة، فحَمِد الله وأثنىٰ عليه، ووَعَظَ وذَكَّرَ ثمَّ قال: «أمَّا بعدُ، ألَا أيُّها النَّاسُ، فإنَّما أنا بَشَرٌ يُوشِكُ أن يَأتِيَ رسولُ رَبِّي فأُجِيبَ، وأَنا تارِكٌ فِيكم ثقَلَيْن: أَوَّلُهما: كتابُ الله، فيه

الهُدىٰ والنُّور، فخُذوا بكتابِ اللهِ واسْتَمْسِكُوا به، فحَثَّ علىٰ كتاب الله ورَغَّب فيه» الحديثَ، رواه الإمام أحمد ومسلم[1].

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «كِتابُ الله فيه الهُدىٰ والنور، من اسْتَمْسَكَ به وأخَذ به كان علىٰ الهُدىٰ، ومَن أَخطَأَه ضَلَّ»[2].

وفي رواية له أخرىٰ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ألَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُم ثَقَلَيْن: أَحَدُهُما: كِتابُ الله عَزَّوَجَلَّ، هو حَبْلُ اللهِ، مَنِ اتَّبَعَه كان علىٰ الهُدىٰ، ومَن تَرَكَه كان علىٰ ضَلَالَةٍ»[3].

وروىٰ مسلم -أَيْضًا- وأبو داود وابن ماجَهْ: عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في حديثه الطَّويل في صِفة حَجِّ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في خُطبته يوم عرفَةَ: «وقَد تَركْتُ فِيكم ما لَن تَضِلُّوا بَعدَه إنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَاب اللهِ» ورواه الترمذي بنحوه مختصرًا[4].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٦)، ومسلم (٢٤٠٨)، وغيرهما من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، والترمذي (٣٧٨٦)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، وغيرهم من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وروى مالك في «الموطأ»(١) **بلاغًا:** أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تَرَكْتُ فِيكُم أَمْرَيْن لَن تَضِلُّوا ما تَمَسَّكْتُم بِهِمَا: كِتَاب اللهِ، وسُنَّة رَسُولِه».

وروى الحاكمُ في «مُستدركه» عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ الناسَ في حجَّة الوَداع -فذكَر الحديث، وفيه أنه- قال: «يَا أَيُّها النَّاسُ، إنِّي قد تركْتُ فِيكم ما إنِ اعْتَصَمْتُم به فلن تَضِلُّوا أبدًا: كِتَاب اللهِ وسُنَّة نَبِيِّه» صححه الحاكم، ووافقه الذهبي في «تلخيصه»(٢).

وروى الحاكم -أَيْضًا- عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي قد تَركْتُ فِيكم شَيئَيْن لَن تَضِلُّوا بعدَهُما: كِتَاب اللهِ، وسُنَّة نَبِيِّه، ولَن يَتفَرَّقَا حتىٰ يَرِدَا عَلَيَّ الحَوضَ»(٣).

وروى الطبراني في «الكبير» وابن حبان في «صَحِيحه» عن أبي شُريح الخُزاعي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنَّ هذا القُرآنَ طَرَفُه بِيَدِ اللهِ، وَطَرَفُه بأَيدِيكُم، فتَمَسَّكُوا به، فإنَّكم لَن تَضِلُّوا، ولَن تَهلِكُوا بَعدَه أَبدًا» قال

---

(١) (٢/ ٨٩٩) (٣).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧١) (٣١٨)، وعنه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ١٩٤) (٢٠٣٣٦)، وغيرهما من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧٢) (٣١٩)، والدارقطني في «السنن» (٥/ ٤٤٠) (٤٦٠٦)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

المُنذري: إسنادُ الطبراني جيد. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح[١].

وروى الطبراني -أَيْضًا- في «الكبير» و«الصغير»، والبزَّار من حديث جُبير بن مُطعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحوَه[٢].

وروى أبو عُبيد القاسم بن سلام وابن مَردويه: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ هذا القُرآنَ هو حَبْل اللهِ المَتين، وهو النُّورُ المُبين، وهو الشِّفاءُ النَّافع، عِصمَةٌ لِمَن تَمسَّكَ بِه، ونَجاة لِمَن اتَّبَعَه» ورواه الطبراني والبغوي بنحوه موقوفًا[٣].

وروى الترمذي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٨٨) (٤٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٣٢٩) (١٢٢)، وغيرهما من حديث أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩). وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٢٦) (١٥٣٩)، و«الصغير» (٢/ ٢٠٩) (١٠٤٤)، والبزار في «مسنده» (٨/ ٣٤٦) (٣٤٢١)، وغيرهما من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٤).

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٤٩)، وابن مردويه كما في «تفسير ابن كثير» (٢/ ٨٩)، وغيرهما من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٦٨٤٢)، وقد اختلف في رفعه ووقفه، فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٣٠) (٨٦٤٦)، وغيره عن ابن مسعود موقوفًا.

يقول: «أَلَا إِنَّها سَتكُون فِتنَة». فقلت: ما المَخرَج منها يا رسولَ الله؟ قال: «كِتَابُ اللهِ، فِيه نَبأُ مَا قَبلَكُم، وخَبرُ ما بَعدَكُم، وحُكْمُ ما بَينكُم، وهو الفَصْلُ لَيس بالهَزْل، مَن تَركَه مِن جَبَّارٍ قَصَمَه اللهُ، ومَن ابْتَغىٰ الهُدىٰ في غيرِه أَضَلَّه اللهُ، هو حَبلُ اللهِ المَتين، وهو الذِّكْرُ الحَكِيم، وهو الصِّراطُ المُستَقِيم» الحديث، قال الترمذي: غريب[1].

وإذا عُلم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، فلا يُعرِض عن عِلم الكتاب والسُّنَّة ويَشتغل بعِلم الفلك، ويَزعم أنه يَبعث الإيمانَ ويزيده ويَدعو إلىٰ تعميق جُذوره في قلبِ الإنسان إِلَّا مَن هو مِن أَجهَل الناس، وأَبعَدِهم عن تَحصيل العِلم النافع، ومَعرفة الفرق بينه وبين الجَهالات والضلالات الضارَّة.

الوجه الثَّالث: أنْ يُقالَ: لو كان ما زعَمه الصَّوَّاف ههنا صحيحًا لكان أطباء اليُونَان والإفرنج وفلاسفتهم الفلكيون من أعظمِ الناس إيمانًا بالله. والواقع شاهد ببُطْلان هذا القول وكَذِب من قاله؛ لما عليه أطباء اليُونَان والإفرنج وفلاسفتهم من الكُفْر العظيم. وكذلك الأطباء والفلكيون من سائرِ أُمَم الكفر والضلال.

الوجه الرَّابع: أنْ يُقالَ: لو كان عِلم الفلك يَبعث الإيمان ويزيده ويَدعو

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٠٦)، وغيره من حديث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٧٤).

إلىٰ تَعميق جُذوره في قلبِ الإنسان لكان الصَّحَابَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أَحرصَ عليه من غيرهم، فإنهم كانوا أحرصَ علىٰ الخير، وتَحصيل العِلم النافع ممَّن كان بعدهم. وقد كان بعضُهم يُسافِر مَسيرةَ الشَّهر وأكثر مِن ذلك في طلب الحديث الواحد، وكذلك التَّابعون وتابعوهم بإحسان وأئمة العلم والهدىٰ مِن بعدهم، فإنهم كانوا يسافرون إلىٰ الأقطار البَعيدة في طلبِ العُلوم النافعة، ومع هذا لم يكونوا يَشتَغِلون بعِلم الفلك ولا ينظرون فيه. ولو كان فيه أدْنىٰ مَنفعَة لَمَا كان الصَّحَابَة والتَّابعون وتابعوهم بإحسان يُهمِلُونَه.

وَأَمَّا قولُه: وقديمًا قد قيل: إن أشدَّ الناس إيمانًا بالله هم علماء الطِّبِّ وعلماء الفَلَك.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: لقد أخطَأ من قال هذا القولَ الباطلَ خَطأ كبيرًا، وأخطأ مَن أَورَده في كتابه مُقَرِّرًا له: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٥].

وهذا القول الباطِل لا يَصدر مِن رجل يَعلم ما يقول؛ لأنه يَقتضي تفضيلَ الأطباء والفلكيين علىٰ النَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين. وهذا خلاف الكتاب والسُّنَّة، وخلاف ما عليه المسلمون كافَّة. وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء: ٦٩]، ولو كان الأمرُ علىٰ ما

زعمه الصَّوَّاف لكان يَجعل المُطيعين لله والرسول مع الأطباء والفلكيِّين.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الحديد: ١٩]، والصِّدِّيقون هم أعظمُ أتباع الرُّسل إيمانًا بالله. ولو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لقال: والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الأطباء والفلكيون.

وقال تَعالىٰ في سورة الأنعام بعد ما ذِكر جملة من الأنبياء: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ولو كان الأمر علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف لكان يَأمر بالاقتداء بالأطباء والفلكيين.

وروىٰ الإمام أحمدُ عن عمرو بن مُرَّة الجُهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجلٌ إلىٰ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسولَ الله، شهدتُ أن لا إلهَ إلَّا الله وأنَّك رسولُ الله، وصَلَّيتُ الخَمسَ، وأَدَّيتُ زَكاةَ مَالي، وصُمتُ شَهرَ رَمضانَ، فقال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَن مَات علىٰ ذلك كان مَع النَّبيِّين والصِّدِّيقِين والشُّهداءِ يومَ القيامَة هَكذَا -ونصب أصبعيه- ما لم يَعُقَّ وَالِدَيْهِ»(١).

وروىٰ الإمام أحمد -أَيضًا- عن معاذ بنِ أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَن قَرأ أَلْفَ آيةٍ في سَبيل الله كُتِب يوم القيامةِ مَع النَّبيِّين

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٥٢٢) -ط: الرسالة- وغيره من حديث عمرو بن مرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وصححه الأرنؤوط.

والصِّدِّيقِين والشُّهداءِ والصَّالحين، وحَسُن أولئك رَفيقًا إن شاء الله»(١).

وروىٰ الترمذي عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال:** قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«التَّاجِرُ الصَّدوقُ الأمينُ مع النَّبيِّين والصِّدِّيقِين الشُّهداءِ»** قال الترمذي: هذا حديث حسن(٢).

ولو كان الأمرُ علىٰ ما زعمه الصَّوَّاف، لقال عن هؤلاء المذكورين في هذه الأحاديث: إنهم يَكونون يوم القيامة مع الأطباء والفلكيين.

وإذا عُلم ما ذكرنا من الآيات والأحاديث، فليُعلم -أَيْضًا- أنه لا خلاف بين المسلمين أن أعظمَ الناس إيمانًا بالله الأنبياء، ثمَّ الصِّدِّيقُون، ثمَّ الناسُ بَعدَ ذلك مُتفاوتون في كثرة الإيمان وقلَّتِه. والأطباء والفلكيون المُنتسبون إلىٰ الإسلام هم من أقل الناس حظًّا من الإيمان كما لا يَخفىٰ علىٰ من تتبَّع أخبارَهم وسَبَر أحوالَهم.

وأما الأطباء والفلكيون مِن غير المسلمين فهم مِن أكْفَر الناس. أما أطباء اليُونَان وفلاسفتهم الفلكيون في قديم الدهر فكانوا مشركين يعبدون الأصنام والكَواكِب. وأما أطباء الإفرنج وفلاسفتهم الفلكيُّون فهم ما بين دَهرِيٍّ وعابِدِ صليب. فأيُّ إيمانٍ بالله عند هؤلاء الإفرنج وأولئك اليُونَان، فضلًا عن شدَّة

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٧)، وغيره من طريق سهل بن معاذ الجهني عن أبيه مرفوعًا. قال الألباني: «منكر». انظر: «الضعيفة» (٥٢٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٢٠٩)، وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الألباني: «صحيح لغيره». انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٤٢) (١٧٨٢).

الإيمان الَّتي تَفوق إيمانَ الرُّسل، فَضلًا عن غيرهم مِن الناس؟! وإنَّه ليَصْدُق علىٰ الصَّوَّاف قولُ القائل:

لقَد كان في الأعراضِ سَتْرُ جَهالَة غَدَوْت بها مِن أَشهَر النَّاس في البَلَد

والغَالبُ علىٰ الفلكيين من فَلاسِفَة الإفرنج الإيمانُ بالجِبْت والطَّاغوت؛ لِمَا في كثير من كلامهم من التَّحكُّم علىٰ الغَيب وتصديق مَن يَدَّعي عِلمَ المغيبات من الأجرام العُلوية وغيرها، وقد ذكر الصَّوَّاف في رسالته شيئًا كثيرًا من دعاويهم الكاذبة في ذلك، وقد نبَّهتُ عليها في مواضعها، ولله الحمد والمنة.

ومَن كانوا كذلك فالمُطابِق لأحوالهم علىٰ الحقيقة أن يُوصفوا بشدة الإيمان بالجِبْت والطَّاغوت، لا بشِدَّة الإيمان بالله.

وَأَمَّا قولُه: لأنهم يَرَون من عجائب صُنع الله ما لا يراه غيرهم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن رؤيةَ أعداء الله من الأطباء والفلكيين وغيرهم من الكفار لِعَجائبِ صُنع الله لم تَنفعهم شيئًا، كما قال الله تَعالىٰ فيهم وفي أشباههم: ﴿وَمَا تُغْنِي ٱلْأَيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وأما الأطباء والفلكيون المُنتسبون إلىٰ الإسلام فانتفاعهم بما يَرونه من

عجائب صُنع الله أقلُّ مِن انتفاع غيرهم من المسلمين. ويدل علىٰ ذلك ما هم عليه من التَّهاوُن ببعضِ المأمورات، ولاسيما الصَّلاة، وارتكاب كثيرٍ من المنهيات، ولو كان إيمانهم قويًّا لكانوا يُحافظون علىٰ فِعل المأمورات، ويَبعُدون عن فِعلِ المنهيَّات.

* * *

فصل

وقد انْبرىٰ أبو الأعلىٰ المَودودي وعلي الطنطاوي لمُؤازرة الصَّوَّاف، وتَأييد ما نَشره من الأقوال الباطلة، فصَارَا شَريكَيْن له في كلِّ ما نَشرَه في كتابه مما هو مُخالف لمَدلول الكتاب والسُّنَّة والإجماع.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾[النحل: ٢٥].

وفي «المُسنَد» و«صحيح مسلم» و«السنن»: عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن دَعا إلىٰ هُدًىٰ كانَ له مِنَ الأَجرِ مِثلُ أُجورِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن أُجورهم شَيئًا، ومَن دَعا إلىٰ ضلالَةٍ كان عليه مِن الإثْمِ مِثلُ آثامِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن آثامِهم شَيئًا**» قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح(١).

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٩٧)، ومسلم (٢٦٧٤)، والترمذي (٢٦٧٤)، وغيرهم من حديث =

قال النَّووي: «سَواء كان ذلك الهُدىٰ أو الضَّلالة هو الذي ابتدأه أم كان مَسبوقًا إليه»(١). انْتَهىٰ.

ورَوىٰ الطبراني وغيرُه من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«مَن أَعانَ ظَالِمًا بباطِلٍ ليَدحَضَ بِه حَقًّا فقَد بَرِئَ مِن ذِمَّةِ الله وذِمَّةِ رَسُولِه»**(٢).

ولقد أحسَن الشاعرُ حَيث يقول:

ذهَبَ الرِّجالُ المُقتَدىٰ بفِعَالِهِم ... والمُنكِرُون لكلِّ أَمرٍ مُنكَرِ

وبَقِيتُ في خَلفٍ يُزَيِّنُ بَعضُهم ... بعضًا ليَدفَع مِعورٌ عَن مِعوَرِ

فَطِنٌ لكُلِّ مُصيبةٍ في مَالِه ... وإذا أُصيبَ بِدِينِه لَم يَشْعُرِ

فأما المَودودي فقد ابتدأ كلامَه بإطراء الصَّوَّاف، ومجاوزةِ الحَدِّ في مدحه، وقد أنكر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ المدَّاحين، وأمر أن يُحثىٰ في وُجوههم التُّرابُ. وقد ذكرتُ الأحاديثَ في ذلك قريبًا عند ذِكْر مَدح المحاسني للصَّواف، فلتُراجَع.

=

أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(١) انظر: «شرح النووي علىٰ مسلم» (١٦/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٢١١) (٢٩٤٤)، و«الصغير» (١/ ١٤٧) (٢٢٤)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٠٢٠).

وفي كلامه -أَيْضًا- أخطاء كثيرة سأذكرها، وأُتْبِعُهَا بالرَّد إن شاء الله تَعالىٰ.

فمِن أخطائه: قوله في رسالة الصَّوَّاف: إنَّها قَيِّمَة.

والجواب أنْ يُقالَ: هذا كلامٌ لا يَصدر إلَّا مِن رَجُلٍ قد الْتبَسَتْ عليه الحَقائِقُ حتىٰ صار يَرىٰ الباطلَ في صُورة الحقِّ. وكيف تكونُ رِسالة الصَّوَّاف قَيِّمَة، وهو قد حشاها بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة ورَجْمِهم بالغيب عما لا يَعلمونه؟! وفيها -أَيْضًا- الشيء الكثيرُ من القول علىٰ الله وعلىٰ كتابه وعلىٰ رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ المسلمين بغَير عِلم. وفيها -أَيْضًا- تعظيمُ أعداء الله تَعالىٰ من الكفَرَةِ الفَجَرة، والمُبالغة في الثناء عليهم والدُّعاء لهم بالرحمة والرضا.

فهي بلا شَكٍّ رِسالَةُ تَهَوُّر وجَهْل وضلال، ومَن اسْتَحْسَنَها ورأىٰ أنها رسالَة قَيِّمة فأحسَنَ اللهُ عَزاءه في عِلمِه وعَقلِه. ولقد أحسَن الشَّاعِرُ حيث يقول:

يُقضَىٰ علىٰ المَرءِ في أيَّامِ مِحنَتِه ... حتىٰ يَرىٰ حَسنًا ما ليس بالحَسَنِ

وأحسَنُ مِن هذا وأبلَغُ قَولُ الله تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [المائدة: ٤١].

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قوله في الصَّوَّاف: إنَّه أقام بمكة ليُبَلِّغَ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

والجواب أنْ يُقالَ: ليس الأمرُ كما زعمه المَودودي، فإن الصَّوَّاف لم يَقُمْ

بمَكَّة ليُبلِّغَ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما أقام بها ليأخُذَ المُرتَّبات الضَّخمة لا غير.

ويُقال -أيْضًا-: إن الصَّوَّاف لم يُبلِّغ رسالةَ الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وإنما بلَّغ فيها ما يُخالِفُ الكتابَ والسُّنَّةَ والإجماع من تَخرُّصات فيثاغورس اليُونَاني، وتَخَرُّصات أتباعِه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وظُنونهم الكاذبَة، ورَجْمِهم بالغيب عن السموات والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، فهذا هو الذي نشَره الصَّوَّاف وبَثَّهُ في مشارق الأرض ومغاربها، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

ومِن أخطائه -أيْضًا-: قوله: إن الذي ورَد في كتاب الله تَعالىٰ في بعض آياته عن الأمور الكونيَّة لم يَرِد ليُعَلِّمَ الإنسانَ عِلمَ الطبيعة. وإنما ورَد ليَلْفِتَ نَظَرَ الإنسان إلىٰ ما في آيات الله الكونية من دلائلَ قاطِعةٍ، وحُجَجٍ دَامِغَة علىٰ توحيدِ الله تعالىٰ، والبَعث بعد الموت.

والجواب أنْ يُقالَ: إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هو الذي خلق العالَمَ كلَّه عُلوِيَّه وسُفلِيَّه، وأوْدَع فيه من عجائبِ قُدرته وبديع إتقانه ما أودَع، وليس شيء من ذلك مِن فِعل الطبيعة كما يَزعمه أهلُ الجهل بالله. وإذا لم يكن شيءٌ مِن ذلك مِن فِعل الطبيعة، فأيُّ عِلمٍ يتعلَّق بها أو يُنسب إليها؟!

والذي ورَد في كتاب الله تَعالىٰ عن الأمور الكونيَّة كله حقٌّ، يَجبُ الإيمان به، واعتقادُ أنه هو الحقُّ، وما خالفه فهو باطلٌ.

وبما ورَد في كتاب الله تَعالىٰ عن الأمور الكونية يستدلُّ المُسلمُ علىٰ عظمة الخالق جَلَّجَلَالُهُ وعَظيم إنعامه علىٰ خلقه، حيث سخَّر لهم ما في السموات وما في الأرض. ومِن ذلك تَسخيره للشَّمس والقَمَر، يَجريان دائبين لقيام معايِشِ العِباد ومصالحهم.

وقد جَعل المَودُودِيُّ هذه المُقدِّمةَ الَّتي ذكرنا عنه تمهيدًا لمَنع الاستدلال علىٰ جرَيان الشَّمس ودورانها حول الأرض، بالآيات الَّتي فيها النَّصُّ علىٰ جريانها وطلوعها ودُلُوكِها وتزاورها وغُروبها، وأن الله يأتي بها من المشرق، وأنها تَجري لمستقرِّها الذي أخبر عنه رسولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الحديث الصَّحيح عن أبي ذَرٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ لمَنع الاستدلال -أَيْضًا- علىٰ سُكون الأرض وثباتها بما أخبَر الله به من إلقاءِ الرَّواسي فيها، وجَعلِها أوتادًا لها، وهذا خطأ كبير. وكيف يترك الاستدلال بكلام الله تَعالىٰ علىٰ جَريان الشَّمس حول الأرض ويستدلُّ بتَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة علىٰ سكونها وثباتها، أو ما يزعمه بعضهم من دورانها علىٰ محورها؟!

وكيف يترك الاستدلال علىٰ سكون الأرض، وثباتها بما أخبر الله به من إلقاء الرواسي فيها، وجعلها أوتادًا لها، وجَعلِها قرارًا للمخلوقات. ويستدل

علىٰ دورانها حول نفسِها وحول الشَّمس بتَخَرُّصات أعداء الله وظنونهم الكاذبة؟! ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

ولا يُعرِض عن كلام الله والاستدلالِ به علىٰ ما أخبر الله به عن الأمور الكونية، ويرىٰ أن الحقَّ فيما زعمه أعداءُ الله من تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة إلَّا مَن هو مُصابٌ في دِينه وعَقلِه. اللهم إنا نعوذُ بك مِن زَيْغ القلوب وانتكاسها.

ومن أخطائه -أيْضًا-: قوله: إن القرآنَ لم يَنتَهِج لِذكْره أسلوبًا يصطدم مع عُلوم الإنسان في عصرٍ من العصور اصطدامًا صَريحًا يَحُول بين الإنسان وبين إيمانِه بالله تَعالىٰ وبكتابه، ولأجل ذلك لم يُصرِّح القرآنُ بصورة قاطعةٍ مِن آية من آياته بدَوران الأرض وثبوت الشَّمس، أو ثُبوت الأرض وجريان الشَّمس حولها.

والجواب أنْ يُقالَ: أما العُلوم الصحيحة من علوم الإنسان، فإن القرآنَ لا يُصادِمُها، وإنما يُصادِمُ الأقوالَ الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

ومِن الأقوال الباطلة والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي يصادمها القُرآنُ ويَشهد ببطلانها: ما زعمه فيثاغورس اليُونَاني وتبعه عليه أهل الهَيْئة الجَدِيدة من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، وما تَخرَّصوه في قولهم: إن

الشَّمس ثابتةٌ، وأن الأرض تَدورُ حولها.

والسُّنَّة -أَيْضًا- تُصادِمُ هذا القولَ الباطلَ وتَشهَد ببُطلَانِه.

وقد ذكرتُ الأدلة الكثيرةَ مِن الكتاب والسُّنَّة علىٰ ثبات الأرض وجريان الشَّمس حولها في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ. وذكرتُ -أَيْضًا- إجماعَ المسلمين، وأهلِ الكتاب علىٰ القول بوقُوف الأرض وسكونها، فليراجع -أَيْضًا-.

ومِن الأقوال الباطِلة الَّتي يُصادمها القُرْآن والسُّنَّة: إنكارُ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم من العَصْرِيِّين وُجودَ السموات السبع، وزَعمُهم أن سَعةَ الجَوِّ غيرُ مُتناهِيَة، وزعمُهم تَعدُّدَ الشُّموس والأقمار، إلىٰ غير ذلك من أقوالهم الباطلة الَّتي يُصادمها القُرْآن والسُّنَّة. وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» تسعةَ عشر مثالًا منها، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وقد ذكَر الصَّوَّاف في رسالته الَّتي وافقه المَودودي عليها شيئًا كَثيرًا من تَخَرُّصات أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم في الأرض والسموات والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم، وزعم أن ذلك مِن علوم المسلمين في الفلَك. وكلُّها أقوال باطلة يُصادِمها القُرْآن والسُّنَّة. وقد نبَّهتُ علىٰ كلِّ جُملة منها في موضعها من هذا الرَّدِّ، ولله الحمد والمنة. وفي كل مَوضع من تلك المَواضع ردٌّ علىٰ المودودي في زعمه أن القرآن لم يَنتهج لذكره أسلوبًا يصطدم مع علوم الإنسان في عصر من العصور.

وَأَمَّا قولُه: إن القرآن لم يُصرِّح بصورة قاطعة من آية من آياته بدوران الأرض وثبوت الشَّمس.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا صحيحٌ، فليس في القرآن ما يدل علىٰ دوران الأرض وثبات الشَّمس البتة.

وقد استدل الصَّوَّاف وغيرُه من العَصْرِيِّين علىٰ ما زعموه من دوران الأرض بآيات زعموا أنها تدل علىٰ ذلك، ولا دليلَ في شيء منها علىٰ دوران الأرض، ولكنهم تأولوها علىٰ غير تأويلها، وذلك من الإلحاد في آيات الله تَعالىٰ وتحريف الكلِم عن مواضعه. وقد ذكرتُ ما استدلوا به من الآيات والرَّدَّ عليهم في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وأما زعْمُه أن القرآن لم يصرِّح بصورة قاطعة من آية من آياته بثبوت الأرض، وجريان الشَّمس حولها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذا خطأ وقولٌ بلا علم، فقد جاء التَّصريح بجريان الشَّمس في خمسة مواضع من القرآن. وصرَّح في الآية من سورة (يس) أن الشَّمس تَجري لمستقَرٍّ لها. وسيأتي تفسيرُ ذلك بما في الحديث الصحيح إن شاء الله تَعالىٰ. وصرَّح في آيتين أنها تَسبَح في الفَلَك.

قال الرَّاغب الأصفهاني: «السَّبْح: المَرُّ السَّريع في الماء وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحًا وسباحَةً، واستُعير لمَرِّ النُّجُوم في الفلَك، نحو: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ

يَسۡبَحُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٣]، ولِجَرْيِ الفَرس، نحو: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات: ٣]، ولسُرعَة الذَّهاب في العمل، نحو: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧]» انْتَهىٰ.

وروىٰ ابنُ أبي حاتم عن الضَّحَّاك: ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ قال: الفَلَك السُّرعة والجَري في الاستدارة، ويَسبَحون: يَعمَلون(١).

قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: يُريد أنَّ لفظ الفَلَك يدل علىٰ الاستدارة، وعلىٰ سُرعة الحركة، كما في دوران فَلَكَة المَغزل ودوران الرَّحىٰ.

وقال الشيخ -أَيْضًا-: ولفظ الفَلك في لغة العرب يدل علىٰ الاستدارَة. قال الجَوهري: فلكة المَغزل سمِّيت بذلك لاستدارتها، والفَلكَة قطعة من الأرض أو الرَّمل، تَستدير وترتفع علىٰ ما حولها، والجَمْع فُلك. وقال: ومنه قيل: فلك ثدي الجارية تَفليكًا، وتفلَّك: استدار.

قال الشيخ: «قلتُ: والسباحة تتضمن الجَري بسُرعة، كما ذكر ذلك أهل اللغة»(٢). انْتَهىٰ.

وقال تَعالىٰ: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِ ﴾ [إبراهيم: ٣٣] قال

---

(١) انظر: «الرد علىٰ المنطقيين» (ص٢٦٣).

(٢) المصدر السابق.

أهل اللغة: الدَّأب: إدَامَة السَّير والمبالغة فيه.

وفي هذه الآية أوضحُ دليل علىٰ أن الشَّمس تَجري وتدور علىٰ الأرض لقيامِ مَعايش العِباد ومصالحهم.

وقال تَعالىٰ: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وفي هذه الآية أوضحُ دليل علىٰ سَيْر الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض.

ونَصَّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ علىٰ طُلوعها وغُروبها في عدَّة آيات من القرآن.

ونَصَّ -أَيْضًا- علىٰ دُلُوكِها، وهو زوالها عن وَسَط السَّمَاء، وعلىٰ تَزاورها. وفي كلِّ آية مِن هذه الآيات الَّتي أَشرتُ إليها أوضَحُ دليلٍ علىٰ جريان الشَّمس ودورانها علىٰ الأرض. وقد ذكرتُ هذه الآيات وغيرَها من الآيات الدالَّة علىٰ سير الشَّمس ودورانها علىٰ الأرضِ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وذكرتُ -أَيْضًا- الآياتِ الَّتي تدلُّ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، فلتُراجع -أَيْضًا- ففي كلِّ ما ذكرتُه هناك أبلغُ رَدٍّ علىٰ المَودوديِّ في زعمه أن القرآنَ لم يُصرِّح بصورة قاطعة من آيةٍ مِن آياته بثبوت الأرض وجَريان الشَّمس حولها.

وقد جاء عن النَّبيِّ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أحاديثُ كَثيرة تدل علىٰ سيرِ الشَّمس

ودورَانِها علىٰ الأرض. وأحاديثُ أخرىٰ تدل علىٰ ثباتِ الأرض واستقرارها، وقد ذكرتُها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فلتراجع -أَيْضًا- ففيها أبلغُ رَدٍّ علىٰ المودودي في زعمه أن القرآنَ لم يصرح بصورة قاطعةٍ بثبوت الأرض وجريان الشَّمس حولها.

وما صرَّح به النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو مما صرَّح به القرآن، قال الله تَعالىٰ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد ذكرتُ في «الصَّواعِق الشَّديدَة» -أَيْضًا- إجماعَ المسلمين علىٰ القول بوُقوف الأرض وسكُونِها، وإجماعُ المُسلمين حُجَّةٌ قَاطِعَة، لقول الله تَعالىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

ومن أخطائه -أَيْضًا-: قولُه: أما قولُه تَعالىٰ: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ﴾ [يس: ٣٨] فليس معنىٰ ذلك أن الشَّمسَ تَدور حول الأرض، بل معناه أن الشَّمس سارِيَة إلىٰ مُستَقرِّها الذي لا يَعلمُه الإنسان، وهذا المَدلول لا يُعارِضُه عِلمُ الهيئة في العصر الحاضر.

والجواب أنْ يُقالَ: إن النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فسَّر هذه الآية الكريمةَ في

الحديث الصحيح، فلَم يَدَع لقائلٍ مَقالًا.

فروىٰ الإمامُ أحمد والشيخان وأبو داود الطيالسي والترمذي: عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي ذَرٍّ حين غَربت الشَّمسُ: «**تَدرِي أينَ تَذهَبُ؟**» قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «**فإنَّها تَذهبُ حتىٰ تَسجُدَ تَحتَ العَرشِ، فتَستأذِن، فيُؤذنُ لها، ويُوشكُ أن تَسجُدَ، فلا يُقبَل منها، وتُستأذِن، فلا يُؤذَن لها، يُقال لها: ارْجِعي مِن حيث جِئتِ، فتَطلُع مِن مَغربها، فذلك قولُ الله تَعالىٰ:** ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس: ٣٨]» هذا لفظ البخاري. وفي رواية مُسلم قال: ثمَّ قرأ في قراءةِ عَبد الله: (وذلك مستقر لها). وللترمذي نحوه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وفي رواية لمُسلم: أن رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومًا: «**أَتدْرُون أينَ تَذهَبُ هذه الشَّمسُ؟**» قالوا: اللهُ ورسولُه أَعلَم، قال: «**إنَّ هذه تَجري حتىٰ تَنتهي إلىٰ مُستقرِّها تحتَ العرش، فتَخِرُّ سَاجِدةً، فلا تَزالُ كذلك حتىٰ يُقالَ لها: ارْتَفِعي، ارْجِعي مِن حيثُ جِئتِ، فتَرجِع، فتُصبِحُ طَالِعةً مِن مَطلَعِها، ثمَّ تَجري حتىٰ تَنتَهِي إلىٰ مُستقرِّها تحت العَرش، فتَخِرُّ سَاجدةً، فلا تَزالُ كذلك حتىٰ يُقالَ لها: ارْتَفِعي، ارجِعي من حيث جئتِ، فتَرجع، فتُصبح طالعةً مِن مطلَعِها، ثمَّ تَجري لا يَستنكِرُ النَّاسُ منها شيئًا، حتىٰ تَنتهي إلىٰ مُستقَرِّها ذاك تحت العَرش، فيُقال لها: ارجِعي، ارْتَفِعي، أَصبِحي طالعةً مِن مَغرِبك، فتُصبح طالعةً مِن مَغرِبها**»، فقال رسولُ الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَتدرُون متَىٰ ذَاكُم؟ ذاك حِين لا يَنفَعُ**

نَفسًا إيمَانُها لَم تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبلُ أَو كَسَبَت في إيمانِهَا خَيرًا».

وفي هذا الحديث الصحيح أوضحُ دليل علىٰ أن الشَّمس تَجري وتدور علىٰ الأرض، وفيه التَّصريح بأنها تَنتهي إلىٰ مستقرِّها تحت العرشِ كلَّ ليلة، فتَسجد حينئذ وتَستأذن في الطلوع فيُؤذن لها، حتىٰ إذا كان في آخرِ الزَّمان أُمِرَت بالطُّلوع من مَغربها.

وفيه ردٌّ علىٰ المَودوديِّ حيث زعم أن الشَّمس ساريةٌ إلىٰ مستقرِّها الذي لا يَعلمه الإنسان. يعني أنها لا تَزالُ سَاريةً إلىٰ مستقرِّها ولم تَصل إليه بَعدُ. وكأنه -وَاللهُ أَعْلَمُ- قد اعتمَد علىٰ كلام العَصْرِيِّين المفتونين بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة، فقد نقل الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٦٣ عن قُطب أنه قال: «واللهُ يقول: إنها تَجري لمستقر لها. هذا المُستقر الذي ستَنتهي إليه لا يَعلمه إِلَّا هو سبحانه، و يعلم موعده سواه». انْتَهىٰ.

فكَلام المَودودي شَبيهٌ بكَلام قُطب، وهما ومَن قال بقَولهما من العَصْرِيِّين كلُّهم عيالٌ علىٰ فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين. فقد ذَكر الصَّوَّاف عنهم فِي صَفْحَةِ ٣٨ أنهم قالوا: إن النِّظام الشَّمسي يَنهَبُ الفضاء نهبًا متَّجهًا نحوَ بُرج هركيوليس.

وذكر -أَيْضًا- فِي صَفْحَةِ ٤٣ عن الفَلكي الجاهل (سيمون) أنه قال: «إن الشَّمس والكَواكِب السَّيَّارة وأقمارها تَجري في الفضاء نحو بُرج النسر بسرعة

غير مَعهودة لنا علىٰ الأرض، يكفي لتَصويرها أننا لو سِرْنا بسرعة مليون ميل يوميًّا، فلن تَصل مجموعتُنا الشَّمسية إلىٰ هذا البُرج إلَّا بعد مليون ونصف مليون سنَة مِن وقتنا الحاضر». انْتَهىٰ هَذَيانُه.

وهذه التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة مَردودةٌ بما أخبر به النَّبيُّ ﷺ من انتهاء الشَّمس إلىٰ مُستقرِّها تحت العرش كلَّ لَيلة، وسُجودها حين تَنتهي إليه، واستئذانها في الطُّلوع، وأنه يقال لها: ارْتَفِعي، ارْجِعي من حيثُ جِئتِ، فتُصبِحُ طَالعةً مِن مَطلعها... إلىٰ آخر الحديث الذي تقدَّم ذِكرُه.

وقد تقدَّم في أول الكتاب الجوابُ عما لعلَّه يُورِدُه بعضُ الناس علىٰ هذا الحديث مِن كون الشَّمس لا تزالُ طَالعةً علىٰ الأرض، فليُراجَع مع الكلام علىٰ ما زَعمَه الصَّوَّاف من حَركَةِ الأرض.

وأما قولُ المَودودي: إنَّ مُستَقرَّ الشَّمس لا يَعلَمُه الإنسانُ.

فجوابه أن يُقالَ: قد أخبَر النَّبيُّ ﷺ في رواية مُسلم الَّتي تقدَّم ذِكرُها أن مُستقرَّها تحت العرش، وأنها تَنتهي إليه كلَّ لَيلة، فتَسجُد حينئذ، وتَستأذِن في الطلوع.

وفي «**الصحيحين**» و«**مسند الإمام أحمد**»: عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن قولِ الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾ [يس: ٣٨]؟ قال: «**مُستقَرُّهَا تَحتَ العَرْشِ**».

وَأَمَّا قولُه: وهذا المَدلول لا يُعارِضُه عِلمُ الهيئة في العَصْر الحاضر.

فجَوابُه أَنْ يُقالَ: أما تأويلُه للآية علىٰ ما يُوافِق تَخَرُّصات سيمون وأمثاله من فَلاسِفَة الإفرنج الذي نَقل عنهم الصَّوَّاف فِي صَفْحَةِ ٣٨ و ٤٣ ما نَقل، فهو كما قال: لا يُعارض جَهلَ الهَيئة في العصر الحاضر، بل يوافقه. وأما علىٰ التأويل الصَّحيح الثَّابت عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من حديث أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمَدلولُ الآية يُعارِض جَهلَ أهل الهيئة في العصر الحاضِر ويَردُّه.

وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤] وقال تَعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقد قال شيخُ الإسلام أبو العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القُرآنَ والحَديثَ وتأوَّله علىٰ غيرِ التَّفسير المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين فهو مُفترٍ علىٰ اللهِ، مُلحِدٌ في آياتِه، مُحرِّفٌ للكَلِم عن مَواضعه». انْتَهىٰ[1].

وإذا كان المُخالِفُ لتَفسير الصَّحَابَة والتَّابعين مُتَّصِفًا بهذه الصفات الذَّميمة؛ فالمُخالِفُ لتفسير النَّبيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولىٰ وأحرىٰ أن يكون مُتَّصِفًا بها.

ومِن أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إن القرآنَ لم يُصرِّح في آيةٍ مِن آياته بكَوْن

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

الأرض ثابتةً ساكنةً، وكَونِ الشَّمسِ دَائِرَةً حَولَها.

والجَواب عن هذا الخَطأ قد تقدَّم قريبًا، فليُراجَع.

ومِن أكبر أخطائه -أَيْضًا-: قوله: إنَّ الإنسان في القُرون الماضية كان يُفسِّر الرَّواسي والأَوتاد في نِطاق مَعرفته وحَسَب عِلْمِه بالأمور الكونيَّة آنذاك. ويَحِقُّ له أن يُفسِّرَها اليومَ في ضوء ما اكتَشفه من الأمور الكونية.

وَالجَوابُ عَنْ هذا مِن وُجوهٍ:

أحدُها: أنْ يُقالَ: إن العُلماءَ في القرون الماضية كانوا أعلمَ بالأمور الكونيَّة مِن جَهَلة العَصْرِيِّين المَفتُونين بتقليد فَلاسِفَة الإفرنج والعَضِّ علىٰ تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة بالنَّواجذ.

وتَفسيرُ العلماء في القُرون الماضية للرَّواسي والأوتاد بما يَقتضي وُقوفَ الأرض وثَباتها هو التَّفسير الصَّحيح، كما تدلُّ علىٰ ذلك لغةُ العرب. وهم إنما يَعتمدون في تَفاسيرهم علىٰ ما جاء عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعَن أصحابهِ - رِضوانُ الله عليهم أجمعين- ثمَّ علىٰ ما جاء عن التَّابعين وأئمَّة العِلم والهُدىٰ مِن بعدهم، ثمَّ علىٰ لُغة العَرب الَّتي نَزل القُرآنُ بها.

وأما العَصرِيُّون فكثيرٌ مِنهم قد جعلوا القُرآنَ مَلعبَةً لهم يَتأوَّلونَه علىٰ غير تأويله، ويَحملونه علىٰ ما يُوافق تَخَرُّصات الإفرنج وظُنونِهم الكاذبة.

الوَجْهُ الثَّاني: أنْ يُقالَ: إن تَفسيرَ العُلماء في القُرون الماضية للرَّواسي

والأَوتاد بأَنَّها وُضِعت علىٰ الأرضِ لإرسائها وتَثبيتها يُنافي تَفسيرَ العَصْرِيِّين مِن أتباع أهل الهَيْئة الجَدِيدة وقَولهم: إنَّها إنما وُضعت علىٰ الأرض لتَحفَظ عليها تَوازُنَها مع دَورانها علىٰ نفسِها وعلىٰ الشَّمس.

والذي يَظهر مِن كلام المَودودي أنه كان يَذهب إلىٰ تَغليط الذين فسَّروا الرَّواسي والأوتاد بأنَّها وُضعت علىٰ الأرضِ لإرسائها وتَثبيتها، ويرىٰ أن الصَّوابَ في قول العَصْرِيِّين الذين فسَّروها في ضوء ما اكتشَفه لهم فَلاسِفَة الإفرنج المُتأخِّرون مِن الأمور الكونيَّة. وهذه إحْدىٰ الكُبَر من المودودي؛ لِمَا يَلزَمُ علىٰ قوله هذا مِن تَغليطِ النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتَغليطِ عَليٍّ وابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وغَيرِ واحد من التَّابعين، وكَثيرٍ مِن أئمة المفسِّرين الذين قرَّروا في تفاسيرهم وُقوفَ الأرض وثباتها، وأنَّها قد أُرسِيَت بالجِبال، وجُعلت الجِبالُ أوتادًا لها.

وقد ذكرتُ في الوجه الأول أن هذا هو التَّفسير الصحيح.

والدَّليل علىٰ ذلك: ما رواه الإمام أحمدُ والترمذي وغيرهما: عن أنسِ بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ، فخَلَقَ الجِبَالَ فَأَلْقَاهَا عَلَيهَا فَاسْتَقَرَّتْ**»(١).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٤)، والترمذي (٣٣٦٩)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٤٧٧٠).

وهذا نَصٌّ في استقرار الأرضِ وسُكونِها. قال في «القاموس» و«شرحه»: «قَرَّ بالمَكان يَقِرُّ بالكَسر والفتح، قرارًا وقُرورًا وقرًّا، وتَقرَّة: ثَبَت وسَكَن فهو قَارٌّ، كاسْتَقَرَّ وتَقَارَّ، وهو مُستَقِرٌّ»[1]. انْتَهىٰ.

وروىٰ ابنُ جَرير عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **أنه قال:** (لمَّا خلَق اللهُ الأرضَ قَمصَت وقَالت: تَخلُق عليَّ آدمَ وذُرِّيَّته يُلقُون عليَّ نَتَنَهُم، ويَعمَلون عليَّ الخَطايَا، فأَرساها بالجِبالِ، فمِنها ما تَرون ومِنها ما لا تَرَون)[2].

وروىٰ أبو الشَّيخ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (إن الجبالَ لتَفخَر علىٰ الأرضِ بأنها أُثبِتَت بها)[3].

وقال وَهبٌ[4]: لَمَّا خلق اللهُ الأرضَ جَعلَت تَمرُّ، فقالت المَلائكة: إن هذه غير مُقِرَّة أحدًا علىٰ ظَهرها، فأصبحَت وقد أُرسيت بالجِبال، فلم تَدْرِ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص٤٦١)، و«تاج العروس» (١٣/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ١٨٩، ٢٤/ ٩٦)، وغيره من طرق عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ به موقوفًا. وحسن إسناده الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٨٠)، والفريابي في «القدر» (٧٧)، وغيرهما عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٤) هو وهب بن منبه اليماني الصنعاني، أبو عبد الله الأَبْناوي -بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون- روىٰ عن همام أخيه، وغيره. وروىٰ عنه عمرو بن دينار، وطائفة. ثقة، من الثالثة، مات سنة بضع عشرة. انظر: «تهذيب الكمال» (٣١/ ١٤٠)، و«التقريب» (٧٤٨٥).

الملائكةُ مِمَّ خُلقَت الجِبالُ(١).

ورَوىٰ عبدُ الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن نحوَه.

ورَوىٰ سعيدٌ عن قتادة عن الحسَن عن قيس بن عباد نحو ذلك -أَيْضًا-.

وكلامُ المُفسِّرين في تفسير الرَّواسي والأوتَاد بأنها وُضعت علىٰ الأرض لإرسائها وتَثبيتها كثيرٌ مَوجود في تفاسيرهم. وقد ذكرتُ جَملةً مِن ذلك في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

وإذا عُلم ما ذكرنا فالمَودودي بَين خُطَّتَين لابُدَّ له من إحداهما:

إما أن يقولَ بتَغليط النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حيث نصَّ علىٰ استقرار الأرض لَمَّا أُلقيت الجبالُ عليها. وتَغليط عليٍّ وابنِ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومَن ذُكِر بعدهم من التَّابعين، ومَن أشرنا إليهم من أئمة المفسِّرين الذين قرَّروا أن الرَّواسِيَ إنما وُضعت علىٰ الأرض وجُعلت أوتادًا لها لتُثَبِّتها وتَمنعها مِن الحركة.

وإما أنْ يَرجِع عن قوله: إنه يَحقُّ للإنسان أن يُفسِّرَ الرَّواسي والأوتادَ في ضوء ما اكتَشفه من الأمور الكونية. وما قبله مِن الكلام الذي يُفهم منه تَجهيلُ مَن فسَّر الرَّواسي والأوتاد بأنها وُضعت علىٰ الأرض لإرسائها وتَثبيتها، وأنَّ نِطاقَ مَعرفتهم وعِلمهم بالأمور الكونية كان قاصِرًا عن نِطاق مَعرفة أهل الهَيْئة

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١١)، و«تفسير البغوي» (٥/ ١٣)، و«تفسير القرطبي» (١٠/ ٩٠).

الجَدِيدة وأتباعهم ومُقلِّديهم مِن جَهلة العَصْرِيِّين وعِلمهم بالأمور الكونيَّة.

الوَجْه الثَّالث: أنَّ ما يَزعُمه فَلاسِفَة الإفرنج مِن اكتشاف حَركةِ الأرض ودَورانها علىٰ نفسِها وعلىٰ الشَّمس. وما يَزعُمونه -أَيْضًا- من الاكتشافاتِ عن الشَّمس وثباتِها، وعن القَمَر والنُّجُوم فكلُّها تَخرُّصات وظنونٌ كاذبة: ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور: ٤٠]، وتَسميتها ضوءًا مِن قَلْبِ الحقيقة.

ومَن قال: إنه يَحقُّ للإنسان أن يُفسِّر شيئًا من القرآن علىٰ ما يوافقها فقد فتَح للمُلحِدِين بابَ الإلحاد في آيات الله، وأغرىٰ المُحرِّفين للكَلِم عن مواضعه علىٰ التَّحريف.

وليُعلم أن القولَ في القرآن بمجرَّد الرأي حرامٌ شَديد التَّحريم، وقد ورد الوعيدُ الشديد علىٰ ذلك، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وابن جرير والبغوي: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرآنِ بِرَأيِهِ أَو بِمَا لا يَعلَمُ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَه مِن النَّار**» هذا لفظ ابنِ جَرير، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح[1].

وروىٰ الترمذي -أَيْضًا- أبو داودَ وابن جرير والبغوي: عن جُندُب بن عبد

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، والترمذي (٢٩٥٠، ٢٩٥١)، وابن جرير في «التفسير» (١/ ٧١)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٥٨) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٢٣٤).

الله البَجَلي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مَن قال في القرآنِ برأيِهِ فأصاب فقد أخْطأ**» قال الترمذي: هذا حديث غريب. قال: «وهكذا رُوي عن بعضِ أهل العِلم من أصحاب النَّبيّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وغيرهم أنَّهم شدَّدوا في هذا في أن يُفسَّر القرآنُ بغَير علم.

وأما الذي رُوي عن مُجاهد وقتادة وغيرِهما مِن أهل العِلم أنهم فسَّروا القرآنَ فليس الظَّنُّ بهم أنَّهم قالوا في القرآن أو فسَّروه بغير عِلم، أو مِن قِبَلِ أنْفُسِهم. وقد رُوي عنهم ما يَدلُّ علىٰ ما قُلْنا أنهم لم يَقولُوا مِن قِبَل أنفسهم.

ثم روىٰ بإسنادِه عن قَتادةَ أنه قال: ما في القُرآن آيةٌ إِلَّا وقد سَمعْتُ فيها شيئًا[(١)].

ورَوىٰ -أَيْضًا- بإسناده عن مُجاهد أنه قال: لو كُنتُ قَرأتُ قِراءةَ ابنِ مَسعود لم احتَجْ أن أسألَ ابنَ عباس عن كثيرٍ مِن القرآن مما سَألتُ[(٢)]»[(٣)]. انْتهىٰ كلام الترمذي.

وقال البَغوي: «قال شيخنا الإمامُ: قد جاء الوعيدُ في حقِّ مَن قال في القرآن

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، وابن الجعد في «مسنده» (١٠٣١)، وغيرهما عن قتادة به.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٧/ ٢٨)، وغيرهما عن مجاهد به.

(٣) انظر: «سنن الترمذي» (٥/ ٢٠٠)، و«مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٦٩) عن قتادة به، وإسناده صحيح.

برأيِه، وذلك فيمَن قال مِن قِبَل نفسه شيئًا مِن غير عِلْم. قال: وأما التَّفسير وهو الكَلامُ في أسبابِ نُزول الآية وشَأنها وقِصَّتها، فلا يجوزُ إلَّا بالسَّماع بعد ثُبوتِه مِن طَريق النَّقل»[(١)]. انْتَهىٰ.

وقد تقدَّم قولُ شيخ الإسلام أبي العبَّاس ابن تَيْمِيَّةَ -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ-: «مَن فسَّر القرآنَ والحديثَ وتأوَّلَه علىٰ غير التفسيرِ المَعروف عن الصَّحَابَة والتَّابعين، فهو مُفترٍ علىٰ الله، مُلحِدٌ في آيات الله، مُحرِّف للكَلِم عن مواضعه». انْتَهىٰ[(٢)].

وقد كان أبو بكر الصِّديق وعمر بنُ الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا -وهُما مِن أعلم هذه الأمَّة بكتاب الله تَعالىٰ- يَهابَان القولَ في القُرآن بغير عِلْم. كما رَوىٰ شُعبةُ عن سليمان -وهو الأعمش- عن عَبد الله بن مُرَّة عن أبي مَعمَر قال: قال أبو بكر الصِّدِّيق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: (أيُّ أَرضٍ تُقِلُّني، وأَيُّ سَماءٍ تُظِلُّنِي، إذَا قُلتُ في كتابِ اللهِ مَا لا أعْلَم؟!).

ووروىٰ أبو عُبيد القاسم بن سلام عن إبراهيم التَّيمي: أن أبا بكر الصِّديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سُئل عن قولِ الله تَعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] فقال: (أيُّ سَماءٍ تُظلِّنُي، وأيُّ أَرضٍ تُقلُّنِي، إذَا أنا قُلتُ في كتاب الله ما لا أعلَمُ؟!)[(٣)].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ٤٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣/ ٢٤٣).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٣٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ ١٣٦) (٣٠١٠٣)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٥)، وابن جرير في «تفسيره» =

وروىٰ أبو عُبيد -أَيْضًا- ومُحمَّد بن سَعد، وابنُ جَرير بأسانيد صحيحةٍ عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قرَأ علىٰ المِنْبَر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ فقال: هذه الفَاكِهَة قد عرَفناها، فمَا الأَبُّ؟ ثمَّ رجَع إلىٰ نفسِه فقال: إن هذا لَهُو التَّكلُّفُ يا عُمَرُ.

وزاد ابنُ سَعد في روايته: فمَا عَليك أنْ لا تَدرِيه[1].

وإذا عُلم هذا فقد رَوىٰ الإمام أحمد والترمذي وابن ماجَهْ: عَن حذيفة بن اليَمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**اقْتَدُوا باللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ**» قال الترمذي: هذا حديث حسن. وصحَّحه ابنُ حبان والحاكمُ والذَّهبي. وللترمذي -أَيْضًا- من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نحوه[2].

=

(١/ ٧٢)، وغيرهم من طرق عن أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به، وأسانيدها بجملتها منقطعة.

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٣٢٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٠، ١٢٣)، وغيرهم عن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ به. وأخرجه البخاري (٧٢٩٣) مختصرًا.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢)، والترمذي (٣٦٦٣)، وابن ماجه (٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ٣٢٧) (٦٩٠٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٩) (٤٤٥١)، وغيرهم من حديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣). وقد أخرجه الترمذي أيضًا (٣٨٠٥)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ومِن أخطائه -أيْضًا-: قولُه: وإنَّ الله تَعالىٰ لم يجعل إيمانَنا وعقيدتَنا مَربوطًا بعِلْم عَصرٍ مِن العصور بحيث إذا تغيَّر هذا العِلمُ وتبَدَّل اضطُرَّ الإنسانُ إلىٰ أمرين: إما أن يُؤمِنَ بالله تَعالىٰ ويُنكِرَ صِحَّةَ العِلم. أو يَكفُرَ باللهِ تَعالىٰ ويُؤمِنَ بصِحَّة العِلْم.

والجَواب أنْ يُقالَ: هذه إحدىٰ الكُبَر مِن المَودودي، حيث قرَّر ما يَهذو به جهَلَةُ العَصْرِيِّين من حُرِّيَّة الفِكْر، حتىٰ فيما يتعلَّق بالإيمان والعقيدة. وهذا القولُ مِن أبطل الباطل.

والحقُّ أن الإيمانَ والعقيدةَ مَربوطان بعِلم العَصر النبوي، وهو عِلمُ الكتاب والسُّنَّة. وهذا العِلمُ لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنعام: ١١٥]، وقال تَعالىٰ: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وما جاء في الكتاب والسُّنَّة من الأدلة علىٰ ثباتِ الأرض واستقْرَارِها وأجمع المسلمون عليه لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطلٌ مَردود عليه؛ لمُخالَفته للأدلَّة الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين.

وكذلك ما جاء في الكِتاب والسُّنَّة من النُّصوص علىٰ جَرَيان الشَّمس ودُؤُوبها في ذلك، وأن الله سخَّرها لخلقِه تأتي مِن المشرق كلَّ يَوم وتَغرُب في المَغرب، كلُّ ذلك لا يتغيَّر ولا يتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك فقوله باطل مَردود عليه؛ لمُخالفته لنصوص الكتاب والسُّنَّة وما كان عليه المسلمون في قديم الدهر وحديثِه، سوىٰ مَن شذَّ عنهم في هذه الأزمان الأخيرة من أتْباعِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة.

وكذلك ما جاء في القرآنِ من النَّص علىٰ أن الله تَعالىٰ زيَّن السَّمَاء الدُّنْيا بالمَصابِيح، وهي النُّجُوم. وفي الآية مِن سُورة الصَّافات: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ﴾ [الصافات: ٦] فهذه النُّصوص لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْرِيِّين الذين يَزعمون في أبعادِ الكَواكِب ومقاديرِ أجرامها ما يزعمون، فأقوالُهم باطلةٌ مَردودة عليهم؛ لمُخالَفَتِها لنُصوص القُرآن.

وكذلك ما جاء في الكتاب والسُّنَّة من النُّصوص الكثيرةِ علىٰ إثبات السموات السَّبع، وأن السَّمَاء بِناء وسَقف مَحفوظ مَرفوع، وأنَّهنَّ شِداد، وأن لهُنَّ أبوابًا وحجَابًا. كلُّ ذلك لا يتغيَّر ولا يتبدل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك من فَلاسِفَة الإفرنج وأتباعهم من العَصْرِيِّين الذين يزعمون أن السَّمَاء ليست بِناءً، وإنما هي فضاءٌ وجَوٌّ سَعتُه غيرُ مُتناهية، فأقوالُهم باطِلةٌ مَردودة عليهم؛ لمخالفتها لنُصوص الكتاب والسُّنَّة.

وكذلك ما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة مِن النُّصوص علىٰ اتِّحاد كلٍّ مِن الشَّمس والقمر، فهي لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة. ومن قال بخلاف ذلك وزعم أن هناك شُموسًا وأقمارًا مُتعدِّدة فقوله باطلٌ مردود عليه؛ لمخالفته لنُصوص الكِتَاب والسُّنَّة.

إلىٰ غير ذلك من الأمثلة الكَثيرة مما قامت عليه الأدلةُ مِن الكِتَاب والسُّنَّة، وقال أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم بخلاف ذلك، وقد ذكرتُ جُملةً منها في «الصَّواعِق الشَّديدَة»، ومنها كثيرٌ مُفرَّق في هذا الكتاب.

والمقصودُ ههنا: بيان أن الأدلةَ مِن الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع لا تتغيَّر ولا تتبدَّل إلىٰ يوم القيامة، وإنما الَّتي تتغير وتتبدَّل في كل زمان هي الآراء والتَّخرُّصاتُ والظُّنُون الكاذبَةُ. قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

قال البغوي: «مَعناه: لكِن مَن رَحِم ربُّك فهداهم إلىٰ الحقِّ؛ فهم لا يَختَلِفون. قال: ومحصولُ الآية أن أهل الباطل مُختلِفون، وأهلَ الحقِّ مُتَّفِقون، فخَلق الله أهْل الحق للاتِّفاق وأهل الباطل للاختلاف»(١). انْتهىٰ.

وإذا عُلم هذا، فالواجبُ علىٰ المسلمين اعتقادُ ما جاء في الكِتَاب والسُّنَّة، وما أجمع عليه المسلمون، ونَبْذُ ما خالَف ذلك من أقوال الناسِ وآرائهم

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٢٠٦).

وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة وراءَ الظَّهر.

وقد سمَّىٰ المودوديُّ تَخَرُّصاتِ أهل الهَيْئة الجَدِيدة وظنونَهم الكاذبةَ في السَّمَاء والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم عِلمًا، وهذا مِن أكبر الخطأ، ومِن قَلبِ الحقيقة، فليست التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة بعِلْم، وإنما هي جهلٌ وضلال، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ٢٨ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٢٩ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ٣٠﴾ [النجم: ٢٨-٣٠]، وقال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكۡثَرُهُمۡ إِلَّا ظَنًّاۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾ [الأنعام: ١١٦-١١٧]، وقال تَعالىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

وَأَمَّا قولُه: إن الإنسان يضطرُّ إلىٰ أمرين: هما أن يؤمن بالله تَعالىٰ، ويُنكر صحة العِلم، أو يكفرَ بالله تَعالىٰ ويُؤمِنَ بصِحَّة العِلم.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد ذكرنا أن تَخَرُّصات أهل الهَيْئة الجَدِيدة وظنونَهم الكاذبة في السَّمَاء والأرض والشَّمس والقَمَر والنُّجُوم ليست بعِلْم، وإنما هي

جهْلٌ وضَلال، ولابُدَّ إذًا مِن أحَدِ أمرين:

إما الإيمان بما جاء عن الله تَعالىٰ ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وَرَدّ ما جاء عن أهل الهَيْئة الجَدِيدة من الجهل والضلال.

وإما الإيمان بالجَهل والضلال، وَرَدّ ما جاء عن الله ورسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فلْيَخْتَرِ المَرءُ ما يُناسِبُه من إحدىٰ الخطتين. فأما الجَمعُ بينهما فغَيْر مُمكِن.

وَأَمَّا قولُه: فإذا كان الإنسانُ القديمُ مُسلِمًا صحيحَ الإسلام علىٰ رغْم قوله بثبوت الأرض، كذلك لا شكَّ في صحة إسلامِ الإنسانِ الحاضر علىٰ اعتقاده بدوران الأرض.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إذا كنتُ لا تَشكُّ في إسلامِ مَن يقول بدوران الأرض، فغَيرُك قد يشك في إسلامِه، ولاسيَّما إذا قامت عليه الحُجَّة بأن بَلَغَتْه الأدلَّة الدَّالَّة علىٰ سُكون الأرض واستقرارها، وبَلَغَه إجماعُ المُسلمين علىٰ القول بوُقوف الأرض وسُكونها مَقصورة علىٰ المُخالفة والعناد، فهذا قد يشكُّ في إسلامه؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد صرَّح بعضُ المُحقِّين بتكفير مَن يقول بحركة الأرض ودورانها. وقد ذكرتُ ذلك في «الصَّواعِق الشَّديدَة» بعد ذكر الأدلَّة العقليَّة علىٰ ثبات الأرض

واستقرارها، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وَأَمَّا قولُه: ولذلك أنا أوافِقُ رَأي أخي مُحمَّد محمُود الصَّوَّاف

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بِئْسَ ما اخترتَ لنَفسِك من الموافقة علىٰ التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي تُخالِفُ مَدلولَ الكِتَاب والسُّنَّة وإجماع المسلمين. وإنما يَعودُ وَبَالُ هذه المُوافقة عليك، قال الله تَعالىٰ: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥﴾ [النحل: ٢٥].

* *

فصل

وأمَّا عَلي الطَّنطاوي فقال في تَقريظِه لكتاب الصَّوَّاف ما نَصُّه:

«أخِي الأستاذ الصَّوَّاف، رَحبتُ بما سَمعتُ عن عَزمك علىٰ طبع ما كتبتَه في موضوع دَوران الأرض، لا لِأَنَّ فيه ردًّا علىٰ مقالِ الشَّيخ الجَليل ابن باز، بل لِأَنَّ أعداءَ الإسلام استغلُّوا ذلك المَقال، وعلَّقوا عليه تَعليقات ملأت الصُّحف الأوربية والأميركية، نالوا فيها مِن الإسلامِ بالبَاطل، فوَجَب الدِّفاعُ عَن الإسلام بالحقِّ، وبيان أن الذي كتبه الشَّيخ ابنُ باز رَأيٌ لَه، قد يكونُ له قَبول عند بعض العُلماء، ولكنه ليس حُكمَ الإسلام القَطعي في هذه المسألة. وجُمهور علماء

المُسلمين في جميع أقطار الإسلام علىٰ خِلافه».

والجوابُ أنْ يُقالَ: أما استغلالُ الأوربيين والأمريكيِّين لمقال الشيخ ابن باز، وتعليقُهم عليه في صُحُفِهم، ونَيلُهم من الإسلام بالباطل فغَير مُستَنكَر منهم؛ لأنهم الأعداءُ الألِدَّاء للإسلام وأهله. وأبغضُ المُسلمين إليهم مَن يتكلَّم بالحق ويتصدَّىٰ لنَصره والذَّبِّ عنه، ولذلك قامت قيامَتُهم من أجل مخالفةِ مَقال الشيخ ابن باز لتَخَرُّصاتهم وتَخَرُّصات أسلافهم من أهل الهَيْئة الجَدِيدة وأتباعهم. وقد وافَقهم هذا المِسكين وأخواه الصَّوَّاف والمَودُودي، فقاموا في صفِّ أعداء الله يُناضلون عن تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة. وهذا مما يُحِبُّه أعداءُ الله ويَرضَون به. فلْيَهنَكَ أيُّها الطنطاوي، ولْيَهن أخَويك رضوانُ أعداء الله عنكم.

وهؤلاء الثَّلاثة -أعني الصَّوَّاف والمَودودِيَّ والطَّنطاوي- قد الْتبَسَ عليهم الحقُّ بالباطل، فهم لذلك يَرَون أنهم يَنصرون الحقَّ ويَذبُّون عنه، وهم في الحقيقة إنما يَنصُرون الباطِلَ ويَذبُّون عنه.

اللهمَّ إنَّا نعوذ بك مِن عَمىٰ القُلوب وانتكاسها، اللَّهمَّ أرِنَا الحقَّ حَقًّا وارْزُقنا اتِّباعَه، وأرنا الباطلَ باطلًا وارْزُقنا اجتنابَه، ولا تَجعَله مُلتَبِسًا علينا فنَضِلَّ.

وَأمَّا قولُه: إن الذي كتبَه الشيخ ابن باز رأيٌ له.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: إن الشَّيخ ابنَ باز قد أيَّد ما كتبه بالأدلَّة الواضحة من

الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع. وما كان مُؤيَّدًا بالأدلة الواضحة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، فليس مِن قَبيل الرأي. وإنما الرَّأيُ المَحضُ ما لم يدل عليه دليلٌ من كتاب ولا سُنَّة ولا إجماع، وذلك ما كَتَب فيه الصَّوَّاف ووافقه عليه المَودودي والطنطاوي. بل إن الذي كتَب فيه الصَّوَّاف شرٌّ مِن الرأي المَحْض؛ لِأَنَّ غالبه مَبني علىٰ اتباع الظُّنُون الكاذبة والرَّجْم بالغيب وتصديق مَن يتعاطىٰ عِلمَ المغيبات، كما قد أوضحتُ ذلك في مواضعه من هذا الكتاب وفي «الصَّواعِق الشَّديدَة».

وَأَمَّا قولُه: ولكنه ليس حُكمَ الإسلام القطعي في هذه المسألة.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بل هو حُكمُ الإسلام القطعي فيها؛ لقيام الأدلَّة عليه من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع. وما قام عليه الدليلُ، فهو الذي عليه التَّعويل.

وَأَمَّا قولُه: وجَمهرة علماء المسلمين في جميع أقطار الإسلام علىٰ خلافه.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس عِلمُ الغَيب عندك يا طنطاوي حتىٰ تُخبِرَ الناسَ عمَّا يَعتقده جمهورُ عُلماء المسلمين في جميع الأقطار الإسلامية، وأنهم علىٰ خِلاف ما كتبه الشَّيخ ابن باز. وما الذي يُدرِيك عن معتقدِهم في هذه المسألة، وأنت لم تَجتمع بهم كلِّهم، ولا يُمكِنُك ذلك، ولا تَقدِرُ عليه؟!

وعلىٰ تَقدير أنك قد اجتمعتَ بأشخاصٍ مَعدُودين من بعض الأقطارِ الإسلامية، وأخْبَروك أنهم مُخالفون للشيخ ابن باز، فلا يَسوغُ لك أن تَحكُمَ

علىٰ جمهور العلماء في جَميع الأقطار الإسلامية بأنهم يَعتقدون معتقدَك الباطلَ الذي وَرِثتَه عن فيثاغورس اليُونَاني، وكوبرنيك البولوني، وهرشل الإنجليزي، وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، ومن يتعلق بأذيالِهم من جهلة المسلمين.

إنك يا طنطاوي قد قَفوْتَ ما ليس لك به عِلم، وحَكمْتَ علىٰ كثير من علماء المسلمين بمجرَّد اتِّباعك للظن الكاذب، وقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٣٦].

والذي نَعرِفُه عن أكابر العلماء عندنا في المَملكة العربية السُّعودية أنهم يُنكِرون القولَ بحَركة الأرض ودَورانها، وثَبات الشَّمس وسُكونِها. وهم -ولله الحَمدُ- مُتمسِّكون بالكِتَاب والسُّنَّة، بَعيدُون عن المَيْل إلىٰ الخُرافات والتَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة الَّتي قد افتتن بها كثيرٌ مِن المنتسبين إلىٰ العِلم في بعض الأقطار الإسلامية، كما قد رأيتُ ذلك فيما اطلعتُ عليه مِن كُتُبهم.

وَأَمَّا قولُه: ثمَّ إن المسألةَ أكبَرُ مِن المُجاملة، وأجَلُّ من أن تَدخُلَ في تقدير الأمور الشخصية.

فَجَوابُه أَنْ يُقالَ: وهل ظَننتَ يا طنطاوي أن الشَّيخ ابنَ باز قد جاء شيئًا إدًّا لَمَّا

خالف رأي فيثاغورس وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المتأخرين، حتىٰ تقولَ في حقِّه ما قُلتَ؟! وإذا كنت تَرىٰ أن مُخالَفَة رأي فيثاغورث وأتباعه أمرًا كَبيرًا لا تَنبغي المُجاملة فيه، ولا التَّقدير لمَن خالفهم، فغيرُك يَرون أن مخالفَتُهم في تَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة مِن أوجب الواجبات وأهَمِّ المُهِمَّات. ويَرون أن الأمرَ المُنكَر علىٰ الحقيقة هو مُخالفةُ مَدلول الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، والاعْتِيَاض عن ذلك بآراء أعداءِ الله وتَخَرُّصاتهم وظنونهم الكاذبة، والتَّجرُّد لنُصرَتِها والذَّب عنها، كما فعلْتَ ذلك يا طنطاوي أنت وأخواك الصَّوَّاف والمَودُودي، فهذا هو الشَّيء الإدُّ الذي لا يَجوز إقرارُه ولا مُجامَلة أصحابه وتقديرهم.

وَأَمَّا قولُه: وبَعدُ، فالذي أعرفُه أن الإسلام ليس فيه نَصٌّ قَطعي من كتاب أو سُنَّة، ولا دليل من إجماع أو قياس علىٰ دوران الأرض ولا علىٰ سكونها.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: قد وردَت الأدلةُ الكثيرة من الكِتَاب والسُّنَّة علىٰ سكون الأرض وثباتها، وأجمع المسلمون علىٰ ذلك، ودلَّت علىٰ ذلك الأدلة العقلية الصحيحة، وقد ذكرتُ ذلك مُستوفًىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وإذا كان الطنطاوي لا يَعرِف مثلَ هذه الأدلة الَّتي أَشرتُ إليها، فالأَوْلىٰ له السُّكوتُ وعَدمُ الخَوصِ فيما لا عِلمَ له به، فقد قال الله تَعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وَأَمَّا قولُه: ودَوران الأرض أمرٌ مُشاهَد مَقطوع به. كان معلومًا عِلمًا نَظرِيًّا بالأدلة العقلية، فصار معلومًا عِلمًا ضَروريًّا بالحِسِّ ومُشاهدة الأرض من المَركبات الفضائية، وعَرض الصُّور الَّتي الْتُقِطت في الرَّائي، أي: التِّلفزيون، وفي الخيالة، أي: السِّينما. وصار القَول بدوران الأرض مِن البَديهيَّات الَّتي لا يُنازع فيها اليومَ أحَدٌ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما زَعمه أن دوران الأرْض أمرٌ مُشاهد ومَحسوس، فهذا باطِلٌ قَطعًا. ولا يدَّعي هذه الدَّعوىٰ مَن له أدنىٰ مُسكَة من عقل.

وأما ما يَزعمه أهل المَركبات الفضائية أنهم شاهدوا دورانَ الأرض مِن مَركباتِهم فذلك إنما يُخيَّل إليهم من سرعة سيْرِ المَركبات، لا مِن سَير الأرض، كما أن راكبَ المَراكب السَّريعة في الأرض يُخيَّل إليه أن ما حَولَه من الأشجارِ والأحجارِ يَسيرُ، وهو في الحقيقة ثابتٌ في موضعه، فذلك راكبُ المَركبات الفضائية يُخيَّل إليه أن الأرضَ تَسير، وإنما ذلك مِن سُرعة سير المَركبة الَّتي هو فيها.

وأما تَصويرُهم لسير الأرض وعَرْض ذلك في التليفزيون والسينما، فذلك من مَخرَقَتِهم وتَدجِيلِهم علىٰ ضُعفاء البصيرة. ولا يَغترُّ بذلك ويُصدِّقُ به إلَّا جاهلٌ لا عقْلَ له.

وَأَمَّا قولُه: إن دورانَ الأرض مَقطوع به، وأنه صار مَعلومًا عِلمًا ضَرورِيًّا.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بل الأمرُ في الحقيقة بخلافِ ما زعمه الطنطاوي، فإن سكونَ الأرض وثباتَها هو المقطوعُ به عند المُتمسِّكين بالكِتَاب والسُّنَّة؛ لِمَا قام علىٰ ذلك من الأدلة الكثيرة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع والمَعقول الصحيح. وقد ذكرتُ ذلك مستوفىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وزعم الطنطاوي أن دورانَ الأرض قد صار معلومًا علمًا ضروريًّا، إنما هو مبني علىٰ ما زعمه أهلُ المَرْكبات الفضائية أنهم شاهدوا ذلك، فهذا هو عُمدَتُه فيما زعمه من العِلم الضروري. ولمَّا كان هذا مَبلغَ عِلمه، وأن اعتماده إنما كان علىٰ ما يُخيَّل إليه في التليفزيون والسينما مِن مَخرَقةِ أعداء الله وتَدجِيلِهم، تَبيَّن أنه ليس عنده عِلْمٌ يُميِّزُ به بين ما يُسمَّىٰ عِلمًا وبَين المَخرَقةِ والتَّخييلات الكاذبة، فَضلًا عن التَّمييز بين العِلْم الضَّروري وغير الضَّروري.

وَأمَّا قولُه: صار القَول بدوران الأرض مِن البديهيات الَّتي لا يُنازع فيها اليوم أحدٌ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما قولُه: إن دوران الأرض من البديهيات، فذلك خطأ ظاهر. والصَّحيح المطابق للواقع أنْ يُقالَ: إنه من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة.

وأما زعمه أنه لا يُنازع في ذلك اليوم أحدٌ، فهو خطأ ظاهِر؛ لِأَنَّ كلَّ مُتمَسِّك بالكِتَاب والسُّنَّة يُنازِع في ذلك، وهم أسْعَدُ بالدَّليل من مُنازعيهم.

وأكابِر العلماء عندنا في المَملكة العربية السُّعودية كلهم علىٰ إنكارِ

القول بدوران الأرض.

وقد حَكىٰ الشيخ عبدُ القاهر بن طاهر البغدادي -وكان في آخر القرن الرَّابع من الهجرة وأول القَرن الخامس- في كتابه «الفَرق بين الفِرق» إجماعَ أهل السُّنَّة علىٰ وقوف الأرض وسكونها.

وحكىٰ القُرطبي في تفسير سورة الرعد إجماعَ المسلمين وأهلِ الكتاب علىٰ ذلك. ولا عِبرَة بمَن خالف الإجماع من العَصْرِيِّين المَفتُونين بتَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة.

وَأَمَّا قولُه: أما الآياتُ الَّتي يَرىٰ فيها مُنكِر الدَّوران دليلًا لهم، كقوله تَعالىٰ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] فليس فيها دليلٌ، لِأَنَّ (مادَ) عند العرب بمعنىٰ (مَالَ) وهو باب معروف. والمَيلان حَركة اضطرابيَّة. والسَّير حركة انتقالية. فإذا نفىٰ اللهُ عنها المَيلانَ فلا يُفهم منه نفي الحَركة الانتقالية، بل ربما كان في الآية إشارةٌ إلىٰ مَسيرها؛ لِأَنَّ الآية دلَّت علىٰ أن الجبال مِثل الثِّقَل للأرض؛ لئلا تَميدَ، أي: تَضطَرب في سَيرها، كالزَّورق إذا كان فارغًا وضعوا فيه الحجارة أو أكياس الرَّمل؛ لئلا يَضربه المَوج فيَضطَرِب.

أقول: في الآية إشارةٌ فقط، وإلا فالصَّحيح ما قُلتُه أَوَّلًا عن الإسلام، إذ ليس فيه دليلٌ قطعي لا علىٰ حركة الأرض ولا علىٰ نفي الحركة عنها، وعلىٰ مُدَّعي عكس هذا أن يأتي بالدليل.

والجواب عن هذا من وُجوه:

أحدها: أنْ يُقالَ: إن المَيدَ في لغة العرب يُطلق علىٰ معانٍ، منها الحركة والدوران. قال القرطبي في «تفسيره»(١) عند قول الله تَعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ [الأنبياء: ٣١]: أي: جبالًا ثَوابِتَ: ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ أي: لئلَّا تَميدَ بهم ولا تتحرك ليتمَّ القرار عليها. قال: والمَيْد التَّحرُّك والدَّوران.

وقال الشَّوكاني في تفسير هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]: «المَيد التَّحرُّك والدوران، أي: لئلَّا تَتحرَّكَ وتدورَ بهم»(٢). انْتَهىٰ.

وإذا انتفىٰ التَّحرُّكُ والدَّوران عن الأرض، فإنه يَثبُت لها نَقيض ذلك، وهو الوقوفُ والسكون.

فهذه الآية وما في معناها من الآيات الكَثيرة مِن أوضح الأدلة علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، وقد استدلَّ بها الرَّاسخون في العِلم علىٰ ذلك. وقد ذكرتُ ذلك مستوفىٰ في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْيُراجَعْ هُناك.

وليس في الآية ما يُشير إلىٰ سَير الأرض بوجْهٍ مِن الوجوه، كما زعمه الطنطاوي.

---

(١) (١١/ ٢٨٥).

(٢) انظر: «فتح القدير» (٣/ ٤٧٩).

وأما تَشبيه الأرض بالزَّورق الفارغ، وتَشبيهُ وَضع الجبال عليها بوضع الحجارة أو أكياس الرمل في الزَّورق، لئلَّا يضربه الموج فيَضطرب في حالِ سَيْره، فهو تشبيهٌ غَيرُ مُطابِق؛ لِأَنَّ الأرض قد أُرسيت بالجبال مِن جَميع نواحيها، والجبالُ مُتوجِّهة بثِقَلِها نحوَ المَركز الذي هو وسَط الأرض، فصارت الجبالُ للأرض كالأوتادِ الَّتي تَمنعها من الحَرَكة. ولهذا قال تَعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾ [النبأ: ٦-٧].

قال ابن منظور في «لسان العرب»(١): «وأَوتاد الأرض الجِبَالُ؛ لأنها تُثَبِّتُها». انْتَهىٰ.

وإذا كانت الجبالُ أوتادًا للأرض فالتَّشبيه المطابق هو تشبيهُ الأرض بالسَّفينة الَّتي قد وُضع فيها ما يُثقلها، وأُودتْ بالأوتاد في مرْسَاها، فوقفتْ فيه ولم تتحرَّك.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الطنطاوي ذكَر الآية الَّتي فيها نَفي المَيد عن الأرض وتَأولها علىٰ غير تأويلها حيث شبَّه الأرض بالزَّورق الفارغ إذا وُضعت فيه الحِجارة أو أكياس الرَّمل، وأعرض عن الآية الصَّريحة في تَثبيت الأرض بالجبال وجَعْلِها أوتادًا للأرض كالأوتاد الَّتي تثبت الخيام في مواضعها، والسُّفن في مرساها، وهي قول الله تَعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ٧﴾

(١) (٣/ ٤٤٥).

قال ابنُ كَثير[١] **عند هذه الآية:** ﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا﴾ [النبأ: ٦]: «أي: مُمَهَّدَة للخَلائق ذَلولًا لهم قارَّة ساكنة ثابتة: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾ أي: جعلَها لها أوتادًا أرسَاها بها، وثَبَّتها وقرَّرها حتىٰ سكنَتْ، ولم تَضطربْ بمَن عليها».

وقال القُرطبي علىٰ قوله: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾: «أي: لتَسْكُن ولا تتكفَّأ، ولا تَميلَ بأهلها»[٢].

وقال أبو حيَّان في «تفسيره»[٣]: ﴿وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا﴾: «أي: ثَبَّتْنا الأرضَ بالجبال، كما ثبت البيت بالأوتاد. قال الأَفْوَه:

والبيتُ لا يُبْتَنَىٰ إلَّا لَه عُمُدٌ ... ولا عِمادَ إذا لَم تُرْسَ أَوتَادُ

وتقدَّم قولُ ابن منظور في «لسان العرب»: «وأوتاد الأرْض الجبال؛ لأنها تُثبِّتها».

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في كتابه «مفتاح دار السعادة»**[٤]: «ومِن مَنافِعِها -أي الجِبال- ما ذكره اللهُ تَعالىٰ في كتابه أنْ جَعَلَها للأرض أوتادًا تُثبِّتها، ورَواسِي بمَنزِلَة مراسي السُّفن، وأَعظِم بها مِن مَنفَعة وحِكْمَة». انْتَهىٰ.

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٠٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٩/ ١٧١).

(٣) (١٠/ ٣٨٤).

(٤) (١/ ٢١٩).

وقد روىٰ الإمام أحمد والتِّرمذي وغيرهما عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنه قال: «لمَّا خَلق اللهُ الأَرضَ جَعَلت تَميدُ، فخَلق الجبالَ فألقَاها عليها فاسْتَقَرَّت».

وروىٰ أبو الشَّيخ عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه قال: (إنَّ الجِبالَ لتَفْخَرُ علىٰ الأرضِ بأنها أُثْبِتَتْ بها).

وإنما أعرض الطنطاويُّ عن هذه الآية الَّتي ذكرنا؛ لأنها لا تَحتَمِل التأويل. فلو قال هو أو غيرُه: إن الأرض تُشبه السَّفينة إذا وُضع فيها ما يُثقلها ورُبطت بالأوتاد، وهي مع ذلك تسيرُ في الماء - لكان كلُّ عَاقِلٍ يَضحَكُ منه؛ لأنه قد رَامَ الجَمعَ بين النَّقيضين، والجَمعُ بينهما غيرُ مُمكِن.

وكما أنه لا يَقول عاقل: إنَّ السَّفينة تسير وهي مَربوطة بالأوتاد، فكذلك لا يقول عاقلٌ: إن الأرضَ تَسير وهي مُوتَّدة بالجبال؛ لِأَنَّ تَثبيتَها بالجِبال يُنافي سَيْرَها، فلا يَجتمعان.

الوجه الثَّالث: أن الله تَعالىٰ قال في سورة المؤمنين: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ [غافر: ٦٤] الآية. وقال تَعالىٰ في سورة النمل: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ﴾ [النمل: ٦١] الآية.

وفي هاتين الآيتين أوضَحُ دليلٍ علىٰ ثَبات الأرض واستقرارها. قال في

«القاموس» و«شرحه»: «قَرَّ بالمَكان يَقرُّ بالكسر والفتح، قَرارًا وقُرورًا وقرًّا، وتقرَّة: ثَبَت وسَكن، فهو قارٌّ كاستقَرَّ وتَقارَّ، وهو مستقر». انْتهىٰ.

الوجه الرَّابع: أنَّ الله تَعالىٰ قال: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١]، وفي هذه الآية الكريمةِ أوضحُ دليلٍ علىٰ ثبات الأرض واستقرارها، ولو كانت تَسيرُ وتَدور علىٰ الشَّمس -كما زعمه أعداء الله تَعالىٰ- لكانت تَزولُ مِن مكان إلىٰ مكان، وهذا خلاف نصِّ الآية الكريمة.

وقد روىٰ ابنُ جَرير بإسناد صحيح: عن أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلىٰ عبد الله بن مَسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ فقال: مِن أين جئتَ؟ قال: مِن الشَّام، قال: مَن لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كَعبًا، قال: ما حدَّثَك؟ قال: حدَّثني أن السموات تَدور علىٰ منْكبِ مَلَك، قال: أفصَدَّقْتَه أو كذَّبتَه؟ قال: ما صَدَّقْتُه ولا كذَّبتُه، قال: لَوَددتُ أنك افْتَدَيتَ مِن رِحلَتِك إليه براحِلَتِك ورَحلِها، كَذَب كَعبٌ، إن اللهَ يَقول: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١](١).

وقال ابنُ جرير -أَيْضًا-: حدَّثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم قال: ذهب جُندب البَجلي إلىٰ كعب الأحبار، فقدِم عليه ثمَّ رجَع، فقال له عبدُ الله: حدِّثْنا ما حَدَّثَك، فقال: حدَّثني أن السَّمَاء فوق قُطب كقُطب الرَّحَا، والقُطب عَمود علىٰ منكبِ مَلَك، قال عبدُ الله: لوددتُ أنَّك افتَديتَ رِحلتك بمِثل راحِلَتِك، ثمَّ قال:

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩١)، وغيره عن أبي وائل... فذكره.

ما تنكب اليهوديةُ في قَلْب عبد فكَادت أن تُفارِقَه، ثمَّ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١] كفىٰ بها زَوالًا أن تَدُورَ(١).

وروىٰ ابنُ أبي خَيثمة عن قتادة قال: بَلَغ حذيفةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن كعبًا يقول: إن السَّمَاء تَدور علىٰ قُطب كالرَّحىٰ، فقال: كذَبَ كَعبٌ، إن الله يقول: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١](٢). قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: إسناده حسن.

وقال ابنُ جرير: حدَّثنا بَشير قال: حدثنا يَزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة؛ قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ ﴾ [فاطر: ٤١] مِن مَكانِها(٣).

فهذه أقوالُ السَّلف في معنىٰ الآية الكريمة، ورَدُّهم بها علىٰ مَن زعم أن السَّمَاء تدور. وبما قالوه في معنىٰ الآية الكريمة يُردُّ علىٰ مَن زعم أن الأرض تدورُ؛ لِأَنَّ سياق الآية في السموات والأرض واحد. فإذا كانت الآيةُ الكريمة دالَّةً علىٰ ثبات السموات وعدم دورانها كما صرَّح به حَبْر الأمة ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وصرَّح به -أَيْضًا- حذيفةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فكذلك هي دالَّة علىٰ ثبات الأرض وعدم دورانها.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٢)، عن ابراهيم... فذكره.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٠/ ١٧٢) عن قتادة... فذكره. وانظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٦٥٠)، و«الدر المنثور» (٧/ ٣٥).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٩/ ٣٩١)، عن قتادة... فذكره.

وقد روىٰ البُخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «والذي لا إلهَ غيره، ما من كتابِ الله سورة إِلَّا أنَا أعلمُ حيث نَزَلت، وما مِن آية إِلَّا أنا أعلمُ فيما أُنزلت».

ورَواه ابنُ جَرير، ولفظه: قال عبدُ الله: «والذي لا إلهَ غَيره، ما نَزلت آيةٌ في كتاب الله إِلَّا وأنَا أعلمُ فِيمَ نَزلت، وأين أُنزلت».

والأدلَّةُ مِن القرآن علىٰ ثبات الأرض واستقرَارِها قد بلغت خَمسةً وعشرين، وقد ذكرتُها في أول «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوجهُ الخَامِس: ما رواه الإمامُ أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «لَمَّا خَلَق اللهُ الأرضَ جَعلَت تَميدُ، فخَلق الجبالَ فألْقَاها عليها فاستقرَّت».

وهذا نَصٌّ في استقرار الأرض وسُكونِها.

والأدلة علىٰ ذلك من السُّنَّة قد بلغت ستَّةَ عَشر حَديثًا. وقد ذكرتُها في أوَّل «الصَّواعِق الشَّديدَة»، فَلْتُراجَعْ هُناكَ.

الوَجْه السَّادس: ذَكَر الشَّيخ عبدُ القاهرِ بنُ طَاهر البغدادي في آخر كتابه «الفَرْق بَين الفِرَق» جُملَة ممَّا أجمَع عليه أهل السُّنَّة قال فيها: وأجمعوا علىٰ وقوفِ الأرض وسكونها، وأن حركتَها إنما تكون بعارضٍ يَعرِض لها مِن زَلزَلة ونحوها.

وقال القُرطبي في أول تفسير سورة الرعد: «والَّذي عليه المُسلمون وأهلُ الكتاب القَولُ بوقوف الأرضِ وسُكونِها ومَدِّها، وأن حركتَها إنما تكونُ في العادَة بزَلزَلَةٍ تُصيبُها». انْتَهىٰ.

وهذا صَريحٌ في حكاية الإجماعِ مِن المسلمين وأهل الكتاب علىٰ القَول بثبات الأرْض واستقرارها.

وإجماعُ المُسلمين دليلٌ قَطعي علىٰ ثباتِ الأرض واستقرارها. وفيه مع ما تقدَّم من الآيات والأحاديث ردٌّ لِمَا زعمه الطنطاوي عن الإسلام أنه ليس فيه دليلٌ قَطعي علىٰ ثبات الأرض ونَفي الحَركة عنها.

وأما تَقسيمُه الأجور بين الشَّيخ ابن باز ومَن وافقه وبين الصَّوَّاف ومَن وافقه، وجَعلُه للفريق الأول أجرًا واحدًا وللفريق الثَّاني أجرين.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: هذه قِسمةٌ ضِيزىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢]، وليس الصَّوَّاف وأشباهُه ممَّن يُرجىٰ لهم الأجرُ، فَضلًا عن مضاعفته إلىٰ ضِعفَين. وإنما هم جديرون بمُضاعفة الأوزار؛ لقول الله تَعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: ٢٥].

وَأَمَّا قولُه: ولَسْتُ أُوزِّع الأجورَ، ولكِن أُشير إلىٰ الحديث.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: بلىٰ، قد وزَّع الطنطاوي الأجورَ علىٰ حسب رَغبَتِه،

ثمَّ تنَصَّل مِن ذلك وزعم أنه يُشير إلىٰ الحديث. وليس في الحديث إشارةٌ إلىٰ دُعاة الهُدىٰ ودُعاة الضَّلالة كما قد توهَّم ذلك. وإنما هو واردٌ في الحُكَّام، وهم القُضاة، كما في «الصَّحيحين» و«المُسنَد» و«سُنَنَي أبي داود وابن ماجَهْ»: عن أبي قيس مولىٰ عَمرو بن العاص عن عَمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إذا حَكَم الحَاكِمُ فاجْتَهَد ثمَّ أصابَ فلَه أجْرانِ، وإذا حَكَمَ فاجتَهَدَ ثمَّ أخطَأَ فلهُ أَجرٌ»، قال: فحدَّثْتُ بهذا الحديث أبا بكر بنَ عَمرو بن حزم فقال: هكذا حدَّثني أبو سلمة بن عبد الرَّحمن عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١).

وقد رواه التِّرمذي والنَّسائِيُّ من حديث أبي سَلمَةَ عن أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. قال: وفي الباب عن عَمرو بن العاص وعُقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وترجَم التِّرمذي علىٰ هذا الحديث بقوله: (باب ما جاء في القاضي يُصيب ويُخطئ). وترجم عليه أبو داود بقوله: (باب في القاضِي يُخطئ)(٢).

والقائل: فحَدَّثتُ أبا بكر؛ هو يَزيد بن عبد الله بن الهَاد، أَحدُ رُواته، كما صرَّح بذلك الإمام أحمد ومسلمٌ وابن ماجَهْ في رِوايتهم لهذا الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦)، وأحمد (٤/ ٢٠٤)، وأبو داود (٣٥٧٤)، وابن ماجه (٢٣١٤)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أخرجه الترمذي (١٣٢٦)، والنسائي (٥٣٨١)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وإذا عُلم أن هذا الحديث واردٌ في القُضاة، وأن الطنطاوي قد أخطأ في إشارته إليه، فليُعلَم -أَيْضًا- أن المُطابِقَ لحال الشَّيخ ابن باز ومَن وافقه وحال الصَّوَّاف ومَن وافقه هو حديثُ أَبي هُريرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ دَعَا إِلىٰ هُدًىٰ كَان لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجورِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن أُجُورِهم شَيئًا، ومَن دَعَا إِلىٰ ضَلالَةٍ كان عليهِ مِن الإِثْم مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَه لا يَنقُص ذلك مِن آثامِهِم شَيئًا»، رواه الإمام أحمدُ ومسلم وأهل السنن، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

قال النَّووي: «سَواء كان ذلك الهُدىٰ أو الضَّلالة هو الذي ابتدأه أم كان مَسبوقًا إلَيه». انْتَهىٰ.

فالشَّيخ ابنُ بازٍ قد دعا إلىٰ اعتقادِ ما قامت عليه الأدلَّة من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع؛ مِن جريان الشَّمس في الفلَكِ، ودُؤُوبِها في ذلك، وثَباتِ الأرض واستِقْرارِها، فيُرجىٰ أن يكونَ له من الأجرِ مثلُ أجُور مَن اهتدىٰ بسَبَبه.

وأما الصَّوَّاف فإنه قد دَعَا إلىٰ اعتقادِ ما يُخالِف الكِتَاب والسُّنَّة والإجْماعَ، مِن ضَلالات فِيثاغورس اليُونَاني وأتباعه أهل الهَيْئة الجَدِيدة، وهم: كُوبرنيك البولوني، وهرشل الإنجليزي وأتباعهم من فَلاسِفَة الإفرنج وجُهَّال المسلمين. فيُخشىٰ علىٰ الصَّوَّاف أن يكونَ عليه مِن الوِزْر مثل أوْزَار مَن ضَلَّ بسَببه إلىٰ يوم القيامة، قال الله تَعالىٰ: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ

ﵟٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥ﵞ [النحل: ٢٥].

وَأَمَّا قولُه: وجزاك اللهُ خيرًا على قَصدِك الحَسَن في الدفاع عن الإسلام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: أما قَصدُه فاللهُ أعلَمُ بِه، هل هو حَسَن أو سَيِّئ. ولكن الذي يَظهَر من حاله أنه مَفتُون بحُبِّ الشُّهْرَة، فلهذا نَصبَ نَفسَه لمُعارضة الحقِّ ومُخالفةِ مَن هو أعلمُ مِنه، فكان الأمْرُ فيه كما قيل:

كمَا قِيلَ قَبْل اليَوم خَالِفْ لتُذْكَرا ... خِلافًا لِقَولِي مِن فيالَةِ رَأيِهِ

وأما زَعمُه أن ذلك من الدِّفاعِ عن الإسلام.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: كلَّا؛ فليس ما جَمَعَه الصَّوَّاف في رسالته في عِلم الفلك دفاعًا عن الإسلام، وإنما هو دفاعٌ عن ضلالات فيثاغورس وأتباعه من فَلاسِفَة الإفرنج المُتأخِّرين ومَن يُقلِّدُهم ويَحذُو حَذوَهم مِن جُهَّال المُسلمين. ولكن الطَّنطاوي قد الْتبَسَت عليه الحقائقُ، فصار يَرى الباطِلَ في صُورَةِ الحَقِّ، ويَرى أن الدِّفاعَ عن ضلَالاتِ أعداء الإسلام دفاعٌ عن الإسلام. فلا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا بالله العلي العظيم.

وهذا مِن مِصداق ما رواه رَزينٌ وغيرُه عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَيفَ بِكُم إذا رَأيتُمُ المَعرُوفَ مُنكَرًا وَالمُنكَرَ مَعرُوفًا؟»

قالوا: وإنَّ ذلك لكائِنٌ؟ قال: «نَعَم»(١).

وأمَّا ما ذكره عن أعداءِ الإسلام أنهم اتَّخذوا مِن مَقال الشَّيخ ابن بازٍ طَعنًا علىٰ الإسلام وأهله.

فقد تقدَّم الجوابُ عنه في أوَّل الرَّد علىٰ الطنطاوي.

وَأَمَّا قولُه: ليَروا أنَّ في علماء المسلمين مَن لا يُنكر الأمورَ الحِسِّيَّة والمُسَلَّمَاتِ البَدِيهِيَّةَ.

فجَوابُه أنْ يُقالَ: ليس فيما ذكَره الصَّوَّاف في رسالته من الأمورِ الحِسِّيَّة والمُسلَّمات البَديهيَّة شيء سوىٰ القَولِ بكرَويَّة الأرض واسْتدارَةِ الأفلاك. وأما ما سوىٰ ذلك فكلُّها تَخَرُّصات وظُنون كاذِبَة، لا يَقبَلُها إِلَّا مَن هو مِن أَجهَلِ الناس.

وعلىٰ هذا فالمُطابق للحقيقة أنْ يُقالَ: ليَرىٰ أعداءُ الله أنَّ في المُسلمين مَن يَسعىٰ سَعيًا حَثيثًا خَلفَ نَعيقِهم، ويُسارِعُ إلىٰ تَحصيل رضاهم بقَبول تَخَرُّصاتهم وظُنونهم الكاذبة وتَأييدها والذَّب عنها والمُجادَلَة بها؛ لِإدْحَاضِ الحَقِّ.

وَأَمَّا قولُه: ومِن قبل قال شَيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّةَ: إنه ليس في الدِّين أمرٌ

---

(١) انظر: «جامع الأصول» (١٠/ ٤١)، و«المدخل» لابن الحاج (٣/ ٢١٢).

ثَابت يُناقِضُ أو يَتناقض أو يُنافي أمرًا ثَابتًا في العقَل أو الحَسِّ. وما قاله هو الحقُّ.

فجوابه من وجْهَين:

أحدهما: أنْ يُقالَ: إن الطَّنطاوي إنما نقل كلام شيخ الإسلام بالمعنىٰ، فزَاد فِيه وغَيَّرَ أُسلُوبَه. والمَعروف من كلام شيخ الإسلام -رَحِمهُ اللهُ تَعالىٰ- قوله: إنَّ المَعقولَ الصَّريح لا يُمكِن أن يُخالِفَ المَنقولَ الصَّحيح.

وتَقريرُ قوله هذا أن نُصوص الكِتَاب والسُّنَّة هي الأصلُ الذي يَجبُ الرُّجوع إليه، وأن المَعقولات تُعرض علىٰ نُصوص الكِتَاب والسُّنَّة، فما وافَقَها فهو مَعقولٌ صَريحٌ مُعتبَر، وما خالفها فهو فاسِدٌ يَجِبُ اطِّرَاحُه.

الوَجْهُ الثَّاني: أن الطَّنطاوي قد استشهد بهذا الكلام في غَير مَحلِّه؛ لأنه قد توهَّم أن ما ذكره الصَّوَّاف في رسالته فهو مِن الأمور الحسِّيَّة والمُسلَّمَات البَديهية الَّتي يُثبتها العقلُ. وليس الأمرُ علىٰ ما توهَّمه، بل إن الذي ذكره الصَّوَّاف كلَّه تَخَرُّصات وظُنون كاذِبَة تُنافي الأدلةَ من الكِتَاب والسُّنَّة والإجماع، سوىٰ القَول بكرويَّة الأرض واستدارةِ الأفلاك. وقد نبَّهتُ علىٰ ما فيه من التَّخَرُّصات والظُّنُون الكاذبة في مواضعها مِن هذا الكتاب، ولله الحَمدُ والمِنَّة.

* * *

فصل

وقد نَشر الصَّوَّاف في أول رسالته كلامًا لوَزير المَعارف الشيخ ابن عبد الله بن حسَن آل الشيخ، ولِمُدير التَّعليم بمكَّة مصطفىٰ عطَّار. وحيث إنه ليس في كلامهما تصريحٌ بمُوافقة الصَّوَّاف علىٰ ما قرَّره في كتابه من دَوَران الأرض وثبات الشَّمس وغيرِ ذلك مما حشَدَه فيه من تَخَرُّصات الإفرنج وظنونهم الكاذبة. وإنما كتبَا إليه ما كَتبَا؛ لِمُناسَبة خاصَّةٍ، لا لتَدعِيم كتابه وتَقريظه، فضَمَّ كتابَتَهُما إلىٰ كتابه؛ ليَتكثَّر بذلك ويَجعله تأييدًا لأقواله الباطلة، وهو غيرُ مُصيب في فِعله هذا. فلهذا أعرضتُ عن الكِتابة علىٰ كلامهما. ولو أنهما نَشرَا تَعقيبًا عليه بعدم المُوافقة علىٰ ما أودعه في رسالته من الضَّلالات والجهالات لكان خيرًا لهما من السُّكوت الذي قد يُظنُّ بسَببه أنهما قد وافقاه.

* * *

فصل

وفي كلام مُصطفىٰ العطَّار كلمة يَجِب التَّنبيهُ عليها. وهي قوله: والشَّهر الكريم قد أَظَلَّنَا ببَركاته وفُيوضِه.

والجواب أنْ يُقالَ: ليسَت البَركات والفُيوض من الأشهر، ولا مِن غيرها من

المَخلوقات، وإنما هي مِن الله وحده لا شريك له. قال تَعالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾ [هود: ٧٣]، وقال تَعالىٰ: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ﴾ [هود: ٤٨]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال تعالىٰ مُخبِرًا عن عيسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠] الآية.

وقال تَعالىٰ: ﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، وقال تَعالىٰ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]، وقال تَعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦] الآية. وقال تَعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ﴾ [النحل: ٥٣].

وفي الحديث الصَّحيح: «وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(١)، والأحاديثُ في هذا

---

(١) أخرجه النسائي (١٢٨٨)، وغيره من حديث كعب بن عجرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، وأصله عند البخاري (٤٧٩٧)، ومسلم (٤٠٦) بزيادات. وأخرجه النسائي أيضًا (١٢٩٠) من حديث طلحة بن عبيد الله رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ. وفي الباب عن أبي مسعود الأنصاري، وأبي سعيد الخدري، وأبي حميد الساعدي، وأبي هريرة، وغيرهم، رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ. وانظر: «أصل صفة =

المعنىٰ كثيرةٌ جِدًّا.

ومَن أضاف البَرَكات والفُيوضَ إلىٰ غيرِ الله تَعالىٰ، فقد جَعل ذلك الغَيرَ شَريكًا لله تَعالىٰ فيما هو مِن خَصائص ربُوبِيَّتِه. وحيث إن هذا قد خَفِي علىٰ العطَّار أحببنا أن نُنَبِّهَه عليه.

وهذا آخِرُ ما تيسَّر إيرادُه، والحَمدُ لله ربِّ العالَمِين.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا مُحمَّد وعلىٰ آله وأصحابِه ومَن تَبِعهم بإحسانٍ إلىٰ يوم الدين، وسَلَّم تَسليمًا كَثيرًا.

وقد وقَع الفَراغُ مِن تَسويدِ هذه النُّبذة في يوم الإِثْنَين
المُوافق لخَمْسٍ وعشرين مَضَت من شوَّال سنة ١٣٨٨هـ
علىٰ يدِ جامعها الفقير إلىٰ الله تَعالىٰ

حِمُود بنِ عبد الله التُّويجري

غفَر اللهُ له ولوالديه
ولجَميع المُسلمين والمُسلمات، الأحياء منهم والأموات
والحَمدُ لله الذي بنِعمَتِه تَتِمُّ الصَّالحَاتُ

=

صلاة النبي» (٣/ ٩٠٤-٩٣٠).